دكتور محمد عبد الغني سعودي
أستاذ الجغرافية
بجامعتي القاهرة والكويت

الجغرافية
و
العلاقات السياسية الدولية

طبع بمعونة جامعة الكويت



تليفون ٩٠٢٩٧٧

دكتور محمد عبد الغني سعودي
أستاذ الجغرافية
بجامعتي القاهرة والكويت

الجغرافية و العلاقات السياسية الدولية

طبع بمعونة جامعة الكويت



تليفون ٩٠٢٩٧٧

تصـــدير

كثيرا ما يتعرض كتاب فى الجغرافية السياسية للنقد ، وذلك لعـدم وجـود حدود واضحة لذلك الفرع من العلـوم الجغرافيـة ، إذ يتداخل مع التاريخ ، ومع علم الجيوبوليتك ، ورغم هــذا فمما لا ينكره انسان هو تلك العلاقة الوثيقة بين الشئون والأحداث الدولية من ناحية ، والبيئات الجغرافية التى تظهر فيها من ناحية أخرى ۰ ولعل الصعوبة تظهر فى رسم خط واضح يبين ما هو جغرافي وما هو غير جغرافى ، ومن هنا كان عمل الجغرافى السياسى فى منطقة الحدود المشتركة بين الجغرافيـة والتاريخ والسياسـة ، أو فى تخومها ، مطبقا فنه الخاص ، وطرائقه الخاصة ، ليسهم بنصيب فى العلوم القريبة من علمه ، على أنه حذارى أن يكرر عمل الفروع المتخصصة الأخرى ۰

ولعلنا نتفق جميعا ، علي أنه من بين الأسس المسـتعملة لتقسـيم العالم الى وحدات أو أقاليم ، كانت الوحدات السياسية أكثرها شـيوعا ، فبالنسبة لكثير من الدارسين قبل الحرب العالميـة الأولى وبعدها ، كانت خريطة العالم التى تعرض أمامها هى خريطة العالم السياسية ، وفيها كل وحدة سياسـية ، وقد اتخذت لونا معينا ، مثل هـذه الخريطة كانت هى المـألوفة فعلا لدى الدارسـين ، ولكنها فى نفس الوقت تغفـل كثيرا من الحقائق الجغرافية كأشكال السـطح ، والغطاء النباتى ، وتوزيع السكان ، وأنماط الاقتصاد السائد ولغيرها من المظاهر الحضارية ، من ثم لم تعط إلا صورة غير كاملة لم تفصح إلا عن جزء من الحقائق الجغرافية ۰

ورغم هذا ، فهناك تبرير كبير للتأكيد علي الوحدات السياسية عند

دراسة الأرض كوطن للانسان ، على اعتبار أن السلطة السياسية فى كل قطر من الأقطار ، تؤثر لا شك في ضروب المعيشة ، وفى طرق استغلال الإنسان للأرض ·

فالجغرافية السياسية اذن ، فرع قديم من فروع الجغرافية ، كتب فيها أرسطو ، وأفلاطون ، وإن كان مفهومها منذ نحو نصف قرن علي أنها ترديد لقوائم من الوحدات السياسية ، وعواصمها ، ومراكزها ، ومدنها ، مما أدى الى قيام ثورة على تدريس الجغرافية بهذا الأسلوب (١) ·

وقد ظل هذا الفرع من علوم الجغرافية ، لا يلقى العناية الجديرة به مدة طويلة ويرجع هذا الى رغبة جغرافي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فى الهروب من سيادة الأقاليم السياسية ، كالإطار الوحيد لما عرف باسم الجغرافية الاقليمية ، وقد يرجع هذا الى الخوف من تبعيتهم للتاريخ ، من ثم لجأوا الى الظروف الطبيعية ، وقسموا على أساسها العالم ، أو القارات ، إلى أقاليم طبيعية ، ومع تقدم فروع العلوم الطبيعية بدأوا يهملون الحدود السياسية تماما ·

يرجع تعبير الجغرافية السياسية الى العالم الألمانى كانت (١٧٢٤ ـ ١٧٠٣) · Kant, k الذى اعتبر أبا للجغرافية السياسية ، وكان يدلى بأسس الجغرافية السياسية أثناء محاضراته فى الجغرافية الطبيعية (٢) · ولم تجد أفكاره صدى خارج وسط أوربا وألمانيا ، وإن كان قد تتلمذ عليه فى بلاده مجموعة من الجغرافيين من أمثال كارل ريتر Ritter ، K (١٧٧٩ ـ ١٨٥٩) · وفردريك راتزل Ratzel ، F (١٨٤٤ ـ ١٩٠٤)

---

1 — Freeman. T.W.A. Hundred Years of Geography, Dukworth, London, 1961 p. 205.

2 — Carlson L, Geography and World Politics Prentice Hall 1959. p. 14.

الذى ألف كتاب الجغرافية السياسية Geographie Politish وفيـه يشرح العوامل الجغرافية التى تتحكم فى نمو الدولة وتكوينها ، وأن حدود الدولة قابلة للنمو ، والزحزحة ، حتى تبلغ حدودها الطبيعية ، وتتعداها إن لم تجد مقاومة من الجيران ، وبذلك كان نمو مفهوم المجال الحيوى Lebensraum من صنع راتزل أيضا ، من ثم أصـبح راتزل هوالخـالق الفعلى لهــذا الفر عمن فروع الجغرافية ٠

غير أن الفضل يرجع الى الجغرافى السويدى كيلن K. Jellen, R. في استعمال لفظ Geopolitik والتمييز بينه وبين الجغرافية السياسية Political Geography وتنبأ كيلن بقيادة دول عظمى Superstate فى أوربا وأفريقية وآسيا ، وأن الدولة العظمى في أوربا ستكون ألمـانيا ٠ وتـأثر فى أفكاره الي حد كبير بالجغرافيين الألمـان ، وخاصـة راتزل ، فالدولة فى نظره كائن حى — ويعتمد بقاؤها على سكانها ، وحضارتها ، واقتصادها ، وحكومتهـا ، وأرضها ٠ كما تنبـأ بزوال الامبراطوريات البحرية ، وانتقالها الى الدول البرية التي سـوف تسـيطر بدورها على المسالك المـائية ٠ وقد أثرت أفكار كيلن بدورها علي علمـاء الجيوبوليتكا في ميونخ ، الذين راجعوا آراءه ، وأعادوا نشر بعضها ٠

وتعتبر الحرب العالمية الأولى نقطة تحول كبير نحو زيادة العنـاية بالجغرافية السياسية فى ألمـانيا وخارجهـا ٠ وكان كارل هوسـهفر ، Haushofer, الوريث الفكرى لكيلن في ألمـانيا ، فاذا كان كيلن مخترع الجيوبولتيك فان هوسهفر نبى الجيوبولتيك (١) ٠ وكان رجلا عسكريا ، أرسل الى اليابان عام ١٩٠٨ كخبير فى المدفعيـة ، وأعجب أيما إعجاب بالشرق الاقصى ، ونادى بضرورة وجود علاقات بين ألمـانيا واليابان ٠ واشترك فى الحرب العالمية الاولى ٠ وبعد خروج ألمـانيا منهزمة شـغل كرسى الجغرافية والعلوم العسكرية في جامعة ميونخ عام ١٩١٩ ٠ وكون هو ورفاقه معهد العلوم السياسـية Institut Fur Geopolitik ، وكان

---

1 — Carlson, L. ibid. p. 17.

لنشرات هذا المعهد آثارها ، في مد الحكومة الالمانية بكثير من الحقائق والمعلومات النافعة ، فضلا عن نشر الثقافة الجيوبوليتيكية بين الألمان ، عن طريق مجلة العلوم السياسية Zeitochrift fur Geoppolitik التى كان يرأس تحريرها ٠

وتتلخص آراء هوسهفر فى أنه كان متأثرا الى درجة كبيرة بفكرة المجال الجغرافى لأنه يتحكم في تاريخ البشرية ، كما ان الدولة يجب ان تتوسع أو تهلك ، ومن رأيه أن مقومات الدولة القوية أربعة :

عدد وفير من السكان ، ونسبة عالية للمواليد ، واتحاد تام بين دم سكانها وتربتها ، ثم توازن عادل بين سكان حضرها وريفها ٠ وهذا تأثر لا شك بآراء راتزل وكيلن ٠

وعاصر الجغرافى البريطانى هالفورد ماكندر Mackinder ، H. الجنرال هوسفهر ، وإخرج على العالم بنظريته فى الاستراتيجية الكوكبية ، والتي فصلناها فى الفصل الاخير من الكتاب ، وقد أثارت نظريته عن توزيع القوى السياسية فى العالم والتى عرضها أول مرة عام ١٩٠٤ ، والتى نقحها أكثر من مرة ، نتيجة العديد من المناقشات طوال فترة تقرب من نصف قرن (١) ٠

وكانت الحرب العالمية الاولى داعيا الى ظهور هذا الفرع وتنشيطه في الولايات المتحدة الامريكية ، ذلك أن الحكومة الامريكية كلفت العديد من الجغرافيين الامريكيين بعمل دراسات للمشكلات الاوربية سواء فى المراحل التمهيدية فى الجمعية الامريكية أو كأعضاء فى وفد الرئيس ولسن فى مؤتمر السلام ولم يكن أحد منهم قد سبق له المران على هذا النوع من الدراسة او الكتابة فيه (٢) ٠

---

1 — Mackinder, H "The Geographical Pivot of History" Geog. Jour. Vol. 23 1904.,
Democratic Ideals and Reality, New York 1919 .reissued 1942.

2 — Hartshorn R. American Geography, Inventor, prospects Siracuse 1954 p. 170.

وكان بومان .I Bowmen، رائدا للجغرافيين الامريكيين فى هذا المجال ، وكان كتابه العالم الجديد (٣) هو المرجع الرئيسى لمشكلات ما بعد الحرب العالمية الاولى ، خاصـة وأن صاحبـه كان أحد المتخصصين القلائل فى مفاوضات الصلح عقب الحرب العالمية الاولى ، كما كان مستشارا للرئيس روزفلت أثناء الحرب العالمية الثانية ٠

وظهر فى الولايات المتحـدة الامريكية أيضـا درونت ويتلسى ٠ D. Whittlessey، وريتشارد هارتشورن .R ، Hartshorne وفان فلكنبرج ٠ .V ، Valkenburg ونورمان بونـدز .Pounds وغيرهم ، أما المدرسـة الاوربية فقد ظهر فيها الى جانب ماكندر البريطانى ، سيفجيك Civijic اليوغسـلافى وديمارتون De Martonne الفرنسى حينما كتب عن الدولة الحديثة فى وسط أوربا عقب الحرب العالمية الاولي ٠

ويقول فريمان عن منهج ماكندر وبومان وسـيفجيك فى معالجـة موضوعات الجغرافية السياسية :

« إن بومان يريك الغابة والأشجار ، بينما ماكندر يريك الأشـجار ، وسيفجيك يعرض أمامك الاشجار التى درسها جيدا » (١) ٠

3 — Bowman I The new World, problems in political Geography New York. 1921.

مقدمة

الجغرافية السياسية

مجال ومنهج

المجـــال :

الجغرافية السياسية جانب من جوانب الجغرافيـــة البشرية ، فبينما تدرس الجغرافية البشريةبوجه عام العـــلاقة بين البيئة والانســـان بغض النظر عن الاشـــكال السياســـية ، أى على أســـاس الاقليم الجغرافى Geographical Region. ، نجد أن الوحـــدة السياســـية هي أساس هـــذه العلاقات عند باحث الجغرافيـــة الســـياسية ، فالوحدة الاولى نتاج الطبيعة ، بينما الثانية نتاج البشر ٠ حوض الدانوب مثلا قد يوحي بوحدة جغرافية ، ولكن الخريطة السياســـية تشير الى عدة وحدات سيـــاسيـــة (رومانيا ، بلغاريا ، يوغسلافيا ، والمجر) وشمال غربى افريقية يوحى بوحدة جغرافية ، ولكن تنتظمـــه ثلاث وحدات سياسية (تونس والجزائر والمغرب) وهكذا ٠

إذن الجغرافية السياسية ، **هي دراسة الوحدات أو الاقاليم السياسية كظاهرات على سطح الارض** ، وما تشتمل عليه هذه الوحدات ، من شعوب وجماعات ٠ ويتوقف امتداد هـــذه الاقاليم وطبيعتها ، على تباين الظاهرات السياســـية التى تسود العالم ، ففى بعض جهـــات من العـــالم ، نجد أن الاقاليم السياسية لها صفة الاستقرار النسبي لمدة زمنية طويـــلة ، بينما نجدها فى جهات أخرى من العالم يصيبها تغيرات سريعة ، ونضرب مثـــلا بالسويد والنرويج فى شبه جزيرة اسكنديناوة ، وكندا والولايات المتحدة

الامريكية فى الحالة الاولى ، وبألمانيا وبولندا فى الحالة الثانية ٠

وهكذا بينما تنشد « الجغرافية الاقليمية » التباين الارضى ، تركز « الجغرافية السياسية » علي تباين الوحدات السياسية ، فاذا كانت الاولى سردية شاملة ، فان الثانية أكثر تحديدا ٠

وبدراسة الظاهرات السياسية Political phenomena وارتباطها بظاهرات سطح الارض الاخرى ، والمسطحات المائية ، وأنماط الاستقرار يمكن للباحث الجغرافى أن يحلل ، ويعلل ، الطرق المختلفة التى نظم بها الانسان هذه الارض ، الى أنماط سياسية كزائير ، أو الصين ، أى يدرس الدولة علي اعتبار أنها الاساس الاول للوحدات السياسية ، ولكنه قد يدرس إقليما داخل الدولة كمقاطعة ، أو ولاية ، أى وحدة ادارية كولاية كوبيك في كندا ، ولماذا كانت نشازا فى جوقة العزف الكندية ٠ ويتعدى مجال الجغرافية السياسية دراسة الدولة المستقلة ذات السيادة التامة ، الى دراسة الاقطار التابعة بشكل أو آخر ، كجنوب غرب افريقية ، فيمكن دراستها فى نطاق الجغرافية السياسية شأنها شأن الدول المستقلة تماما ، ومن التنظيمات السياسية التى تعلو هناك المنظمات الدولية التى قد ترضى الدولة بالانضمام بمحض اختيارها كانت منظمات اقليمية ، كمنظمة شمال الاطلنطى NATO أو منظمة جنوب شرق آسيا SEATO ، أو منظمات اقتصادية كالجماعة الاقتصادية الأوربية EEC وهذه المنظمات ، الغرض منها تسهيل الوصول بأعضائها الي أهداف معينة ، متفق عليها فى معاهدات ، أو اتفاقيات ، وأخيرا هناك المنظمات العالمية كالامم المتحدة (١) ٠

وقد تقوم دراسات اصولية Systematic لبعض الظاهرات السياسية على سطح الارض ، كالحدود السياسية ، أو العواصم ، أو دراسة مشكلة السكان فى العالم ، كمشكلة سياسية أو دراسة

---

1 — Pounds, N, "Political Geography" McGrew Hill 1963, p. 3.

مشكلة الملونين فى الولايات المتحدة الامريكية ، أو الأقلية البيضاء في جنوب أفريقية ، ولكن يجب ألا تهمل **ظاهرات سطح الارض غير منتظمة فى وحدات سياسية** ، اذا تميزت بوجود بعض الظاهرات السياسية المتعلقة بها ، التى قد تؤدى الى خلق مشكلات دولية كأحواض الانهار ، النيل بين مصر والسودان وأوغندا ، والسند بين الهنـد والباكستان · وهناك دراسة المراكز التى تظهر فيها اتجـاهات انفصاليــة ، كمراكز الاكراد فى ايران والعراق ، هـذه ليست لها حدود سياسية ، ولكنها فى نفس الوقت ذات أهمية كبيرة لباحث الجغرافية السياسية ·

غير أن من بين هذه المجالات جميعا تحظي الدولة كوحدة سياسية بأهمية كبيرة ، حتى أن البعض يذهب الي أن ميدان الجغرافية السياسية هو تحليل العلاقات بين السكان والبيئة الطبيعية فى اطار الدولة ، سواء كانت هذه العلاقات داخلية أو خارجية · (١) · وتقوم الدولة بوظيفة ، وتتمثل هذه الوظيفة فى معظم الاحوال فى العمل على رفاهية الأمة وحمايتها ·

وتدرس بذلك الجغرافية السياسية :

(١) مدى التوافق الجغرافي بين الدولة والأمة : وهذا أمر يثير مسألة الحدود السياسية ، وهل تضم الدولة أقليات داخلها ، أم هناك ادعاءات خاصة بأقاليم خارج حدودها ؟

(٢) موارد الدولة التى تتحكم فيها لتحقيق أهدافها ، كرفاهية الشعب وحمايته ، وتتمثل هذه الموارد فى الموقع الجغرافى ، وحجم الدولة ، وشكلها ، أو بمعنى آخر العوامل التى تؤثر في استراتيجيتها والدفاع عنها كما تشـمل دراسة مواردها الطبيعية ، ومدى اسـتغلالها ، ومدى التقدم الصناعى الذى أحرزتـه ، فضـلا عن مـدى تمـاسـك الدولة بواسطة طرق المواصلات المختلفة ، وأخيرا دراسة مواردها البشرية كما وكيفا · وقد لا تعتمد الدولة على مواردها الداخليـة ،

1 — Moodile A,E, Geography Behind Politics, Hutchinson London, 1951 p. 7.

وحدها فقد تكون لها موارد خارجية ، من حلفائها ، أو مستعمراتها وغيرها من الامور التى تساندها لتحقيق غايتها ٠

وتنعكس درجة استغلال موارد الدولة ، أو البيئة ، على نجاح الدولة أو الوحدة السياسية واستقرارها ، وان كان ليس معنى هذا ايضا أن طرق وأشكال الاستغلال المتبعة فى دولة تكون صالحة تماما لبيئة أخرى ، فمن أهم الدروس التى يخرج بها المشتغل بالجغرافية السياسية ، هو عدم تطبيق أى نظام ناجح فى دولة ما ، على دولة أخرى دون مراعاة الفروق ٠

(٣) دراسة تجارة الدولة الخارجية لأنها يمكن أن تمثل عنصر قوة أو عنصر ضعف ، ويمكن أن تستخدم التجارة كوسيلة لتحقيق غرض سياسى كما حدث فى وقف اتفاقية تصدير الولايات المتحدة الامريكية للقمح الى الاتحاد السوفييتى ، أو حظر العرب تصدير البترول الى الولايات المتحدة الامريكية ، وخفضهم للكميات المصدرة الي الدول الاوربية فى خريف عام ١٩٧٣ ٠

(٤) التماسك الاجتماعى للسكان أو درجة الوحدة القومية ، والعوامل التى تؤدى الى عدم التماسك سواء كانت سلالية أو دينية أو لغوية أو قومية ومدى نجاح الدولة في المحافظة على تماسكها الداخلى (١) إذ تحمل الدول بين ثناياها تشابهات اقليمية تشدها الى بعضها وتعرف بقوى الجذب Centripetal Force ، وكذلك اختلافات اقليمية تعرف بقوى الطرد (٢) Centrifugal Force ٠ تعمل علي تفكيكها ، ويتوقف بقاء الدولة أو اختفائها ، واستقرارها أو اضطرابها على قوة كل من العاملين واكثرهما فعالية ٠ فدراسة الجغرافية السياسية فى المكان الاول ٠ اذن هى تحليل عناصر القوة والضعف للدول ، وتشخيص اعراضها وسبر اغوارها وابعادها في سبيل الوصول الى تقييم الوزن السياسى للدولة ، على أساس أن كل دولة تتكون من عناصر مختلفة طبيعية وبشرية واقتصادية ، وعلى ضوء دراسة تلك المقومات يمكن تقييم الدول ، وتفسير العلاقات بينها

1 — Pounds N., op. cit. p. 19.

2 — Hartshorn R., The Punctional Approach in political Geography, A.A.G, 40, 1950.

وبين بعض على أسس جغرافية (٣) ٠

وتتعدى ميادين الجغرافية السياسية تحليل العلاقات بين الجماعة البشرية والبيئة داخليا ، **إلي تحليل العلاقات الخارجية** لهذه الجماعات ، ذلك أن التكامل ضرورى بين نشاط الدولة الداخلى ونشاطها الخارجى ، فالدولة المضطربة داخليا تستنزف جهودهـا فى اقرار السـلام ، والأمن والوحدة الداخلية ، ولا تستطيع أن تجد من الطاقة فائضا يمكنها من الظهور بارزة فى المجالات الدولية ٠ كما أن الدولة المستقلة الآمنة من الناحية الخارجية ، ينعكس حالها هذا على رخاء السكان ، وتفرغ ميزانيتهم للنهوض الإقتصادى ٠ فليس من شك أن جميع الدول غير الآمنة ، تستهلك جزءا كبيرا من ميزانيتها في التسليح ٠ قارن مثلا ميزانية الدول العربية المحيطة باسرائيل ، وحالة اسرائيل ذاتها ، بدولة كسويسرا ، ولعل ميزانيات التسليح الضخمة فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتى خير دليل على حالة التوتر الدولى وسباق التسلح الذى يدور في العصر الحاضر ٠

وتتأثر الجماعات داخل الدولة بالظروف الخارجية ، نظرا لأن الدولة ما هى الا قسم من أقسام الخريطة السياسية للعالم ، التى أصبحت بألوانها المتعددة أشبه بلوحة من الفسيفساء ٠ ولما كانت حبات الفسيفساء عرضة للتغيير ، انكماشا وامتدادا ، أو انقساما ، كان معنى هذا أن أى تغيير يضيب وحدة سياسية ، لابد ويكون لحساب أو على حساب وحدة أو وحدات سياسية أخرى ٠

ديناميكية الجغرافية السياسية :

وما دامت الجغرافية السياسية ، مجالها الدولة أساسا ، فلا بد من معرفة عناصر هذه الدولة ، فلا توجد دولة فى فراغ ، وإن كانت الوحدات السياسية تعانى خلخلة فى السكان أحيانا ، إلا أنه لا توجد وحدة سياسية

3 — Valkenburg, S., Stotz, C., Elements of Political Geography, Prentice Hall, 1957, p. 4.

بأرض دون سكان ، ومعنى هذا أن الدولة = أرض ذات حدود سياسية + سكان ، ونظرا لأنه لا توجد حتمية فى العلاقة بين البيئة والانسان فلا ننتظر أن نجد استجابة واحدة من السكان للأرض • فكل بيئة لها امكاناتها الخاصة ، وقد يستغل السكان هذه الامكانات وقد لا يستغلونها ومن هنا كان الاختلاف فى النظم التي تسود العالم •

لذلك يمكن تعديل المعادلة السابقة كما يلى :

الدولة = أرض ذات حدود سياسية + سكان + علاقة بينهما

والعاملان الأولان يتميزان بالتنوع ، أما الثالث فيتميز بالتعقيد لأنه متغير ، ديناميكي معقد ، فاذا أضفنا الى هذه التطورات السياسية المستمرة التى تلحق العالم ، أدركنا أن الجغرافية السياسية هى علم ديناميكي متطور ، فقد تتسع أرض الدولة أو تنكمش حسب تطور الظروف السياسية، وليس أدل على هذا من مراجعة الخريطة السياسية للعالم فى مطلع القرن العشرين ، ثم بعد الحرب العالمية الاولى ، ثم بعد الحرب العالمية الثانية ، لاشك سيجد الانسان تغيرات واسعة ، اختفاء دول ، وظهور دول أخرى ، كذلك الحال في السكان الذين يختلفون كما وكيفا بين حين وآخر • ومن ثم ليس هناك مؤلف وضع فى هذا الفرع الجغرافى الا ولا بد له من التعديل ، والتنقيح ، بما يلائم التطورات التى يشاهدها العالم بل ، ويقيم هذه التغيرات كلما سمحت الفرصة •

مناهج البحث فى الجغرافية السياسية :

تتعدد مناهج البحث فى الجغرافية السياسية بحسب موضوع الدراسة ، هل هى دراسة للوحدة السياسية ، أم دراسة أصولية للحدود السياسية وغيرها من الموضوعات التى سبق أن ذكرناها كميادين لباحث الجغرافية السياسية •

وسنقتصر في هذا المجال على تحليل منهج البحث فى الوحدة السياسية ، أو الدولة •

المدخل التاريخي :

وهو أحد هذه المداخل عن طريق دراسة تطور الدولة حتى بلغت بنائها السياسي الحالي ، وقد يكون هذا المدخل مفيداً في بعض الحالات الخاصة ، فالتحليل التفصيلي للكسومبورج لابد له من تفسير التطور هذه الدوقية ، وأثر هذا النمو على شكلها الحالي ، وعيب هذا المدخل التاريخي هو الخوف من أن يضيع باحث الجغرافية السياسية وسط خضم من الأحداث التاريخية ، تبعده عن اتجاهه ، ويصبح في هذه الحالة غير مميز عن باحث التاريخ السياسي ، والعيب الثاني هو خشية الخروج بأحكام عامة ، أو مبادىء نتيجة دراسة حالات خاصة . وقد كتب الكثيرون فيما مضى أمثال راتزل وكيلن وهوسهفر عن الدولة ككائن حي والقوانين التي تتحكم في نموها ، رغم أن التطور التاريخي لكل وحدة سياسية قد يكون فريداً بحيث يصبح من الصعب التعميم . فعلي سبيل المثال ما القوانين المشتركة التي تحكمت في نمو السويد والهند وكوبا ؟

فمثل هذا المدخل التاريخي للدول قد يفيد في تحليل هذه الأقاليم كظاهرات سياسية معاصرة على سطح الأرض .

المدخل الإقليمي :

وهو الذي يدرس الوحدة السياسية من حيث العناصر التي تتألف منها أو التي تكونها ، كالحجم ، والشكل ، والمناخ ، والموارد ، والسكان ، وغيرها ، ولكن هذا المدخل كما هو الحال في المدخل التاريخي سيتخم باحث الجغرافية السياسية بفيض من الحقائق يخشى معه على الباحث أن ينتهي به الأمر الى وصف مجموعة من الوحدات السياسية وصفاً اقليمياً ، والجغرافية السياسية التي هي عبارة عن وصف اقليمي لدول ما لن تكون لها شخصيتها المتميزة ، وبالتالي ليس هناك ما يبرر وجودها كفرع منفصل من فروع الجغرافية ، لذلك فعلى الجغرافي السياسي الذي يتخذ هذا المدخل سبيلا أن يسعى الى انتقاء ما يفيده من الدراسة الاقليمية ، ويحلل معلوماته ، وبياناته المختلفة ، بالطريقة التي تؤدي به الى تفهم المشكلة موضوع الدراسة ، من ثم اختلفت طريقة تحليل معلوماته ، وتقديرها اختلافاً له مغزاه عن طريقة الجغرافي الاقليمي .

المدخل الوظيفي :

وقد تدرس الدولة من حيث علاقاتها الداخلية وفى نفس الوقت كجزء متكامل فى المجتمع الدولى ؟ وما أثر العوامل غير السياسية كالمناخ والجبال أو الجماعات الشعوبية أو القوميات المتعددة على الأنشطة السياسية للدولة ؟

وما أثر المظاهر السياسية بدورها على العوامل غير السياسية كأنماط الاستقرار واستخدام الموارد ونمو شبكات النقل وغيرها ؟ ومن الناحية الخارجية هل هذه الوحدة السياسية أو تلك قادرة على البقاء والنمو فى ظل الظروف الخارجية التى حولها ؟ ومدى استقلال أو تبعية هذا القطر ، ومشكلاته الاقليمية مع الدول المجاورة .

على أن المدخل الوظيفى لا يشجب بحال من الأحوال استخدام العناصر التاريخية ، أو التركيبة الإقليمية ، فالعوامل التاريخية قد تكون لها أهميتها الكبرى في بعض الأحوال ، فقد يكون التاريخ عنصرا فعالا فى فهم الاختلافات الاقليمية فى داخل الدولة الواحدة . كما (هو الحال فى جنوبي الولايات المتحدة الامريكية) ، أو فى حالة الدولة كلها ، ويتمثل هذا فى مشكلة فلسطين ، وباكستان ، وفيتنام ، ولكن العامل التاريخى لا يأتى لنفسه فحسب ، بل لتقدير المظاهر الوظيفية للإقليم موضوع الدراسة (١) .

وفيما يختص بالعناصر الجغرافية غير السياسية وعلاقتها بالمظاهر الوظيفية ، سنجد أنها تعمل فى طريقين : فإما أن يدرس الباحث أثر هذه العوامل غير السياسية على وظيفة الإقليم ، أو دراسة وتحليل أثر وجود الوحدة السياسية على المظاهر غير السياسية للإقليم .

وقد اتبع الباحثون منذ القديم الطريق الأول أى أثر الموقع والمناخ على قوة الدولة ، وأثر السلاسل الجبلية علي الوحدة القومية ، والمزايا

— Lewis A., World Political Patterns, McNally, Chicago 1964. p. 6.

التى تحصل عليها الدولة ، نتيجـة قربها من البحر ، والمزايا التى تحرم منها نتيجة البعد عنه ٠

غير أنه يجب ملاحظـة أمرين فيما يختص بهذا الفرع من العـلاقة الجغرافية :

(١) أنه بينما نجد بعض العوامل ، مثل المنـاخ ، والجبـال ، أو امتلاك المعـادن قد يكون له مغزاه العميق ، غير أنه من الصعب اصـدار أحكام عامة أو تعميمات عن الآثار التى تتركها العوامل الجغرافية ، ذلك أن اسـتجابة الانسان ليست واحدة فى كل الجهات المدارية الرطبـة ، أو الجهات الجافة وما الي غير ذلك ، كما تختلف السلاسل الجبلية فيما بينها فى امتدادها ودرجة مناعتهـا وصـعوبة اختراقهـا ، وليست كل السواحل الصالحـة لقيـام الموانى ، من ثم كانت أى أحكام عامة ذات قيمة ضئيلة ٠

(٢) أن مغزى العوامل الجغرافية يختلف من وقت الى آخر ، حتى فى المنطقة الواحدة ، فالصحارى والمستنقعات والسلاسل الجبلية تميل الي أن تفقد أهم وظائفها كحواجز نتيجة للتقدم التكنولوجى ، كما بدأت الحدود السياسية تفقد وظائفها كحواجز اقتصادية بعـد الاتفاقات الاقتصادية ٠ وتغيرت أهمية بعض الموارد نتيجة التقدم العلمى (خاصة موارد الطاقة) من ثم كان التعميم مرة أخرى يؤدى الى عدم الدقـة فيما يختص بأثر العوامل الجغرافية على الأنشطة السياسية ٠ أما تلك العلاقات التي قال بها أرسطو وريتر ورايتزل بكل بساطة ، فقد اصبحت على شىء كبير من التعقيد ، ولم تصبح الجغرافية اليوم هى علم ايجاد علاقات بقدر ما أصبحت وصف وتحليل وتفسير الاختلافات بين أجزاء هذا السطح ٠

أما الطريق الثـانى : وهو اثر الاقليم السيـاسى على المظـاهر غير السياسية للبيئة فلم يجتذب إلا الجغرافيين المحدثين ، وبدأت الأبحاث في هـذا الاتجاه تظهر فى النصف قرن الأخير كما فعـل هارتشورن حينما

كتب عن أثر تقسيم سيليزيا كإقليم صناعى بعد الحرب العالمية الاولى(١) ، حيث قسمت الى قسمين ، قسم تابع لألمانيا ، والآخر تابع لبولندا (أصبحت سيليزيا العليا بأكملها جزء من بولندا بعد الحرب العالمية الثانية) .

كذلك ما حدث بعد تقسيم شبه القارة الهندية الى هند وباكستان ، ففصل خط التقسيم بين أقاليم كانت تعتمد علي بعضها من الناحية الاقتصادية ، وظهر هذا واضحا فى باكستان الشرقية التى انفصلت عن مدينتها ومينائها الرئيسى كلكتا حيث مئات المصانع الخاصة بغزل ونسج الجوت المحصول الأساسى لباكستان الشرقية (بنجلادش الآن) ، بينما لم يكن هناك مصنع واحد منها فى باكستان مما أدى الى قيام مشكلة اقتصادية حادة ، لأنه من الضرورى غزله ونسجه قبل التصدير ، وقد حلت هذه المشكلة باتفاق يقضى بأن ترسل باكستان الجوت الخام إلي كلكتا ، فى نظر تصدير الهند الفحم والمنسوجات إلى باكستان ، وإن كانت باكستان لم ترض بهذه التبعية ، ومع ذلك فمنذ الاستقلال عام ١٩٤٧ حتى أواخر الستينات كانت باكستان ترسل نحو نصف انتاجها من خامات الجوت الي مصانع الهند .

كذلك نوضح أثر التقسيم السياسى بصورة كبيرة فى تقسيم ألمانيا الى ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية ، فقد كان هناك تكامل اقتصادى بين أجزاء ألمانيا الموحدة قبل الحرب العالمية الثانية ، بينما بعد التقسيم أصبحت ألمانيا الغربية تضم معظم مناجم الفحم والحديد ومصانع الصلب ، بل ومعظم السكان ، بينما تضم ألمانيا الشرقية أجود المزارع والمراعى ، ومعظم البوتاس والصناعات الكيماوية الرئيسية ، من ثم كان على ألمانيا الغربية أن تستورد ثلث احتياجاتها الغذائية .

وقد لاحظنا سابقا أن العلاقات بين المظاهر السياسية وغير السياسية

1 — Hartshorn R., Geographic and Political Boundaries in Upper Silesia, Annals of the Association of American Geographers XXIII 1933.

تتغير بتغير الحـدود السياسـية للاقليم ، وتصـبح وظيفة البـاحث فى الجغرافية السياسية هى دراسة طبيعة ووظيفة الحدود الدولية ، وأسباب وآثار تغير هـذه الحدود • ورغم تدهور قيمة الحدود السياسية في بعض المناطق كغرب أوربا ، إلا انه لا يبدو فى الوقت الحاضر ، ان هناك املا فى تقليل عدد مشكلات الحـدود او التخفيف من تعقيـدها وحدتهـا فى المسـتقبل القريب •

الجغرافية السياسـية التطبيقية :

فى دراسة الأقاليم السياسية ، لا يمكن للباحث أن يتجـاهل ما يعرف بالجغرافية السياسية التطبيقية ، فبعد تحليل المظـاهر الوظيفية للاقاليم السياسـية وبصفة خاصة للدول كوحدات وظيفية ، فان الجغرافى يمكن أن يكون خلفية معقولة لتحليل العلاقات الدولية ، ونستشـهد فى هـذا المجال برأى أكبر المعلقين الأمريكيين (والتر ليبمان) وهو ليس بجغرافى محترف بقدر ما هو صحافي سياسى • « لن يكون هنـاك ادعاء بتسوية صالحة فى المستقبل للشئون البشرية ، إلا إذا اعتمدت على المعرفة الذكية والفهم الصحيح للظروف الطبيعية للعـالم الذى نعيش فيـه ••• ويقـوم الجغرافى السياسى بكشف الغطاء وازاحة الستار عن المعلومات الخاصـة بظروف العالم الطبيعية التى تؤثر فى حياة الانسان (٢) •

فالجغرافية السياسـية بربطها المشكلات الدوليـة بمسرحها المحلى والمكاني تستطيع أن تسهم مساهمة فعالة فى تفهم هـذه المشكلات (١) ، فكثير من المشكلات كفلسطين ، وكوريا ، وكشمير ، وبرلين ، والصومال ، وتوجو ، وجنوب غرب أفريقية ، وروديسيا لا زالت ضخامتها تتنـاسب عكسيا مع إدراك الناس لأساسها الجغرافى •

ولا ينفرد الجغرافيون وحدهم ببحث المشكلات الدولية ، بل هى ميدان

---

2 — Lippmann. W., Geography and the Ideological Conflict, Herald Tribune, New York June 21, 1951.

1 — Wooldridge, S.W., East G., "The Spirit and Purpose of Geo raphy, "Hutchinson, London, 1963, p. 128.

ثرى للمشتغلين بالعلوم السياسية والمؤرخين والعاملين فى حقل القانون الدولى ولكن الجغرافى يتميز عليهم جميعا بتفهمه للخصائص الاقليمية وسهولة استخدامه للخرائط ، ولا يزال المجال أمام الجغرافي كبيرا لكى يضيف الكثير لإجلاء المواقف المختلفة • ولقد تطورت الجغرافية السياسية فى الخارج كثيرا فى استخدام المعلومات الجغرافية للافادة منها فى المشكلات الدولية المعاصرة ، وكثير من هذه الدراسات أصبحت تطلبه الوكالات الحكومية المختلفة فى الولايات المتحدة الامريكية ، غير أن الجانب التطبيقى بدأ ينشط عقب الحرب العالمية الأولي ، نتيجة الاهتمام الزائد بمعرفة الادعاءات الاقليمية بعد تلك الحرب ، وهناك قسم للجغرافية فى وزارة الدفاع الامريكية •

وقد اشترك الجغرافيون الأمريكيون ، بسهم وافر فى وضع البيانات اللازمة التى تسلح بها الرئيس ولسن فى مؤتمر الصلح ، وجمع أحدهم وهو بومان ملخصات للأقاليم موضع النزاع في جميع أنحاء العالم فى كتابه العالم الجديد (٢) • وخلال العقدين اللذين أعقبا الحرب الأولى ، ركز الجغرافيون الأمريكيون همهم على المشكلات الخاصة بأمريكا اللاتينية ، والمشكلات الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية مع كندا والمكسيك ، وقد أخرج بوجز محاضراته عن الحدود الدولية ، فى مؤلف بهذا العنوان نتيجة لاشتراكه فى بحث كثير من المشكلات (٣) •

كما أعد ستيفن جونز بتشجيع من بوجز مؤلف عن « عمل الحدود » ليكون دليلا فى أيدى لجان تخطيط الحدود ، والهيئات التي تقوم بتحديدها (١) • وقام هوفمان بنشر تحليل لمطالب هولندا فى تعديل الحدود مع ألمانيا •

---

2 — Bowman, L., "The New World Problems in Political Geography," New York 1921,

3 — Boggs, S.W. "International Boundaries. A. study of Boundary Function and Problems," New York 1949.

1 — Jones, S.B., Boundary Making ; A Handbook for statesman 1945.

وهكذا يمكن لباحث الجغرافية السياسية أن يكون موضوع لاستشارة بحكم خبرته ومرانه المتخصص فى المشكلات الاقليمية ، كمشكلات النزاع على الحدود ، وإعادة تخطيط الحدود السياسية أو في زحزحة موضع العاصمة ، أو تقسيم قطر معين أو توحيده ، أو اتحاده مع قطر مجاور وحتى فى المواقف التى لا يظهر فيها نزاع اقليمي ، يمكن للجغرافية السياسية أن تعطى الكثير ، فنمط الأقاليم السياسية فى غرب أوربا أثر علي التجارة والصناعة المحلية ، فحفر القنوات فى بلچيكا والأراضى المنخفضة ، وحركة الحديد الخام فى اقليم اللورين ـ لوكسمبرج هي نشاطات اقتصادية ، لا يمكن فهمها إلا بعد دراسة نمط القوى السياسية فى الاقليم ٠

وتختلف درجة الملاحظة فى الاقاليم من النظرة الشاملة أو الكلية لمساحات كبيرة ، الى الأبحاث التي تقوم على مساحات صغيرة ، وفى الأولى أى فى المساحات الكبيرة تظهر الاختلافات المحلية ، وتظهر الخطوط العامة ٠ وأما الدراسات المحلية ، فقد تتضمن الدراسة طرقا خاصة ، وهنا يكون التعميم الأول فى حاجة الى اعادة دراسة علي مقياس آخر ، فعلى سبيل المثال كون جبال الأنديز تصلح حدا سياسيا بين شيلى والأرچنتين فيه شيء من التعميم على مستوى الكرة الارضية ، أما علي المستوى المحلى فتظهر كثير من الصعوبات ، فقمم الجبال كثيرا مالا تتفق مع تقسيم المياه وكذلك السلسلة الجنوبية أكثر انخفاضا ، ولا تظهر فيها القمم واضحة ، فضلا عن مشكلات المرور من الممرات الجبلية ٠

وهناك أيضا دراسة الوحدات الادارية المحلية داخل الدولة والى أى حد تتفق مع الاختلافات الاقليمية ٠

وعلى عكس هذا ، هناك الدراسات ذات الطبيعة الدولية ، وفي هذا المجال يعالج باحث الجغرافية السياسية جزءا كبيرا من سطح الارض كنمط من الأنماط السياسية ، وما دامت الوحدات السياسية هى نواتها ، فان المساحة الكبيرة لا شك ستضم العديد من الدول ، ولا بد للوحدة الكبيرة أن تكون ديناميكية هى الأخرى ، وهكذا يجد الباحث نفسه يواجه مشكلات على مستوى عالمى ، وعلي مستوى اقليمى ٠

الجيوبولتيك :

ظهر اصطلاح جديد يعرف بالجيوبولتيك Geopolitic ومن مفهوم اللفظ يظهر أن مضمون هذا العلم يجمع بين الجغرافية والسياسة ، أى يقوم على الدراسة الجغرافية للدولة من حيث سياستها الخارجية ، وهنا يكون التأكيد على المظهر الجغرافى للعلاقات الخارجية ، وهذا هو المفهوم الواسع للجيوبولتيك • أى أنها علم يبحث فيما بين السياسة والرقعة الأرضية من علاقات ، وأنه يهدف بصفة خاصة الى تحويل المعلومات الجغرافية الى ذخيرة علمية يتزود بها قادة الدولة وساستها •

وهنا يصعب الفصل بينها وبين الجغرافية السياسية حتى أن البعض كالجغرافى الامريكى « ويتسلى » يستعمل Geopolitic كاختصار للفظ الجغرافية السياسية Political Geography

غير ان هذا اللفظ ارتبط بالمدرسة الألمانية ونظرتها الضيقة العدوانية التوسعية ، وكان صاحب التفاسير العديدة الخاصة بالتوسع الأرضى هوسهفر وأتباعه في معهد ميونخ •

وتعريف الجيوبولتيك كما ورد فى مجلة العلوم السياسية Zeitschrift fur Geopolitic التى كان يرأس تحريرها هوسهفر ، بأنها العلم الذى يبحث عن العلاقة بين الاحداث السياسية والارض ، فهو يربط السياسة بالارض ، فهى تعتمد بذلك على الاسس الجغرافية ، وخاصة الجغرافية السياسية ، فالجيوبولتيك تمهد للعمل السياسى ، وتعطى الأسس اللازمة للحياة السياسية ••• الجيوبولتيك يجب أن تكون الضمير الجغرافي للدولة (١) •

ومعنى هذا أن دراسة الجيوبولتيك تؤدى بدارسها الى معرفة

---

1 — Preston, J., Clarance. J., ads. American Geography inventor, Prospect, Syracuse, 1954, p. 172.

1 — Taylor G., Geopolitics and Geopacifics in "Geography in the 20th Century Methuen, London, 1952, pp. 589.591..

طريق العمل السياسي فى المستقبل ، وتظل كصوت الضمير تذكر السياسيين بما يجب أن يقوموا به لصالح بلادهم • ولكن لا يجب أن يفهم من هــذا أنها مرادف للاستراتيجية ، لأن الجيوبولتيك تساعد على تشكيل اغراض العمل السياسى ، وتبريره ، وفى نفس الوقت تقترح الوسائل التي يمكن بها تنفيذ هذا العمل •

وفى تعريف آخر لأوتومل Otto Maull احد كتاب معهد ميونخ واحد اتباع هوسهفر •

تعني الجيوبولتيك بالدولة ككائن حى ، فهى تبحث الدولة من حيث علاقاتها ببيئتها ، بمجالها ، وتحاول حل جميع المشكلات الخاصة بمجالها الارضى ، فالجيوبولتيك إذن تعني بدراسة المطالب المكانية للدولة ، بينما تفحص الجغرافية السياسية ظروف مجالها الأرضى الحالى •

وبوضع الجغرافية في خدمة التوسع السياسى ، تهب الجيوبولتيك نفسها لمشكلات المستقبل ، وهل مطالب الدولة المكانية وجدت مجالهـا ؟ واذا لم تكن قد وجدت هــذا المجال فما السـبيل الى تنفيـذها طبقا للظروف الجغرافية ؟ وفى اى اتجاه يجب ان يكون التغير ؟ فالجيوبولتيك نظــام يزن ويقيم موقف ما ، وفى النهـاية يبحث عن الطريق العلمي لتنفيــذ السـياسة » (٢) •

ويذهب Weigert الجغرافى الامريكى الى انها اسـتعمال الأسس والمبـادىء الجغرافيـة فى لعبـة القوة ، بينما يعرفهـا تايلور بأنهـا الجغرافية السياسـية مشـحونة بالعواطف ، من ثم تكمن فيهـا دعـوة للعمـل (١) •

وهكذا لحق لفظ الجيوبولتيك كثير من التضـليل ، وارتبط بفكرة استخدام الحقائق الجغرافية من أجل التوسع ، وفى هــذا يقـول لاديس كريستوف Ladis Kristof « ان الفرق الوحيد بين الجغرافية السياسية

---

1 — Tayor, G.R. Geography in Air Age, Royal Institute of International A/airs, London, and p. 47.

والجيوبولتيك هو بؤرة الاهتمام التى يركز عليها الباحثون فى كل فرع ، فالجغرافية السياسية تجعل بؤرة إهتمامها الظاهرات الجغرافية ، بينما تركز الجيوبولتيك على الظاهرات السياسية ، وتحاول أن تعطيها تفسيرات جغرافية وتدرس المظاهر الجغرافية لهذه الظاهرات السياسية •

إن الجيوبولتيك اذا ما فهمت الفهم الصحيح ، ودرست على منهج متعقل ، فيمكن ان تعتبر بجدارة امتدادا أو تطبيقا للجغرافية السياسية على العلاقات الجغرافية الخارجية للدول ، ولن تكون « وهم وتضليل واعتذار عن السرقة » كما قال عنها بومان (٢) •

---

2 — Wooldridge, S.W., op. cit., p. 122.

الباب الأول

الأسس الجغرافية لتقييم الدولة
من الناحية السياسية

الفصل الأول

الأسس الطبيعية

أولا : الموقع الجغرافي : Location :

فى دراسة الموقع الجغرافى ، نجد أن أول ما يتبادر الى الذهن ، هو موقع الوحدة السياسية فلكيا ، بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض أو كمـا يقولون المـوقع المطلق Absolute location. ولعل التحديد بالنسبة لدرجة العرض أهم منه بالنسبة لخطوط الطول ، وذلك لأنـه على أساس الدرجات العرضية سيتشكل المناخ بوجه عام ، وكذلك النشاط البشرى وهذه أمور حيوية تشترك فى تشكيل اتجاهات الدولة .

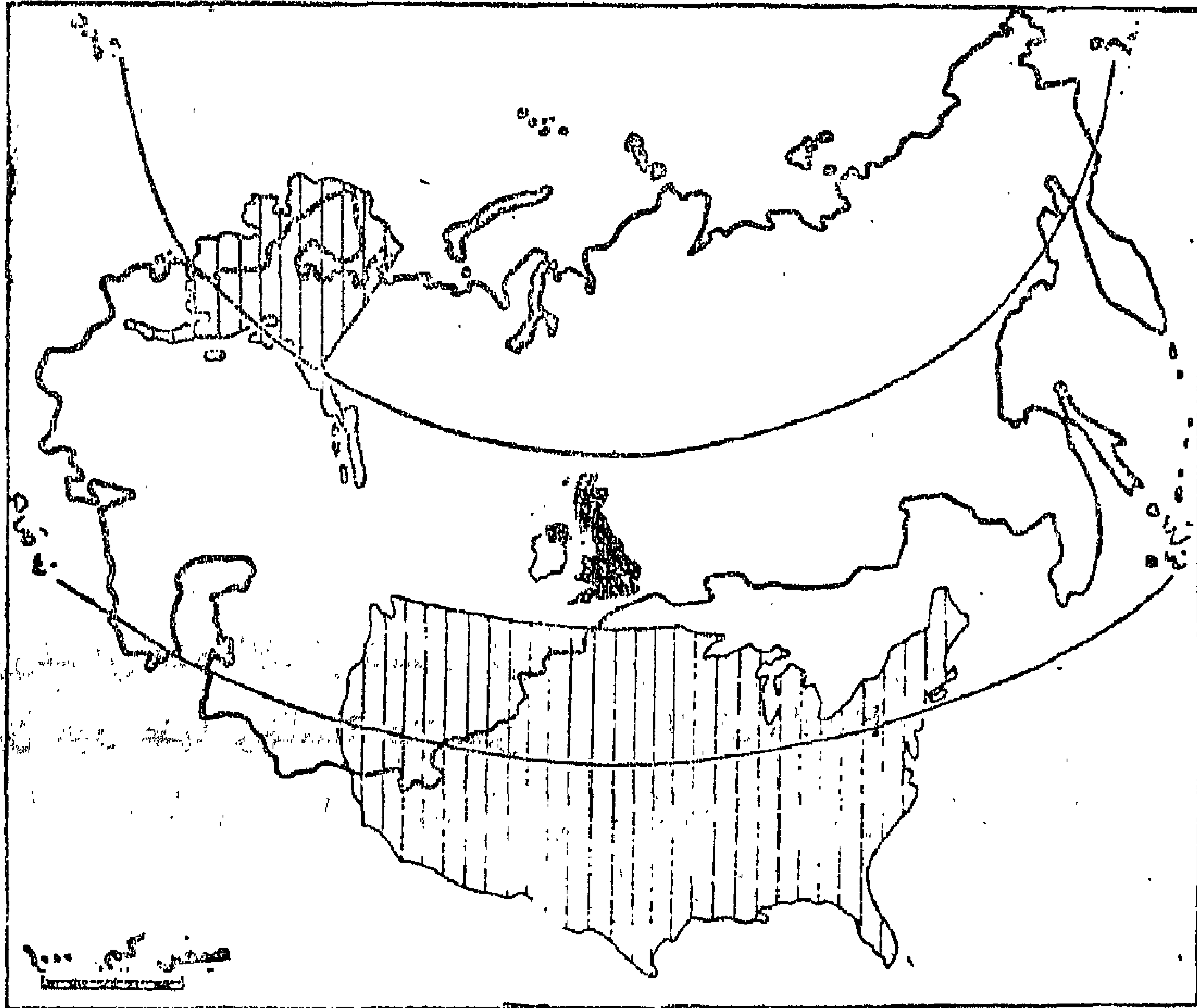
ويذهب البعض الي أن القوى العظمى الموجودة الآن ، ترتبط بالمناطق المعتـدلة ، حيث تتمتع بالتغير المنـاخى للفصول ، والتغـير الإعصارى ، يبعث على النشاط ، وأن الوحدات السياسية التى تقع فى الجهات المدارية يقع مركزها أو بؤرتها على المرتفعات ، فبوجون عاصمة **كولمبيا** على ارتفاع ٢٨٠٠ متر فى مرتفعات الأنديز ، وكيتو على ارتفاع ٣٢٠٠ متر ، وكذلك الحـال فى أديس أبابـا التى تقع علي ارتفاع ٣٣٠٠ متر . وهذا يذكرنا بنظرية الحتم البيئى . Environmental Determinism

ونظرية الحتم البيئى قديمة كل القدم ، قال بها كثير من الكتاب القدماء فيشير هيرودوت مثلا الى أن البلاد السهلية لاتنتج رجالا أشداء ، وفضل

الفرس كشعب امبراطورى ، أن يعيش فى بلاد وعرة ، علي أن يعيش فى السهول ، يقوم بالزراعة كما يفعل العبيد !! وقال هيبوقراط الطبيب والكاتب الإغريقى « ان نقص الشجاعة والروح الوثابة عند سكان آسيا يرجع أساسا الي قلة المدى الحرارى الفصلى الذى يسود تلك الجهات » • مثل هذه الأفكار التى كانت تسود فى العصور القديمة ، نجدها وقد استمرت في العصور الوسطى وتمسك بها كتابها فنجد Jean Bodin فى كتاباته التى ترجع الي القرن السادس عشر ، يشير الى ان أهل الشمال يتفوقون فى القوى الجسمية ، بينما أهل الجنوب أكثر ذكاء ، ونظرا لأن المناخ أنسب ما يكون بين الشمال والجنوب • كان أهل الوسط من أنسب السكان للاشتغال بالسياسة • وكتب مونتسكيو فى القرن الثامن عشر فى نفس هذه الإتجاهات « لا يعجب الانسان من أن ضعف سكان الجهات الحارة يجعل منهم عبيدا وأن شجاعة سكان الجهات الباردة تجعلهم أحرارا ، وعلى هذا الاساس تعزى القوى السياسية الى المناخ ، وهذا بدوره يرجع الي الموقع الجغرافى ورغم أن هذه الأفكار تنسب الى الماضى ، فمع ذلك وجدت فى عصرنا الحاضر من عبر عنها وخاصة هنتنجتن Huntington فى كتابه المدنية والمناخ (١) • ولكن المدنية في الحقيقة تقوم فى المناطق التى يصل فيها الانسان فى استغلال البيئة الى أعلى المراحل ، ولذلك نشأت المدنيات القديمة فى البيئات الزراعية حينما كانت حرفة الزراعة هى أكثر الحرف أنتاجا (مصر والعراق) ، وعندما ظهرت حرفة الصناعة كأكثر الحرف انتاجا ، انتقلت المدنية الي المناطق التى تتوفر فيها مقومات الصناعة ، فهى الآن فى مراكز الفحم والحديد ، فليست المدنية ولا القوى السياسية احتكارا للمناطق المعتدلة ، ولا يمكن للحتميين المناخيين إثبات صحة نظريتهم تماما ولكن ليس معنى هذا أن المناخ لا أثر له ، ولكن آثاره ليست منتظمة من ناحية ، ولا يمكن التبؤ بها من ناحية أخرى • ويتضح أثر المناخ أكثر ما يكون فى درجة استخدام الأرض ، وهى عنصر هام من عناصر قوة الدولة ؛

1 — Ellsworth Huntington, Civilization and climate, yale u.p.!, 1924.

فاذا قارنا مثلا القوتين الأعظم الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية ، لوجدنا أن مساحة الولايات المتحدة تبلغ نحو خمسى مساحة الإتحاد السوفيتي ، ومع ذلك فمساحة الاراضى المزروعة فيها تعادل نظيرتها فى الاتحاد السوفيتى ، ويرجع السبب الاساسى الى أن الاتحاد السوفيتى يقع معظمه فلكيا الى الشمال من خط ٥٠ شمالا ، بينما تقع الولايات المتحدة



شكل رقم (١)
الموقع الجغرافى الفلكى لكل من القوتين الاعظم

الامريكية (ما عدا الأسكا) الي الجنوب من خط ٤٩ شمالا ، وبالتالى أصبح المستغل فيه للزراعة نحو ١٠٪ من مساحة البلاد ، والمستغل للمرعى نحو ١٠٪ أخرى ، بينما تشغل الصحارى الباردة ١٧٪ ، كما تشغل الغابات ٥٠ ٪ ، وفى هذا النطاق الأخير ، يظل ما تحت التربة متجمدا طول العام تقريبا .

الموقع بالنسبة لكتل اليابس والمسطحات المائية :
Maritime or continental location

وهذا عنصر هام لأنه يعطى الوحدة السياسية شخصية خاصة ، ويوجه سياستها نحو اتجاهات معينة . وهناك وسيلة لتقدير درجة البرية

أو البحرية للدولة وذلك بعمل نسبة طول الحدود البرية • وتقسم الدولة على هذا الأساس كما يلى :

١ - دول بحدود بحرية تماما كالجزر البريطانية وايسلند واليابان

٢ - دول تغلب على حدودها الصفة البحرية كالبرتغال وأسبانيا وفرنسا وايطاليا والسويد والنرويج •

٣ - دول تغلب على حدودها الصفة البرية كألمانيا ويوغوسلافيا وليبيا والجزائر والسودان •

٤ - دول حدودها برية تماما كالمجر والنمسا ومالى وفولتا العليا ونيبال • غير أن هذه الطريقة تعني بالكم وليست طريقة كيف ، لأنها لا تدخل فى اعتبارها نوع الحدود أو قيمتها • فحدود الاتحاد السوفيتى المطلة علي المحيط القطبى الشمالى لا شك إذا دخلت فى الحساب ، قد تعط فكرة غير صحيحة لسوء حظ الاتحاد السوفيتى أيضا أن حدوده على بحر بلطيق تتجمد مياهها معظم السنة ، فتصبح الجبهات البحرية الهامة هى جبهة المحيط الهادى ، وجبهة البحر الاسود فقط ، من ثم يعتبر الإتحاد السوفيتي رغم طول الحدود البحرية قوة برية أكثر منها بحرية •

كذلك تتوقف قيمة الجبهة البحرية Sea board على ظهير الساحل فظهير ساحل البحر الاحمر عبارة عن صحراء ، ويبعد عن الوادى حيث مراكز الانتاج والعمران بمسافات طويلة ، مما أدى الى قلة استعمال هذه الجبهة ، ولم يلجأ اليها الا فى وقت الضرورة (أى عند قيام الحرب العالمية الثانية وكثرة الغارات على البحر المتوسط) فلجأت بريطانيا الى استعمال ميناء القصير ومدت خطا حديديا بينه وبين قنا •كذلك الحال في الظهير الخلفى لساحل يوغسلافيا المطل على الأدرياتيك فهو عبارة عن جبال الألب الدينارية التى تتميز بتربة الكارست الجيرية التى تمتص مياه الامطار ، فتتكون الفجوات والكهوف ، وتظل قاحلة ، وكأنها لم يسقط عليها غيث •

فاذا أضفنا الى هـذا أن الساحل اليوغسلافي قليل التعاريج ، كان هذا مما لا يساعد على نشأة الموانى الكبيرة ، مما أدى الى ظهور مشكلتا تريست وفيومى بين يوغسلافيا وايطاليا التى حاولت دائما ضمها ضمن حـدود دولتهـا ، وانتهى الأمر أخيرا بحصول يوغسـلافيا علي فيومى والاتفاق سنة ١٩٤٧ على انشاء منطقة حرة فى تريستا ٠

وقد يكون ساحل الدولة رملي أو صخرى ٠ وبالتالى قد تعمل الدولة على تنمية أحد موانيها النهرية ، وقد يكون مصب النهر فى دولة أخرى ، فاذا حاولت دولة المصب إغلاقه ، كان معنى هذا أن هذه الدولة الداخلية أصبحت حبيسة أيضا ، وهذا ما فعله الهولنديون عنـد ما أغلقوا مصب نهر الشـلد في منتصف القرن السابع عشر ، مما أدى الى عزل مينـاء أنتورب ، وتوقف حركته لمدة قرن ونصف ، وقد أدى هـذا الوضـع الى جانب نمو التجارة البحرية فى القرن التاسع عشر الى البحث عن حلول دائمة حتي لا تتكرر مثل هذه المشكلات ٠

كذلك تختلف قيمة الجبهة البحرية بحسب بعدها أو قربها من طرق التجارة العالمية الرئيسية ، فلا يمكن القول بأن الجبهة البحرية التى تطل بها البرازيل وأرجنتين على المحيط الاطلنطى تعـادل الجبهة البحرية التي تطل بها شيلى وبيرو على المحيط الهادى ، فلا شك أن دول المجموعة الثانية أكثر عزلة من دول المجموعة الاولى ، لأن جبهة الاطلنطى يمر بها ثانى الطرق البحرية العالمية ، بينما دول الساحل الغربى للقارة تقع بعيـدا عن المسار المـألوف لطرق التجارة العالمية ومع ذلك ولا شك أنها فى وضـع أفضل من الدول الداخلية كبوليفيا وبارجواى ٠

واذا قارنا بين قارات العـالم من حيث عدد الدول الداخليـة التى لا منفذ لها على البحر ، نجد أن أوربا بها خمس دول داخلية بصرف النظر عن خمسة جيوب داخلية أو ساحلية (تشيكوسلوفاكيا ، النمسا ، المجر ، سـويسرا ، ولوكسمبورج) وفى آسـيا نجـد خمس دول حبيسـة land locked states (أفغانستان ، نيبال ، لاوس ، منغوليا ، وبهوتان) وفى أمريكا الجنوبية نجد دولتين هما بوليفيا وبارجواى ٠ أما في أفريقية

فيبلغ المجموع أربع عشرة دولة من مجموع الوحدات البالغ عددها ٥٠ وحدة ، أى أكثر من ربع أقطار القا رة عبارة عن أقطار حبيسة يصل مجموع سكانها الى نحو ٣١ مليون نسمة ، أو ١٤٪ من مجموع السكان، وهى مالى ، ونيجيريا ، فولتا العليا ، وتشاد ، وأفريقيا الوسطى (أفريقية الغربية الفرنسية سابقا) ثم أوغندا ، وزامبيا ، وروديسيا ، ومالاوى ، وبتسوانا ، وباسوتو ، رواند ، بوروندى ·

ولا يرجع هذا الي قلة التعاريج الساحلية فحسب ، بل يرجع أيضا الى التمزق السياسى الشديد الذى عانته قارة أفريقية ، وذلك أن آسية قليلة التعاريج الساحلية ومع ذلك فقد تحاشت الشظايا الداخلية الكثيرة بفضل وحداتها السياسية الكبيرة الحجم ·

وتعانى الدول الحبيسة بعامة من كثير من المشكلات الاقتصادية ، لعل أهمها تحكم الدول الساحلية فيها ، بل انوا أحيانا تقع تحت رحمتها ، وقد تسعى الدول الداخلية الى اقامة اتحاد جمركى ، أو اتحاد سياسى ، فلا غناء عن البحر أو المحيط لنقل جزء كبير من التجارة الخارجية لهذه الدول ، من ثم كانت هذه الدولة الحبيسة في وضع لا تحسد عليه إلا إذا ضمنت لنفسها حقا فى استخدام البحار كما هى الحال فى الدول الساحلية كحق المرور البرى فى المياه الاقليمية للدول الاخرى ، والمشاركة فى تسهيلات المرافيء ، والحق فى المرور فى هذه المرافىء الى أراضيها ، فهى قائمة طويلة من الضمانات ، لذلك ليس من عجب أن تحس هذه الدول الداخلية بالعزلة ، وقد تقوم بعض المشكلات للنزاع على مساحة من الارض ، أساسها رغبة الدول الحبيسة لضمان مخرج دائم وآمن الى البحر ·

فلقد أصبحت المحيطات (والتى كانت تمثل فى وقت ما فواصل تعزل البشر بعضهم عن بعض) بفضل التقدم التكنولوجى طرق الاتصال والتبادل الاساسية ، أوشرايين الحياة ، كما كان يطلق علي الطرق البحرية للامبراطورية البريطانية ، جلبت عن طريقها الخامات ، وصدرت الصناعات وتوطنت كثير من الصناعات في الموانى ، حتى تختصر تكاليف النقل البرى مرة أخرى ، وأصبحت هذه الموانى ليست مراكز لتبادل التجارة فحسب ، بل

لتبادل الثقات والافكار ، بل وفي كثير من الاحيـان تمثل القلب النـابض بالنشاط الاقتصادي (الموانى الشرقية للولايات المتحدة الامريكية ، كذلك موانى غرب أوربا)

هذا بينما لاتجد الدول الحبيسة مفرا من نقل السلع منها واليها عبر الموانى الاجنبية ، ولايمكنها أن تهرب من نفقات نقل السلع الباهظة على طرقها البرية من المرافىء الاجنبية الى أراضيهـا ، وكل أملهـا هو نقل تجـارتها الخارجية من وإلى أقرب مرافئ لها بأرخص تكاليف ممكنة ، ويتوقف هـذا بالتالى على علاقة الدول الحبيسة بتجارتها البحرية ، لانها يمكنها أن تغلق هذه النافذة وشل حركتها التجارية والضغط عليها سياسيا ٠

ما هى البدائل إذن لإمكان الوصول الى أعلى البحار ؟ وكيف يتم هذا عبر دولة أخرى دون أن يمس سيادتها كثيرا من ناحية ، ودون أن تحدث تبعية أمن الدولة الحبيسة للدولة السـاحلية من ناحيـة أخرى ؟ الواقع أن هناك احتمالات ثلاثة :

أولها : الاتفاق علي دولية الأنهـار الصالحة للملاحة والتى تمر فى دول داخلية ودول ساحليـة وهـذا ما سنعرض له حين نناقش موضـوع الأنهار ، **وثانيها** : أن تحصل الدولة الحبيسة على ممر أو شريط من الأرض إما الى البحر أو الى أقرب نهر ملاحى ، **وثالثها** : أن تضـمن الدولـة الحبيسة تسهيلات فى موانى معينة من الدولة الساحلية ، فضلا عن حرية المرور عبر خط حديدى أو طريق مناسب ٠

غير انه لو كانت الجبهة البحرية للدولة ممتازة ، ومناسـبة جدا للنشاط البحرى ، وكانت حدودها البحرية تفوق البرية فان مصالح الدولة ، ومناطق الجذب ، او التوجيه الجغرافى لها ، قد يتجـه بها نحو البر اذا ما توفرت عوامل الجذب فى الأرض ، ولا يلجأ الانسان الى البحر إلا إذا ضاق عليه البر بالجود ، فسكان النرويج يولون وجوههم شـطر البحر ، ويعطون ظهرهم للبر ، ولكن علي العكس ، نجد أن عامل البر ، يتغلب فى فرنسا رغم أن جبهاتها البحرية متعددة وممتازة ، لأن البر أكثر جاذبية ، فالتوجيه الجغرافى لفرنسا توجيه برى ٠

ويتوقف نشاط الدولة البحرى والتجارى أيضا على طبيعة البحر ، اذا كان مفتوحا ، أو مغلقا ، فبحر البلطيق تتحكم فى مخارجه الدانمرك بطريق مباشر ، وبريطانيا بطريق غير مباشر ، فيمكن لبريطانيا اذا أوتيت القوة الكافية أن تغطى مضيق دوفر والمخارج الشمالية بنيرانها ، ونفس الكلام يقال عن بوغاز البسفور والدردنيل ٠

كذلك يجب التفرقة بين الدول التى تطل على البحر بجبهة واحدة ، وتلك التى تطل بأكثر من جبهة ، فكلما تعددت الجبهات البحرية ، كلما زادت الفرص البحرية السانحة ، وان زادت فى الوقت نفسه مسؤوليات الدولة لحماية هذه الجبهات المتعددة ٠

ويقسم البعض الدول من حيث عدد جبهاتها الى :

١ ـ دول ذات جبهة بحرية واحدة :

وهذه الظاهرة واضحة فى الدول الساحلية في القارات القليلة التعاريج وأشباه الجزر مثل إفريقية وأمريكا الجنوبية ، فحتى البرازيل نفسها التى تحتل نحو ثلثى مساحة أمريكا الجنوبية ، ليست من الكبر بحيث تعبر الأنديز لتطل على المحيط الهادى ، أما القارات الكثيرة الخلجان والتعاريج وأشباه الجزر كأوربا فلا نجد فيها دول لها جبهة واحدة ، إلا الدول الصغيرة مثل بلجيكا ، وهولندا ، ورومانيا ، وألمانيا ، ويوغسلافيا ، وبلغاريا ٠ والدولة ذات الجبهة البحرية الواحدة في الغالب هى دولة برية أصلا ، وبعد محاولات استطاعت أن تجد لها منفذا على البحر ٠

٢ ـ الدولة ذات الجبهتين :

وهذا النوع يمكن تقسيمه الى عدد من الأنواع حسب نوع الموقع الذى تحتله ، فهى تقع عند مناطق برازخ أو بمعنى آخر حيث يستدق اليابس ، مثل المكسيك ، وجمهوريات أمريكا الوسطى باستثناء سلفادور ، ويقع البعض الآخر عند التقاء مسطحين مائيين ببعضهما ببعض مثل مصر والمغرب ، وجمهورية جنوب أفريقية ، أو نتيجة لطبيعة البلاد شبه الجزرية ٠ والذى يجب ملاحظته في هذا الصدد أن معظم أشباه الجزر تقع

فى أوراسيا ، وهى من الشرق الى الغرب : سـيام ، الملايو ، الهند ، بلاد العرب ، اليونان ، وايطاليا ، وأسبانيا ٠

٣ ـ الدول ذات الثلاث جبهات بحرية :

وهـذه تأتى نتيجة كبر مساحة الدولة مثل الولايات المتحدة ، كندا ، فرنسا ، تركيا ٠

٤ ـ الدول البحرية : وهى الجزرية وشـبه الجزرية والتي تقع عند أطراف القارات كاليابان ، وأندونيسيا ٠

موقع الدولة بالنسبة للجيران Vicinal location والموقع النسبى Relation location

تحتاج الدولة فى بداية نشأتها ، أو فى مرحلة تكوينها ، الى شيء من العزلة ، وكلما كانت محاطة بمناطق منيعة ، كالبحر ، أو الصحراء ، كلما ساعد هذا على اعطاء الفرصة للوليد أن يكتمل نموه ، فمن عوامل نمـو الحضارة المصرية القديمة ، أن هناك درعا صحراويا يحيط بوادى النيـل من الشرق والغرب ، وفى هذا الوادى المحمى بدأت تتكون الدولة المصرية ، فهذه الدروع إن لم تكن قد حمت هـذه البلاد من غزوات كثيرة ، فانهـا كسرت من حدة هذه الموجات الحربية على رمالها ٠

أما عند ما يكتمل نمو الدولة ، فعنـدئذ لابد لهـا من الاتصـالات الخارجية حيث فرص التنمية أكثر ، لأنها ستضيف طعاما جديدا للسكان ، ستضيف خامات جديدة للصناعة ، ستضيف أسواقا بل ستضيف أفكارا ، وخبرات ، ومهـارات جـديدة ، لم تكن تعرفهـا من قبـل ، بل وأحيـانا تنويعا جنسيا ٠

ليس من الضرورى أن يكون الاتصال بريا ، أى أن تكون هناك حدود برية مشتركة فما دامت صعوبات النقـل البحرى قد تغلب الانسان عليها فعندئذ يمكن للدول البحرية أن تجنى حسنات الاتصال السريع ، وتتجنب سوءات الاشتراك فى الحدود أو القرب منها ، فبريطانيا ، مثل حي لدولة استغلت وضعها أحسن استغلال : فالعبارة المعروفة Britain is of Europe,

But not in it.

تلخص هـــذه الفكرة ، فهى أولا سهـلة الاتصال ببقية أنحاء القارة ، ولكنها ليست فى صلب القارة ، وهذا أبعدها عن كثير من الهزات السياسية التى أصابت القارة والجيوش التى كانت تجتاحها من شرق وغرب ، ومن ثم اكتمل فيها الانقلاب الصناعي واستوى عوده بعيدا عن ضوضاء ومشكلات القارة الاوربية ٠

قد يقال ان هـــذا ما كان يمكن أن يحـدث لولا وجود الأســطول البريطانى ، ولكن يرد على هذا بأن هذا الفرع من الأسلحة البريطانية ، لم يأت إلا نتيجة لمجهود الانسان فى هذه البلاد ، للتكيف مع ظروف عنصر من عناصر البيئة وهى الموقع ٠

ووضع الدولة بالنســـبة للجيران يجرنا الى الكلام عن الوضـــع الاستراتيجي للموقع فموقع ألمانيا واشتراكها فى الحدود مع عدة دول ، كان يجعلها دائما فى خوف من تطويقها ، مما أدى الى نجاح الحزب النازى - عن طريق الدعاية بالخطب والخرائط والكتب - فى دعوته للتسليح ٠

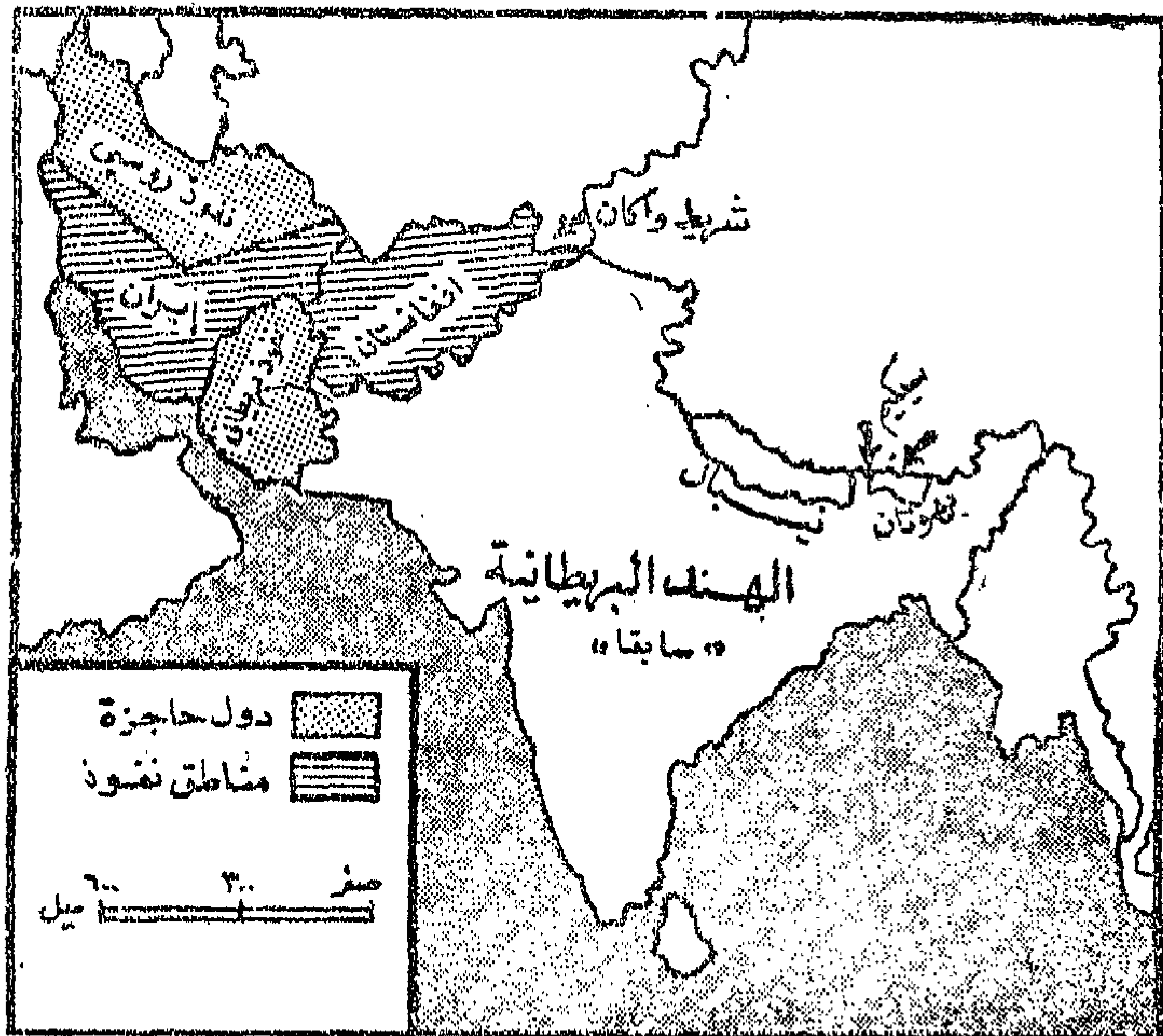
كما أدت مواجهة فرنسا وجها لوجه مع المـانيا الى ضرورة التجنيد الاجبارى ، والى اتجاه جزء لابأس به من الميزانية لشئون الدفاع ، والى نقل كثير من الصـــناعات التى كان يجب أن تقوم فى شمال فرنسا لوجود حقول الفحم هناك الى جهات بعيدة عن الحدود ٠ والى تنمية مشروعات الكهرباء في جبال الألب وهضبة فرنسا الوسطى والبرانس والى تعدين الحـديد فى نورماندى بينما احتيـاطى الحديد الضـخم فى اللورين على الحدود الفرنسية الألمـانية ، ويتبع هذا زيادة فى التكاليف ٠

وحتى الاتحـــاد السوفيتي ذو المـــوارد الضـخمة ، والمســـاحات الشاسعة ، يضع فى تنظيماته الداخلية حسابا لعلاقاته بجيرانه ، وأظهر مثل على هذا التعـديل طبقا للوضـع الاستراتيجى ، هو تنمية وحدات صـناعية من الاتحـاد السوفيتى الآســيوى خلف الأورال بعيـدا عن الهجمات الأوربية ٠

ولننظر أيضا الى كوبا وهي تمثل قاعدة سـوفيتية متقدمة بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ، ونظرة الاتحاد السوفيتى الى الدول المجاورة

له وكيف تدخل عسكريا في أفغانستان ، وانظر كذلك كيف ردت الولايات المتحدة الجميل للاتحاد السوفيتى بوفاقها مع الصين والاعتراف بها وادخالها الأمم المتحدة ، بل ومساعدتها تكنولوجيا ٠

ويؤدى الوضع بالنسبة للجيران في بعض الاحيان الى ضرورة وجود الدول الحاجزة Buffer States. وهى وحدات سياسية صغيرة الحجم بين وحدات سياسية ضخمة ، ومثل هذه الدول الحاجزة تبقى كمانع للصدام بين الجانبين الكبيرين ، كما ان القضاء عليها من جانب لا يقابل بمقاومة هذه الوحدات الصغيرة فحسب ، بل بمعارضة الجانب



شكل رقم (٢)
نماذج للدول الحاجزة

الآخر أيضا ٠ ويمكن فى هذه المجال اعتبار بلجيكا وهولندا ولكسومبرج دول حاجزة بين المانيا من جانب وفرنسا من جانب آخر ٠ كما تقوم بولندا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا كدول حاجزة بين وسط أوربا من ناحية والاتحاد السوفيتى من ناحية أخرى ٠ وقد خشيت بريطانيا وهى في الهند من نمو روسيا القيصرية وتوسعاتها فى القرن التاسع عشر ، من ثم خلقت دول حاجزة ، تمثلت فى أفغانستان ، بل وامتد اقليم واكان Wakhan

من افغانستان على هيئة اصبع ليصل الي سنكيانج ، ولعل إمارات نيبال وبهوتان وسيكيم فى شمال الهند امتداد لهذه الأقطار الحاجزة ٠

الأهمية الاستراتيجية :

تختلف أهمية الموقع الاستراتيجية بتغير الظروف ، فالدول أو اجزاء الدول قد تكون لها أهمية استراتيجية فى عصر من العصور ، وهذا معناه أنها تتحكم فى طرق المواصلات العالميـة مثلا ، ويمكن اتخـاذ قواعد من مياهها وأرضها لصد عدوان ، أو القيـام منها بهجوم وقت الحرب ، كما انها تعمل وقت السلم علي توجيه حركة التجارة ، ومن أمثلة هـذه المواقع الاستراتيجية ، مناطق المضايق ، والبرازخ ، والممرات المـائية العالميـة ، واحيانا الجزر ٠

وللدلالة علي تغير هـذه الاهمية بتغير الظروف نأخـذ موقع مصر الجغرافى وتطور أهميته علي مر العصور ، فمثلا بعد كشف رأس الرجاء ونتيجة لسوء الاحوال السياسية فى البلاد ، تحول جزء كبير من تجـارة الشرق الى الطريق الجديد ، وقلت أهمية موق ءمصر ، ثم بدأت تعود هذه الأهمية من جديد ، وظهرت فى أروع صورها بعد افتتاح قناة السويس ، وكانت القناة هى آخر جزء جلا عنه الإنجليز فى مصر ، كذلك يمكن ان تقارن موقع بريطانيا قبل كشف الامريكيتين وبعده ، فقبل كشف الامريكتين ، كان موقعها يعتبر متطرفا بالنسبة لأقطار القارة الاوربية ، ثم زادت قيمة هـذا الموقع فيما بعد لتوسطها بالنسبة للطريق التجارى عبر الاطلنطى الشمالي ، وهو من أهم الطرق الملاحية العالمية ، لأنه يربط بين منطقتين حيويتين ، هما غرب أوربا ، وشرق أمريكا الشماليـــة ، ونضرب المثـل بجزر فولـكلاند Fulkland الواقعة في جنوب المحيط الاطلنطى والتى احتلتها بريطانيا فى القرن الثامن عشر ، فقد كانت لها أهميتها الاستراتيجية لأنها تتحكم فى الطريق البحرى الذى يدور حول امريكا الجنوبية ، ولعبت دورا كبيرا فى سحق الاسطول الالمـانى فى الاطلنطى الجنوبي عام ١٩١٤ ، ولكن افتتاح قنـاة السـويس فى ذلك الوقت قلل من أهمية طريق رأس هورن ، وبالتالى اصبحت أهميته الاستراتيجية فى حكم المعدومة ، وبينما تدهورت قيمة جزر فولكلاند ، ازدادت قيمة ايسلند نتيجة لتطور وزيادة الخطوط الجوية المارة

من غرب أوربا الى أمريكا الشمالية والتى تمر بالقرب منها ، بل وتستخدم مطاراتها ، كما زادت أهمية الآسكا لقربها من الاتحاد السوفيتي وأقيمت فيها المطارات وشقت الطرق ٠

مساحة الدولة :

تضم الأمم المتحدة اليوم ١٥٥ دولة ، كلها دول مستقلة ، ومع ذلك فهى لا تأتم كل الدول المستقلة ، فلم تنضم اليها سويسرا متبعة لذلك مبدأ الحياد رغم أنها كانت عضوا فى عصبة الامم ، ولم تدخلها الصين الشعبية حتي عام ١٩٧١ بسبب معارضة الولايات المتحدة الامريكية ، كذلك لم تدخلها الى الآن جمهوريتا المانيا (الشرقية والاتحادية) نظرا لعلاقتهما ببعض ، كذلك لم تدخلها منغوليا ، فضلا عن الدولة القزمية مثل سان مارينو وأندورا ، ودولة الفاتيكان ، رغم أن بعضها يشارك فى بعض نشاطاتها ، وفى نفس الوقت هناك جزر مالديف (فى المحيط الهندى) ذات الموارد المحدودة للغاية بحيث لا يمكنها أن تسهم في نشاطات الوكالات المتخصصة للهيئة الدولية ٠

وتختلف المساحة من الدول العملاقية كالاتحاد السوفيتى بمساحته التى تقدر بنحو ٨,٦٤٧,٥٦٩ ميلا مربعا الى الفاتيكان الذى تبلغ مساحته ١/٤ ميل مربع والبرازيل والصين وكل منها تزيد مساحته على ٣ مليون ميل مربع وأكبر دولة تبلغ نحو ٢ مليون مرة أكبر من أصغر وحدة (باستثناء الفاتيكان) وهى سان مرينو ٣٨ ميلا مربعا ٠ ويبلغ متوسط حجم الوحدة السياسية نحو ١,٠٤٠,٠٠٠ كيلو مترا مربعا أو نحو ٣٩٠,٠٠٠ ميلا مربعا أى حجم بوليفيا أو كولومبيا أو مصر ، والجدول التالي يبين أحجام هذه الدول ٠

غير أننا يجب أن نعرف بأن الدول التى نراها على الخريطة السياسية اليوم لم تظهر فجأة ، فقدنمت ببطء على مدى قرون ، فكل دولة نمت من نواة صغيرة ، ثم تمددت هذه النواة باضافة أرض وسكان جدد ، والمنطقة التى بدأت فيها الدولة نموها ، يطلق عليها اقليم النواة Core area أو النواة المركزية Nuclear area وهى لها بمثابة القلب ، وتتميز هذه النواة بأنها اكثر اقاليم الدولة خدمة بوسائل النقل ، فلا توجد نواة لا تخدمها وسائل النقل سواء كانت شبكة كثيفة تعتبر هي مركز لإشعاعها كما هو الحال فى القاهرة ولندن أو حتى خط حديدى واحد

أو طريق برى ، أو طريق نهرى كما هو الحال فى نيروبى ، وكنشاسا • ولا تظهر النواة إلا وظهرت معها درجة من الحضرية أعلى منها فى بقية أجزاء الدولة ، أحيانا يشغل نواة الدولة مركز حضارى ضخم ، كما هو الحال فى باريس ولندن ، وموسكو ، والقاهرة والخرطوم ، وأحيانا تشغله عدة مراكز حضارية كما هو الحال فى شرق الولايات المتحدة الامريكية أو غرب نيجيريا وتتميز منطقة النواة بأنها اكثر اجزاء البلاد تطورا من الناحية الاقتصادية لذلك قبل تحديد منطقة النواة يجب أن نعرف القطاعات الاقتصادية فى الدولة ، فقلب ارجنتين مثلا لا يتميز بتعدد المراكز الحضارية فحسب ، بل بسهل خصيب متسع غنى بقمحه وذرته وثروته الحيوانية فضلا عن اعتدال مناخه ، بينما نواة زامبيا اقليم تعدين النحاس ، وغالبا ما تضم النواة عاصمة البلاد ، وكثير ما يلاحظ ايضا ، إمكان تعدد النويات الثانوية كما هو الحال في إيطاليا فهناك نواة حول روما ، ونواة اخرى فى سهل البو فى الشمال ، وفى الولايات المتحدة الامريكية هناك نواة الاقليم الشرقى ، وهناك ايضا نواة ثانية فى كاليفورنيا ونواة ثالثة فى ظهير خليج المكسيك •

اكبر سبع دول وأصغرها من حيث المساحة •

اكبر سبع دول	المساحة بالاف ميل٢	اصغر سبع دول	المساحة بالميل٢
الاتحاد السوفيتى	٨٦٠٣		
الصين	٣٨٧٩		
كندا	٣٨٦٤	أندورا	١٧٥
الولايات المتحدة الامريكية	٣٦١٥	مالطة	١٢٢
البرازيل	٣٢٨٧	جزر مالديف	١١٥
استراليا	٢٩٧١	ليشتنشينتن	٦١
الهند	١١٨٠	سان مارينو	٢٤
		موناكو	,٥٩
		الفاتيكان	,١٧

* نلاحظ أن المجموعة الاولى تزيد مساحتها على المليون ميل٢ ، والمجموعة الثانية أقل من الألف ميل٢ •

وهكذا فالولايات المتحدة بوضعها الحالي ، كانت نواتها الثلاث عشرة ولاية الساحلية على الساحل الشرقى ، وكانت نواة الاتحاد السوفيتي منطقة موسكو ، ثم اتسعت بعد ذلك • ولكن لابد من وجود رابط قوى بين المركز ، أو النواة ، والاطراف وهذا يتم عن طريق شرايين المواصلات وإلا كانت هذه الاطراف عرضة للاختطاف من الدول المجاورة ، فالمانيا مثلا لاشتراكها مع دول عديدة فى الحدود ، ولوجود معظم ثرواتها المعدنية على هذه الاطراف، كانت من أوليات سياستها ربط الاطراف بالقلب أى بيرلين • كذلك كان نواة مصر ، اتحاد الوجهين البحرى والقبلي ، ومدت فرنسا حدودها من حوض باريس على فترة طويلة استغرقت مئات السنين ، كان نواة يوغسلافيا مملكة الصرب • وهكذا نجد أن نمو الدول أمر طبيعى ، فكما قال فردريك راتزل بأن الحدود السياسية للدولة لا يجب أن ينظر اليها على أنها نهائية ، فسكان الدولة يضغطون على حدودها ، محاولين دفعها لتوسيع رقعة دولتهم كلما سمحت الظروف ، فالدولة أشبه بالكائن الحى ، ومن ثم فنموها أمر طبيعي وضرورى •

ولكبر المساحة واتساع البلاد اهمية كبيرة وقت الحرب ، وتظهر هذه الاهمية فيما يطلق عليه العسكريون الدفاع فى العمق Defence in Dept فالدولة الصغيرة المساحة لا تلبث ان تنهار بسرعة فائقة امام جارتها ، فقد اضطر الجيش الهولندى الى التسليم بعد أربعة ايام فقط ، على حين أن الروس كانوا يتمتعون بالدفاع في العمق ، فاستطاعوا جذب الجيوش الالمانية لاستنفاذ قوتها ، كما استنفذوا من قبل جيوش نابليون عام ١٨١٢ فقد كانت روسيا تسلم الارض فى سبيل ما تربحه من وقت ، كذلك الحال فى جبهة الشرق الاقصى ، حيث استولى اليابانيون على المدن الساحلية ، ولكنهم لم يستطيعوا القضاء على المقاومة الصينية ، ذلك أن الصينيين كانوا يقابلون هذا بالتراجع نحو الغرب ، حتي يقال أن ستين مليونا من الصينيين هجروا منازلهم فى شرق الصين واتجهوا نحو الغرب ، ولاننسى أيضا أن إسرائيل تحاول جهدها أن تكون مواقعها الحربية خارجها وأن تكون البادئة بالهجوم لانها لا عمق لها •

ويجب أن نشير الى أنه اذا كانت المساحة الكبيرة مقرونة بعدد كبير

من السكان ، واستغلت موارد الدولة استغلالا حسنا ، كان معنى هذا ظهور هذه الوحدة السياسية كقوة ، فنظرا لاتساع المساحة سيتنوع المناخ ، وتنوع المناخ معناه تنوع غلات ، كما أن اتساع المساحات قد يضم تكوينات جيولوجية متعددة ، وما يتبعها من صخور مختلفة ، وبالتالى معادن متنوعة . وأبلغ دليل لدينا الاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة الامريكية ، وهما فعلا القوتان اللتان يعمل العالم حسابهما ، فكلاهما ذو مساحة ضخمة ، فالاتحاد السوفيتى يمتد من خط العرض ٣٥ شمالا الي المنطقة المتجمدة ، وتمتد الولايات المتحدة من مدار السرطان الى خط ٤٥ شمالا ·

وتتشابه الكتلتان أيضا في أنه بالاضافة إلى هذه المساحة الواسعة فكلاهما كتلة متماسكة Compact ولن توجد فى أيهما مشكلة اكتظاظ سكان ، أو مشكلة أرض لمدة طويلة للغاية . فضلا عن أن كلاهما له مخارج محيطية شرقا وغربا ، ولم يعرف التاريخ قوى بهذه المساحة وهذه الصفات ، وهذه الامكانيات الانتاجية لسلع متنوعة داخل اطار وحدة سياسية واحدة ، ومن الواضح أن المجال متسع أمامها لكثير من التجارب الزراعية والصناعية · فنفوذهما الحالي فى الشئون العالمية ، هو مقياس لدرجة التقدم الذى أحرزته كل قوة فى تنظيماتها الداخلية ، ومقياس لإمكانيات كل منهما ·

على العموم تتوقف المساحة المناسبة لأى دولة على العلاقات بين هذه المساحة والسكان ، فالانسان هوصانع الدولة، ولكن الأرض هى التى تمده بوسائل الحياة ، ولذلك فالمساحة المثلي هى التى تعول بكفاية هؤلاء السكان وقد يفيض الانتاج ، فيكون هذا من عامل قوتها ، ولكن اذا كانت المساحة كبيرة بالنسبة للسكان تكون أشبه بالثوب الفضفاض ، وتظهر مشكلة الدفاع عن أراضيها كما هو الحال فى دولة مالى بمساحة نحو ١¼ مليون كم٢ وبسكان أقل من ٥ مليون نسمة وموريتانيا بمساحة تزيد على المليون كم٢ وبسكان يزيدون قليلا على المليون نسمة ، كذلك تزيد مشكلات الادارة حتى في ظل وسائل الاتصال الحديثة ، وقد يؤدى هذا الى ظهور الروح الاقليمية لعدم التجانس البشرى ، ويصبح من الصعب تنفيذ قوانين موحدة على جميع البشر وعلي جميع الولايات ، كل منها قد تكون لها ظروفها المناخية الخاصة

ومن الجائز عاداتها ٠٠ الخ ، كما فى الولايات المتحدة الامريكية وكندا والهند ونيجيريا والبرازيل ، من ثم كانت الفدرالية هى علاج تتنازل فيه الادارة المركزية عن بعض سلطاتها ، مع الاحتفاظ بوحدة المظهر الخارجى وقد تمنح بعض الاقاليم حكما ذاتيا ، كما فعلت الصين حين منحت لأربعة أقاليم ، وهي منغوليا الداخلية ، وسنكيانج ، والتبت على أطرافها الشمالية فضلا عن كوانجسى شونج فى الجنوب ٠

ثالثا : شكل الدولة :

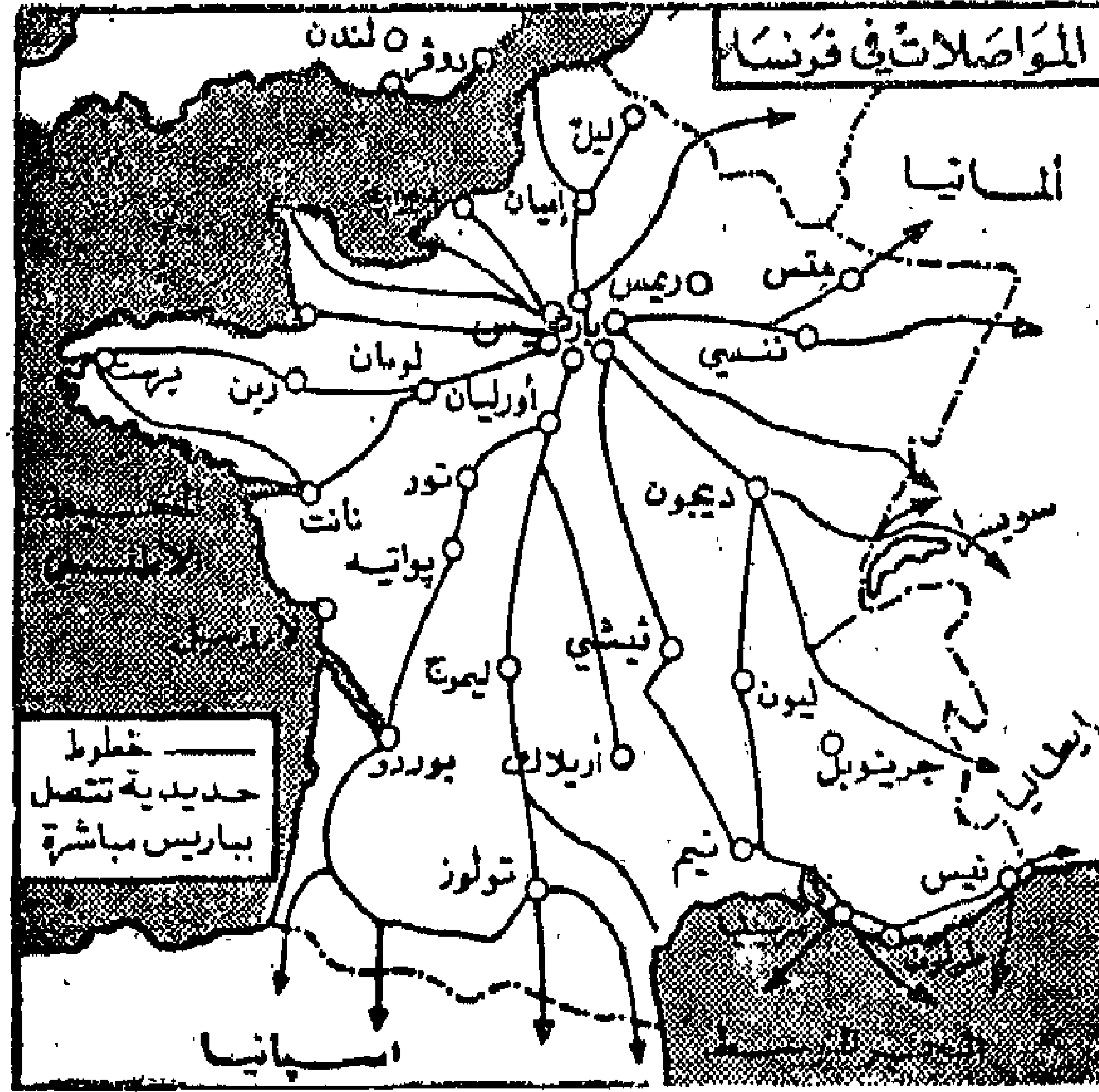
إن تماسك واتصال أجزاء الدولة أو ظهورها ككتلة واحدة يعتبر من مميزاتها فكلما كانت ملتئمة كلما قصرت أطوال الحدود بالنسبة الى المساحة ٠

ومن الناحية النظرية البحتة يعتبر الشكل الدائرى مثاليا ، وخاصة اذا كانت عاصمتها تمثل مركز هذه الدائرة ، ويمكن معرفة الانحراف عن هذا الشكل المثالى عن طريق عمل نسبة بعد الحدود الحقيقية عن أقصر طول للحدود اى عن محيط هذه الدائرة ، فكلما كان الرقم صغيرا كانت الدولة اقرب الى الشكل المثالى ، وكلما كان كبيرا كلما بعدت عن هذا الشكل المثالي

الدولة	٪ طول الحدود الى اقصر طول لها
أورجواى	١٠٥
رومانيـا	١٣٧
المجر	١٤٦
المكسيك	٢٥٨
شيلى	٣١٠

على سبيل المثال فرنسا ، ورومانيا ، وسويسرا ، والمجر كلها أشكال

أقرب الى المثالية ، بينما تعتبر شـيلى مثلا تقليديا للدول ذات الامتـــداد الطولى الكبير ، إذ تمتد من الشمال الى الجنوب لمسافة ٣٩٠٠ ميل ، على حين أن عرضها قد لايتجاوز المـائة ميل ، فاذا أضفنا الى هذا وجود جبال



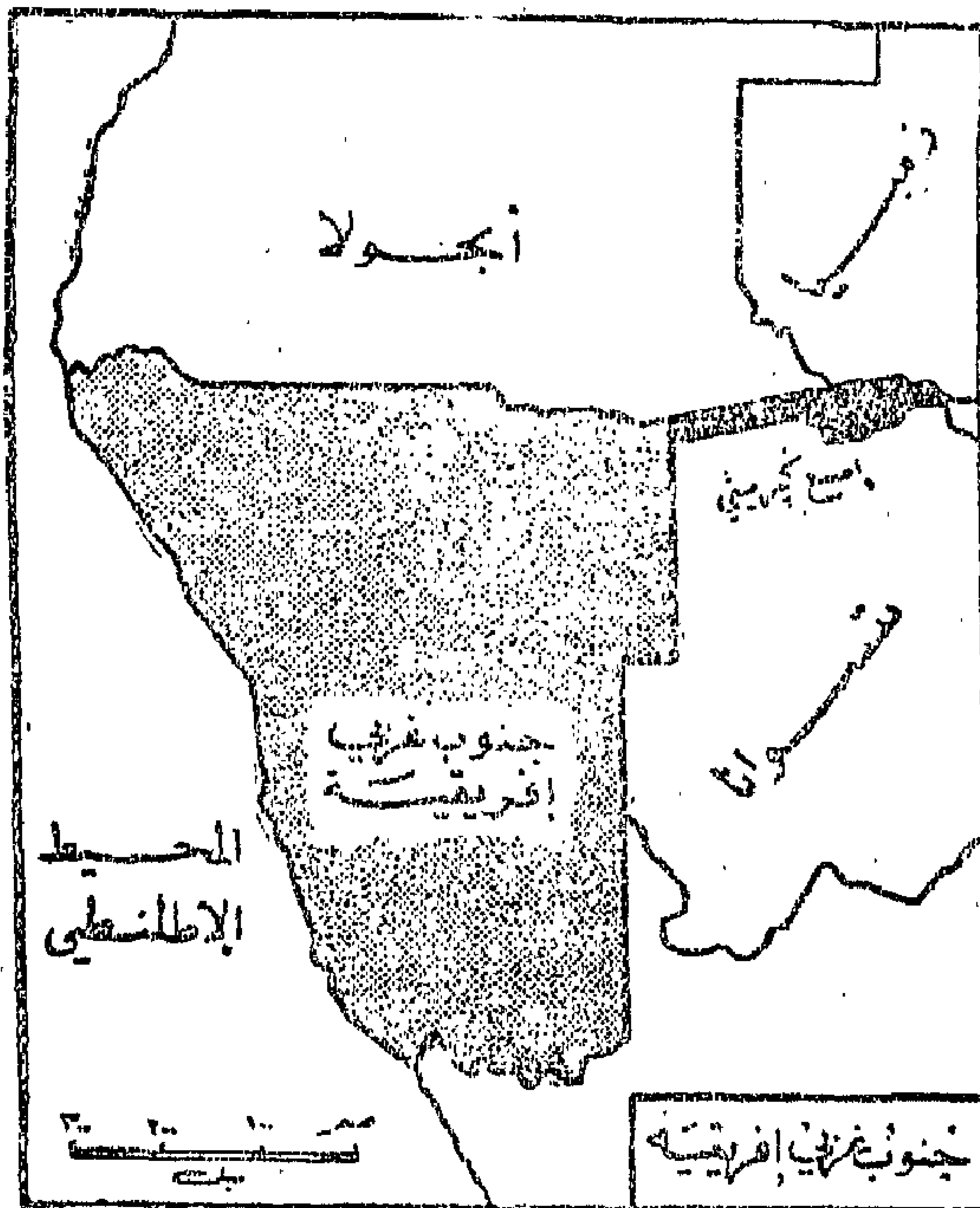
شكل رقم (٣) : فرنسا نموذج لشكل الدولة المثالي

الانديز التى تزيد المواصلات تعقيدا وصعوبة ، أدركنا أن مشكلة الدفاع فى مثل هذه البلاد من الصعوبة بمكان ، كذلك الحال فى النرويج التي أمكن للألمـان شل حركتها بالاستيلاء على المدن والموانى الساحلية ، التى تتحكم فى طرق المواصلات مع الداخل ، ولا يمتد في شيلى أو النرويج خط حديدى بطول الدولة بالكامل ، واذا كانت النرويج يمتد فيها طريق طولى صالح طول العام فهذا مالا يتوفر فى شيلى التى تعتمد بالدرجة الاولى في تجارتها ونقل سلعها على السفن الساحلية ، كما اضطرت شيلي أيضا الى تخفيف التعريفة الجمركية فى الاقاليم المتطرفة شمالا وجنوبا ، كذلك كان لاستطالة تشيكوسلوفاكيا بالإضافة الى ظهـور الحواجز الجبليةأثره فى صـعوبـة المواصلات ، وبالتالى كان من عـوامل ظهـور الروح الانفصـاليـة عنـد السلوفاك .

كما تعتبر غير مثالية الشكل حين تظهر فيها أجزاء منفصلة عن الكتلة الرئيسية ، كألمانيا قبل الحرب الثانية حين كان يشطرها الممر البولندى أو الباكستان التى كان يفصل شطريها عن بعضها مسافة ١٠٠٠ ميل بالبر، بينما

يبعد ميناء شيتا جونج عن كراتشي نحو ٣ آلاف ميل ، وكان هذا من عوامل ضعف الدولة ، وانفصال باكستان الشرقية باسم دولة بنجلاديش ٠

والامثلة واضحة أيضا في خريطة أفريقية السياسية ، حيث جمهورية مالى التى تختنق فى الوسط وتترك على الجانبين كتلتين شبه منفصلين يسهل قطعهما نظريا عن بعضهما البعض من الخارج ، أى من الفولتـا العليـا وموريتانيا ، كذلك الحال فى الصومال التى تمتد علي هيئة شكل 7 الافرنجى مفرطة فى الطول مما يضعف من التماسك الداخلى ، كما يمكن لإسفين أو جادين هرر الذى يتعمق فى الصومال شطر هذه البلاد الى شطرين ، وتكرر زامبيا صورة مالى ، كما تكرر موزمبيق صورة الصومال ، أما مالاوى فليست إلا إسفينا من موزمبيق ٠ وفى جمهورية جنوب أفريقية نجد أن ، الترانسفال تمتد بعيدا الى الشمال ، حتى أنها تقع فى دائرة نفوذ لورنسوماركيز ، بينما خطط إصبع كابريفى في جنوب افريقية خصيصا ليصل الى الزمبيزى غربا مما أدى الى أن تشرف عليه بتسوانالاند من الناحية الادارية ٠



شكل (٤) نموذج غير مثالى

وكان من نتائج عدم الانتظام فى اشكال الدول الافريقية ، فرط طول حدودهما السياسية فتكاد حدود افريقية السياسية (٢٩٠٠٠ ميلا) تعادل كل حدود العالم الجديد أو ضعف حدود أوربا (١٥٫٠٠٠ ميلا) ٠

ولكن يجب أن نستدرك ونقول بأن المشكلات السياسية لا تتوقف على عنصر واحد فقط ، فهناك دول أجزاؤها متباعدة مثل نيوزلندا والدانمرك ومع ذلك لايظهر فيها عدم التماسك أو عدم الترابط الاجتماعى ٠

رابعا : موقع العاصمة (١) :

مما لا شك فيه أن دور العاصمة قد تغير كثيرا عما كان عليه في الأزمنة الماضية ، فعندما نتكلم عن باريس كعاصمة لمملكة الكابيتيان فى فرنسا يجب أن نزيل من ذهننا أنها كانت تقوم بالدور الذى تقوم به لندن أو روما مثلا فى الوقت الحاضر ، فقد كانت الطاقة الإدارية للحاكم صغيرة وصعبة ، والأعباء الحكومية محدودة ، وكان الملك محاطا بوزرائه وحاشيته ويعيش لنفسه متنقلا من ضيعة الى اخرى ، وورائه حاشيته حاملين السجلات والأختام ، فالعاصمة فى ذلك الوقت كانت تتفق ومكان وجود الحاكم ٠ على أنه كان لكل حاكم مكان مفضل ، فكان شرلمان يحب مسقط رأسه آخن ، وكان هذا المكان المفضل ينال عناية أكبر من سواه ، سواء في بناء القصور والحصون أو الكنائس ، وذلك أن الملك كان يقضى معظم وقته فيه ٠ ثم بدأت الاحوال فى التغير التدريجى ، عندما لم تعد السجلات تنتقل وراء الحاكم ففى انجلترا حفظت فى برج لندن ، وأختير قصر باريس المحصن الذى يقع فى إحدى جزر نهر السين كدار للمحفوظات ، ومع الزمن أخذت تزداد السجلات المحفوظة واخذت الاعمال الحكومية تتركز في العاصمة ، وأخيرا كان لظهور النظم الديمقراطية واجتماع البرلمان فى العاصمة اثره فى تثبيت مكان ومكانة العاصمة ٠

وكان لتطور الدور الذى تلعبه الحكومة فى الوقت الحاضر ، وتعدد

---

(١) رغم أن العاصمة ظاهرة بشرية ، رأينا من الأنسب دراستها بعد شكل الدولة لأهمية موقعها فيالد ولة من الناحية السياسية ٠

وظائفها أثره فى الزيادة المطردة لأهمية العاصمة ، فقد ظهرت فيها أيضا الصناعات الخفيفة وصناعات الخدمات لمقابلة احتياجات رجال الادارة . ومن ثم ازداد نمو العواصم ، غير أنه في معظم الاحوال تكون العاصمة هي المدينة الاولى سكانيا فى الدولة ، فهناك خمسة وعشرون دولة فى أوربا (باستثناء القزمية) ، تعتبر العاصمة السياسية فيما لا يقل عن ثلاث وعشرين منها أكبر مدينة ، ويظهر الاستثناء فى حالة بلد كسويسرا حيث برن العاصمة الاتحادية تعتبر رابع مدينة ، وكذلك الحال ف بون التى اتخذت عاصمة لألمانيا الغربية · وتظهر حالات الاستثناء أيضا فى قارة آسيا ، فإستانبول العاصمة القديمة أكبر من أنقرة ، وفي الصين يحتل ميناء شنغهاى المكان الاول ، وتاتى بكين المكان الثانى · وفى أفريقية نجد أن العاصمة ليست المدينة الاولى فى المغرب ونيجيريا وموريتانيا ·

ويجب أيضا تذكر أن موقع العاصمة يبدو ذو مغزى كبير · فمن ناحية الحماية والدفاع نجد أن الموقع المركزى مثالى ، ولعل مدريد ، برن ، وارسو ، أنقرة يمكن اعتبارها من العواصم المركزية ، ولكن اذا لم تكن الدولة ملتئمة تماما ، فان اختيار الوضع المركزى يكون أمرا عسيرا ، فبرلين كان وضعها مركزيا فى وقت من الاوقات ولكنها الآن حتي بعد خروج جنود الاحتلال منها ، أصبحت متاخمة للحدود البولندية ·

وعادة ما تكون عواصم الدول البحرية بالقرب من البحر أو على كثب منه ، ولكنها فى الغالب تكون على خليج أو مصب خليجى ، فلندن علي التيمز ، وطوكيو على خليج بنفس الاسم ، بل والاسكندرية كانت عاصمة مصر أيام الاغريق ، على العموم اذا كانت العاصمة على الساحل ، أو هى منه على كثب ، فلا بد من اسطول قوى لحمايتها ، فقد سقطت اوسلو عاصمة النرويج عام ١٩٤٠ بسهولة عند ما أبحر الاسطول الالمانى في الخليج الذى تقع فيه ·

وعند ما تغير الدول وضع العاصمة من الجهات الداخلية الى موقع على الساحل ، فان هذا معناه أولا ظهور مصالح بحرية لها أو تطلعها الى الخارج ، وثانيا انها تشعر بثقة تامة فى قواتها الدفاعية · وهذا واضح

فى حالة نقل العاصمة من موسكو الى بطرسبرج (لينجراد) في وقت ما .
فقد كتب على روسيا أن ترى امبراطوريتها تحكم لمدة قرنين من الزمان من
عاصمة لم تعط اسما جديدا فحسب ، بل غرست فى أرض جديدة أيضا .
وكان نقل العاصمة من موسكو التى تقع في قلب روسيا الى بطرسبرج على
ضفاف نهر نيفا على مرمى حجر من البلطيق نتيجة لرغبة الحكام فى أن
تطل العاصمة على الخارج ، وتصلها تاثيرات المدنيـة الغربيـة • اما اذا
نقلت العاصمة الي الداخل ، فهذا معنـاه أنها تبحث عن الأمن والعزلة .
وهـذا واضح فى تركيا عندما نقلت عاصمتها من اسـتانبول الى أنقرة .
وروسيا من لينجراد الى موسكو ، وفى حالة شيلي عندما نقلت عاصمتها
من فلباريزو على الساحل الى سنتياجو •

وقد يكون الغرض من نقل العاصمة هو تحويل الاهتمام نحو مناطق
مهملة ، كما هو الحال في نقـل عاصمة البرازيل من ريوديوجنيرو على
على الساحل الى برازيليا فى الداخل ، لتنشيط الأقاليم الداخلية وجذب
الأنظار اليها ، وقد يكون النقل لأسباب استراتيجية كنقل عاصمة باكستان
من كراتشى على الساحل الى اسـلام أباد في أقصى الشمال بالقرب من
مناطق النزاع الهندى الباكستانى مما يعكس اهميـة الاقاليم الشماليـة
وإشعار الهند بأن الحكومة هناك •

وعندما لا يكون هناك تراث تقليدى أو تاريخ عتيق للدولة ، يصبح
من السهل تغيير موقع العاصمة ، فعندما اختيرت مدينة واشنطون كعاصمة
كان السبب فى اختيارها توسط موقعها بين ولايات الشمال وولايات الجنوب .
وفى حالة مثـل كنـدا ، تحركت عاصمتهـا أكثر من مرة ، فكانت كويبك
العاصمة الاولي ، تلتها مونتريال ، ثم أصبحت الآن أتاوا • وفى استراليا
كانت المنافسة بين ملبورن فى ولاية فيكتوريا وسيدنى عاصمة نيوسوث ويلز
مما أدى الى اختيـار كنبرا عاصمـة لاستراليا وهى تقع في مركز وسط
بينهمـا •

ويؤدى تطرف العاصمة الى صعوبة الضبط السـياسى من ناحيـة ،
وإضعاف قبضة هذه العاصمة على الاقاليم الهامشية والاطراف من ناحية

الأخرى ، فضلا عن حفظ التوازن بين أقاليم الدولة المختلفة لا سيما في الوحدات الضخمة المساحة خاصة اذا كان النقل متخلفا • واذا اكانت العاصمة المتطرفة الموقع حديثة العهد ، فانها تميل الى ان تكتسب طابعا اقليميا أكثر منه قوميا ، فبحكم موقعها المتطرف غالبا ما يتألف سكانها من العناصر المحلية أو الاقليمية ، وهذا يجعل وضع العاصمة في الدول المتنافرة السكان موضع جدل ومناقشة ، كما هو الحال في العواصم الأفريقية ، الخرطوم مثلا ، البعض يذهب الى أنها متطرفة نحو الشمال ، بل اذا نظرنا الى معظم العواصم الافريقية سنجد أنها متطرفة (تشاد ، مالي ، الجزائر ، تونس ، المغرب ، ليبيا ، تنزانيا ، انجولا ، زائير ، جنوب أفريقية وغيرها) ويرجع هذا الى أكثر من عامل ، منها أن المعمور والمناطق الآهلة بالسكان تجنح في الغالب الى طرف من الاطراف ، وبذلك تصبح العاصمة في هذا الطرف أو ذاك كما في حالة ليبيا ، في وقت ما كانت هناك عاصمة مزدوجة في طرابلس وبنغازى ، وكان هناك تناوب للعاصمة عامان لكل ، ثم وحدت في البيضا ، في ولاية برقة قبل الثورة ومع ذلك فالعواصم الثلاث في المنطقة الساحلية ، كذلك الحال في تونس والجزائر • وتميل عواصم دول الصحراء الكبرى الى الجنوب ، ويرجع هذا الى سقوط الامطار الصيفية على حافة اقليم السفانا ، وهكذا الحال في تيامى وبماكو ، كما يرجع الى العامل السياسى لأن الاستعمار يختار عواصمه عادة في الجهات الساحلية لانها في نظرة وسط ! وسط بين المستعمرة من ناحية وبين الدولة المستعمرة من ناحية اخرى •والعواصم في هذه الحالة كانت مواطىء الأقدام الأولى للمستعمرين ، هكذا الحال في اقطار غرب أفريقية بعامة ، وفي أنجولا والكنغو وموزمبيق ، ولا يقتصر الامر على الاقطار الافريقية ، بل يتعداه الى القارات التي شهدت الاستعمار ، البرازيل مثلا بعاصمتها المتطرفة على الساحل ريوديو جينرو مثل آخر • وقد تحولت عن هذا الموقع الهامشى الى برازيليا في الداخل ، كذلك الحال في الهند بعاصمتها دلهى التقليدية التى تحولت الى ميناء كلكتا تحت الاستعمار البريطاني ، ثم رجعت مرة أخرى الى وضعها الطبيعي وهكذا •

ولا بد هنا أيضا أن نشير الى العواصم المزدوجة للدولة الواحدة ،

فالعاصمة كما هو معروف هى المدينة أو المركز الوحيد الذى تقوم فيه الحكومة بتأدية وظائفها ، قد يكون هناك توزيع وانتشار الهيئات الادارية ، ولكن الحكومة بوجه عام تكون مركزة فى العاصمة ، وهناك أمثلة أخرى لتعدد العواصم فى بعض الدول ، نذكر منها هولندا أو الاراضى المنخفضة ، حيث أمستردام هى العاصمة الإدارية ، والتى توجد فيهـا الادارات الحكومية ومركز الملك ، بينما نجد البرلمان فى لاهاى ، كذلك الحال فى بوليفيا حيث تمثل بلدة Sucre الصغيرة العاصمة الرسمية ، ولكن الادارة الحكومية فى مدينة لابـاز ، وتتكرر الظـاهرة في جنوب أفريقيـة مرة أخرى فنجـد كيب تون ركز البرلـمان وبريتوليا مركز الحكومة • ويبدو أن هذا الموقع اتخذ لارضاء القوميتين الانجليزية والهولندية ، فكيب تون هي أكثر مدن جنوب افريقية نطقا للانجليزية ، بينما بريتورياتمثل معقلا رئيسيا للبوير •

وقبل أن ننهى الكلام عن العواصم ، يمكن أن نشير إلى أهمية العاصمة فهى واجهة الدولة ، ومن ثم تنال عناية أكبر من غيرها بكثير ، ويكفى أن يمتـد البصر من ناطحات السـحاب فى بعض دول أمريكا اللاتينية لترى أكواخ الصـفيح ، وكما قال ويتسلى عن أديس أبابا « انها قنـاع يخفي وراءه بقية أثيوبيا » • وتتعدى العاصمة كونها مركزا اداريا وتشريعيـا للدولة ، فالعاصمة هى التى تستقطب الشعور القومى للامة ، وهى رباط عناصر الامة المختلفة ، وتمثل رمزا شـبه مقـدس لديهم ، وتتضح أهمية العاصمة كمركز للأمة في نقل العواصم أحيانا من المناطق الهامشية الى الداخل لتكون أكثر تمثيلا للدولة ، أنقرة بدلا من استانبول ، موسكو بدلا من بطرسـبورج ، كذلك رغبـة البرلـمان الألـمانى فى نقل عاصمة المـانيا الغربية الى برلين بدلا من بون ، كما تبدو أهميـة العاصمة فى انهيـار معنويات الشعب اذا ما سقطت فى أيدى الاعداء •

المظـاهر الطبيعيـة

وهــذه لا يمكن اغفالها فى الجغرافية السياسـية ، فالعـلاقة بين سكان الدولة وأرضها لا يمكن فهمها إلا بعد التعرف التفصـيلى على كل منهما ٠ وعادة ما تكون نسـبة الخطـأ فى الدراسات الطبيعيـة اقل من الدراسات الانسانية ، لأن للأولى صـفة الثبات ، فالأرض التي تحتلهـا الدولة تغيراتها عادة أبطأ من تغيرات البشر الذين يعيشون عليها ، وكلنا نعرف أن أى اطار طبيعى توضع فيه الدولة ، ما هو إلا نتيجة تفـاعل العوامل المتعددة ، كل منها يعالج على حدة للتعرف عليه بدقة ، وإن كانت تتجمع وتتفـاعل لتعطينا فى نهـاية الأمر مسرحا مجهزا يعيش عليـه الانسان ٠

خامسا : البناء الجيولوجي والتضاريس :

فجيومورفولوجية الدولة ماهى إلا البنـاء الجيولوجى بعـد تاريخ جيولوجى طويل عدلته الظروف الطبيعية ، والانهار التى تجرى فى الإقليم يمكن اعتبارها ظاهرة طبيعية ، ولكنها من حيث السرعة والاتجاه ترتبط بنوع الصـخور التى تجرى فيها ٠ وليس من شك أن الدراسـة الطبيعية التخصصية خارجة عن نطاق الجغرافية السياسـية ، ولكن الاحاطة بها تساعد على تفهم المظاهر الطبيعية فى علاقة المجتمعـات بالارض ، فعلى سبيل المثال ، البناء الجيولوجى يستحق عناية الجغرافية السـياسية لعدة أمور منهـا :

التعرف على موارد الدولة المعدنية ، فهذه من أهم دعائم قوة الدولة ، والبناء الجيولوجي أيضا مسـئول عن سهولة الوصـول الى المعـادن أو صعوبته ٠

الأمر الثانى أن البنـاء الجيولوجى مسـئول عن الخطوط العـامة لتضاريس سـطح الارض بالاضافة الى عوامل التعرية ، فالتضاريس تلعب دورا كبيرا فى الدولة ، فالسهول تصلح لقيام نوايات الدول ، بينما المناطق

الجبلية كثيرا ما تكون غنية بالمعادن أو القوى المائية والاخشاب ، اذا استغلها الانسان ، كانت مصدر قوة اقتصادية عظيمة للدولة • كما إنه يمكن القول ايضا أن الوحدة السياسية يسهل تحقيقها فى الارض السهلية من المناطق الجبلية • فكثير من الاجزاء الجبلية يعانى خلخلة فى السكان ، لا أن السكان يتجمعون فى الاودية ، بينما يتبعثرون فى الجبال ، ولايسهل بينهم اتصال ، بحيث تصبح الوحدة هى العشيرة ، ان تطورت كانت كانتون أو ولاية واذا اتحدت هذه الكانتونات فانها لا تكون دولة واحدة إلا بعد مرحلة كبيرة من التقدم السياسى ، كما هو الحال فى سويسرا •

ويمكن القول أيضا أن الانتقال والتحركات البشرية تكون أيسر فى السهول عنها فى الجبال ، وبالتالى يتسع نطاق النشاط التجارى والثقافي ولكن هذه النطاقات السهلية التى تمنح التسهيلات ، وتشجع على النمو ، وعلى التوسع من جانب كل وحدة سياسية مجاورة ، تخلق بالتالي حالة من المنافسة ، من ثم تبذل كل دولة فى السهول جهودا كبيرة للاحتفاظ بحدودها •

ولعل السهولة التى تتوسع بها الدولة القوية فى هذه السهول ، هى لما نراه على الخريطة السياسية ، من أن السهول إما أن تتجمع فى وحدة سياسية واحدة ، مثل السهول الروسية ، أو تمثل منطقة نزاع بين الدول المتنافسة • ولعل المثل الاول واضح فى حالة السهل الروسى الذى يدخل ضمن الاتحاد السوفيتى بينما يتضح المثل الثانى في السهل الأوربى كمنطقة نزاع دائم بين الدول التى تحتله ، والوحدات السياسية التى تعيش فى هذا الميدان تعيش فى خوف دائم من الاعتداءات الخارجية وبالتالى يؤثر هذا على تنظيمها الداخلى • هذا على عكس المناطق الجبلية التى تعطى تسهيلات دفاعية كبيرة للغاية ، ويمكن للدولة ان تأمن على نفسها الى حد كبير ، وان عانت بعض العزلة السياسية والاقتصادية • وليس من شك أن سهولة الادارة ودرجة الوحدة فى داخل الدولة تتأثر بطبيعة أرضها ، وصعوبة الانتقال فى داخلها ، فعلى سبيل المثال تظهر إكوادور على الخريطة السياسية وكأنها دولة ملمومة متوسطة الحجم ، ولكنها فى حقيقة الامر تنقسم الى ثلاثة اقسام •

السهل المطل على المحيط الهادى ، سلاسل وهضاب الأنديز ، والسهول المنحدرة الى الأمزون في الداخل ، ولم تكن هذه الاقاليم يوما ما متكاملة ، فسهول الأمزون صعب الوصول اليها كما أنها مخلخلة السكان ، بينما تختلف سهول المحيط الهادى عن الجبال ، مناخا وسكانا ، إذ يسكنها الهنود الحمر والمستيزو (المخلطون) ، كما أن وسائل النقل صعبة للغاية في الجبال على حين لا توجد سوى الأنهار وسيلة من وسائل الحركة فى سهول الأمزون الكثيفة الغابات ، لذلك فقد استطاعت دولتا كولومبيا وبيرو اقتطاع أجزاء منها ٠

وتؤثر التضاريس فى اتجاه وسائل النقل ، ففي بريطانيا مثلا من الصعب مد الخطوط الحديدية من الشمال الى الجنوب فى ويلز بسبب الكتل الجبلية ، ولذلك فالخطوط الحديدية تمتد فيها من الشرق إلى الغرب متتبعة الاودية ، ومن المعروف فى بريطانيا أنه أسهل لسكان ويلز اذا أرادوا الاجتماع ببعضهم أن يتم هذا الاجتماع فى انجلترا عنه فى ويلز ٠

وللتضاريس أثرها فى تعيين خطوط تقدم الجيوش وانسحابها ، فحيث ترتفع الارض وتصبح من الوعورة بمكان بحيث يصعب على الجيوش عبورها برا ، تظهر أهمية الممرات التى تفصل الكتل الجبلية عن بعضها ، وتصبح هذه المضايق محاور للتحركات الحربية كما هو الحال في ممرات الختمية والجدى ومتلا وسدر فى سيناء ، وكما هو الحال فى ممرى خيبر وبولان بين باكستان وأفغانستان ٠

وللتضاريس أثرها فى تعيين التكتيك والاسلحة التى تستعمل فى الميدان فسهول روسيا الفسيحة وصحارى شمال افريقية وسيناء الرملية تعتبر ميدانا جيدا لاستعمال الدبابات والمدرعات ، بينما مرتفعات النرويج وجبال الألب لا يصلح فيها استعمال المدرعات ، وكشفت التجارب العسكرية فى الحرب العالمية الثانية اختلاف التكتيك فى كل ميدان بحسب طبيعة الارض ، فاستخدام الالمان أسلوب الإنزال الجوى على جزيرة كريت

شكل رقم (٥) : الممرات فى شبه جزيرة سيناء

الجبلية ، كما طور الحلفاء أسلوب حرب العصابات فى المناطق الجبلية فى اليونان ، ويوغسلافيا ، وايطاليا ، مما اضطر معه الالمان الي حشد ٢٢ الف جندى لمجابهة خمسة آلاف وخمسمائة جندى من رجال العصابات .

سادسا : الأنهــار :

وأهمية النهر للدولة تعتمد فى جزء كبير منها على طبيعة وادى النهر نفسه ، وكذلك على الظروف الطبيعية للاراضى القريبة منه · فقبل أن يعرف الانسان كيف يقيد ويسلسل الأنهار ، كانت هـذه مقبولة كحد سياسى بين الدولة ، وذلك لسهولة تمييزها من ناحية ، ثم لأنها هى والسهل الفيضى

الذى حولها تكثر فيها المستنقعات من ناحية أخرى ، من ثم أصبحت وظيفتها دفاعية ، فكانت الانهار تقوم بوظيفة الفصل بين الوحدات ، ولكن الانهار هى وأوديتها تعطي طرقا سهلة للتحركات البشرية ، حتى ولو جرى النهر فى منطقة سهلية بحيث أن التحركات فى داخل الدولة كانت تتبع الخطوط النهرية قبل ظهور السكك الحديدية ، وحتى وبعد ما أصبحت السكك الحديدية وسيلة عالمية للمواصلات ، نجد أن الذين يمدون الخطوط الحديدية يتبعون أسهل الانحدارات وأكثرها تدرجا ، ولن يجدوا خيرا مما تقدمه أودية الانهار من تدرج وبذلك تثبت الانهار مرة أخرى أنها عامل وصل قبل أن تكون عامل فصل ٠

ليس من شك اذن ، أن الانهار كانت من وسائل التقدم البشرى ، حيث أنها كانت تتبعها الهجرات فى كثير من الاحيان ، فلقد كانت سانت لورنس والمسيسبي هما المحاور التى امتدت على طولها الممتلكات الفرنسية فى أمريكا الشمالية ، إذ توغل المستكشفون الفرنسيون الى داخلية القارة بفضلها ، وكانت مناطق عبور الانهار قبل بناء الكبارى من الاهمية بمكان ، حتى أن أكثر المدن ترجع فى نشأتها لصلاحية النهر كمكان للعبور عندها ، ثم أخذت في النمو بعد ذلك ٠ وفى بعض الاحيان نمت المدن على جزيرة فى النهر ، لأنها تتمتع بميزتين : عامل الحماية من ناحية ، وأهميتها العبورية من ناحية أخرى ، وباريس مثل حى وبارز على مدن الجزر ٠

غير أن الانهار أحيانا ما تكون عامل فصل ، وتصبح من الامور المضادة أو التى لا تساعد على الوحدة الوطنية ، ويأتي هذا نتيجة عوامل منها الاتساع الكبير لعرض المجرى المائى بحيث لا يمكن اقامة كوبرى عليه ، وقد يرجع الى طبيعة تدفق وتصريف النهر أكثر منها من مجرى النهر ، كأن يكون الوادى على هيئة خانق ، ولعل خوانق الانهار في أسبانيا من خير الامثلة فى هذا المضمار ، وكذلك الحال فى خانق الزمبيزى الذى يتلو شلالات فكتوريا ، وهناك خانق الكلورادو الشهير بالولايات المتحدة الامريكية الذى يمثل صعوبة كبيرة لو كان هناك ضرورة ملحة لربط المرتفعات التى على جانبيه ٠

ويمكن القول أن من بين الفوائد العديدة التي يجنيها الانسان من مياه الانهار ، هناك أربع فوائد رئيسية ، فالانهار تستخدم أحيانا كحدود سياسية وهذا ما سنفصله فيما بعد ، وتستغل مياهها فى الرى فى بعض جهات العالم حيث يسود الجفاف المناخى ، وهذه الدول هى التى عرفت باسم دول الرى Irrigation states. .

ويضاف الي هذا استعمال مياه الرى فى اغراض صناعية كتبريد المولدات الكهربائية ومثل هذه المياه لا تضيع كما هو الحال فى مياه الرى بل ترجع الى النهر ، وان كانت فى هذه المرة الاخيرة تحتوى على مواد كيماوية قد تكون سامة فتقضي على الأسماك ، وتجعلها غير صالحة للاستخدامات الاخرى ، وهذا نموذج لمشكلة تلوث البيئة ٠

واذا كان استغلال وتنظيم الاستفادة من مياه النهر هي مسألة وطنية بحتة ، لما كان هناك داع للتفصيل فى هذا الموضوع فى مجال الجغرافية السياسية ، ولكن المشكلة تأتى من أن معظم الانهار دولية لانها تجرى فى دولتين أو أكثر ، من ثم كان لابد من الاتفاق على طرق استغلال الانهار بين الدول الواقعة في أحواضها حتى لا تضار احداها ، ولعل الاتفاقيات الخاصة بتنظيم الملاحة هى أسهل هذه الاتفاقيات ، على اعتبار انها لاتؤثر كثيراً فى مياه النهر ، بينما نجد الاتفاق على توزيع مياه النهر أو استغلالها بأى طريقة من الطرق أكثر صعوبة ٠

الملاحة في الانهار الدولية :

استغلت الانهار للملاحة منذ العصور الاولى لتاريخ البشرية ، وكانت الانهار هى المسالك الرئيسية ف كثير من الاحيان للكشف عن كثير من المناطق المجهولة ، كما حدث فى حالة أنهار الولايات المتحدة الامريكية النابعة من الابلاش والمتجهة نحو الغرب ، وكما حدث فى حالة نهر الامزون فى أمريكا الجنوبية ٠ وقد استغلت أنهار القارة الاوربية فيالعصور القديمة لأغراض الملاحة بدرجة لا يتصورها الانسان فى الوقت الحاضر ، فكانوا يستعملون القوارب الصغيرة للانهار الصغيرة ، وكانت الانهار السريعة (تستغل

تياراتها السريعة) في تسيير السفن نحو الاجزاء الدنيا ، وكانت تبنى القوارب للملاحة فى المناطق الجبلية لتسير مع الانحدار في اتجاه المصب ، وعندما تبلغ نقطة الوصول تباع أخشابها ويستفاد بها ، إما فى البناء أو فى ايقاد النار .

ولكن يعيب الملاحة فى العصور القديمة والوسطى ، الضرائب العديدة التي كان يفرضها الحكام الذين كان النهر يجرى فى قسم من أراضيهم ، حتى لقد كادت هذه الضرائب الباهظة تقتل الحركة والنقل في بعض الانهار فقد كانت هناك ثلاثون ضريبة تدفع على نهر الراين دمن بال فى سويسرا الى بحر الشمال ، حتى أن مجموع هذه الضرائب في بعض الاحيان كان يفوق قيمة السلع المحمولة .

وقد أدى هذا فيما بعد الى اقرار مبدأ حرية الملاحة فى جميع أجزاء الانهار الدولية الصالحة للملاحة من المنبع الى المصب لكل من الدول التى تقع في أحواضها ؛ أما الدول الاجنبية عن النهر ، فقد ظلت لا يسمح لها بحرية الملاحة وكانت فرنسا أولى الدول التى أعلنت وجوب تقرير مبدأ حرية الملاحة في الانهار الدولية وطبقته فعلا بالنسبة لنهر الميز والشلد عام ١٧٩٢ ذلك أن مصب الشلد كان يقع تحت قبضة هولندا وقد أغلقت ميناء انتورب أمام السفن ، ثم جيوش الثورة الفرنسية فى ذلك العام . وأعلن المجلس التنفيذى للجمهورية الفرنسية حرية الملاحة فى النهر لكل الدول التي تحيط به ولغيرها .

الملاحة في الدانوب :

لنهر الدانوب أهميته الخاصة بين الانهار الدولية لكثرة عد الدول التى يمر بها ولأهميته الكبرى من ناحية الملاحة والنقل من وسط وشرقى اوربا الى جنوبيها الشرقي وظلت الملاحة فى النهر مدة طويلة خاضعة لارادة الدول التى يجرى فيها . ولما كانت تفرضه من قيود عليها ، حتى كانت معاهدة باريس عام ١٨٥٦ التى أنهت حرب القرم ، والتى أقرت حرية في الدانوب على أسس لائحة الملاحة الدولية التى أقرتها الدول فى مؤتمر فيينا عام ١٨١٤ ، وتقضى لائحة مؤتمر فيينا أن تكون الملاحة في الانهار التى

تمر بعدة دول أو تجاورها حرة لمراكب جميع الدول فى الجزء الصالح منها للملاحة حتي المصب ، مع مراعاة اللوائح الخاصة بالبوليس والملاحة التى تضعها الدول صاحبة النهر ، على أن تطبق هذه اللوائح على وجه المساواة بالنسبة لكافة الدول ، وألا تكون من شأنها اعاقة التجارة الدولية ٠

وقد تقرر في المعاهدة انشاء هيئة خاصة لتنظيم الملاحة فى النهر والقيام بالاعمال الهندسية وهى اللجنة الاوربيـة للدانوب ٠ وأعيد تنظيم الملاحة فى الدانوب بعد الحرب العالمية الاولى فى معاهدة فرساى وطبقا لاتفاقية خاصة أبرمت فى باريس عام ١٩٢١ ٠

اتفاقية الكونغو :

وبمقتضاها اتفق عام ١٨٨٥ علي أن يفتح الكونغو لتجارة جميع الدول ، حيث أبيحت حرية الملاحة لسفن جميع الدول ، ولم تشمل المنطقة موضوع الاتفاق نهر الكونغو وروافده فحسب ، بل تعدتها أيضا الى نهر النيجر ٠

اتفاقيـة برشـلونة :

لم تكن نصوص معاهدة فرساى فيما يختص بالملاحة النهرية غير أحكام وقتيـة تقرر أن يحل محلها فى أول فرصـة اتفاق عام لتنظيم الملاحة فى الانهار ، وقد أتيحت هذه الفرصة فى مؤتمر برشلونة عام ١٩٢١ ٠ واتفق المؤتمرون على مبدأ حرية الملاحة في الانهار الدوليـة والقنوات المائية التى تختصر المسافات بينها ، وتصرف العوائد التى تجمع على خدمات تحسين الملاحة وتحسين المجرى والارشاد وغيرها ٠

الوظائف الاخرى للأنهار :

وفي المناطق الجافة وشبه الجـافة نجد أن النهر هو شريان الحيـاة للدولة ، يترك طابعه وآثاره علي تنظيماتها ٠ كما فى مصر القديمـة والحديثة ، وكما فى العراق ٠ وهـذه هى التى يطلق عليها دول رى Irrigation states .

ولقـد اعتمـد سكان تلك الجهـات علي الفيضـان الطبيعى للنهر

فى العصور القديمة ، ثم أقيمت عليه مشروعات الرى حديثا ٠ وكان التعاون والتفاهم ضروريا لتوزيع مياه الرى بحيث لا يتحكم سكان أعالى النهر فى سكان جزئه الادنى ، كذلك كان التعاون لصد قبائل الرعاة المغيرة وكانت هذه الدول تستمر فى حالة انتعاش ما دامت قادرة علي صد المغيرين ، ولكن ما أن ينتابها الضعف حتى تسوء أحوالها الاقتصادية وتنتابها الفوضى ، ويستولى عليها الغزاة ٠

واذا كانت هناك دول نهرية كما رأينا فى مصر والعراق وغيرهما ، فان هناك دول دلتاوات Delta States ، ويبدو أن وجود هذه الدول لا يتفق والمنطق الجغرافى ، لأنها تتحكم في مصبات أنهار تنتمى لدول أخرى ٠ وهولندا مثل حى لدول هذا النوع ، لانها تتحكم فى دلتا الراين والشلد والميز ، فهنا في هذه المنطقة قامت دولة لها شخصيتها القومية ، وكان عامل الحماية من الزوال ، هو أهمية موقعها الجغرافى نظرا لأن الدول الاخرى لا تسمح لأى دولة قوية بالتسلط عليها ، فأصبح امان هولندا لا يرجع الي قوتها البحرية ، بقدر ما يرجع الى التوازن الدولى فى أوربا ، لذلك تظل فى أمان إلا فى الفترات التى تتغلب فيها القوة الالمانية ، كما حدث أثناء الحرب العالمية الثانية ٠

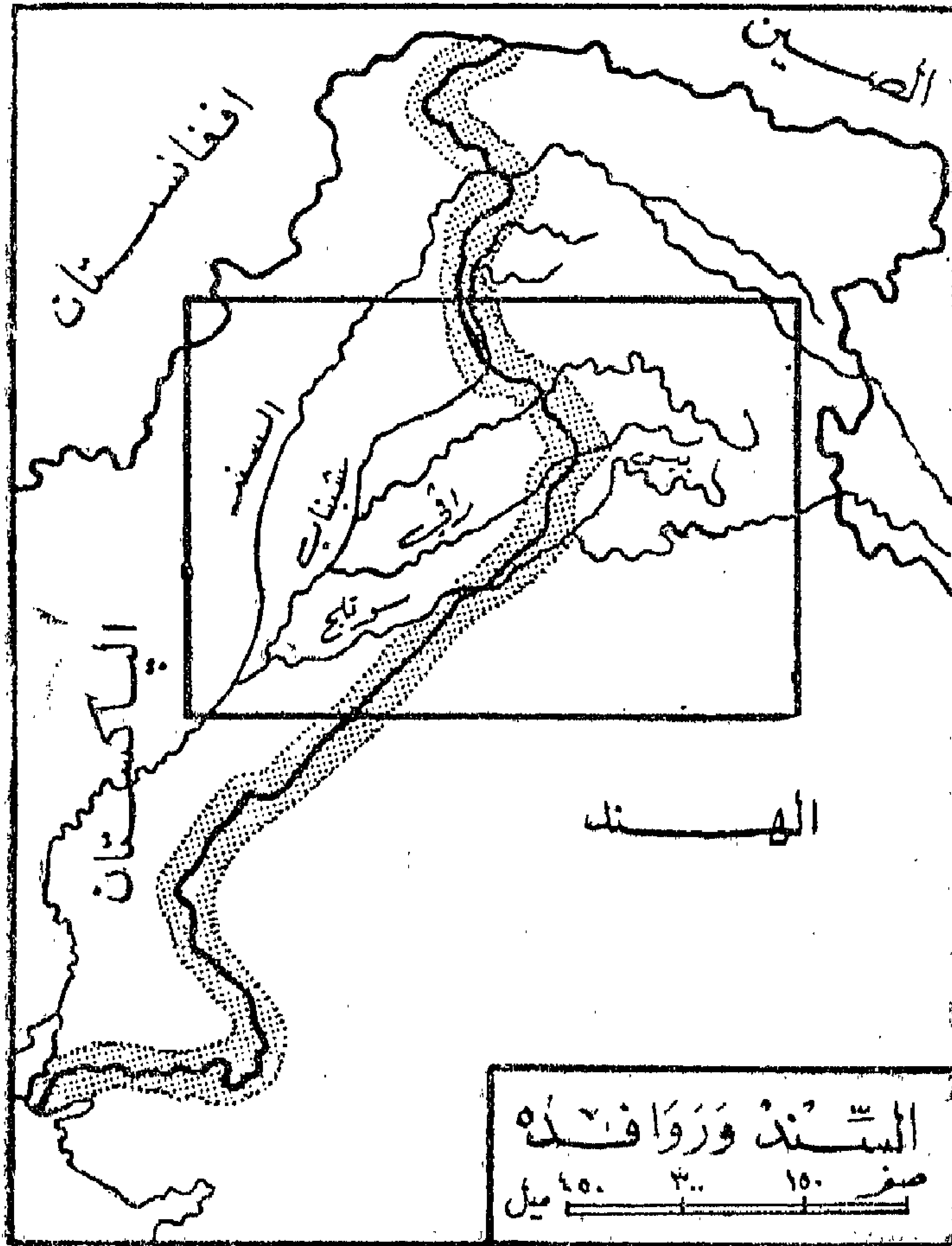
ومنذ بداية القرن العشرين ظهرت للأنهار وظيفة أخرى في نشاط الدولة وهو أنه أصبح فى إمكانها أن تمد بالقوى المائية ولكن لم تظهر هذه الطاقة كمنافس للزيت أو للفحم إلا بعد معرفة الانسان كيفية توليد الكهرباء ، ونظرا لأن مقدرة النهر على القيام بهذه المهمة تتوقف على كمية المياه وعلى سرعة التيار ، فان معنى هذا أن هذه الوظيفة التى يقوم بها النهر مستمدة من التضاريس والمناخ ، ولذلك نجد أن الدول ذات الطبيعة الجبلية والتساقط الغزير قد حبتها الطبيعة بهذه الطاقة كالنرويج ، والسويد ، وسويسرا ، فرغم فقرها فى البترول والفحم ، فان هذه الطاقة كانت لهم خير عون ، ولا ننسى أن بعض الدول الداخلية تحاول أن تتحكم فى مصب النهر ، على اعتبار أن تقدمها يتوقف على سهولة الوصول الى البحر ٠ واذا لم تستطع الوصول لمصب النهر فانها تلجأ

أخيرا الى إيجـاد منطقـة حرة لهـا كمنطقـة تشيكوسـلوفاكيا الحرة فى ميناء هامبورج ، من ثم كانت الانهـار مثار نزاع فى كثير من الاحيان .

نماذج لاتفاقيات المياه الدوليـة :

أولا ــ اتفاقية مياه السـند :

ينبع نهر السـند من هضبة التبت ، ثم يمر فى كشمير بين جبـال هيمالايا وقراقورم قبل أن يترك الهمالايا الى سهول البنجاب ، ومن هذه الجبال وحتى البحر وهو يجرى فى أرض الباكستان ، وتعرف ضفتـه اليسرى أو روافده الشرقية باسم (الخمسـة أنهار) فى البنجـاب وهى



شكل رقم (٦) توزيع مياه روافد السند

جيهلوم وشينهاب ورافى وبيس وسـوتلج ، وينبـع الرافدان الأولان من كشمير ، أما رافى فهو ينبع من كشـمير ومن الهنـد ، ويكون لمسافة من مجراه الحـد بين الهند والباكستان ، أما بيس وسوتلج فينبعان من الهند ، ويكونان لمسـافة من مجراهما الحد بين الهنـد والباكستان قبل أن يتصلا بالسند فى الباكستان ٠

وتبدو أهمية السند والخمسة أنهـار كبيرة فى الرى ، من ثم مدت القنوات منها بعد تركها المنطقة الجبليـة لرى الاراضى الزراعية التى حولها بالمـاء ، وقد شقت هذه القنوات منذ القرن التاسع عشر ، ولم يكن لهـا حينذاك أى علاقة بتقسيم دولة الهند الى هند وباكستان فيما بعد ، وإذا نظرنا الى توزيع الديانة فى هـذه المنطقة التى تجرى فيها نجد أن المسلمين يسودون فى الغرب بوجه عام ، بينما يسود الهندوس فى الوقت الحاضر ٠

وقامت لجنة الحدود بين الهند والباكستان بتقسيم منطقة البنجاب علي أساس تحديد منـاطق الغالبيـة من المسـلمين وغالبيـة غير المسلمين ، وعندما قامت اللجنـة بعملهـا كانت العواطف ملتهبة ، وكان العـامل الدينى هو الاسـاس الاول والاخير فى تحديد الحـدود ، بينمـا أهملت العوامل الخطيرة الاخرى والتى تتمثل فى تنظيم توزيع الميـاه في هـذه القنوات والتى يتوقف عليها حياة الجماعات التى تعيش فى المنطقة ٠

وكانت المنطقة الرئيسية التى تأثرت بالتقسيم هى الواقعة بين رافى وسوتلج ٠ فهناك تخرج القنوات من أرض دخلت فيما بعد فى تقسيم الهند بينما تغذى أرض دخلت فيما بعد فى تقسيم الباكستان ، بل يزيد من خطورة النظام النهرى هنا بعامة ، أن الروافد جميعا تقع منابعها إما فى الهند ، أو كشمير ، ومنذ تقسيم البنجاب عام ١٩٤٧ ٠ وهناك نزاع مسـتمر بين الهند والباكستان على مياه هـذه الروافد ٠ واذا كانت حاجة الباكستان الى هـذه أكبر من حاجة الهند اليها ، فان الهند هي التى تتحكم فى معظم مياهها ٠ وأخيرا توصـلا الى اتفاق عام ١٩٦٠ ، بمقتضاه يمكن للهنـد أن تسحب كميات كبيرة من مياه الروافد الشرقيـة رافى وبيس وسوتليج لرى الاراضى الواقعة الى الجنـوب من الرافد الاخير ، وذلك فى نظـير

استغلال الباكستان لمياه جيهلوم وشيناب التي تخرج من الهند أو كشمير الهندية ، واقتضى هذا اقامة السدود وشق ترع جديدة لتنظيم التوزيع الجديد • وقام البنك الدولى بالمساهمة فى قروض هذه العملية • فهذه التكاليف الباهظة للسدود والقنوات الجديدة تعكس لنا صورة التقسيم السياسى الذى قد يقوم أحيانا على العواطف الملتهبة ، بغض النظر عن الاوضاع الهيدرولوجية •

ثانيا — اتفاقية مياه النيل :

كان لاعتماد مصر اعتمادا يكاد يكون تاما على النيل فى انتاجها الزراعي وفى اقتصادها بعامة أثره الكبير فى الاهتمام بالنهر ، وبالكشف عن منابعه ، ثم بمحاولة الاستفادة منه الى أقصى حد ، وتأمين احتياجاتها من مياهه ، فأهمية النيل لمصر تختلف عن أهميته بالنسبة لبقية أقطار حوض النيل ، فهى فى أوغندا مثلا لا تعدو أهميته أكثر من توليد الكهرباء • لوفرة الامطار ، ومن ثم لم يكن مشروع سد أوين الذى نفذ على مخرج بحيرة فيكتوريا إلا مشروعا لتوليد الكهرباء ، بينما هو لجمهورية مصر العربية مشروع لزيادة ايراد النيل من الهضبة الاستوائية • ثم يزداد الاعتماد على النيل كلما تقدمنا نحو الشمال أى نحو المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية ، وفى السودان مساحات متسعة يمكن أن تعتمد علي المطر فى الزراعة وتشمل السودان الجنوبى ، ومساحات شاسعة من السودان الاوسط ، ولكن تصبح الاراضى الزراعية بعد الخرطوم مقصورة على أراضي الوادى الضيق الذى يظهر أحيانا ، ويختفى أحيانا اخرى •

ولم يكن هناك اتفاق رسمي قبل سنة ١٩٢٩ حتى عقد فى ذلك العام اتفاق يستمر العمل به حتى سنة ١٩٥٩ ، حينما عدل باتفاقية أخرى راعت الظروف الجديدة والتطورات الحديثة التى من بها كل من القطرين الشقيقين •

شكل رقم (٧) موازنة بين اتفاقيتي مياه النيل القديمة والجديدة

اتفاقية نوفمبر ١٩٥٩ :

بعد ما يقرب من ثلاثين عاما من اتفاقية ١٩٢٩ ، ونظرا لحاجة القطرين الى استغلال مياه النيل والانتفاع بايراده ، رأى الجانبان ضرورة عمل اتفاقية جديدة للاتفاق على عمليات ضبط النهر ، وتضمنت الاتفاقية عدة جوانب :

أولا ـ الحقوق المكتسبة الحاضرة :

١ ـ ما تستخدمه جمهورية مصر من مياه حتى هذا الاتفاق (وهو ٤٨ مليارا من الامتار المكعبة عند اسوان) هو حق مكتسب لها ٠

٢ — ما تستخدمه جمهورية السودان من مياه النيل حتي هـذا الاتفاق (وهو ٤ مليارات من الامتار المكعبة مقدرة عند أسوان) هو حق مكتسب لها ٠

ثانيا — توزيع فوائد مشروعات ضبط النهر :

١ — توافق الجمهوريتان على أن تنشى جمهورية مصر العربيـة خزان السد العالى كأول حلقة من سلسلة مشروعات التخزين على النيل ٠

٢ — توافق الجمهوريتان على أن تنشىء جمهورية السودان خزان الروصيرص أو أى أعمال أخرى تراها جمهورية السودان لازمة لاستغلالها لنصيبها ٠

٣ — يحسب صافى فائدة السد العالي على أساس متوسط ايراد النهر الطبيعى عند أسوان سنويا (٨٤ مليارا) ويستبعد من هذه الكمية الحقوق المكتسبة للجمهوريتين (بند أولا) مقدرة عند أسوان ، كما يستبعد منها فائض التخزين المستمر فى السد فينتج عن ذلك صافى الفائدة التى توزع بين الجمهوريتين ٠

٤ — يوزع صافي فائدة السد العالى بين الجمهوريتين بنسبة ١٤½ مليار م٣ للسودان و ٧½ مليار م٣ لجمهورية مصر العربيـة فى ظل الايراد فى المستقبل فى حدود المتوسط (٨٤ مليارا) واذا ظلت فواقد التخزين المستمر على تقديرها الحالى بعشرة مليارات ، فان صافي الفائدة فى هـذه الحالة ٨٤ — (٤٨ + ٤ + ١٠) = ٢٢ مليارا ٠

ويصبح نصيب السودان منها ١٤½ مليار ونصيب جمهورية مصر العربيـة ٧½ مليار ، وبضم هـذين النصيبين الى حقهما المكتسب فى البند الاول يصبح :

نصيب السودان = ٤ + ١٤½ = ١٨½ مليار ٠

نصيب مصـر = ٤٨ + ٧½ = ٥٥½ مليار ٠

ويصير هـذا بعد تشغيل السد العالى بالكامل ، أما اذا زاد المتوسط عن هذا فان الزيادة فى صافى الفائدة تقسم مناصفة ٠

٥ - توافق الحكومة المصرية علي دفـع مبلـغ خمسـة عشر مليونا من الجنيهـات لحكومة السـودان كتعويض شامـل عن الاضرار التى تلحق بالممتلـكات السودانيـة نتيجـة التخزين فى السـد العـالى لمنسوب ١٨٢ (١) ٠

٦ - من المسلم به أن تشغيل السد العالى الـكامل للتخزين المستمر سوف ينتج عنه اسـتغناء جمهورية مصر عن التخزين في جبل الأولياء ٠ ويبحث الطرفان المتعاقدان ما يتصـل بهـذا الاسـتغناء فى الوقت المنـاسب ٠

ثانيا - مشروعات استغلال المياه الضائعة فى حوض النيل :

١ - يتولى السودان بالاتفاق مع جمهورية مصر انشاء مشروعات لزيادة ايراد النيل بمنع الضائع فى مستنقعات بحر الجبل وبحر الزراف والنيل الابيض ، ويوزع صافي الفائدة مناصفـة ، كما يسـاهمان فى تكاليفهما مناصفة » وتتولى جمهورية السودان الانفاق على المشروعـات السابقة من مالها وتدفع جمهورية مصر نصيبها فى التكاليف ٠

٢ - اذا دعت حاجة جمهورية مصر الى البدء في أحد المشروعات السابقة بعـد اقرارها من الحكومتين فى وقت لا تـكون حاجة جمهورية السودان قد دعت الى ذلك ، فان جمهورية مصر تخطر السودان بالميعاد الذى يناسـبها للبدء فى المشروع ، وفي خـلال سنتين من تاريخ هـذا الاخطار تتقـدم كل من الحكومتين ببرنامج للانتفاع بنصيبها فى الميـاه ،

---

(١) قامت مصر بدفع هذا المبلغ على النحو التالى :

٣ مليون جنيـه فى أول يناير ١٩٦٠ ، ثم ٤ مليون جنيه في أول يناير من أعوام ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ ٠

وبعد انتهاء السنتين يمكن لمصر التنفيذ بتكاليف من عندها ، على أن تدفع حكومة السودان نصيبها من التكاليف عندما تتهيأ لاستغلال نصيبها ٠ (١) ٠

سابعا ـ المناخ :

أهمية المناخ ظاهرة فى اتصاله الوثيق بصفة خاصة بالنبات الطبيعي وبالغلات الزراعية ٠ وانتاج الغذاء للسكان من الأوليات التى تهتم بها الدولة ٠ والدولة التى تتمتع بتنوع مناخى كما ذكرنا تتمتع بتنوع غذائى وبالتالى ترتفع انتاجية أفرادها ، بينما المناطق التي يسودها مناخ صحراوى سواء حارة أو جليدية يتحدد فيها الانتاج الزراعى ، ومثل هذه المناطق لا تصلح لأن تكون نواة أو معمور لدولة ذات أهمية ، وان كانت يمكن أن تكون عونا لتلك الدولة اذا ما كانت لها أهمية استراتيجية كما فى المناطق شبه القطبية من كندا وجرينلند وايسلند وشمالى سيبيريا ، أو تظهر فيها ثروة معدنية كما هو الحال فى شبه الجزيرة العربية ٠

والدولة التى لا تنتج ما يكفيها من غذاء لابد لها من الاستيراد من الخارج ، أو اتباع الزراعة الكثيفة ، أى بزراعة الارض أكثر من مرة وهذا غير متيسر اذا كان المناخ لا يساعد على هذا ، وقد يقوم لكن بتكاليف باهظة ٠

فى الدول المتسعة كالولايات المتحدة مثلا ، حيث تكثر الاقاليم المناخية وتتعدد ، نجد أن المزارعين فى غرب السهول الوسطي Middle west دائما يشكون الحكومة فى واشنطن من أن رجال الادارة فى منطقتهم لا يعرفون شيئا عن مشكلات الزراعة والتسويق فى هذا الاقليم ٠ ونفس

---

١) تكونت هيئة فنية دائمة مشتركة من جمهورية السودان ومن جمهورية مصر لرسم الخطوط الرئيسية للمشروعات والاشراف على تنفيذها ووضع نظم تشغيل الاعمال التى تقام على النيل ٠

الكلام في كندا حيث يشكو سكان البرارى من سوء السياسة الداخلية فى الدولة • ويرجع هذا أساسه الى قيام اقتصاديات مختلفة ترجع الى أنواع مختلفة من المناخ • وقد تؤدى هذه العلاقات الى تهديد للوحدة السياسية كما في كندا واستراليا فى وقت ما ، إذ أن ولاية البرتا فى الأولى وغرب استراليا فى الثانية ذهبتا بعيدا الى درجة اقتراح الانفصال فى وقت ما • هذه وغيرها من الامثلة تدل على أنه حيث يوجد تنوع مناخى يترتب عليه نتائج محلية هامة فى ميدان الانتاج الزراعى ، فيجب عمل حساب هذا التنوع حتى تسير أمور الدولة الداخلية دون شقاق •

ولقد سبق لنا أن ذكرنا عند دراسة الموقع الجغرافي النظريات الخاصة بربط القوة السياسية والمدنية بالمناطق المعتدلة ذات النشاط الاعصارى • كذلك يحفل التاريخ القديم والحديث بالامثلة المتعددة على عمل حساب المناخ ، ودراسة أنسب الظروف الملائمة للعمليات الحربية بحرية كانت أم برية ، فقد استفادت بريطانيا كثيرا من الضباب فى الانسحاب من دنكرك أثناء الحرب العالمية الثانية ، وقامت ألمانيا بحملتها على بولندا فى شهر سبتمبر تجنبا للأوحال التى قد تتعرض لها الدبابات ، كما أختارت شهر ابريل لغزو النرويج حتي يمكنها الاستفادة من العواصف التى تهب فى هذا الفصل فتسدل ستارا على عملياتها الهجومية ، وكان فى تقدير الالمان في هجومهم على روسيا أن يبلغوا موسكو قبل حلول الشتاء اذا ما تقدمت جيوشهم في شهر يونيه عام ١٩٤١ ، ولكن نظرا لبطء تقدمهم بزيادة البعد عن قاعدتهم مما حمل القيادة على اصدار الاوامر بعمل حفر ومواقع دفاعية لهجوم الشتاء عليهم ، ولم يكن فى الحسبان أيضا توافر ملابس شتوية ثقيلة للجنود ، فاضطر الجيش لطلب هذه الملابس من المدنيين ، وكان من جراء ذلك أن كان بعض جنود الجبهة يرتدون معاطف نسائية ، وقد أعطى هذا الفرصة لانكسار الروح المعنوية عند الألمان وارتفاعها لدى الروس ، وبالتالى انكسار الألمان فى الميدان الروسى • وليس من شك في أن القوات التى كانت تحارب فى الشمال الافريقى ،

كانت فى حاجة الى كساء وغذاء يختلف تماما عن ملابس وغذاء زملائهم فى شمال النرويج ، وبينما كانت قوات جنوبى الباسيفيك تعانى من الحرارة المصحوبة بالرطوبة ، وكانت قوات غرب أوربا تعاني من انخفاض الحرارة وسقوط الثلوج ، بل لقد كانت القوات الامريكية تحارب فى ايطاليا الاعداء من جانب والامطار الغزيرة من جانب آخر • كذلك يعد الطيارون اعدادا خاصا لملاءمة مختلف الأجواء لأنهم كثيرا ما ينتقلون من قاعدة حارة رطبة ، الى قاعدة شديدة البرودة على بعد ساعات قلائل •

الفصل الثانى

الأسس البشرية

أولا ـ السلالة :

تشير كلمة السلالة هنا الى مجموع السكان الذين يرجعون لأصل واحد ، وبالتالى يكون هناك تقارب فى سماتهم الجسدية . ويتوقف أثر هذا العامل فى التكوين السياسى للدولة على درجة الوعي السلالى أو الوعى الجنسي Face Gobs lousness للسكان ، أو بمعنى آخر التعصب الجنسى .

على أن الرجل العادى اذا ما ذكر الجنس أمامه ، لا ينصرف تفكيره الا الى لون البشرة ، بغض النظر عن الصفات الجسدية الاخرى ، من ثم كان لون البشرة هو أساس المشكلات العنصرية التى تظهر فى العالم اليوم ، أو بمعنى آخر أساس التمييز العنصرى Race Descrimination

ونود فى هذا المجال أن نذكر أن وجود سلالة نقية يعتبره العلماء خرافة وأى خرافة ، بل أسطورة ، ذلك أن هذه السلالة النقية غير موجودة على الاطلاق بسبب الهجرات البشرية التي استمرت عبر العصور التاريخية وما قبل التاريخية ، ذلك أن الانسان يتميز عن الحيوان بالعقل الذى يدبر به أموره بحيث يكيف نفسه مع ظروف البيئات المختلفة ، من ثم اذا كانت الفصائل الحيوانية المختلفة ترتبط بأقاليم مناخية مختلفة ولا تظهر فى غيرها إلا نادرا فهذا ما لا ينطبق على الانسان . كذلك تميز الانسان بقدرة سلالاته على التزاوج معا . وأدى هذا الى عملية اختلاط واسعة بين أفراد الجنس البشرى . ومع هذا نجد أن فكرة التمييز السلالي العنصرى قديمة قدم الانسان ، فالإغريق اعتقدوا أنهم أحسن الشعوب وسادتها . قال أفلاطون مخاطبا الاغريق .

Gold is mixed with you, Copper is in the Composition of others.

وذهب أرسطو مذهب أفلاطون فى التمييز بين اليونانى وغير اليونانى ، فالطبيعة فى رأيه جعلت أجسام اليونانيين مغايرة لاجسام البرابرة ، اذ أعطت هؤلاء القوة الضرورية للاعمال الغليظة فى المجتمع ، فكانوا بطبعهم عبيدا لا يصلحون لغير الطاعة ، عكس اليونانيين الذين وهبتهم الطبيعة حكمة ليكونوا أحرارا ، وأعدتهم لوظائف الحياة المدنية ٠

وكذلك كان يعتبر الفرس ، كما اعتبر الرومان ، أن ما عداهم هم متبربرين ٠ وكان باعث هذا التمييز ما وجدوا عليه أنفسهم من التفوق الادارى والنظام والتفوق الحربى ٠

أما فيما يختص بالاديان السماوية ، فاليهودية تميز بين اليهودى والغريب ، اليهود شعب الله المختار في نظرهم ، لا يباعون بيع العبيد ، أما غير اليهودى فيجوز استرقاقه بالحرب أو بالشراء ويعامل بعنف ،
أما غير اليهودى فيجوز استرقاقه بالحرب أو بالشراء ويعامل بعنف ،
فالله فى نظرهم جعل الغرباء عبيدا لليهود ، فالرب هو اله اليهود وحدهم وهم عبيده ، ولا يمكن أن يكونوا عبيدا لغيره ، وقد اختارهم ليكونوا سادة الناس ٠

ودعا السيد المسيح الى الاخاء والمساواة ، فكان ذلك خروجا على اليهودية العنصرية ، من أجل ذلك نقم عليه اليهود ، وأغروا به الحاكم الروماني ، وتفرق حواريوه من بعده يبشرون بدعوته ، واشتدت حملة الرومان الوثنيين على هذه الدعوة ، واستشهد فى سبيلها الكثيرون ، واضطروا تحت الضغط الى اعلان أن المساواة التى تدعو اليها المسيحية هى مساواة في الروح ، وأن الارواح المؤمنة تلتقى فى المسيح وتتساوى في مملكته المتساوية ، أما الجسد فقد خلق لهذه الدنيا ، وعليه أن يتحمل ما يلقى من ألم وعذاب كما تحمل جسد السيد المسيح ٠ ويوصى القديس بطرس العبيد ألا يقصروا فى اخلاصهم على الصالحين ، بل عليهم أن يخلصوا للقساة منهم ، وفي ذلك يقول : « كونوا خاضعين ، بكل هيبة ، ليس للصالحين ، بل للعنفاء أيضا » ٠

ونادى الاســلام « بألا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » ومع ذلك ظهر بينهم هــذا التمييز ، اذ كانوا يحسون فى أنفسهم تفوقاً على الفرس وغيرهم ·

في تاريخنا المعاصر نجد فكرة الاســتعلاء العنصرى قد ظهرت بصورة شــديدة لدى الألمــان حينما كانت الدعاية النازية تقول بســيادة العنصر الجرمانى أو النوردى جسميا وعقليا ، ونادى هتلر بأن الشعوب الشرقية أحرى بهــا ألا تعيش ، وإن عاشت يجب أن تــدرب كما تدرب الــكلاب الصغيرة ، بل أن الالمــان جعلو من أنفسهم أســيادا علي الجنس السيد فى نظرهم · Masters of the master race. · وفى الوقت الحاضر ويظهر هــذا التمييز العنصرى فى اســـتراليا بمنع هجرة الســلالات الملونة ، ثم يظهر بصــورة أكبر في الولايات المتحــدة الامريــكية وفى جنوب إفريقيــة ·

وقد يقوم الاســتعلاء العنصرى لا على أساس السلالة وحدها ، بل على أساس عدم التجانس الحضارى كما فى اسرائيل ، حيث يتكون السكان من خليط متنافر من اليهود الشرقيين (الســـفرديم) واليهود الغربيين (الأشكنازى) ويســتغل الغربيون تحيز الحكومة نحوهم بغية الحصــول على امتيازات وتسهيلات خاصة بهم ، عن طريق تكتلهم فى جمعيـــات ضاغطــة تتولي عرض مطــالبهم على الحكومة وملاحقــة تنفيــذها لدى المسئولين · واذا أضفنا الى هذا اليهود الأوائل (الصبرا) الذين يتباهون على بقية الطوائف بأنهم مؤسسو الدولة ، أدركنـــا مدى التنافر بين عناصر السكان ·

من أمثلة مشكلة السلالة نضرب مثلا بمشــكلة الزنوج فى الولايات المتحدة الامريكية ، فهؤلاء جلبوا من غرب أفريقيــة منذ القرن الخــامس عشر حتى القرن الثامن عشر للعمل فى مزارع قصب السكر والقطن في جنوب الولايات المتحدة ، واســتمر هؤلاء الزنوج عبيدا حتى حرب التحرير (١٨٦٢ – ١٨٦٥) التى كانت تهدد كيان البلاد ·

غير أن هــذا التحرر لم يرض بيض الجنــوب لأن الزنوج ، كانوا

كسلع فى أيديهم فلم يتصوروا أنهم أصبحوا مثلهم ، واذا كان الزنـــوج يكونون نحو ١٠ ٪ من سكان الولايات المتحدة الامريكية ، فان معظـــم هؤلاء يتركزون في الجنوب ــ وتقل نسبتهم بالاتجاه شمالا ، ويزيد عـــدد الزنوج على البيض فى بعض الولايات كالمسيسبى وكارولينـــا ، وتزيد نســـبة الزنوج علي ٢٥ ٪ من الســـكان فى ولايات فلوريـــدا وجورجيـــا وتكساس وتنسى وفرجينيا • ويعاني الزنوج من سياسة التمييز العنصرى وكراهية البيض لهم رغم أن مزارع الجنوب تقوم على أكتافهم (١) •

كذلك الحال فى جنوب أفريقية الذى كان أول عهده بالأوربيين عام ١٦٥٢ عندما أسست شركة الهند الهولندية مدينة الـــكاب لتكون ملجـــأ لسفنهم فى طريقها الى آسيا ، ثم شجعت الشركة الملاحين الهولنديين على الاســـتقرار وفلاحة الارض لحـــاجة الســـفن الي الخضروات والفاكهة ، فبدأوا بالاستقرار والتوغل فى الداخل واصطدموا بالبوشمن وأجـــلوهم عن مواطنهم الى صحراء كلهارى ، كما سلبوا الهوتنتوت مراعيهم ومواشيهم وجلبوا الزنوج من شرق أفريقية ومدغشقر الى جانب بعض العناصر من الملايو • وقد اختلط هؤلاء بالهوتنتوت وتكونت طبقة ملونى الكاب الذين يعرفون بالرحبوت Rehbith. • واستمر توسع البوير شمالا فاصطدموا بقبائل البـــانتو من الزولو والبتشـــوانا ودارت بينهم حروب مريرة دامت نحو قرن من الزمان •

وعلى عكس الوضع في الولايات المتحدة الامريكية لا يكون البيض سوى نحو ٢٠ ٪ من الســـكان بينما يكون الـــملونون ٨٠ ٪ من مجموع السكان ، ومع ذلك فالعناصر الوطنية محرومة من حقوقها الســـياسية • كما أن الحاجز اللونى يمنعهم من الاشتغال بالمهن الراقية

وعلى عكس الحال فى أمريكا الشمالية نجد أن مشكلة الجنس أو السلالة غير واضحة فى أمريكا الوسطي والجنوبية ، ويرجع ذلك الى ذلك الخليط الكبير من السلالات التى غمرت هذا الجزء من العالم ، حتى ليتمتع

(١) سنفصل هذا فى الفصل الخاص بالولايات المتحدة الامريكية •

زنوج البرازيل بحقوق وامتيازات يحسدهم عليها زنوج الولايات المتحدة الامريكية ، ففى هـــذا الجزء من العـــالم اختلط الزنوج بالهنود الحمر بالأوربيين ، واذا كانت هناك بعض العائلات الاوربية التى تمنع التزاوج والاختلاط بالملونين ، إلا أن الحاجز اللوني هنا ، ليس حادا ٠

ويبدو من التوزيع السلالى فى دول أمريكا الوسطى والجنوبية ٠ أن الهنود الحمر هم العنصر الغالب فى المكسيك (٨٠٪) بينما تغلب العناصر البيضاء علي كوستاريكا (٩٥٪) ٠ والعناصر الزنجيـــة على جواديلوب وهـــــايتى وجمـــــايكا (من ٩٢ ٪ الى ٩٥ ٪) وتغلب العنـــــــاصر البيضاء على أرجنتين (٩٨٪) وأورجواى (٩٩٪) وشـيلى (٧٩٪) بينما يغلب الهنود الحمر على اكوادور وبارجواى وبيرو ، أما العناصر الزنجية فأعلي نسبة لها فى البرازيل وفنزويلا (٣٣٪) ٠

ولا يعد الجنس أمرا ذا بال فى القـارة الآسـيوية رغم تعقيـدها السلالى وربما كانت العناصر اليابانية هى العناصر الوحيـدة التى تدين بالتفوق العنصرى ، أما فى الصين أو الهند وجنوب شرقي آسـيا ، فلا تحس بالفارق السلالى ، فتعيش فى هذه الدول وتختلط ، العناصر المغولية والآرية ، وأحيانا الدرافيدية كما فى الهند ، ولـكننا نجد الرابطة الدينية هى التي تضم الهندوس معا ، وتضم المسلمين معا ، وكان الدين سببا فى قيام دولتى الهند والباكستان ٠ وتكاد تختفى مشكلة السلالة فى اســترااليا نتيجة لفناء العناصر الاسترااالية الاصلية ، سلم يبق منها إلا نحو ٨٠ الف نسمة فى داخلية القارة ، واتجهت سياسة استرااليا الي جعلها قارة البيض ومنع العناصر الملونة من الهجرة اليها ٠

الحربان العالميتان وأسطورة الرجل الأبيض :

ظل العالم حتى الحرب العالمية الثانية ، عالم يسوده الرجل الابيض ، أو هو عالمه مسيطر على كل شيء فيه ، هيمنة سياسية واقتصادية ، أو كما يقولون القوة البيضاء واللاقوة البيضاء كان أمرا مسلما به ٠

The white power and the none white power were still the generally accepted order of things.

والواقع أن الحربان العالميتان الاولى والثانية كانتا بمثابة مسمارين حقا في نعش الاستعمار وهيبة الرجل الابيض ٠

فقد يكون من الطرافة بمكان أن يطلق الافريقيون في هضبة الميتابيلي على البيض الغرباء الذين نزلوا أرضهم Omilima Abadla Amabale أي الآلهة التي تأكل الذرة ؛ فقد كان من الصعب على هؤلاء الافريقيين معرفة أن نزول هــذه الآلهة في بلادهم ستكون مقـــدمة لصراع طويل مرير بينهمــا ٠

ويمكننا أن نستشهد في هـذا الصـدد بالزعيم الثوري الروديسي ندابا نينجي سيتول Naabaningi Sithole فقد عاش سيتول فترة الانتقال وخبرها من مرحلة تقترب من العبادة الى مرحلة الكفر بالبيض ، فقد كان صبيا عام ١٩٢٠ يعيش في روديسيا حينما رأى عالما يسوده البيض . وكان الرواد الاوائل عندئذ في الخمسينات من عمرهم ٠ وهو يتذكر تماما أنـه عندما كان في السابعة من عمره يعمل بالرعي شاهد كوخا ذا نوافذ يتحرك بسرعة عظيمة ، وكانت هـذه أول معرفة له وخبرة بالسيارة ٠ هذا الرجل اليوم الذي كان يطلق لفظ الكوخ المتحرك علي السيارة ، أصـبح اليـوم حاملا لعدة درجـات جامعيـة ، وذو تعاليم يفـوق تعليم كثير من وزراء روديسيا ، وحاضر في الولايات المتحـــدة الامريكية ٠ ويعطي في كتابه القومية الافريقية African Nationalism صورة قيمة عما دار في عقل مواطنيه الافريقيين في بدء حكم البيض لبلاده ٠

"The African was simply overwhelmed perplexed' mystified and dazzled. The white man's houses that move on the water, his bird that is not like other birds, his monster that spits fire and smoke just amazed the African. These new white gods were conscious of the magic spell they has cast and did every thing to maintain it. Mines were opened through the country. The dynamite that exploded the huge rocks confirmed the belief that tre white man ws a god. The African who ever argue with his god—s lest their wrath visit him adoffipted the altitude to the white man."

ولا تقتصر هذه الظاهرة على روديسـيا ، فنـدما ألقى كابتن كوك بمراسـيه فى جزر ساندويش اعتبره الاهالى هو ورجاله على أنهم آلهة . كذلك فعل الهنود الحمر حين كانت فانكوفر على الشواطئ الغربية لكندا ، حيث قدموا تحياتهم وولاءهم ، لهذه السفن الضخمة التى تحمل الآلهة ذوى الوجوه الباهتة ، التى وعدوا بها فى أساطيرهم ويقال أن مونتزوما Montezuma لم يقاوم كورتس Cortes لان غزو الاسبان لبلادهم يتفق وأساطير الازتك عن الآلهة الذين سيأتونهم عبر البحر .

غير أن هذه الفكرة تغيرت تماما ، ويقول الزعيم سيتول فى هذا السبيل أن هذاالتغيير بلغ حدته عندما وجد الافريقيون أن للالهة البيض شهية بشرية لا للذرة الافريقية فحسب ، بل للنساء الافريقيات أيضا ، وزاد رد الفعل حينما عاش الافريقيون خربين عالميتين الى جوار الاوربيين ، فقد خرج من روديسيا وحدها ٤٠ ألف افريقي ويذكر سيتول فى هذا الصدد « أن بنات الشارع فى لندن وباريس ونابلى لم تبق على أسطورة الرجل الابيض . ورأى الجندى الافريقى الجندى الابيض وهو يقع جريحا أو وهو فى طريقه الى الوفاة واكتشف الافريقى أن تاثير الرصاصة واحدة بالنسبة للابيض وللافريقى ، فكان هذا كله له اثره على سيكولوجية الافريقى ، واخذ ذلك الحاجز بينهما يرق تدريجيا حتى وصل الى مرحلة شفافية ، فبعد قضاء أربع سنوات فى صيد البيض من جنود الاعداء ، لم يظل هؤلاء البيض آلهة بعد » .

المشكلة اللونية فى السبعينات :

اذا استثنينا بضع مواضع من العالم والتى أشرنا اليها تظهر فيها المشكلة اللونية نجد أن عالم السبعينات لم تعد فيه السيادة للبيض تماما لتقلص القوى التى كانت وراء البيض ، من الجائز أنه حل محلها فى الوقت الحاضر تقسيم آخر على أساس الشعوب التى تملك . The have nations والتى لا تملك The have not nations. وان كان الذين يملكون ايضا من البيض باستثناء اليابان والذين لا يملكون هم من الملونين ، وغالبيتهم يحملون على أكتافهم سنين من التبعية والاعباء

الاستعمارية ، ولكن التمييز فى حد ذاته خفت حدته بعد استقلال عدد كبير من الدول النامية وخاصة الافريقية ، وحصولها على عضوية الامم المتحدة ٠ وكان من نتائجه فتح سفارات وقنصليات لهذه الدول فى الدول الاوربية ، وتوافد ممثلو هذه الدول من الملونين ، وكان حرج شديد وقعت فيه الخارجية الامريكية فى أوائل الستينات عندما لم يجد هؤلاء الممثلون لدولهم رعاية ، بل وأحيانا صادفوا عقبات وصعوبات فى الفنادق والسكن وغيرها ، مما أدى الي سيل من ادعتذارات الخارجية الامريكية ٠

ولا ننسى أيضا الاحترام الذى يجده مواطنو دول النفط فى الخارج ، بل والسعى اليهم لاسكانهم ، وتيسير وسائل حياتهم ، فقد تغلب العامل الاقتصادى على العامل النفسى والاجتماعى ٠

ثانيا: اللغة :

ويرى الباحثون أن وحدة اللغة عنصر هام من عناصر الوحدة القومية ، واذا كان الانسان يتميز عن الحيوان بانه مدني (اجتماعى) وانه ناطق (مفكر) ، فان الشعوب تتميز عن بعضها بأن لكل منها لغة خاصة تتكلم بها فاللغة هى أقوى رباط معنوياً بين الافراد بلغة واحدة وتقارب تفكيرهم، نشأ بينهم شعور بالتعاطف ، ولما كانت اللغة هى عمود ثقافة الامة ، والثقافة بالنسبة للامة هى بمثابة الروح بالنسبة للانسان ، من ثم يذهب البعض بأن الامة هى ليست مجموعة من البشر يعيشون على نفس القطعة من الارض ، بل هي أيضا وحدة من الفكر والشعور والارادة ، ومن أجل المشاركة فى كل هذا ، لا بد وأن يكون هناك اتصال بين أجزاء الجماعة القومية ، من ثم كانت اللغة المشتركة لها أهميتها وأثرها ، كأداة فعالة فى تشكيل الوحدة القومية، ويزيد على وحدة الفكر والمشاعر أن اللغة تعتبر الوعاء الذى تختزن فيه أفكار وخبرات الامم خلال العصور من السلف الى الخلف وبمعني آخر قد نقول هى جسر الاتصال بين الافراد من الماضى الى الحاضر والمستقبل ، ويلاحظ أن الدول التى تتعدد فيها اللغات ، تتخذ لها أكثر من لغة رسمية فسويسرا تضم الالمانية ، والفرنسية والايطالية ، بل والرومانشية ، وجميع هذه اللغات متساوية الحقوق ، وكلها مستعملة فى البرلمان ٠ ويختلف الحال قليلا فى

باچيكا عن سويسرا ، اذ يفصل الخط اللغوى بين الالمان الفملنك وبين الوالون اللاتينيين ، وقد هدد هذاالانفصال اللغوى وحدة الدولة فى كثير من الاحيان ، لان الوالون كانوا يتجهون نحو فرنسا ، بينما كان الفلمنك يولون وجوههم شطر ألمانيا ·

وكانت الغلبة لعنصر الوالون بعد الاستقلال مباشرة ، ولذلك جاهد الفملنك للمساواة بهم ، ووصل الفريقان أخيرا الي المساواة معا ، وخفت مرارة الشعور الذى كان يكنه كل فريق للآخر ·

وبينما تتميز بعض القارات بالبساطة فى تركيبها اللغوى ، نجد البعض الاخر يتميز بالتعقيد اللغوى الشديد ·

وتعد قارة أفريقية من القارات الشديدة التعقيد لغويا ، بل يذهب البعض الى أنها قد تكون نقطة الضعف الكبرى فى بناء القومية فى الجزء الاكبر من افريقية ، ذلك أن القارة تضم عديدا من اللغات واللهجات ، التى تصل في بعض التقديرات الى ما يتراوح بين ٧٠٠و١٠٠٠ لغة · بل لقد ذهب التعدد اللغوى حتى الى العناصر الاوربية فى جمهوريةجنوب افريقية حيث يوجد البوير الذين يتكلمون الافريكانية Afikanns التى ترجع أصولهـا الى الهولندية ، وكذلك الانجليزية ، وتضـطر الدولـة الى الاعتراف باللغتين ، ويطلب من الموظفين اتقانهما معا ·

ولم تظهر محاولات لاخراج خريطة تبين عدد اللغات فى القارة الاسيوية ويرجع ذلك لتعقيدها أيضا ، اذ تضم الهند والباكستان نحو ٢٢٠ لغة بصرف النظر عن اللهجات · وقد اعلنت حكومة الهند عام ١٩٦٤ نيتها لتنمية اللغة الهندوستانية والتى يتكلمها ثلث سكان الهند تقريبا كلغة قومية ، ولكن هذه اللغة لم تجد ترحيبا فى كل الولايات الهندية ، وبعد دراسات ومناقشات لمدة ثلاث سنوات قلبت الحكومة اقتراح اللجنة المشكلة بأن التعليم يجب أن يكون باللغة لمحليـة على جميع المستويات حتي الجـامعـة ، وأن تدرس اللغتين الانجليزية والهندوستانية كلغات اضافية ، ولكن هذا الرأى واجهته معارضة أيضا ، على اعتبار أن اهمال الانجليزية سوف يؤدى الى تدهور وسائل الاتصال

بين الولايات ، وما يتبع هذا من تهديد للوحدة الوطنية ، هذا فضلا عن عدم وجود كتب ومطبوعات باللغات المحلية ٠ وقد قامت المظاهرات خلال عامى ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، تخللتها أعمال العنف حتى لا تتخذ الحكومة قرار بتبنى الهندوستانية والتى لا تجد قبولا خاصة عند الدرافيديين في الجنوب ، واضطرت حكومة الهند الى الاعتماد على الانجليزية كلغة رسمية٠ ولايختلف حال اندونيسيا عن حال الهند ، وان كانت الملاوية هى لغة التخاطب والتجارة وفى الفلبين هناك نحو ٤٦ لغة وأن كانت التاجلوج Taglog هى اللغة الرسمية ، وتستعمل أيضا الانجليزية والاسبانية على نطاق كبير ٠ وتظهر الطرافة فى الصين حيث يفهم الصينيون بعضهم بعضا حين يكتبون ولايفهمون بعضهم بعضا حين يتكلمون ، ويرجع هذا الى اللغة الصينية تستخدم رمزا لكل كلمة ، ولكن هذه الرموز يختلف نطقها من مكان الى آخر ٠

وتعتبر أوربا من القارات الشديدة التعقيد لغويا ، فباستثناء ألمانيا والنمسا لا توجد دولتان تتكلمان لغة واحدة ، وان كان الامتداد اللغوى لدولة ما قد يظهر فى دولة أخرى كما هو الحال في امتداد الفرنسية الى بلجيكا ، وسويسرا ، والايطالية الى سويسرا ، والالمانية الى تشيكوسلوفاكيا وبولندا وفرنسا هذا وتسود مجموعة اللغات الرومانية فى غربى وجنوب غربى أوربا وجنوبى الوسط ، بينما تسود السلافية فى الشرق ٠

أما فى الامريكتين ، فتبدو فيها البساطة اللغوية ، فهناك ثلاث لغات تمتد من خليج هدسن الى رأس هورن : الانجليزية فى الشمال ، والاسبانية والبرتغالية فى الجنوب ، ويعتبر الحد السياسى بين الولايات المتحدة والمكسيك حدا لغويا أيضا ، ويوجد هناك استثناء القاعدة السابقة تتمثل فى بعض جزر الهند الغربية ، والالمانية فى بعض أجزاء البرازيل ، والايطالية فى بعض أنحاء الارجنتين ٠

اللغات العشر الرئيسية بحسب عدد المتكلمين بها

بالمليون فى منتصف ١٩٧٨

اللغة	العدد	اللغة	العدد
مندارى (الصين)	٦٨٠	العربية	١٥٠
الانجليزية	٣٧٥	البنغالية	١٣٨
الروسية	٢٥٣	البرتغالية	١٣٧
الاسبانية	١٢	اليابانية	١١٤
هندوستانية	٢٢٤	ملايو أندونيسيا	١٠٥

The world Almanac 1979.

الاقليات اللغوية :

قد تظهر اقليات قومية موالية للدولة ، ولكنها تطالب بحريتها اللغوية أو استقلالها اللغوى ، وكثيرا ما تعترف الدولة بحرية استقلال الاقليات بلغاتها وتدريسها فى مدارسها ، ويرجع هذا لخوفها من المطالبة بالانفصال عن جسد الدولة ، اذا منعتها من استعمال هذا الحق • فقد اعترفت بريطانيا بلغات اسكتلند وويلز ، واعترفت فرنسا بلغة البريتون ، وهولندا بلغة الفريزيان وهي لغة نوردية قديمة •

وتعتبر مشكلة الاقلية الالمانية فى الالزاس واللورين من الطرافة بمكان ، اذ يسمح للطفل عندما يذهب للمدرسة أن يدرس اللغة الفرنسية للثلاثة أعوام الاولى ، ولا يدرس الالمانية لغة الوطن الام ، ثم بعد ذلك يدرس الفرنسية فضلا عن الالمانية حتى يجيد الفرنسية الى جانب الالمانية ، ويحتج بعض السكان على هذا على اعتبار انه تدخل فى حرية اللغة • ولكن المنطق الفرنسى يرد عليهم بأنه ما دامت الالزاس واللورين جزءا من فرنسا ، فمن صالح أبناء الاقليم اتقان الفرنسية الي جانب الالمانية لانهم سيتجهون الى بقية أنحاء فرنسا للعمل •

واذا كان الحزب الشيوعى الصينى يعترف بأن اللغة هى احدى أسس

القومية ، فانها فى نظره ليست الوحيدة ، فهنـاك الاقليم المشترك والروابط الاقتصادية والنفسية المشتركة وتحتفظ الحكومة الصينية لنفسهـا بالحـكم النهائي فى اعتبار مجموعة ما أقلية قومية أم لا ، وبمقتضى هذا القرار تعترف الحكومة الصينية بوجود أربع وخمسين قومية فى الصين ، كل لها لغتهـا التى تميزها ، وتنص دستور الصين على الحفاظ على هذه اللغـات القومية لاسباب عديدة ، منها أن الاتحاد السوفيتى كان نموذجها في هذا السبيل .. فضلا عن وقوع معظم أراضى الاقليات اللغوية على أطراف الدولة فى مناطق تتميز بوعورتها ، فاذا أضفنا عدم التقدم التكنولوجى لهذه الاقليات ، كما هو الحال عند الهان الصينيين الذين يكونون الغالبية العظمى ، فهذه الاقليات ليس أمامها سوى أن تتعلم بلغة الهان مع مرور الزمن .

وأحيانا لا تسمح الدول للاقليات المناوئة بحرية لغوية ، خوفا من ان يكون هذا عاملا مساعدا ومشجعا علي الانفصال ، واضعافا لكيان الامـة . فعلى سبيل المثال ، كانت هناك أقلية نمساوية فى التيرول تقـدر بنحـو ٠٠٠ر٣٠٠ نسمة ، لم تعطها ايطاليا حرية لغوية ، بل غيرت أسماء شوارعها وأجبرتهم على استعمال الايطالية فى المدارس والكنائس ، ومع هذا لم يغير من طبيعة الاقلية ، وظلت موالية للغتها الالمانية وعادت ايطاليا بعد الحـرب الثانية تعد بالاعتراف باللغة الالمانية فى التيرول الجنوبي .

ثالثا الدين :

من العجيب أن الذى كان المفروض فيه أن يكون هدى للنـاس يرتفع بمستواها الحضارى . كان من أكثر العوامل المسببة للحـروب باستثناء العامل الاقتصادى ، بل لقد كانت الاديان مسؤولة عن أشد الحروب مـرارة وضراوة (باستثناء الحروب الاخيرة) على أن الدين فى الوقت الحـاضر لم يصبح سببا لقيام الحروب فى معظم الاحـوال وذلك لتغلب العـوامل الاقتصادية من ناحية ، وانتشار التعليم ، ومبادىء المساواة من ناحية أخرى. واذا كان الدين هو المسئول عن قيام الحزازات بين سكان الهند البريطانية ، وأدى الى انقسامها الى الهند وباكستان ، فان هذا يرجع أيضا الى وجود فوارق حضارية واجتماعية بين الجانبين .

ورغم هذا فالدين عامل فعال فى الدراسة الجغرافية السياسية ، اذ يجب عمل حساب الاقليات الدينية ، وطريقة معاملتها من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا تنسى أن الكنيسة وقفت ضد توغل وانتشار الشيوعية ·

ويبدو أن العالم قد وصل الى مرحلة استقرار ونضج من الناحية الدينية ، ولا يبدو أن هناك تحول من دين الي دين على نطاق واسع ، اللهم ما يقوم به المبشرون بين الجماعات الوثنية ، ولا تتفق الحدود السياسية بأى حال مع الحدود الدينية - كما يبدو أن الحروب الدينية قد أصبحت غير ذات موضوع ، فقد شهدت الحربان الاخيرتان الكاثولكي يحارب الكاثولكى والبروتستانتي ، والمسلم يحارب المسلم·وقد احتل الخلاف الآن بين مذاهب الدين الواحد ، كل أصحاب مذهب يعتبرون أنهم المحقون ، وغيرهم هم الضالون ، وقد تعقد الامر وأصبح يدخل تعامل من عوامل تعقد المشكلات الاجتماعية والسياسية ، فانقسام الامبراطورية الرومانية نفسها كان الى الدولة الرومانية الغربية (كاثوليكية) والدولة الرومانية الشرقية أو البيزنطية (أرثوذكسية) ·

غير أنه يمكن القول بأن الدين قد يدخل عاملا ضمن العوامل العديدة التى قد تسبب بعض الازمات السياسية كما هو الحال في اقليم كويبك فى كندا حيث تنتشر الكاثوليكية بصورة أكبر منها فى بقية الولايات الكندية والتى تغلب عليها البروتستانتية كذلك اذا أحست الاقلية المذهبية باضطهاد أو تفرقة من جانب الاغلبية،كما هو الحال فى معاملة الغالبية البروتستانتية للاقلية الكاثوليكية في شمال ايرلند ، وبين سكان شمالى وجنوبى نيجيريا ، وبين الوالون الكاثوليك والفلمنك البروتستانت فى بلجيكا ·

واذا نظرنا الى خريطة توزيع الاديان لوجدنا أربعة أديان كبرى هى الاسلام والمسيحية والهندوكية والبوذية ثم تأتى اليهودية كديانة خامسة · واذا حللنا نمط التوزيع · نجد أن المسيحية تنتشر في الامريكتين وأوربا وشمالى آسيا وجنوبى أفريقية واستراليا · وينتشر الاسلام فى شمال افريقية وجنوب غرب آسيا ووسطها فجنوبا نحو اندونيسيا ، وبعض جهات الصين والهند ، فضلا عن ساحل افريقية الشرقى ، بما الهندوكية فبؤرتها

الهند ، والبوذية والكونفوشيسية في الشرق الاقصى وبصفة خاصة الصين والصين الهندية · ويمكن اجمالا تقدير البوذيين والكونفشيوسيين بنحو ٩٨٠ مليونا والمسيحين بنحو ٩٦٥ مليونا ، والمسلمين ٥٨٠ مليونا والهندوس بنحو ٥٢٠ مليونا · واليهود نحو ١٥ مليونا (تقديرات ١٩٧٩) ،

البناء الدينى داخل الدولة :

اذا لم يكن هناك صراع بين الديانات المختلفة ، فان الانسجام الدينى يؤدى الى القوة السياسية ، على عكس التعقيد الدينى والمذهبي الذى يؤدى الى ضعفها ، ورغم هذا فان التعصب الدينى ومحاولة التخلص من الاقليات الدينية يؤدى الى خسائر كبيرة ، فعندما طرد الكاثوليك المسلمين من أسبانيا ، كان هذا فيه خسارة كبيرة على أسبانيا ، لانها طردت مهارات كان يمكن الاستفادة منها ، وانظر كذلك اشتعال أوار الطائفيةالدينية فى لبنان وأثره فى تدهور الاحوال السياسية الذى تعانى منه البلاد ·

وتقسم الدول مجموعتين فيما يختص بالدين ، فهناك دول يسودها انسجام أو وحدة دينية وهى التى يعتنق أكثر من ٧٥ ٪ من سكانها دين واحد كما في أقطار العالم العربى باستثناء لبنان وكما فى فرنسا وأسبانيا والبرتغال والنمسا وبلجيكا ودول أمريكا اللاتينية (مسيحية كاثوليكية) والدول الاسكنديناقية وانجلترا والمانيا وهولندا (مسيحية بروتستانتية) وهناك دول تتعدد فيها الاديان أى لا تتغلب عليها عقيدة واحدة ، وهذه اذا أثيرت فيها النعرة المذهبية تكون خطرا على وحدتها القومية كما فى الولايات المتحدة الامريكية وكندا فالبروتستانتية تمثل ٦٥٪ فى الاولى ، ٦٠ ٪ فى الثانية ، ولكن الكنيسة الكاثوليكية لها نفوذها القوى ، وتعتبر ولاية كويبك معقل الكاثوليك فى كندا والتى يبلغ الكاثوليك فيها ٤٠ ٪ من السكان · بينما ينتشر الكاثوليك فى الولايات المتحدة الامريكية فى الاقليم الصناعى أى فى الشمال الشرقى فضلا عن ولايات الوسط الشمالية وولايات الغرب ككلفورنيا وأريزونا · وهناك أيضا نحو ٦ ملايين يهودى يتجمع نصفهم فى نيويورك ، أى أن الولايات المتحدة الامريكية تضم أقل من نصف

يهود العالم بقليل هناك أيضا يوغسلافيا (الصرب أرثوذكس) و (الكروات كاثوليك) وتنافس البروتستانتية فى شمالى سويسرا ، الكاثوليكية فى جنوبيها وغربيها ٠

رابعا : التركيب القومى :

على عكس الناحية السلالية نجد أن التركيب القومى أكثر أهمية فى الوزن السياسى للدولة ، وهنا يجب أن تفرق بين مدلول بعض الالفاظ فالشعب People هو مجموع الافراد الذين يعيشون داخل الحدود السياسية لدولة ما ، ويحملون تبعية هذه الدولة أو جنسيتها بالمعنى القانونى Nationality بينما الامة Nation لها مدلول اجتماعى ، اذ يقصد بها مجموع الافراد الذين ينضوون تحت قومية واحدة ، ويشعرون بأنهم قوم واحد لا عدة أقوام ، لذلك قد يضم الشعب الواحد عدة أمم ، أو قوميات كالشعب السوفيتى ، والشعب الكندى ، وقد تضم الامة أو القومية عدة شعوب كما هو الحال فى القومية العربية والقومية الالمانية ٠

وهذا يجرنا الى تعريف للقومية ، القومية ليس لها علاقة كبيرة بالجنس أو السلالة لاننا رأينا أنه لا توجد سلالة نقية تماما ، بل نجد كثيرا من القوميات والشعوب تضم سلالات ذات أصول مختلفة كما فى فرنسا ، الكلت والبحر المتوسط والنورد ، وفى ألمانيا والنورد والالبيين وغيرهم ٠ قد يقال اللغة هى عامل هام فى تكوين الامة لاشك لانها الوسيلة التىيستطيعون التفاهم بها ، والاعراب عن مثلهم وثقافتهم وأدبهم ، واختلاف اللغة يمنع السكان من فهم بعضهم بعضا ، لذلك تعتبر عنصرا هاما من عناصر تكوين القومية ، وان كانت هناك بعض الامم كالامة السويسرية التى استطاعت تكوين أمة واحدة ، رغم أن أهلها يتكلمون بأكثر من لسان كما ذكرنا ، كذلك لا يمكن أن نقول بأن جميع الشعوب التي تتكلم الانجليزية مثلا تدخل تحت نطاق قومية واحدة ٠

قد يقال الدين ، وقد استطاع فعلا أن يكون رابطة قوية ، في تقوية الشعور القومى لمدة طويلة من تاريخ حياة الانسان ، فقد استندت الحروب الصليبية ظاهريا الى العامل الدينى ، وكذلك كان الانشقاق بين الهندوس

والمسلمين في الهند ، شجع عليه وزاد من حدته الاستعمار البريطاني قبل خروجه من الهند ، ولكن الدين في الوقت الحاضر فقد أهميته بعد ظهـــور فكرة الاله الواحد ، بدلا من الآلهة المتعددة ، وبعـد التســامح الديني ٠ وبدأت المصالح الاقتصادية تتغلب على هذا العامل ، ولعل أبلغ مثـل، هو استقلال باكستان الشرقية عن الباكستان الغربية ، وتكوين دولة بنجلاديش رغم أنهما كانا يكونان دولة واحدة (باكستان) ، انفصلت عن الهند بعـد الحرب العالمية الثانية ، وكان أساس الانفصال هو العامل الديني ، حيث تسود الهندوكية الهند ، والاسلام الباكستان ٠

قد يقال التقاليد المتوازنة والعـادات الاجتماعيـة المشتركة ، ولـــكن الامريكيين الذين لاشك يعتزون بقوميتهم انحدروا من أمم مختلفة ، في حين أن الكنديين أو الاستراليين الــذين انحـــدروا في غالبيتهم من العنصر الانجليزي ، يكونون أمما منفصلة عن انجلترا ، ولها طابعها الخاص ٠

ومعني هذا ، أن الشعور القومي لا يشترط فيمن يعتقونه أن يكونـوا متحدي الجنس ، أو اللغة ، أو الدين ، أو التقاليد ، ولكن هذه جميعا لايجب أن ننكر آثارها منفردة ، أو مجتمعة في أذكاء الروح القومية ، فكلما توفر عنصر أو توفرت عناصر منها ، كانت بمثابة العمد التي توحد وتقوي هذا الشعور ٠ وتظهر الروح القومية بأجلى صورها وقت الازمات ، وبخاصـة حين المطالبة بالاستقلال أو الحرية ٠

القومية في الحقيقة هي شعور متبادل بين الافراد ، يجعلهم متأثرين في عواطفهم ، وسلوكهم بفكرة الولاء للوطن ما ، لانهم نبت أرض واحـدة ، ومصالحهم السياسية ، والاقتصادية ، وأمانيهم وآمالهم واحـدة ، يتأثرون بمؤثرات واحـدة ، (سواء في النكبات أو الافـراح) بصرف النظـر عن ميولهم الطائفية ، أو الدينية أو مصالحهم الفردية ٠

فالاحساس بالقومية بين أعضاء الجماعة هو احســاس عميق وليس بعقد سياسي بين أفراد هذه الجماعة ، هو اتحـــاد قلوب ما دام قد تحقق فلا يمكن أن يزول ، فالقومية لا تزول ولكن الدول يمكن أن تتغير ، وتتبدل بل وتزول ، هو شعور بالجماعة rofehtenress وقيمة هذه الجماعة وفضائلهـا ٠

والشعور القومى أو الوطنى يبعث في النفس شعورا بالفخر بذلك الوطن وانجازاته ، والايمان به ، وقد يؤدى هذا أحيانا الى الغلو والتطرف فى الوطنية chauvinism والخوف من الاجانب أو الغرباء Xenophobia ويساعد على وحدة الجماعة وانطلاقها في عمل جماعى سواء فى الداخل أحيانا ضد القوميات الاخرى أو خارجيا ضد الشعوب الاخرى ، لذلك كانت الدولة القومية أو التى تتمتع وتجانس قومى تتميز بتماسك كبير ٠

هذا وقد لعبت الاخطار والضغوط الخارجية دورا كبيرا فى تكوين القومية وتماسكها ، وهذا أمر معروف فى تاريخ انجلترا ، واسكتلندا ، وبولندا ، وفيتنام ، فتلك المعارك التي خاضتها هذه الشعوب ، وانتهت سواء بنصر أى هزيمة ساعدت على صهر الجميع فى بوتقة واحدة ٠

فهناك اتفاق بين الباحثين على أن أساس الحركة القومية الافريقية هى رد الفعل والوعي بالذات ضد الاستعمار الابيض ، يشترك فى هذا الكتاب الاجانب أو الافريقيين فالزعيم الافريقى Rithcle فى تحدثه عن القومية الافريقية يقول بأن افريقية تدين بالروح القومى للاستعمار الاوربى ، فهو الذى عبأ الشعور ، وخلق الوعي بالذات بين الافريقيين ، وجمع شتاتهم القبلى ، تحت هدف واحد ٠ وكقاعدة عامة أن الوعي بالذات وبالجماعة لا يبدأ جديا الا حين تجد الجماعة نفسها فجأة وجها لوجه أمام جماعة أجنبية مختلفة كل الاختلاف ، والمقاومات المبتكرة التى يسجلها تاريخ القارة لبعض القبائل ، أو لمجموعات قبلية هى أولى ارهاصات القومية ، مثل مقاومة قبائل داهومي والماتابيلى فى التسعينات ، وليس هذا عيبا على أية حال ، فكما يقرر الجغرافى البريطانى هالفورد ماكيندر أنه لم ينقل أوربا الوسيطة من مرحلة القبائل الى الشعوب ، ولم يخلق الشعور بالقومية ، والوعى بالذات ، الا الاخطار الخارجية الثلاثة التى أحدقت بشبه جزيرة أوربا ، التتار من الشرق ، الفيكنج من الغرب ، والعرب من الجنوب ٠

يجب في دراسة الجغرافية السياسية فهم التكوين القومى لان الحدود السياسية أحيانا تقتطع من قومية معينة وتلحقها بقومية أخرى فينشأ ما يعرف باسم الاقليات Minorities وهذه تنقسم الى أقليات قومية

National minorities أى تدخل فى تكوين القومية الاصلية فى الدولة ، كمجموعة الزنوج في الولايات المتحدة ، أو الاتراك في بلغاريا ، وهناك الاقليات غير القومية Anti Nationat Minorities أى التى لم تلتئم أو تنصهر مع القومية الاساسية ، وهم لا يعتبرون أنفسهم من العنصر الاساسى ، وهؤلاء يقسمون بالتالى الى تلك التى لا تجد أمامها الفرصة سانحة للانفصال عن القومية الاصلية ، أو لانها قانعة بما هي عليه ، وتلك التى تناضل للانفصال ٠ من أمثلة الاقليات القانعة الدانمركيين الذين يعيشون فى المانيا ، والاتراك فى اليونان ٠ ومن أمثلة غير القانعين الالمان فى بلجيكا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولندا ، والتشيك في المانيا ، والعرب فى اسرائيل ٠

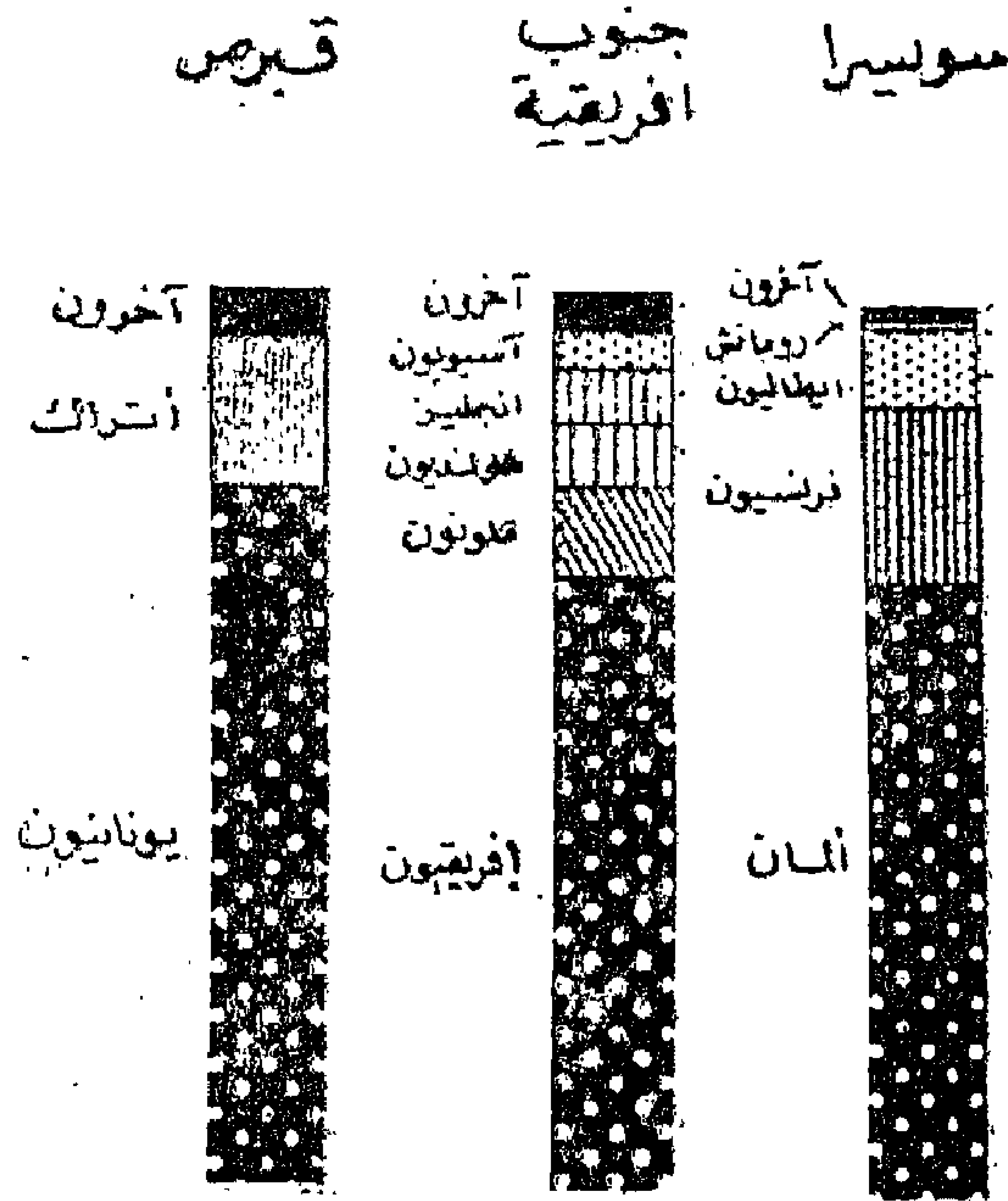
انواع الدول بحسب التركيب القومى :

النوع البسيط Simple : هو أكثرها شيوعا ، ويقصد بالبسيط البساطة النسبية ، لان الدولة تتكون من عناصر متعددة فعلا ، ولكن عملية المزج والتمثيل للعناصر المختلفة تمت منذ أمد طويل ، ويعتبر الفرنسيون مثلا لذلك ، فليس من شك أن هناك مركب من عناصر كلتية ونوردية ، بحر متوسط ولكنك لا تجد تنافرا بين الشعب الفرنى ٠ وكذلك الحال فى المصريين ، تحس أن الكل في واحد ٠

النوع الملتئم Segmented : وهذا يطلق عليه ملتئم وليس بسيطا ، نظرا لأنك يمكنك أن تميز المجموعات المتعددة ، ويلاحظ أن عملية التمثيل والهضم والوصول الى مرحلة النضج أو التركيب البسيط لم تصل اليها الامة بعد ، ولعل دول الامريكتين خير مثال لهذا النوع ، وكذلك السودان ، وايران ، والمملكة المتحدة ٠

التكوين المركب Complex : فهو فى الدول التى لم تنضج قوميا بعد ٠ فيمكن أن نقول بأن عناصرها مختلطة ، ولكنها لم تمتزج بعد ، لان كل منها يحتفظ بشخصيته ، وهذا مصدر ضعف للدولة ، كما فى تشيكوسلوفاكيا فعناصر التشيك والسلوفاك لم يلتئما بعد ، كذلك الحال

فى الاتــــراك واليونانيين فى قبرص ، والكروات والصرب وغيرهمـــا في يوغسلافيا ٠



شكل (٨) نماذج لانواع الدول من حيث التركيب القومي

هذا وكلما كان التكوين القومى للدول من النوع البسيط ، أى تتطابق فيه الدولة مع الامة أو القومية وتعرف فى هذه الحالة باسم الدولة القومية Nation state كانت أكثر ثباتا واستقرارا لان الدولة فى هذه الحالة هي التعبير السياسى الصحيح لامة أو قومية معينة ، ويعتبر هذا من عناصر قوتها ٠ وعلى العكس اذا كان التكوين المركب ، وتعددت الاقليـات ، فان القوى المعادية تحاول استغلالها لتفكيك الجبهة الداخلية ، وبالتالى اضعاف الدولة ، كمحاولات الالمـــان اســـتخدام الايرلنديين ، والبلجيك الفلمنك ، والروس الاوكرانيين أثناء الحرب العالمية الثانيـــة ، ويستندون فى دعواهم الى المبادىء العالمية المعروفة وهى الحــــرية والمســـاواة والاخــــاء "Liberte, Egalite, Fraternite," بين بني الانسان ، هذا فضـــلا عن الصراع الذى يقوم بين القوميات المختلفة ، وبالتالى يضعف من التــلاحم القومى ٠

أنواع الدول المركبة أو ذات المجتمعات المتعددة :

١ ـ دول تضم قوميتين متقاربتين بحيث لاتزيد احداهمـا على مثلى الاخرى ، فضلا عن مجموعات أخرى ذات نسب ضئيلة كما هو الحال في بلجيكا وتشيكوسلوفاكيا وكندا واتحاد ماليزيا ، ولا تظهر في أى من هذه الدول مجموعة ثالثة يمكن أن تحـدث توازنـا بين القوميتين الكبيرتين ، ويؤدى هذا الوضع الى درجة عالية من عدم الاستقرار الداخلى ٠

٢ ـ دول تضم قوميتين رئيستين ، ولكن واحدة منهما يقل حجمها من ثلث الاخرى ، وفى هذه الحالة من المتعذر على الاقلية أن تسبب اضطرابا للدولة ، وان كان يمكن أن تسبب مشـكلات سياسية بين الحين والحين ، كويلز فى المملكة المتحدة واقليـات الهنـود الأمريكيين في أمريكا اللاتينية بالنسبة لاغلبية المستيزو (المولدون) وجمهورية جنـوب افريقية وان كان المثل هنا صارخا حيث تتحكم الاقلية البيضاء فى الاغلبية الافريقية ٠

٣ ـ دول تضم ثلاث قوميات كبيرة أو أكثر بحيث لا يمكن لاى منها أن يكون أغلبية ، ويدخل ضمن هذه المجموعة يوغسلافيـا ، والهنـد ، والباكستان ، وايران ، وكثير من الدول الافريقية كنيجيريا ، وكينيا ٠

غير انه يلاحظ أن فى المجتمعات المتعددة Plural Societies التى ذكرناها قد لا تنشأ مشكلات سياسية ، ويعيش أفراد الشعب فى وئام كما هو الحال في سويسرا ، اذ يتوقف الامر على عدة أمور منها : ـ

١ ـ المستوى التعليمى الذى بلغه معظم افراد الشعب ، اذ يتناسب هذا المستوى عكسيا مع احتمالات الصراع ٠

٢ ـ تقل احتمالات الصراع كلما قلت الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين القوميات المختلفة ، اذ تزيد هذه الصراعـات اذا كانت تغطى فروقـات كبيرة فى مستويات المعيشة ، والنشاط الاقتصادى ، وقد عمل هذا الفارق على فصل المهاجرين الصينيين عن المواطنين الماليزيين والاندونيسيين وفصل البروتستانت عن الكاثوليك فى ايرلندا الشمالية ، والوطنيين عن الاوربيين في جنوب افريقية ٠

٣ _ تقوقع القومية جغرافيا ، ذلك أن الاقليات القومية تميل الى التجمع فى مكان واحد لوحدة اللغة والعادات والتقاليد ، وبالتالى ينشأ « الجيتو » الخاص بهم ، فيزداد الترابط بينهم ، والتباعد عن المجموعة أو المجموعات الاخرى ، (الاحياء الصينية فى جنوب شرقى آسيا _ الجيتو اليهودى في أوربا فى العصور الوسطى _ الاحياء الزنجية فى المدن الامريكية) ٠

خامسا : الموارد والقوى : Reources, Powe.

تعريف الموارد : عرف ستيفن جونز الموارد بأنها « كل ما تملكه الدولة أو يمكنها الحصول عليه لتنفيذ استراتيجيتها » ٠ وهو تعبير غير محدود كما نرى ولكننا سنحاول اعطاء أمثلة موضوعية لتقييم الموارد المفيدة لقوة الدولة ٠

لعله من الامور المستحيلة تقدير كفاءة السكان وتأثيرهم ، دون بحث ومناقشة الموارد التى بين أيديهم ، فلا بد للسكان من أرض يعيشون عليها ويزرعون فيها غلاتهم ، ويربون حيواناتهم ، وتنتج الارض معظم الغذاء الانسانى بطريق مباشر أو غير مباشر ٠

وتتوقف طبيعة التربة وسمكها على نوعها وعلى درجة انحدار الارض وغيرها من الامور التى تدرس في الجغرافية الاقتصادية ، ولذلك فيجب اعتبار التربة الصالحة للزراعة كأول مورد قومى يجب دراسته والعناية به ٠ وتوجد الثروة المعدنية فى الطبقات السفلي أى أسفل التربة ، في التكوينات الصخرية ، فهذه الصخور فى الحقيقة مكونة من معادن ، وبعض هذه المعادن ضرورى سواء للاستخدامات السلمية أو للاستخدامات الحربية ٠ وتشمل هذه المعادن الرمل والحصى والحجر الجيرى والطين وهذه الاشياء التى تبدو قليلة الاهمية لا غني عنها فى تشييد الابنية الضخمة والكبارى التى تراها ٠ كذلك تشمل الفوسفات والنترات والاملاح والكبريت وهذه لازمة للصناعات الكيماوية المختلفة وتدخل فى كثير من المنتجات الصناعية ، وكذلك تعتبر جميع موارد الوقود سواء سائلة أو صلبة ضمن هذه المعادن ، فجميع أنواع الفحم من الانتراسيت الى البيتومين واللجنيت واللبد النباتي

عبارة عن معادن « وكذلك الحال فى البترول والغاز الطبيعى الذى يعتبر بترولا فى حالة غازية ، من ثم كانت الخامات التي تشتق منها هذه المعادن ذات أهمية كبرى فى تقييم قوة الدولة ، لان الصناعة الحديثة والاسلحة الحديثة ، لا يمكن أن تقوم بغير الخامات المعدنية ، وتبدو بصفة خاصة أهمية خامات الحديد ، والخامات غير الحديدية كالالمنيوم ، والنحاس . والقصدير ، والزنك ، فضلا عن المعادن النادرة كالمنجنيز والكروم والفانديم والنيكل والليبدنم التى تستخدم فى تحسين خواص الصلب ، ولا ننسى المركز الاستراتيجي والسياسى الذى تبوأه اليورانيوم بعد الحرب العالمية الثانية • وعلى هذا الاساس تشعر الدولة ذات الاختياطيات البسيطة من الخامات المعدنية الضرورية يضعف مركزها •

وليس من شك أن القليل من المعادن ما يمكن استخدامه مباشرة ، أما معظمها فيحتاج الى صهر للخامات وتكسير ، وأحيانا الى شيء من التصنيع لجعلها صالحة للاستعمال • وأما الموارد التى يستلزم استغلالها مد الخطوط الحديدية وبناء المصاهر الضخمة مما قد يقتضى عدة سنين فهى لا تسعف في الحقيقة عند الضرورة العاجلة •

فاذا اتخذت السلطات المسئولة قرارا سياسيا معينا الآن ، فمعنى هذا أنها فى حاجة الي تدعيم مواردها الحالية لا فى المستقبل • أما الموارد التى تحتاج الى سنين لاستغلالها ، فهذه يمكن أن تعقد عليها مشروعات المستقبل، من ثم لابد من تكامل التخطيط والموارد ، ولا شك أن القرارات السياسية قد تؤجل حتى تصل الدولة الى مرحلة آمنة • من ثم لابد من تنمية الموارد وجعلها صالحة للاستخدام قبل أن تحسب ضمن عناصر القوة للدولة • وهذا يقتضى وجود شبكة من الطرق لجلب الخامات الى المصانع التي توجد فى أنسب المواقع • واذا كانت درجة النمو الصناعى للدولة كبيرة الاهمية فى وزنها السياسى ، فانه يجب الاشارة الى أن جميع الصناعات لا تعتبر بدورها من عناصر قوة الدولة ، أى تساعد هذه الدولة على فرض سياستها على دولة اخرى ، أو مقاومة سياسة دولة أخرى عليها ، ففى كثير من المجتمعات الثرية ، تجد أن المصانع تخرج سلعا كثيرة للاستهلاك الداخلى ،

وهذه السلع أهميتها بالتالى ضئيلة ، اذا نظرنا لها من جانب دراستنا ، فليس من شك أن كثرة السيارات تساعد على سرعة تنقل السكان فى الاتجاهات المختلفة ، ولكن ليس من الضرورى لتقوم بهذه العمليات ، أن تظهر عليها الكماليات ، التى نراها اليوم • مثل هذا المجتمع ليس من الضرورى أن يكون أكثر قوة من مجتمع آخر ، يأخذ نفسه بشىء من التقشف • فالاستهلاك المبذر ليس دليلا على قوة الدولة ، وانما يدل على وجود المصانع التى تقوم بعمل هذه الكماليات ، وان كان مصنع التلفزيون مثلا يمكن أن يتحول بعد شىء من الوقت والمال ، الى مصنع للمعدات الالكترونية ، كالمحولات والراديو وغيرها التى تضيف فعلا الى قوة الدولة •

وهنا تزيد أهمية المصنع وقيمته كلما كان تحوله الى انتاج المعدات الحربية أسرع • وقد قسم الاستاذ Stephen Jones. الموارد بحسب درجة تيسرها الى الاقسام الآتية :

١ ـ موارد ميسرة :

وموجودة فعلا وتشمل المناجم المستغلة فعلا والمصانع العاملة والتى تنتج السلع ذات القوة الفعالة كألواح الصلب والكيماويات •

٢ ـ موارد موجودة معطلة ولكنها فى حاجة الى تشغيل :

وتدخل فيها المناجم والمصانع التى لا تعمل فى انتاج السلع ، وتضيف قوة للدولة ، وتتراوح الفترة المطلوبة لاستغلالها بين عدة أيام وعدة أسابيع ، فمصنع صلب متكامل يحتاج الى عدة أسابيع قبل أن يبدأ انتاجه الفعلى •

٣ ـ موارد تتيسر ولكن بعد تحويلها :

كمصنع سيارات يمكن أن يتحول الى مصانع عربات مصفحة وجرارات ، ولكن هذا يأخذ شهورا لتغيير كثير من الآلات أو اضافة آلات جديدة محلها ، وينطبق هذا على انتاج كثير من مصانع السلع الاستهلاكية •

٤ — موارد تتيسر بعد شيء من التنمية :

كاستغلال حقول بترول أو رواسب خامات معروف وجودهـا ، ولكنها غير مستغلة فى الوقت الحاضر ، ولكن فتح مناجم جديدة واستغلالها لاشك يستغرق سنوات ، فاستغلال منجم للفحم ، وخاصة اذا كانت طبقاته بعيدة يحتاج الي ما يتراوح بين أربع وخمس سنوات · ومن ثم تؤخذ مثل هذه الموراد فى الاعتبار قبل اصدار القرارات السياسية : فقرار اعلان الحرب مثلا يأخذ بعين الاعتبار الموارد الميسرة بسرعة ، واذا كان هناك تقدير لحرب طويلة فيجب أيضا البدء باستغلال الموارد التى تأخذ وقتا طويلا قبل أن تسهم فى قوة الدولة · فمد الطرق الكبيرة كطريق بورما أو طريق آلاسكا عبارة عن زيادة فى الموارد ، وكانت ذات فائدة كبيرة أيام الحرب · كذلك استغلال المانيا لخاماتها من الفحم مثل آخر جيد للموارد وقت الحرب ، بل وكان شراؤها للنحاس فى واليابان استغلال موارد الغير لصالحها ·

٥ — موارد محتمل أو يفترض وجودها :

من الفحم والبترول وغيرها من المعادن وهذه لا يمكن الاعتماد عليها الا نتيجة أبحاث جديدة يمكن وضعها ضمن موارد القسم الرابع · · ·

٦ — وهناك نوع آخر من الموارد يختلف عن التي ذكرناها سابقا ، ففى بعض الاحيان تملك الدولة أرصدة لها فى الخارج كاستغلال لاموال لها فى دولة أجنبية ، وعادة ما تحاول الدولة الاحتفاظ به كأرصدة ، ولكنها قد تضحى به فى سبيل الحصول علي موارد ضرورية لها · فقد باعت بريطانيا مثلا أرصدتها الاجنبية في سبيل شراء موارد خلال الحربين الاولى والثانية · وكذلك باعت بعض القواعد لهـا فى الكاريبي فى سبيل شراء قاذفات قنابل كانت فى أشد الحاجة اليها عام ١٩٤٠ أكثر من حاجتهـا لمساحات صغيرة من الارض فى جزر الهند الغربية · وهـذا النـوع من الموارد يطلق عليها رصيد Far كالارصدة العربية فى الولايات المتحدة الامريكية وأوربا ، التى نادى البعض باستعمالها في الحرب ضد لسرائيل وخاصة الدولار ، ذلك أن يمكن للدول التى تحتفظ برصيد ضخم من الدولار

أن تبيعه بعملات أخـــرى ، من ثم يصبح الدولار عملة غير مرغـوبة . وبالتالى يتدهور سعره على حين ترتفع قيمة العملات الاخرى مما يحدث ارتباكا للاقتصاد الامريكى . وهناك مورد آخر يطلق عليه الفاقد Slack وهو الاستخدام الكامل الموارد وينطبق هذا بصفة خاصـــة على عنصر العمل ، ويمكن بتشغيل المصنع مدة الاربع وعشرين ساعة التى يعملها فى الاسبوع ، وذلك بزيادة عدد الورديات Shifts وهذا ما يحدث فعلا وقت الحرب لتعويض العمال الذين ذهبوا للخدمة العسكرية .

وتعتبر قدرة الدولة على التغيير السريع من الانتـاج غير الضرورى الى الانتاج الضرورى دليلا على مرونة اقتصادها ، ولا يقتصر هذا التغيير على المصانع بل يتعداه الى الارض بتحويلها من مراعى الى أرض زراعية . وأخيرا يجب أن نشير الى نوعية الانتـاج فى حالات الضرورة والطوارىء فهل يستمر الانتاج فى هذه الفترة كما كان قبلها ؟ وهل تزداد سـاعات العمل دون أن يصيب العمل بعض الاهمال ويصاب العمال والآلات بالانهاك ؟ الواقع أن الانتاج يقل نوعه ، وينخفض مستواه ، نتيجـة هذه الظـروف الطارئة ، وهذا بدوره من الامور التى يجب عمـــل حسابهــا فى تقدير امكانيات الدولة .

الموارد الغذائية :

يعتبر توفير قدر مناسب من الموارد الغذائية للشعب من الامور الاولية التي تعنى بها الحكومات . واذا كانت الموارد الغذائية غير كافية ابـان السلم فأولى بها ألا تكفى السكان وقت الحرب ، وعندما يصعب النقل وتقل المعاملات الخارجية ويتحول جزء من الايدى العاملة المنتجة لها الى الانتاج الحربى . وفى هذا المجال لابد من الاشـــارة الي أنه لا توجد دولة ذات اكتفاء ذاتى فى المواد الغذائية ، لانه لا توجد دولة كبيرة بالدرجـــة التى يتوفر فيها تنوع كبير في البيئات ، مما ينتج عنه تنوع نمط المـــوارد ، الغذائية التى تطلبها كلها .

وتعتبر فرنسا والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى فى هذا المجال أحسن من غيرها من حيث الاكتفاء الذاتى ، ومع هذا فليس منهـــا

ما ينتج غلات المنطقة الاستوائية · فقصب السكر ليس من الغلات الرئيسية فى أى من لاقطار الثلاثة وان كان يزرع فى اثنين منها بصعوبة وبتكاليف كبيرة · ولكن يمكن لهذه الوحـدات أن تعيش فى اكتفـاء ذاتى لفترة من الزمن وقت الضرورة ، وان كان معنى هذا أن الطعام فى هذه الفترة سيصبح رتيبا ، فضلا عن ضرورة ظهور البطاقات التموينية ، وعلي عكس الـدول الثلاث السابقة نجد المملكة المتحدة والسـويد والنرويج وبلجيكا وألمـانيا الغربية تعتمد كلها على الخارج فى احتياجاتها الغذائية · ذلك أن المملكة المتحدة تستورد نحو نصف مجموع استهلاكها من الموارد الغذائية ، قـد يزيد الانتاج بعض الشىء فى هذه الفترات ، ولكن هذا لا يتم الا بفلاحـة الاراضى الحدية ، والتى يجب أن تترك بضع سـنوات لتعـود الى المراعي الطبيعية · ويتميز كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحـدة الامريكية بوجود أراضى فسيحة لاتساع مساحـة الاراضى الزراعية وامكان زيـادة الانتاج الزراعى · وهذه الاراضى هى المعروفة باسم الاراضى العـذراء · ولكن هذا لا يمكن تطبيقه علي بقية اقطار العالم ، فمعظمهـا ليس لديه فائض من الاراضى بهذه الصورة ، واذا وجد فان الظروف المناخية وظروف التربة تحد الانتاج فيه ·

ويجب أن نعترف بأن اعتماد أقطار العالم بدرجـة أو أخرى على استيراد المواد الغذائية من العوامل التى تحسب على الدولة لا للـدولة ، ذلك أن الحصار المستمر الناجح يمكن أن يمنع عن هذه الاقطـار المـدد الغذائى ، وقد حدث هذا فعلا أثناء الحروب الاخيرة ففى الحـرب العالمية الاولي استطاعت الغواصات الالمانية تقليل الامدادات الغذائية الى بريطانيا حتى كادت تشرف على مجاعة ، وكان هذا الحصار أقل حده فى الحـرب العالمية الثانية ، ذلك أن الطيران أمكنه حماية قوافل البحرية بدرجة كبيرة ، وعلى العكس أصبح من أهم أهداف الحلفاء قطع الامدادات عن ألمانيـا · والامثلة كثيرة على عمليات الحصار ، ومنها الحصار الذى فرضته بريطانيا علي القارة أيام الحروب النابأولينية ، ولكن القارة فى ذلك الوقت كانت أقرب الى الاكتفاء الذاتى بحيث لم أيؤثر هذا الحصار فيها كثيرا ، بل على

العكس شجع هذا الحصار زراعة البنجر ليحل محل القصب كمادة خام لصناعة السكر الذى أصبح من المتعذر انتاجه • ولعل المملكة المتحدة هى اكثر دول القارة تأثرا بالحصار ، وذلك بحكم كونها مستوردة لجزء كبير من مواردها الغذائية ، وبحكم موقعها الجزرى ، واحاطتها بالبحار • مما يجعل من الخطورة بمكان حصارها بواسطة أسطول قوى • وعلي العكس الاتحاد السوفيتي يعتبر أقلها تأثرا بالحصار بسبب اتساعه وتنوع بيئته من ناحية ، وامتداد حدوده امتدادا كبيرا مما يضعف من عملية الحصار • ويعطى الجدول التالى فكرة عن مدى اعتماد بعض الدول على المستورد من المواد الغذائية •

قيمة المستورد للفرد من المواد الغذائية بالدولار في بعض الاقطار
(عـــام ١٩٧٩)

المملكة المتحدة	٧٢	فرنسا	٢٥
بلجيكا	٣٧	اليابان	١٤
ألمانيا الغربية	٤٥	مصر	٥
السويـــد	٣٤	اليونان	٤
النمســـا	٢٩	الولايات المتحدة الامريكية	٤ر٢
فنلنـــدا	٢١	ايطاليا	٤ر٠

الموارد المعدنية :

لا توجد دولة الا وفيها جزء صالح للزراعة ، ولا توجد دولة (باستثناء الدول القزمية) لا تنتج ما يقرب من نصف احتياجاتها الغذائية ، غير أن الامر يختلف بالنسبة للموارد المعدنية : فتوزيعها اقل انتظامـــا بكثير من توزيع الاراضى الزراعية • فقد كانت الطبيعة متطرفة للغاية فى توزيعها لهذه الموارد فى قشرة الارض ، فلا توجد دولة على الاطلاق لديها اكتفاء ذاتى • فاذا كان الحديد منتشر انتشارا كبيرا فان معظم انتاج النيكل يخرج من ثلاث دول فقط (٨٧٪) من كندا ونيوكليدونيا وروسيا ، بينما تنتج الولايات المتحدة وحدها ٨٩٪ من انتاج المولبيدنم ، كما تنتج ٩٠٪ من الفناديم ،

وتنتج الصين وحدها ٥٥٪ من التنجستن (الولفرام) وتنتج ٥ دول ٨٠ ٪ من الانتاج العالمي للمنجنيز ، وهى الاتحاد السوفيتى والهند والبرازيل جنوب افريقية وغانا ٠ من ثم كان هناك تبادل كبير فى هذه المعادن أو تجارة عظيمة سواء فى معادن الوقود أو المعادن الفلزية ٠ ويختلف الموقف بالنسبة للمواد المعدنية من عدة نواحى عن الموقف بالنسبة للمواد الغذائية :

فأولا : الارض اذا ما وجدت العناية والتسميد الكافى ستستمر فى الانتاج دون تغيرات كبيرة ، علي العكس نجد أن المناجم فانية مستهلكة ، وأى تكوينات معدنية اذا استمر استهلاكها فبعد مدة من الزمن لابد وأن تفنى ، وهذا العامل لابد وأن يعطى هذا النوع من الموارد صفة عدم الثبات والاستقرار ، وتصبح هناك حاجة ملحة لاستمرار البحث عن المعادن ٠

ثانيا : أن المواد الغذائية نفسها تتعرض للتلف ، حقيقة أن القمح والحبوب الاخرى يمكن تخزينها لعدة سنوات ، ولكن هذا يقتضى درجات حرارة ورطوبة معينة الى جانب حماية من الحشرات والقوارض ٠ وعلى العكس يمكن تكديس المعادن فوق بعضها ومعظمها لن يصيبه ضرر اذا ما ترك مكشوفا معرضا للاحوال الجوية ، هذان العاملان يعدلان لاشك فى قيمة الموارد المعدنية ٠

واذا كانت الامكانات الزراعية تتوقف علي نوع التربة والظروف المناخية ، فان الامكانات التعدينية تتوقف على نوع الصخور ، وليس لها علاقة بالمناخ الحالى ٠ وبينما يعمل نحو نصف القوى العاملة فى العالم بالانتاج الزراعى ، فان من يعملون فى التعدين نسبتهم قليلة حتي فى الدول التى تعتمد علي التعدين بصورة كبيرة مثل ليبيا ، وفنزويلا ، وجنوب افريقية ، ويحتاج التعدين الى استثمارات ضخمة وعدد قليل من الكفاءات الممتازة التي تتقاضى أجورا مرتفعة ، ويمكن أن نضيف أيضا أن التعدين تقوم به شركات ضخمة ، وأحيانا متعددة الجنسية Multinational وأحيانا تقوم به الدولة فى ظل التأميم ، ولا مجال فيها للمشروعات الصغيرة أو للهواه ٠ وتستهلك الدول النامية والمتقدمة الحاصلات النباتية غذائية

أو خامات بصورة لا نقول متعادلة ولكنها متفاوتة ولكن ٩٠٪ من استهلاك المعادن من نصيب الدول المتقدمة وحدهـا والتى تضم نحو ٣٠٪ فقط من سكان العالم ، ولذلك تبدو حساسية المعـادن من الناحية الاستراتيجية عن الانتاج الزراعى ٠

وأخيرا يمكن أن نذكر أن امكانات العالم الزراعية أصبحت معروفة ، وان كان التقدم التكنولوجى قد يأتى بجديد ، ولكن قشرة الارض وما تحت الطبقات السطحية لم تتم دراسته بالكامل ، وكل يوم يأتى بجديد وغريب فى ميادين التعدين لبيبا : البترول ، النيجر : اليورانيوم فضلا عن الامكانات التعدينية الضخمة للاتحـاد السوفيتى الآسيوى التى ظهرت بعد الحـرب الثانية وبترول بحر الشمال بالنسبة لبريطانيا ٠

موارد الوقـود :

وهذه أكثر انتشارا فى توزيعها (سـواء البترول أو الفحم بأنواعه أو الغاز) عن بقية المعادن الفلزية ، ومع هذا نجد أن أكثر من مائـة دولة مستقلة ليست لديها تكوينات فحمية ، وهنـاك ثمانون دولة غير منتجـة للبترول فهناك ستة أقطار منتجة لنحو ٨٢٪ من فحم العالم وخمسة أقطـار منتجة ٧٦٪ من بترول ، وهذا لاشـك له آثاره الكبيرة على الاقطـار غير المنتجة لمواد الوقود ٠

قد يؤدى هذا الى تنمية موارد أخرى للوقود عادة بتكاليف باهظة أو باستيراد وقود من الخارج ، وبالتـالى الاعتمـاد الكبير على الخـارج فيما يختص بمواد حيوية كهذه ٠ والاقطار الوحيـدة التى يمكن أن تعتمد على مواردها الفحمية المحلية هى الولايات المتحدة الامريكية والاتحـاد السوفيتي والملكة المتحدة والمانيا الغربية وبولنـدا ٠ وعلى الطرف الآخر نجد الدول الاسكندنافية وجمهورية أيرلند وأقطـار الشرق العربى ومعظم أفريقية وأمريكا الجنوبية تقل فيها التكوينات الفحمية ، وهناك دول وسـط بين الطرفين كفرنسا التى ينقصها بعض أنواع الفحم ٠ وقد اتجهت بعض الاقطار الى تنمية مواردهـا من الطاقـة الكهربائية المائية كبديل للنقص فى موارد الوقود الاخرى ، وظهر هـذا فى الاقطـار القليلة الموارد الفحمية كسويسرا والنمسا وايطاليا وفرنسا والاقطار الاسكندنافية ٠

وفيما يختص بالبترول نجد أن أى تقدير لكمياته واحتياطاته عرضة للتغير من حين الى حين مع تقدم وزيادة الابحاث البترولية • واذا كان من المرجح وجود احتياطات كبيرة بالقرب من سلاسل الروكى والانديز فى العالم الجديد ، وأطلس والكربات والقوقاز وأورال وزاجروس فضلا عن جنوب شرق أسيا ، فان هناك مساحات كبيرة فقيرة فى هذا المورد كافريقية جنوب الصحراء والنصف الشرقى من أمريكا الشمالية ومعظم البرازيل فضلا عن القارة الاوربية ذات التكوينات البترولية القليلة ، من ثم كانت التجارة الدولية فى البترول ومشتقاته على درجة كبيرة من الاهمية ان لم تكن أكثر أهمية من تجارة الفحم ، والعالم العربى والبحر الكاريبى هي أقاليم التصدير الرئيسية ، بينما تعتمد أقطار غرب أوربا اعتمادا كبيرا على بترول هذه الاقاليم ، كما بدأت الولايات المتحدة الامريكية بدورها تستورد من بترول المنطقة • وذلك للاحتفاظ برصيدها البترولى الذى طالما استهلكت منه الكثير • ونظرا لان البترول مادة استراتيجية ضرورية للنقل والصناعة ، أصبح وضع الدولة البترولي من العوامل التى توضع فى الاعتبار ، ولعل أبلغ مثل يوضح هذه الحالة هو أزمة السويس وتعطيل خطوط الانابيب فى سوريا عام ١٩٥٦ ، مما أدى الى ظهور نقص خطير فى وقود أوربا • وأزمة البترول فى الحرب العربية الاسرائيلية بعد ٦ اكتوبر ١٩٧٣ وتخفيض الدول العربية لانتاجها من البترول ، بل ومنع بترولها عن الدول المساندة لاسرائيل مما أسفر عنه فزع أوربا وأمريكا الشمالية ، حتى أن هولندا نفسها ، التى قامت بتأييد اسرائيل رسميا فى بداية الحرب ، عادت تتراجع وترسل ممثليها الى الدول العربية ، بل واجتمعت دول السوق المشتركة وأيدت قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ بانسحاب العدوان الاسرائيلى الي خطوط ١٩٦٧ ، فالبترول العربى يسد نحو ٨٠٪ من احتياجات هولندا ، فرنسا وألمانيا ، وبلجيكا ، ونحو ٩٠٪ من احتياجات سويسرا والبرتغال ونحو ٥٠٪ من احتياجات السويد والنرويج و ٨٥٪ من احتياجات ايطاليا واسبانيا • واذا كانت الطاقة الذرية قد بدأت تدخل الميدان الصناعى ، فانها ما زالت على نطاق ضيق ، وتقتصر على بضعة دول ، لعل أهمهاق الولايات المتحدة ، والمملكة المتحدة والاتحاد السوفيتي • حيث تقتصر على الاستخدامات التكنولوجية ، وقامت المنظمة الاوربية للطاقة الذرية .Euratom من أجل التعاون فى هذه الاستخدامات •

(ب) المعادن الاستراتيجية :

وهى تلك المعادن التى تشتد اليها الحاجة في الاغراض الاساسية زمن الحرب ، والتى لا تضمن الدولة توفرها بكميـــات وانواع كافية فى وقت الحاجة لسبب من الاسباب ، ومن ثم يتحتم الاحتفاظ باحتياطي مسبق منها . وتأتى هذه المعادن الاستراتيجية فى الدرجة الثانية بعد مواد الوقـــود ، ولسنا فى حاجة هنا الى تأكيد استراتيجية معـادن كالصلب والنحـــاس والالمنيوم والزنك والرصاص والمنجنيز والنيكل ، اذ تشتد اليها الحاجـــة وقت الحرب بكميات كبيرة لصناعة المعدات الحربية . وضياع هذه الموارد وقت الحرب ، معناه خسارة كبيرة ، وخطيرة ، للجانب الـذى فقدهـــا ، فاستيلاء اليابان على قصدير الملايو ، وقطع الالمان لموارد الحديد الخـــام السويدى ، كذلك وقوع مناجم الزئبق فى ايطاليا ، ويوغسلافيا ، فى أيدى المحور كان له نتائجه الخطيرة علي الحلفاء أثناء الحرب الثانية . ولاهمية هذه الموارد الاستراتيجية يعتقد البعض أن عمل ميزان لهذه الموارد بين كل من الاتحاد السوفيتى والكتلة الغربية قد يكون له قيمته فى تقدير كل من القوتين ويكون مفتاحا للمستقبل .

ولا ننسى أن هناك عامل يتدخل فى الندرة النسبية للمعـــادن ، وهو استعمال الخردة ، فقد يكون جمع هذه الخردة أثناء السلم واعادة صهرها اكثر تكلفة بكثير من استيراد المعدن من الخارج ، ولكن هذه الخردة التى يلقى بها بعيدا خارج حدود المدن ، تصبح أهميتها كبيرة وقت الحرب .

المواد الصناعية :

يعتبر النمو الصناعى للدولة دليلا وسببا لقوتها ، فكل القوى العالمية الكبرى اليوم هى قوى صناعية ، ولا يمكن لاى سيـاسة سواء دفـاعية أو هجومية أن تكون ذات أثر اذا لم تساندها قدرة على تصـنيع الات الحرب فالامبراطورية البريطانية قبل الحرب العالمية الاولي بنيت كما يقول Keynes أساسا على الفحم والحديد ، أكثر منها على الدم والحديد . وعلى أساس المهارة الكبيرة فى استغلال موارد الزهر فى سيليزيا العليا والسار مما أدى الي قيام صناعات الصلب ، والصناعات الكيماوية ، والكهربائية ،

وهذا ما جعل المانيا فى النهاية أول أمة صناعية على أرض القارة ٠

ولقد عرفت الدول المختلفة اليوم أن طريقها الى القوة السياسية هو طريق التصنيع ، وان كانت تنتكب الطريق أحيانا فى أنسب الانواع ملائمة لظروفها ، ذلك أن استعمال الآلات يزيد من انتاج العامل ، وبالتالى سيزيد انتاج الامة بزيادة انتاج عمالها ، فاذا افترضنا أمتين متعادلتين سكانيا ، ولكن تتميز احدهما بانها أكثر تصنيعا ، فليس من شك أنها ستكون أقوى سياسيا من زميلتها ، وكلما تعددت صناعات الدولة ، كلما قل اعتمادها علي الخارج ، واذا كانت الموارد الصناعية جميعا ، مما يفيد الدولة ويقويها ، فان هناك بعض الصناعات الاستراتيجية التى تعطى الدولة أهمية خاصة وهذه يمكن اجمالها فى ست صناعات وهى : صهر المعادن وتنقيتها ، الصناعات الهندسية كصناعة محركات الطائرات ، والسيارات والالكترونيات والصناعات الكيماوية بما فيها صناعة المتفجرات ، والصواريخ النووية ، والاسمدة ، والاسمنت ، والاجهزة الكهربائية ، ثم صناعة المنسوجات ، والصناعات الغذائية ٠

واذا نظرنا للدولة الصناعية الكبرى لوجدنا فيها تعادلا بين هذه الصناعات سواء كانت المانيا الغربية ، أو بريطانيا ، أو الولايات المتحدة الامريكية ، بل ويظهر فيها أحيانا فائض كبير يزيد على حاجة الاستهلاك المحلي ، فتذهب للتصدير ، وبذلك تزيد الصناعة من رصيد الدولة ٠

أما الدول النامية ، فمن مشكلاتها ، ومؤشرات تخلفها ، أن الصناعة فيها لا تشترك الا بقدر محدود في الانتاج الحربى والعمالة ، يكفى مثلا أن نقول بأن $\frac{1}{2}$ السلع المصنوعة ونسبة أقل من هذا بالنسبة لصادراتها تخرج من الدول النامية ، فلا تسهم الصناعة الا بما يتراوح من ١٠٪ من الانتاج القومى لمعظم الدول الافريقية ، ومن ١٥ الى ٢٠٪ لكثير من الدول الآسيوية ٠

وتتمثل عقبات التصنيع أمامها فى نقص المواد الخام اللازمة للتصنيع ، ولكن الاهم من هذا هو نقص المعرفة الفنية ، التخلف التكنولوجى ، ومهارة العمالة ، والتمويل ، وان كانت هذه أمور يمكن التغلب عليها ، ثم هناك

أيضا حجم السوق الذى لا يتفق أحيانا والانتاج الكبير ، ففي افريقية مثلا لا توجد سوى أربع دول يزيد عدد سكانها على ٢٠ مليون نسمة ٠ وتخلق هذا السوق المحدودة ، صراعا بين الحد الادنى والحد الامثل للمشروعات ٠ أما عن الاستثمارات ، فقد بدأت الدول الصناعية القديمة تتحـــرك ببعض مشروعاتها فى الدول النامية لرخص الايـــدى العاملة هنـــاك ، كشركة فولكس فاجن فى البرازيل ، وكثير من الشركات الامريكية فى كوريا الخ٠٠٠

أما عن طـريق التصنيع فمن الـــدول النامية ما يتجه مباشرة الي الصناعات الثقيلة كما فعلت الهند حينمـــا بدأت تتبع طـريق التخطيط ، وأعطت هذا الفرع أهمية خاصة منذ خطتها الخمسينية الثانية ١٩٥٦/٦١ ، على اعتبار أن الهند بعدد سكانها الضخم مستهلك لحجم ضخم من السلع الاستهلاكية ، ومن أجل توفيرها محليا لابد من تصنيعها محليا ٠

وأصبح فى الهند قطـاع الصـــناعة الثقيلة كالحـــديد والصـلب والصناعات الهندسية ، وبناء السفن من اختصـــاص الدولة ، والبعض الآخر مشترك بين الدولة والقطاع الخـاص ، والبـاقى وهو الصنـاعـات الاستهلاكية فقد تركت للقطاع الخاص ، كذلك الحـال فى التجربة الصينية للصناعة ، اتجهت فى خطتها الي توجيه ٩٠٪ من استثماراتها الصناعية نحو الصناعـات الثقيلة ، وإن كانت الصين فى تجربتهـا اتجهت نحـو استغلال كثافة الايدى العاملة فيها لتحل محل نقص رأس المال ٠

ولكن هناك صعوبات تتحدى الدول النامية في ميدان الصناعات الثقيلة منهـا :

١ ـ أنها أمر يحتاج الى مدة طويلة قد تصل الى عقدين أو مـا يزيد ، وفى هذه الفترة ستكون الدولة عرضة للمؤامرات السياسية خارجية وداخلية ويصبح العبء كبيرا على القيادة السياسية ٠

٢ ـ من يريد اللحاق بالدولة المتقدمة عليه أن يطارد هدفا متحركا ، فسرعة الانجازات التكنولوجية أصبحت مذهلة ٠

٣ ـ سيطرة الدولة المتقدمة علي نظام النقد الدولى والاقتصاد العالمى ـ

هذا وتتجه بعض الاقطار الي الصناعات التى تحتاج الى خامات قليلة نسبيا وتوجه الى التصدير أكثر من الاستهلاك المحلى ، كما هو الحال في هونج كونج ، وكوريا، وتايوان ، حيث تقدمت صناعة اللعب ، المنسوجات والملابس الجاهزة ، والسلع الكهربائية ·

سادسا : النقل :

ان تقدم وسائل النقل من الامور الضرورية لنقل الخامات الى المصانع ولتوزيع الانتاج على مناطق الاستهلاك ، وكذلك يتعذر الدفاع والهجوم ، ان لم تكن هناك وسائل سريعة للنقل تتحرك عليها الجيوش والادوات الحربية من مكان الى آخر ، بل هناك الطرق الاستراتيجية ، وتظهر هذه الحاجة الي أدوات النقل فى عمليات مد الخطوط الحديدية من الهند الى الهمالايا ، واحتفاظ حكومة الولايات المتحدة بعدد كبير من عربات السكك الحديدية لنقل القوات من مكان الى آخر ·

وهناك مظهران للنقل يستحقان النظر ، أولهما خارجى ويتعلق بالوصول الي الموارد الخارجية ، وهذا يقتضى استعمال السفن ، والموانى ، والقنوات ، والآخر يتعلق بوسائل النقل الخارجية ·

ويعتبر مد الخطوط الحديدية أو الطرق من العوامل التى تساعد على الوحدة القومية لانها تربط سكان الامة بعضهم ببعض ، وتمتلك معظم الدول شبكات من الطرق أو الخطوط الحديدية ، تشع من العاصمة الى الاطراف فى فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفيتى وغيرها ، بل أن نمو اتحاد الولايات الاسترالية ، والولايات الكندية كان يأتي بعد مد الخطوط الحديدية · وتقوم الصين الان ببرنامج لربط البلاد بالخطوط الحديدية ، كذلك عملت الثورة الروسية على ازدوج الخط الحديدى السيبيرى الذى مد قبل الثورة ، ثم خرجت من هذا الخط خطوط فرعية متعددة ، ويمكن أيضا أن نغزو فكرة سيبل رودس فى مد خط حديد القاهرة - الكاب الي حلمه بسيادة بريطانيا على كل افريقية ·

هذا ويدعم الشبكات الحديدية شكات الطرق البرية والمجارى المائية ،

وان كانت الطرق فى الحقيقة أكثر مرونة من الخطوط الحديدية ، فيمكن أن تمد فى مناطق أشد انحدارا ، كما أنها أقل تكاليفا ، وأسرع انشاء ، ولذلك تظهر أهميتها اذا لم تكن الحركة كبيرة تبرر مد الخط الحديدى ، أو كانت طبيعة الارض مما لا يسمح بمد الخط الحديدى ، ومع ذلك ففى كثير من الاحيان لا تكون الطرق مكملة للطرق للسكك الحديدية ، بل موازية لها ٠

وأما النقل المائي فهو أيضا من النقل البرى ولكنه أرخص ، ومن ثم تناسبه الحمولات الكبيرة الحجم القليلة السعر ، ويصلح النقل المائى بطبيعة الحال فى الاجزاء الصالحة فى النهر للملاحة وفى البحيرات الداخلية ومن ثم كان انشاء القنوات التى تيسر النقل سواء لتفادى مناطق الشلالات و لاختصار الطرق ، من الامور المألوفة في الدول المتقدمة ، ولعل الشبكات المائية العديدة التى تربط بين أنهار روسيا ، وكذلك بحيرات وأنهار الولايات المتحدة الامريكية مثل حى لما يقدمه النقل المائى الجيد من خدمات لاقتصاد الدولة ٠

المنظور السياسى لاقتصاديات الاقليم :

يختلف اهتمام الجغرافى السياسى بهذا الجانب الجغرافى عن زميلهالجغرافى الاقتصادى ، فالجغرافى السياسى ، يهتم بالمغزى السياسى للتركيب الاقتصادى للدولة ٠ وكيفية اختلاف هذا المغزى فى الزمان والمكان ، ودور السياسات المختلفة فى تغيير المركب الاقتصادى ٠ وبهذا فلا تداخل بين الاثنين وانما يكملان بعضهما،ونضرب مثلا بالسكك الحديدية التى مدتمندار السلامفيتنزنيا الي مناجم النحاس فى نودولاوكهتوى فى زامبيا ، فالجغرافى الاقتصادى سوف يتركز اهتمامه على أثار السكك الحديدية فى تنشيط المناطق التى يمر بها من الناحية الاقتصادية ، كزيادة الانتاج الزراعى ، وأثر زيادة الحركة علي طاقة وتركيب مرفق دار السلام ، ولكن الجغرافى السياسى سيركز اهتماماته على أثر هذا الخط على العلاقات السياسية بين افريقية الوسطى والجنوبية ، وقلة اعتماد زامبيا على الطرق المتجهة عبر روديسيا ، وأنجولا ، وزيادة امكانات الاتصال بين بتسوانا ، والدول الافريقية شمال الزمبيزى

وزيادة التقارب بين زامبيا وتنزانيا ، مما قد يكون له اثـاره على السوق المشتركة لشرق افريقية ، ثم أخيرا الدور المحتمل للصين فى هذا الاقليم على اعتبار أنها مولت ونفذت المشروع ٠

ويضع الجغرافى السياسى عدة اتجـاهـات رئيسيـة لفحص المركب الاقتصادى للدولة :

أولها : التركيب الاقتصادى : Economic Structure

بمعنى التعرف على القطاعات الاقتصادية المختلفة ، **ومـدى التوازن** وعدمه بينها مثـل قطاع الزراعة والصيد ، وقطـاع الصـناعة ، وقطـاع الخدمات ، ومن هذه الدراسة يمكن أن يخرج بفكرة عن قوة الدولة ، ودرجة الكفاية الذاتية ، واستقرارها الاقتصادى ، فمن الواضح مثلا أن نيجيريـا بانتاجها المتنوع من المواد الاولية (القطن ـ الكاكاو ـ المطاط ـ الاخشاب ـ الفول السودانى ـ القصدير ـ زيت النخيل ـ البترول) موقفها الاقتصادى أكثر قوة من غمبيا التى تعتمد على صادرات الفول السودانى وحدها ، وأن الولايات المتحدة الامريكية يمكن أن تواجه قطع الامدادات البتروليـة ، أو النقص فيها بصورة أكثر من اليابان ٠

وثانيهما : هو التعرف على التركيب الاقليمي : Regional structure

بمعنى التركيب الاقليمى للانشطة المختلفة ، لتمييز الاقاليم المتقدمة ، والاقل تقدما داخل الدولة ، وقـد يكون فى هـذا تفسير لبعض الحركـات الانفصالية ، ولتفسير لاعادة توطين النشاطات الاقتصادية ٠

وترجع الاختلافات الاقليمية الى مجموعة من الاسباب قد يكون منها اختلاف الموارد المتاحة بين أقاليم الدولة المختلفة ، ويمكن أن نضرب مثلا بوادى النيل والدلتا والصحراء الغربية ، حوض باريس وهضبة فرنسـا الوسطى ٠ وقد يرجع الاختلاف الى تغير طبيعة الموارد أو نمط انتاجهـا ، ونضرب مثلا بحقول البترول ، أو تعدين المناجم ، بصفة عامة ، حين ينضب المعين فيتوقف انتاجها ، وينفض الناس من حولها الي نشاطات أخرى ، وقد يهاجرون نهائيا اذا لم يجدوا مجالا لنشاطهم فتتحول مدينة التعدين الى مدينة أشباح ٠

لهذه الاسباب وغيرها يجب أن تدخل الاختلافات في التقدم الاقتصادى بين أرجاء الدولة فى الاعتبار عند الدراسة السياسية ، ومن المسلم بـه أن الحكومة تحاول أن تقلل من هذه الفروقات عندما تجد أنها ستشكل خطرا سياسيا ، وهناك عدة أوضاع تؤدى الى ضرورة الاهتمام السياسى وهى :

عندما تزداد حالة الاقليم المتخلف سوءا ، وهذا له مؤشراته العديدة ، مثل انخفاض متوسط دخل الفرد فى الاقليم بصورة حادة عن المتوسط العام فى الدولة ، وعندما تزداد نسبة البطالة فيه بصورة أكبر عن نسبتها في الدولة ، ومنها هجرة الشباب من الاقليم الى جهات أخرى بحثا عن فرص أفضل ، مما يؤدى فى النهاية الى تركيب اجتماعى في الاقليم عماده كبار السن والاطفال • ويبدو أيضا فى مثل هـذا الاقليم قلة الاستثمارات والمبانى الحديثة عنها في الاقاليم الاخرى الاكثر تقدما ، ودرجة المخاطرة هنا أن مثل هذا الاقليم ستعتبر نواية عدم رضاء ، وبؤرة معارضة قد تؤدى الى المطالبة بحكم ذاتى ، أو الانفصال كما حـدث فى بنجـلادش (باكستان الشرقية) :

وعلى العكس أيضا اذا بلغ الاقليم درجة عالية من التنمية والثـراء اذا ما قورن ، ببعض أجزاء الدولة ، وهذا ما حدث في (شابا) فى زائير حيث النحاس والذهب ، والاقليم الشرقى أو بيافرا فى نيجيريا (تدفق البترول) ، وكلاهما نجح فى اثارة الاضطراب ، والانفصال لفترة ، وأدى اذا الى قيام حرب أهلية ، لاشك عاقت التنمية فى كلا الدولتين ، وهنـا تشتد النار اشتعالا اذا ما استندت المشكلة على أساس قومى ، أو لغوى ، او قبلى ، واستغلتها قوى خارجية •

كما ينبغى ملاحظة درجات النمو الاقتصادى للاقاليم المختلفة داخل الدولة ، والسياسيات التى تتبع أحيانا لتذويب الفروقات ومن الطريف فى هذا المجال ، أن هناك سعرين للصرف بالنسبة للعملات الاجنبية فى كل من شيلى ، وأرجنتين ، وذلك لجذب الاستثمارات الى الاقاليم الاقل تقدما •

وتعمل ايطاليا وبلجيكا على زيادة الخدمات ووسائل النقل للاجـزاء المتخلفة فيهما ، بل طلبتا من السوق المشتركة استثناء هـذه الاقاليم من

قوانين السوق ، لانها ستتعرض لمنافسة دول أكثر تقدما • وتقدم حكومة استراليا حوافز للصناعات التى تقـوم فى المناطق الريفية وذلك بغـرض النهوض بها من ناحية ، ولمنع الاحتقان فى المدن من ناحية أخرى •

وثالثها : طبيعة التقسيم الاقتصادى والاجتماعى داخـل الدولة ، عندما يحدث عدم توازن ضخم في توزيع موارد الثروة ووسائل الانتاج داخل الدولة بمعنى تركزها فى أيد فئة قليلة ، بينما تعيش الغالبية فى حال العدم ، يكون هذا مثار قلاقل ، فالثورة الاثيوبية التى حدثت عام ١٩٧٤ وأطاحت بالامبراطور ، كانت نتيجة مباشرة لحالـة الجفاف الشديد التي أصابت البلاد ، وارتفاع أسعار المواد الغذائيـة بطريقة جنونيـة ، بحيث عضت الجماهير الفقيرة ، وظهر التناقص واضحا في المجتمع الاثيوبى بين الغالبية المعدمة ، والارستقراطية المرفهة •

وقد يحدث أن يتجمع سكان مختلفى الاصول داخل الدولة ، ويصبح التقسيم الاقتصادى موازيا للتقسيم الاجتماعي ، كمـا حـدث فى شرق أفريقية ، حينما وجد عيدى أمين فى أوغنـدا أن الآسيويين أو الهنـود يسيطرون على قطاع تجارة القطاعي ، فضلا عن قطاعات أخرى ، فقام بطرد ٦٠ ألفا من الذين يحملون الجنسية البريطانية ، والواقع أنه فى كثير من أقطار جنوب شرق آسيا ، وافريقية جنوب الصحراء نجد الاقليـات الاجنبية وقد حققت نموا بارزا فى بعض القطاعات الاقتصادية ، مما أدى الى اتباع سياسة indignization لكثير من القطاعـات لوقف نموهم ونقله الى القطاعات الوطنية مثلما حدث للبنانيين فى غرب افريقية بمقتضى القوانين التى أصدرتها نيجيريا ، وساحل العاج ، والسنغال عام ١٩٧٣ • فأصدرت نيجيريا قائمة باثنين وعشرين حرفـة لا يقربهـا الا المواطنين ، وقصرت السنغال تجارة القطاعى على السنغاليين ، وحرمت كينيا حرفـة السياحة على الاجانب • ويلاحظ مثل هذا النشاط أيضا بالنسبة للارمن واليونانيين في اثيوبيا ، والصينيين فى جنوب شرق آسيا • والغرض من كل الاجراءات التى تتخذ هى اشراك الوطنيين وتحويل هذه الانشطة الى الايدى الوطنية •

ويظهر التباين فى التركيب الاقتصادى بين الدول اذا ما نظرنا الى المجموعات التالية :

١ ـ تمثل غامبيا مجموعة من الدول ذات الموارد المحدودة ، ويمثل القطاع الزراعى فيهـا عماد الدخل القومي وتكاد تعتمد على محصـول واحد وهو الفول السودانى المسئول عن حصيلتهـا من العملة الاجنبية ، كما أنها سيئة الحظ فى أنها تستورد أكثر مما تصدر ، مما يشكل عجزا مستمرا فى ميزانها التجارى ، ويضاف الى هذا أن ربع وارداتهـا عبارة عن مواد غذائية ، أما عن القطاع الصناعي فهو فقير للغاية ، ويتألف من صناعات استهلاكية خفيفة كطحن الحبوب والملابس والمشروبات ، مثل هذا الوضع تجده فى كثير من دول العالم الثالث مثل النيجر ، الفولتا العليا ، سيراليون موريتانيا الصومال ، السودان ، سيرالنكه ٠ وليس من شك أن مشكلات هذه الدول الاقتصـادية والسياسية يتحكم فيها الى حـد كبير ما يحدث لسلعتها الرئيسية من ذبذبة لاسعارها ، وخاصة نحو الانخفاض نتيجة لزيادة الانتاج العالمى منها ، أي ظهور بدائل لها ٠ ويؤدى هذا الى اعاقة خططها للتنمية ، وقد تقع فى النهاية فريسة للاعتماد علي المعونات الاجنبية وما يتبعها من خضوع للدول الاكثر ثراء ٠ ولكن يخرج من هذه الفئة التى تعتمد على سلعة واحدة للدول المنتجة للبترول كالكويت والمملكة العربية السعودية ٠

٢ ـ وتمثل نيجيريا مجموعة أخرى تتميز بتنوع الموارد وتسير عجلة التنمية فيها بسرعة مما يغير فى مركبها الاقتصادى ، ومثل هذه الـدول لديها صادرات زراعية ، ومعدنية ، وعدد كبير من السكان ، يمثـل سوقا لبعض الصناعات التى يمكن أن تقوم بها ، ومن أمثلة هذه الدول البرازيل والملايو وساحل العاج الخ ٠٠٠

٣ ـ تمثل الولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة نوعا ثالثـا من الدول التي يقوم بها قطاع صناعى نام ، وصـادرات متنوعة تكفى فى الظروف العادية لموازنة الواردات ٠

وفى الحقيقة نجد أن كل الدول الصناعية فى حاجـة الى استيراد الخامات ، ومع ذلك يمكن أن نفرق بينها ، فهناك فرق بين كندا واستراليا من ناحية ، وبين اليابان والمملكة المتحدة من ناحية أخرى فكندا واستراليا تصدران كثير من المواد الخام الزراعية والمعدنية بالاضـافة الى قطـاع

صناعى نام ، بينما المملكة المتحدة واليابان بها قطاعات صناعية نامية أكثر تنوعا ولكن الخامات التي يصدرانها ليست بذات أهمية تذكر ٠

هذا ويخلق الاختلاف فى التركيب الاقتصـــادى تباينا فى طبيعـــة المشكلات السياسية والاقتصادية التى تواجه كل دولة : فالحصـول على قوة دفاعية ذات بأس تتطلب ، أما صناعة متقدمة ، كما هو الحـــال فى الولايات المتحدة الامريكية والاتحـــاد السوفيتي ، حيث يمكن صناعـــة الطائرات ، والسفن الحربية ، وصناعة الســـلاح ، واما فائض كبير فى الميزان التجارى يمكن من شراء هذه المعدات من الخارج كما هو الحـــال فى ايران ، وفيما عدا ذلك لابد وأن تعتمد الدولة على الخارج ٠

وتعمل حكومات الدول النامية لمواجهة هذه المشكلات على اتخـاذ أساليب متعددة منها التقليل من الواردات ، وبصفة خاصة واردات المواد الغذائية لتحسين الميزان التجارى ، وقد وضعت بعض الدول الافريقية مثل نيجيريا وغانا وزامبيا المخططات للاقتراب من الاكتفاء الـذاتى ، وتسعي دول أخرى الى التصنيع بطرق مختلفة ، وتقيم دول أخرى تعريفات مانعة أمام السلع الشبيهة بالمحلية والواردة من الخارج ٠ وتذهب دول أخـرى الى وضع قيود على صادرات المواد الخام المنتجة محليا كما تفعل أسبانيا والبرتغال بوضعهما القيود على صـــادرات الفلين الخـــام حتي يمـكن تصنيعها محليـا ٠

سابعا ـ السكان ديموغرافيا وجغرافيا :

ويقصد بدراسة السكان ديموغرافيا دراسة نمو الســـكان وعلاقتـه بالمواليد ، والوفيـــات ، والهجـــرة الخارجية ، والداخلية ، من الناحية الديناميكية أو التطورية ، أى اتجاهات السكان ممثلة فى النمـو بشقيه ، وهما الزيادة الطبيعية ، والهجرة بالاضافة الى بعض العناصر المتصـــلة بالنمو ، كتقسيم السكان الى ذكـــور واناث ، ونسبة الشبان ، ومتوسط الاعمـار وهكذا ٠

ويعتبر من الامور المفيدة تمثيل سكان الدولة بهرم يدعى هرم السكان

أو هرم الاعمار ، فيقسم السكان الي فئات ، وكل فئة خمس سنوات تمثل بقضيب أفقى ، وترتب القضبان الافقية الواحد فوق الآخر ، بحيث تكون أصغر المجموعات سنا فى أسفل ، وعادة ما تقسم القضبان أيضا من ناحية الجنس الى ذكور واناث ، فاذا كانت الامة مقبلة على نمو سريع ، فستكون قاعدة الهرم أكبر من التى فوقها وهكذا ، أما اذا كانت الامة مقبلة علي تدهور فى عدد سكانها نتيجة لنقص مواليدها كانت قاعدتها ضيقة ، أو بمعنى آخر ، أن أطفال مرحلة الخمس سنوات الاولى تكون أعدادهم أقل مثلا من الشباب الذين يتراوح أعمارهم بين العشرين والخمس والعشرين عاما ، وأهرام السكان للدول المتخلفة هى من النوع الاول ، أى المنتظم كمصر والفلبين ولبنان والمكسيك ، بينما نجد أهرامات دول غرب أوربا فى معظمها غير منتظمة كالمملكة المتحدة وفرنسا · ويشير هرم السكان الى وفرة اليد العاملة في الدول الآن وفى المستقبل · ذلك أن ارتفاع نسبة الافراد فى فئة السن أقل من ١٥ سنة فى أحد الاجيال معناه زيادة نسبة الفئة الخصبة فى الجيل التالى ، كما أن المجموع الكلي لاطفال أحد الاجيال يمثل القوة البشرية العاملة فى الجيل التالى ، ذلك أنه لا يمكن اعتبار جميع السكان قوة عاملة ، فالقوة البشرية العاملة تنحصر فى فئات السن بين ١٥ ، ٦٥ سنة ، ولهذا يمكن معرفة القوة البشرية العسكرية المتاحة للمجهود الحربي ·

أما الدراسة الجغرافية فيقصد بها دراسة التوزيع ، ومن الدراستين تخرج فعلا بفكرة عن مشكلات السكان التى ترجع الى عوامل عديدة متشابكة منها ما هو حيوى ، ومنها ما هو اقتصادى ، واجتماعى ، وسياسى ، وهذه عناصر لابد من الاستعانة بها فى دراسة الجغرافية السياسية ·

وضخامة حجم السكان لاشك تعطى قوة بشرية هائلة في العمليات الحربية وفى الانتاج الاقتصادى ، ولا زالت الحروب الحديثة فى حاجة الى الاعداد الفقيرة من القوى البشرية ، الحرب الكورية ، الهند الصينية مع فرنسا ، فيتنام · فما زال دور المشاة فى القتال له أهميته ، رغم تقدم الاسلحة الحربية ، من الذى سيتقدم لاحتلال الارض الجديدة أهي الطائرات أم الصواريخ ؟

فهذه الاخيرة هى أسلحة معاونة فى الوقت الحاضر كما كانت فى الماضى مع تطور هذه الاهمية · وتستشهد فى ذلك بقول شوين لاى رئيس وزراء الصين « نحن نريد أكبر قدر من التورط الامريكي في فيتنام ، أتركوا الولايات المتحدة تصمد للحرب ليصبح لها نصف مليون جندى أو مليون فى فيتنام ، لانهم اذا أقدموا على تصرف من شأنه أن يؤدى الى تدخل الصين فهم يعرفون أننا نستطيع أن نقذف الى الميدان بملايين بعد الملايين من البشر ، وسوف تستطيع ملاييننا أن تبتلع مئات الآلاف منهم ·

وكذلك الحال في الحرب المصرية الاسرائيلية ، فمن عوامل الضعف الكبرى في التكوين الحربى الاسرائيلى ، قلة السكان ، التي تدعو الى الاعتماد علي الاحتياطى ، واذا طالت الحرب كان هذا معناه شلل للحياة الاقتصادية داخل اسرائيل · قد تجند الدولة سكانا غير سكانها كما كانت تفعل فى الماضى أو كما تلجأ اسرائيل الى الجنود المرتزقة mercenaries ولكن تسليح الجنود المرتزقة غير مأمون ، ولا بديل لابناء الوطن للاطمئنان فى الدفاع عن مصالحه ··

ولضخامة السكان ميزة عسكرية أخرى ، ذلك أن قهر الدولة الكثيفة السكان يعتبر صعبا ، بل من الصعب السيطرة عليها ، لان الاحتلال العسكرى لاراضى يشغلها عدد كبير من السكان ، يستلزم مرابطة رجال عديدين مما قد يؤدى الى خلق عجز في القوى البشرية فى أرض الدولة الغازية ، وكان هذا فعلا حال المانيا النازية حينما وجدت أن احتلال أوربا يكاد يكون أمرا فوق طاقتها ·

ويثير موضوع السكان كثير من المناقشات حول الاقطار التى تريد التوسع ، فتستند أو تبرر توسعها ، بأنها مزدحمة بحيث لا تجد متسعا لسكانها ، كاليابان وايطاليا والمانيا وعلى هذا الاساس بدأت الدول الثلاث في التوسع قبل الحرب الثانية ، بحجة البحث عن مجال حيوى Lebensraum لسكانها المتزايدين ·

التكنولوجيا : (١)

يختلف النوع البشرى عن بقية الانــواع الحيوانية فى قدرته على التحكم وتكييف البيئة قدر الامكان فضلا عن امكان اجراء تحسينات عليها.

فهناك كثير من الاختراعات devices خلقت لتحسين ما هو طبيعى ، المساكن بدلا من الكهوف ، الغلات المزروعة بـــدلا من النباتات البرية • واختراعات أخرى زادت من قدرة الانسان وكفاءته ، أجهزة ، وأدوات ، وأسلحة سواء لصناعة أو تحطيم أشياء ، وسائل نقل جبارة ، الات حاسبة الكترونية تزيد من قدرة الانسان علي التذكر (ذاكرة للانسان) فضلا عن دقتهـا فى الحسابات ، ومن أجـــل التبسيط يمكن أن يطلق على هــــذا « التكنولوجيا » •

يقصد بالتكنولوجيـــا أو التقنية بعبـارة مبسطة فن الانتــــاج أى الاساليب والوسائل المستخدمة فى عمليات الانتاج ، وبالتالى يتمثل التقدم التكنولوجى في تطوير هذه الفنون والاســـاليب بما يحقق التقديم ، ويتم التقدم التكنولوجى نتيجة التزاوج بين البحث العلمى والانتاج المــــادى • فتقدم الصناعة مثلا لم يعد يتحقق حيث توجد مصادر المـواد الاولية ، بل حيث توجد العقول والمهارات ، فبالرغم من فقر اليابان فى الخامات ، فقد استطاعت أن تحقق نجاحا باهرا فى كثير من القطاعات الصناعية خاصة الالكترونيات والكيماويات •

كان التقدم التكنولوجي يسير قدما عبر القرون الماضية ولكنه أصبح يقفز فى العقود الاخيرة ، ويذهب الباحثون الى القـــول بأنه المعرفـــة الانسانية تتضاعف كل خمس سنوات ، وأن ٩٠٪ من جميع المعرفة العلمية للبشر تجمعت فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية • وهذا التقدم التكنولوجي هو المسئول الاول عن كثير من التغيرات التى لا يمكن تجاهلها

---

(١) : هناك مجموعة من العوامل غير الجغرافيا تسهم فى قــــوة الدولة : منها التكنولوجيا والدبلوماسية وغيرها ، ومع ذلك رأينا ادراجها لتكامل الدراسة •

فى الشئون الدولية . فقد كان سكان العالم عندما ولدنا يبلغ نحو الالفى مليون كل عام ، ولم يكتف الانسان بسطح اليابس يخطو عليه ويستغله ، مليون ، والآن يبلغ نحو الاربعة آلاف مليون ، وسيزيد العالم بمعدل مائة توصل الى سطح القمر ، كما تعمق فى المحيطات .

وكان النقل الفورى للصورة والصوت الى جميع البشر سواء كانوا في الاكواخ أو الحقول أو القصور ، له أثره فى احساسهم جميعا بالانتماء الى عالم واحد ، فى طرف منه يعيش أولئك الذين يملكون وفى الطرف الآخر وهم الغالبية يعيش الذين لا يملكون ويتطلعون الى الانتقال الى الطرف الآخر

كل هذا كان نتيجة مباشرة وغير مباشرة للتجمع المستمر للمعـرفة والتكنولوجيا فى جانب دون الاخر .

ويمكن أن نلاحظ ما يلى على التقدم التكنولوجى : -

أولا : أن التغيرات التكنولوجية قد تحسن أو تقلل من أهمية موقـع من المواقع أو مورد من الموارد (بريطانيا والطيران) .

ثانيا : أن هناك اختلافات كبيرة بين الدول فى قدرتها على الحصول علي الاختراعات التكنولوجية وهذا يرجع الى اختـلاف قدراتهـا المالية التكنولوجى الموجودة وسياسة الحكومة والمؤسسات الاخرى .

ثالثا : أن هناك فرق فى التقدم التكنولوجى بين الدول المتقدمة والدول النامية ينعكس فى أن الدول المتقدمة تكنولوجيا وفيها ٢٢٪ من سـكان العالم فقط ، ومع ذلك فدخل الفرد فيها نحو ١٠ أمثال دخـل الفـرد فى الدول النامية ولعل عبور الفجوة بين الاثنين هى مهمة جيل ما تبقى من القرن العشرين . ولكن المشكلة فى هذا أمام الدول النامية تظهر اذا ماعلمنا أن العمليات الهندسية المتعلقة بايجاد الانظمة التكنولوجية تقسم الى أربعة أقسام هى : التصميم ، التصنيع والتشغيل ، والصيانة ، ولا تسمح الدول المتقدمة بافشاء سر العمليتين الاولتين ، وفي الغالب الرابعة وهى الصيانة، اذ لابد من استدعاء خبير من الشركة الصانعة لبحث العطل واصلاحـه .

وكل ما يمكن أن تسمح به الدول المتقدمة هو تدريب أبناء الدول النامية على تشغيلها ، ولكن تظل التبعية فى النهاية للدول المتقدمة ٠

رابعا : أن التقدم التكنولوجى يمكن أن يتم بواسطة الابحاث المشتركة لعدة دول مجتمعة ذلك أن بعضها يتطلب استثمارات ضخمة كما هو الحال فى أبحاث الفضاء بحيث لم يمكن القيام بها سوى في الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وتقوم بها كل منفردة ٠

والدول قد تقوم وحدها بابحاثها أو مع غيرها أو قد تستوردها من الدول الاكثر تقدما على هيئة آلات وخبراء ٠

وفى الوقت الحاضر هناك أربعة مراكز أو مجموعات مسئولة عن معظم التقدم التكنولوجي الذى يشهده العالم وهى الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتى ، غرب أوربا ، اليابان ٠ ومنذ قرن مضى كان لغرب أوربا والولايات المتحدة شبه احتكار فى هذا الميدان ، ومنذ قرنين من الزمان كان هذا الاحتكار من نصيب بريطانيا ، وفرنسا ، وهولندا ٠

وحتى تصبح الدولة قوة ذات بأس ، فلابد وان تكون متقدمة تكنولوجيا ، وقد يبدو أن هذا الامر يقتصر على يومنا هذا ، ولكن أهميته كانت معروفة أيضا في الماضى ، حتى البعيد منه ، فليس من شك أن الجماعات ذات الاسلحة الحديدية كانت أقدر من أصحاب الاسلحة الحجرية ، وأن أصحاب الحديد كانت لهم الغلبة على أصحاب البرونز ٠ ولكن هذه ليست قاعدة مسلم بها فى كل الاحوال ، فليس من شك أن الولايات المتحدة الامريكية كانت متقدمة تكنولوجيا فى الثلاثينات (بالنسبة لعصرها) ولكنها كانت ضعيفة عسكريا نظرا لان التقدم التكنولوجى لم يكن موجها لخدمة السلاح ، على العكس الحال في الوقت الحاضر حيث تستثمر كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى أموالا طائلة فى ميدان البحث العلمى الخاص بالاسلحة محاولا أن يسبق أحدهما الآخر فى الحصول على سلاح أشد فتكا من الذى يصل اليه الآخر ٠

الادارة والبحث العلمى :

ويعكس التقدم التكنولوجى صورة الاهتمام بالادارة والبحث العلمى وهذا ما ينقص الدول النامية أيضا ٠ وقد قدرت ميزانية العالم للبحث

العلمي فى ١٩٧٩ بحوالى ٤٠ بليون دينار · وبلغت حصة الدول المتقدمة منها وبالتحديد الولايات المتحدة والاتحـــاد السوفيتى والمانيـــا الغربية واليابان والمملكة المتحدة وفرنسا في هذه المصروفات ٣٤ بليونا أى مايعادل ٨٥ بالمائة · أما بلدان العالم الثالث فى آسيا وافريقيـــا واميركا اللاتينية فلا يزيد نصيبها من ميزانية الابحاث عن ٣ بالمائة فقط · وهنـــاك تفاوت أيضا فى توزيع هذا المقدار الرمزى بينها ، حيث أن بعض هذه الدول مثل البرازيل والهند والمكسيك تبدى اهتماما أكثر بالبحث العلمى من غيرها ·

ومن ناحية أخرى فان هنالك حوالى ثلاثة ملايين باحث يعملون حاليا فى مجالات العلوم والهندسة أى حوالى ٩٠ بالمائة فى العدد الكلى للعلماء الذين عرفهم العالم في عصوره المختلفة · وتوظف الدول المتقدمة ٧٠ بالمائة منهم مع العلم أن عدد سكانها مجتمعة لا يزيد عن ٢٢ ٪ من مجموع سكان العالم ·

ويجب أن ندرك أن حكومات الدول المتقدمة تستقطع المبالغ الطائلة من ميزانياتها لتمويل البحث العلمى على اعتبار أن ذلك نوع من الاستثمـــار على أمـــل أن يكون مردود ذلك منافع تكنولوجية للمجتمع فى المستقبل · وتأخذ فى ذلك عبرا من الماضى · اذ لم يكن في الممكن مثلا أن تطور القنبلة الذرية تكنولوجيا خلال الحرب العالمية الثانية لو لم يبدأ العلماء بدراســة تركيب الذرات والجزيئات قبلها بثلاثين عاما ·

وتتخلف أوربا الغربية أيضا عن الولايات المتحدة الامريكية فى ميدان الابحاث ، ففى منتصف الثلاثينيات كانت كل من أوربا والولايات المتحدة الامريكية تصرفان ١٥٠ مليون دولار على الابحاث ، بلغت هذه في منتصف الستينات ٦٠٠٠ مليون دولار ، ٢١٠٠٠ مليون دولار على الترتيب ، وحتى لو دخل فى الاعتبار انخفاض قيمة الدولار ، فان ميزانية الولايات المتحدة الامريكية للابحاث تعتبر ضخمة للغاية ·

وتجرى معظم أبحاث الولايات المتحـــدة الامريكية على صناعـــة الطائرات والادوية والسلاح والآلات ، وهذا فضلا عن أبحاث الفضـــاء والكمبيوتر ·

وتسيطر الولايات المتحدة الامريكية على ٧٠ ٪ من سوق المفاعلات النووية كذلك الحال بالنسبة لصناعة الكمبيوتر حيث تحتكر الشركة الامريكية العلاقة IBM ٦٠ ٪ من تجارة العالم فى هذا المجال ، وحاربت الولايات المتحدة الامريكية الكونكورد لانها تخلت عن مشاريع لبناء طائرة مماثلة ، كما أنهـا تسيطر على نسبة عالية من سوق الطائرات المدنية العالمى ، وحاربت الطائرة الكونكورد (فرنسية/بريطانية) لأنهـا تخلت عن مشاريع لبناء طائرة مماثلة ٠

ويركز الروس على تكنولوجيا التسليح والفضاء ، بينما يتأخرون عن الامريكيين فى صناعة الكمبيوتر ، ويستوردون بعض أنواعهـا التي تستخدم للتنقيب عن النفط ، كمـا أنهـا متأخرة فى صناعة السيارات والمفاعلات الذرية ٠

وتحرص كل من روسيا وامريكا على تتبع أسرار التكنولوجيـا عند الاخرى ، فحين هرب طيار روسى بمقاتلة من نوع ميج ٢٥ الى اليابان ، قام الخبراء الامريكيون بتفكيكها وفحصها فحصا دقيقا لمعرفة المستوى الـذى وصلت اليه روسيا فى هذا المجال وتعتبر الدول الاوربية واليابان متخلفة بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية في ميدان المدربين فى أعمال التجـارة وادارة الاعمال ، فقد وجد أن ١٥٪ من المسجلين فى الجامعـات الامريكية مقيدين فى فروع الاقتصاد وادارة الاعمال ، بينما تنخفض هذه النسبة الى ٢٪ فى غرب أوربا ، كما تدرب أعداد كبيرة فى الاتحاد السوفيتي لخـدمة التخطيط المركزى ٠

ولعل فى الارقام التالية ما يظهر مكانة الولايات المتحدة الامريكية فى هذا السبيل ، وتحول معظم الفائزين بها من أوربا وبخاصة المـانيا والمملكة المتحدة اليها ، وان كان هـذا يعزى الي عملية استنزاف العقول التى قامت بها الولايات المتحدة الامريكية سواء من الدول المتقدمة أو النامية ٠

جنسية الحاصلين على جائزة نوبل فى العلوم منذ
عـام ١٩٠١ الى ١٩٦١

الدولة	١٩٠١/٥٠	٥١/٦٦
المانيا	٣٩	٧
المملكة المتحدة	٣١	١٨
الولايات المتحدة	٢٧	٤٤
فرنســـا	١٦	٤
سويسرا	٩	صفر
هولندا	٨	١
النمسا	٨	صفر
السويد	٦	١
الاتحاد السـوفيتي	٢	٧
أخرى	١٨	٦

الباب الثانى

تطبيقات فى الجغرافية السياسية

الفصل الأول

زيادة السكان كمشكلة سياسية

تكاثر الانسان فى عهده الاول :

كان الانسان فى عهوده الاولي شأنه شأن جميع أنواع الحياة الاخرى يناضل الطبيعة والطبيعة تناضله ، يفترس الحيوان ، فلا ينسى الحيوان أن يرد له الجميل جميلين ، تصرخ معدته الخاوية فيترك كهفه ويضرب فى الارض بحثا عن غذاء ، واذا مرض فكثيرا ما كان المرض يغلبه ، واذا برئ من مرضه وتغلب على حيوان بيئته لم يسترح بل قام بمجازر بشرية ليقضى فيها على نفسه أو على أخيه . فاذا أضفنا الي هذا ارتفاع وفيات الاطفال فلا بد أن هذا الانسان كان على درجة من الخصوبة عالية حتى أنه رغم هذا عمر وانتشر فى الارض ، وقد أيدت الابحاث الانثربولوجية هذا القول .

وأما أسباب الوفاة فقد شاهد Weidenreich أن معظم حفريات انسان العصور الحجرية تدل علي نوع من الوفاة عنيف ، مثل الحرب ، صيد الرؤوس ، الوأد ، والامراض ، وغير ذلك ، من ثم لم يكن ازدحام سكانى ، وانما جماعات مبعثرة هنا وهناك حتى أن أعظم الكثافات كانت من البساطة لدرجة لا يمكن وضع متوسط لها .

تكاثر الانسان فى الحضارات الزراعية :

وعندما بدأ يستقر ويعرف الزراعة بدأ يزداد نموه ، وتزداد كثافته ويقدر أن معدل مواليده كان يتراوح ما بين ٢٥ ، ٥٠ فى الالف . فهذه النسبة لوحظت على الجماعات الزراعية سواء فى القرن السادس عشر في ايطاليا ، أو السابع عشر فى فرنسا ، أو التاسع عشر فى الهند ، أما الوفيات فكانت عالية أيضا بين ٣٠ ، ٤٠ فى الالف ، ولذلك فالمجتمعات الزراعية زادت فيما يتراوح بين ٢٠ و ١٥ فى الالف . هذه الزيادة ليست

ضئيلة ولكن كان يخفف منها أحيانا دورات نكبات قد تصل فيها الوفيات الى ما يتراوح بين ٢٠٠ و ٥٠٠ فى الالف ، وهذه الدورات كانت تتفق مع الحروب والمجاعات والاوبئة .

وقد أثبتت الابحاث التى قام بها الاب Mols ، لأوربا في العصور الوسطى هذه التقديرات . وذهب الى أن وفيات الاطفال فى الظروف العادية كانت تتراوح بين ٢٠٠ ، ٤٠٠ فى الالف . وجزء كبير كان يموت قبل السابعة من عمره حتي أن Jermo Cardano. وهو طبيب ايطالى عاش فى القرن السادس عشر ، كان يقول انه على استعداد لأن يشفى أى مريض على شريطة الا تكون سنه أقل من السابعة أو فوق السبعين .

هذه الوفيات فى مرحلة الطفولة وما قبل الشباب لا شك كانت تقطع خط الحياة .

تكاثر الانسان فى الحضارات الصناعية :

ثم تغير الوضع فى المجتمع الآلي الصناعى تماما نتيجة التقدم العلمى خاصة فى الفنون الطبية والعلاجية .

فقد دلت التجارب على أن عملية رش جزر الباسفيك بمسحوق الـ د . د . ت التى قام بها الجيش الامريكى قبل احتلاله لها أدت الى هبوط نسبة الاصابة بالملاريا ، وكذلك كان لـ د . د . ت أثره الفعال فى جزيرة سيلان ، وفى اليونان ، فانخفضت معدلات الوفيات بعامة ، وانخفضت وفيات الاطفال بخاصة ، مما افسح الفرصة للأطفال لأن يصلوا الي سن البلوغ ، وما كان يصل اليه منهم الا القليل . والكثير من البالغين لأن يصلوا الي الشيخوخة أو بمعنى آخر زيادة متوسط الاعمار ، أو زيادة أمل الحياة .

ميل الزيادة السكانية نحو الارتفاع :

لاحظ الباحثون أن معدل النمو السكانى أصبح فى ارتفاع مستمر ، وانه يصعد بسرعة لم يعهدها أحد فى العهود الماضية ، فقد كان هذا المعدل ٧ فى الالف فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ثم ارتفع الى ٩ فى الالف خلال النصف الاول من القرن العشرين ، ثم أصبح اليوم

١٦ فى الالف في العام ، تقدر حاليا بنحو ٨٠ مليون نسمة سنويا ، فاذا استمرت هذه الزيادة ، فان سكان العالم الذين يقتربون من ثلاثة آلاف مليون نسمة ، ويصلون الى أربعة آلاف مليون عام ١٩٧٥ ، ٦٥٠٠ مليون عام ٢٠٠٠ ، فيجب أن نتذكر كل صباح أن هناك ٢٢٠ر٠٠٠ فم جديد لم تكن معنا فى افطار اليوم السابق ٠

ان ازدياد السكان وحده لا يعنى شيئا ، فقد تستمر الزيادة دون أن تسبب مشكلة ما لو كانت موارد العالم تكفى لإمداد كل فرد بحاجته ٠

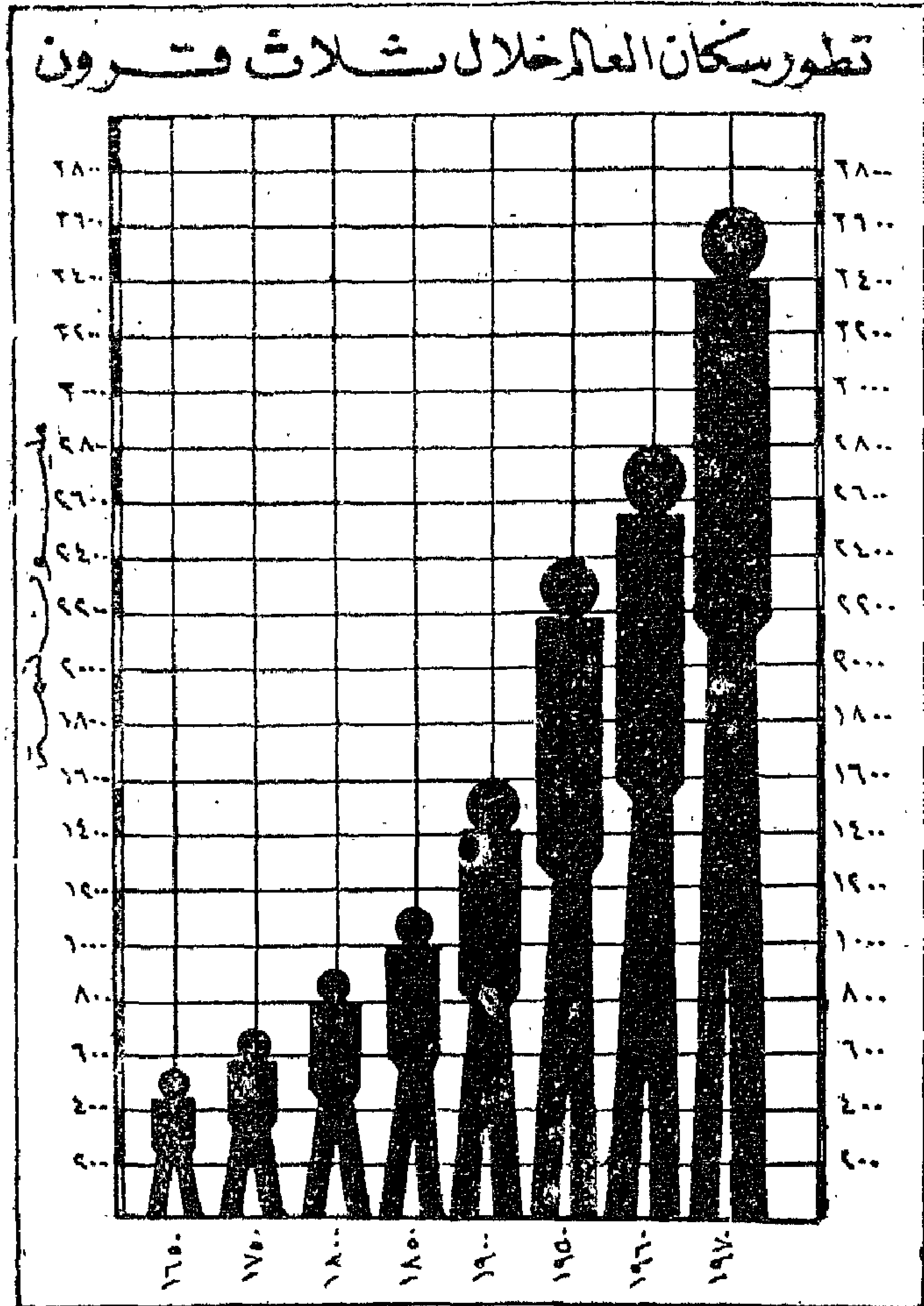
الأرض :

ذلك هو الانسان ، فماذا عن الارض ؟ يقولون أن ٧٠ ٪ من مساحتها غير صالح لإقامة الانسان لشدة البرودة كما فى جرينلند والقارة القطبية الجنوبية أو لأنها صخرية لا يغطيها الا الرقيق من التربة ان وجد ، أو الجفاف الشديد الذى يستحيل معه النبت وييبس الاخضر ٠ أما الـ ٣٠ ٪ الباقية ، وتقدر بنحو عشر آلاف مليون من الافدنة فلا تشغل منها الآن الا نحو أربعة فقط ، أى أن نصيب الفرد فى العالم اكثر من الفدان بقليل ، بينما يحتاج الفرد الي نحو ٢½ فدان لتمده بالحد الادنى من الغذاء بتقدير دكتور وبذلك لا يخص الفرد ما يجب أن يحصل عليه من غذاء ٠

علاقة الانسان بالأرض :

معنى هذا أن انتاج الارض الحالية لا يكفى ما عليها ، وأنه يجب أن يزداد لمواجهة الافواه الجديدة كل عام من ناحية ، ثم يزيد مرة أخرى اذا تطلعنا الي الاخذ بيد ثلاثة أرباع البشر الذين يستوى لديهم الوجود والعدم ٠

حقا لقد ازدادت الكمية المنتجة من الغذاء فى العالم بأسره بمقدار يتراوح بين ١٠٪ و ١٥٪ خلال السنوات الاربعين التى سبقت بداية الحرب العالمية الثانية ، غير أن الزيادة السكانية بلغت ٣٠ ٪ فى نفس تلك الفترة ، وكان للحرب العالمية الثانية أثرها الواضح فى نفس كميات الغذاء المنتجة حتى أن مستوى الانتاج الغذائي قبل الحرب لم يصل اليه العالم الا بعد انقضاء ثلاثة عشر عاما من انتهاء تلك الحرب ٠



من ثم دقت طبول الخطر ، ورنت أجراس الحذر بأننا نسير من سيء الي أسوأ ، لان السكان يزيدون بمعدل أسرع من زيادة انتاج الارض ٠

مالتوس ومصيدته :

والواقع أن هـذا الناقوس سبق سماعه منذ نحو قرن ونصف على يد القس الانجليزى ملتوس ، حين ذكر أن السكان يتزايدون بمتوالية هندسية أى بالتضاعف بالضرب (٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦) بينما الغذاء يتزايد بمتوالية عددية (٢ ، ٤ ، ٦ ، ٨) أى باضافة ٢ ، وشتان بين التضاعف والاضافة فالتضاعف يؤدى الى زيادة أكبر من الاضافة ٠

وحذر بأن الطعام لن يكفي مهما ضاعفنا انتاجه الا اذا توقف التضاعف

البشرى ، غير أن هذا التضاعف العددى يبطىء أحيانا نتيجة للحروب والاوبئة والمجاعات ·

وقد تعرض مالتوس للنقد المرير ، خاصة وأن الظروف فى تلك الفترة والتى أعقبتها لم تساعد على انتشار مذهبه بل أحبطت فكرته ، ذلك أنه لم يعمل حساب لمساحات شاسعة خالية أو شبه خالية فى الامريكتين واستراليا ، فعندما بدأت أوربا فى الازدحام امتصت هذه العوامل الجديدة ذلك الفائض ، وكانت تقول هل من مزيد ، ثم ظهر انقلاب صناعى قلب الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية وبدلهم من بعد عسرهم يسرا ، ومكنتهم من أن يعدنوا أو ينسجوا فقط ثورة فى النقل تأخذ ما صنعت أيديهم وتأتيهم بطيب عيش منوع من أراضى بعيدة ·

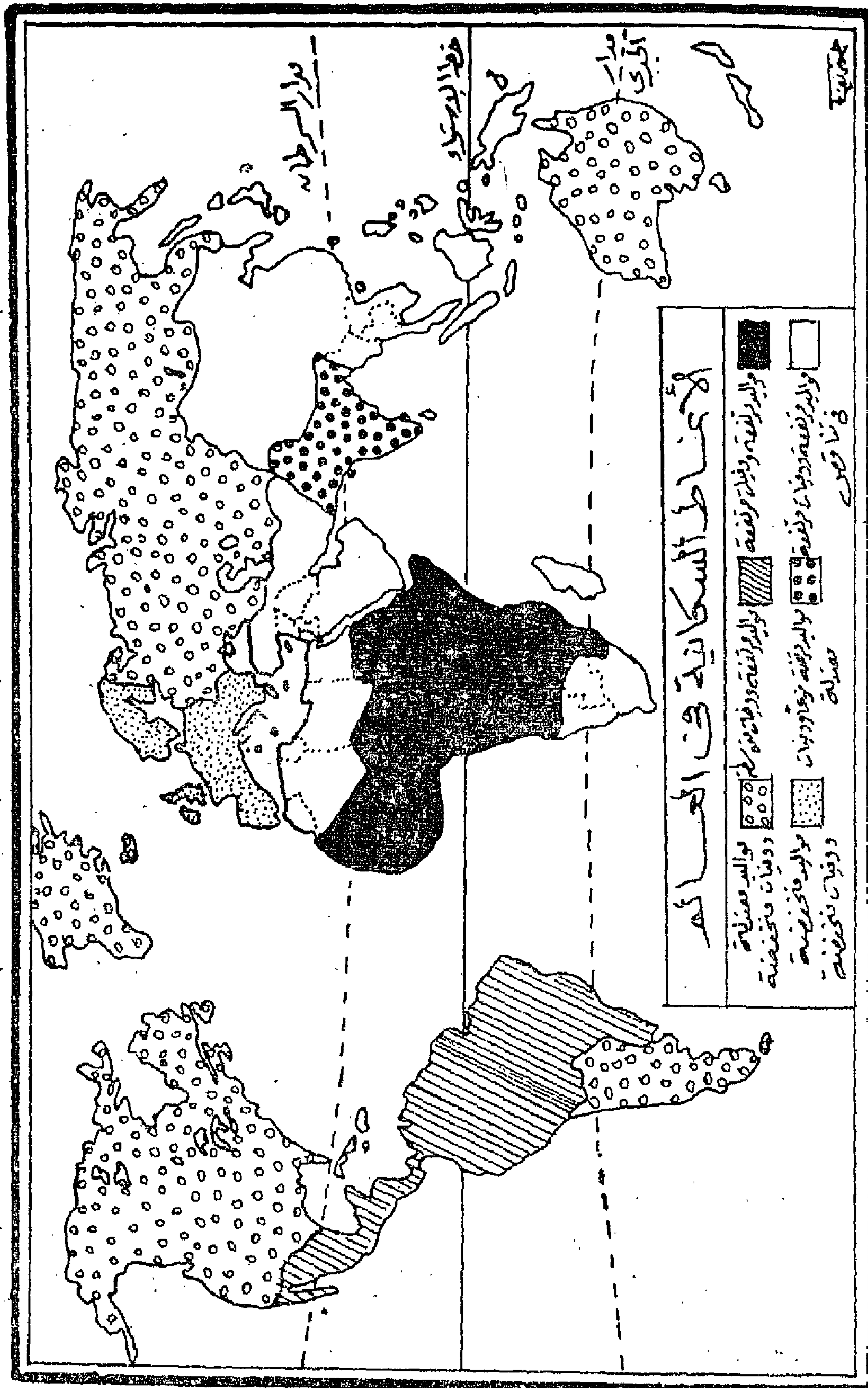
لا مجاعة ولا قحط :

غير أن هذا الرأى واجه معارضة الكثيرين ، وعلى رأسهم سير جون رسل كبير علماء الزراعة البريطانيين ، فرغم أنهم لا ينكرون حدة أزمة الطعام ، ففي رأيهم أنه لن تحدث مجاعة فى المستقبل لأن الجوع يمكن تلافيه · فالى جانب الانفجار السكانى المتوقع فى نظر هؤلاء ، فان هناك انفجارا فنيا فنحن نعيش فى عصر مزيد من العلم والمعرفة ·

وأنه من الممكن زيادة الانتاج ، لأننا لا نستغل من وجه الأرض الآن أكثر من ثلث الواجب زراعته ، فاذا أكملنا الاستغلال فان أرضنا تطيق من البشر ثلاثة أمثال ما عليها ·

تطبيق علمي :

غير أننا يجب أن نلاحظ آراء الاقتصاديين فى هذا المجال ، فهناك فرق فى رأيهم بين إمكان استخدام نوع معين من الأرض فى الزراعة وبين استخدامها الفعلى ، فعلي سبيل المثال قد يقال أنه يمكن زراعة الصحراء وجعلها تعج بالنبات، ولكن قد يكون هذا غير صحيح من الناحية الاقتصادية، فقد تكون تكلفة المشروع باهظة لدرجة ، تمنع تنفيذه ، وفى المعادن يجب أن نفرق بين الوجود المطلق للمعدن وبين الوجود النسبى له ، وكثيرا ما تؤدى دراسات الجيولوجيين الى حقائق غريبة غاية في الغرابة من الناحية الاقتصادية ، فمعدن النيكل مثلا ، انتاج العالم منه قليل بالنسبة للمعادن



(شكل رقم ٩)

الأخرى ، ولا يستخرج الا بمقادير قليلة فى مناطق معينة من الأرض ، فكندا وحدها تنتج ٨٠ ٪ من الانتاج العالمى ، ومع ذلك فهذا المعدن النادر نسبيا نجد أنه فى صخور القشرة يبلغ ضعف مقدار النحاس وخمسة أمثال الزنك

وعشرة أمثال الرصاص ونحو مائة مثل من القصـــدير · لذلك كان الفرق واسعا بين مجرد الوجود الجيولوجي للمعدن وسهولة الحصول عليـــه اقتصـــاديا ·

وفى ميدان الحشرات تعمل منظمة الاغذية والزراعة وكل دولة جهدها ومع ذلك تستهلك هذه الحشرات فى الولايات المتحـــدة الأمريكية التى بلغت قمة فى التقدم الفني الحشرى ما قيمته ١٠٠٠ مليون دولار سنويا ·

وفى تفضيل هذا الجزء من النبات أو ذلك نجده قد ارتبط عند الشعوب بالعادات الغذائية المنتشرة فى المنطقة التى يعيشون فيها ، وليس من السهل أن تغير فى أذواق الطعام ، فمن السهل أن يتغير ذوق اللباس لانه يتوقف على حكم المجتمع الذى نعيش ، ولكن الطعام يتوقف على حكم النفس واللسان ، فهو شرطى المرور الذى يشير الى امكان ابتلاع هذا ولفظ ذاك ·

خريطة العـــالم لوحة من الفسيفساء :

ولنفرض جدلا أن هـــذه الامكانات ميسورة المنال سهـلة التحقيق ، سنجد أن هناك من الامور ما يستحق النظر مرة أخرى ، فـكثير من الكتاب الديموغرافيين حين يعالجون مشكلة الغـــذاء ، يعالجونها على أساس وجود علاقة توازنية بين المنتجات الزراعية في العـــالم وبين سكانه ، أى يفكرون على مستوى عالمى ، وهـــذا النوع من التفكير يدل على التفـــاؤل المفرط ، فيحق للمرء أن يشـــعر بالسعادة والسرور حينما يزداد انتـــاج القمح فى العالم بمعـــدل أسرع من معدل زيادة السكان · ولكن ليس فى ذلك حل للمشكلة التي تواجهنا ، فليس هنـــاك مخزن عالمى يتجمع فيـــه المحصول ، فتقوم الحكومة العالمية بتوزيعه حسب الاحتياجات ، بل ان خريطة العالم السياسية تعددت الوانها وتضاربت وأصبحت أشـــبه شىء بلوحة من المزايكو أو الفسيفساء · من الاتحاد السوفييتى الذى تربو مساحتـــه على ثمانية أميال ونصف مليون ميل مربع الى امارة ليشتنشتين التى لاتزيد مساحتها على ستين ميلا مربعا ، وسان مارينو التى تصل بالكاد الي ثمانية وثلاثين ميلا مربعا · وحتى حبيبات هذا المزايكو عرضة للتغيير بحيث يمكن للحبيبة أن تتمدد وتنكمش أو يصيبها انقسام حسب الظروف السياسية ·

شكل رقم (١٠)

ونتيجة لهذا أصبح المتوسط العام لما يخص الفرد فى العالم وهو أكثر من الفدان بقليل ، أصبح غير ذى موضوع ، وأما الاقرب الى الحقيقة فقد قام به السير جون رسل خيث قسم اقطار العالم الى الاقسام الآتية :

١ ـ اقطار يخص الفرد فيها (أكثر من ٢½) فدان تشمل الامريكتين واستراليا وشرق أوربا ، وهى فى بحبوحة من عيشها ٠

٢ ـ أقطار يخص الفرد فيها (١ ـ ٢½) فدان وتشمل غرب أوربا ووسطها وهذه الاقطار تكفى نفسها بنفسها من الغذاء بنسبة ٨٠٪ ٠

٣ ـ أقطار يخص الفرد فيها (أقل من فدان) وتشمل بلجيكا وسويسرا وبريطانيا وهذه الاقطار مستوردة للطعام اعتمادا علي صناعتها ٠

٤ ـ أقطار يخص الفرد فيها أقل من الفدان وهى الهند والصين واليابان وجنوب شرق آسيا بعامة ، وجمهورية مصر العربية ٠

وهذه المجموعة الرابعة باستثناء الهند استبعدت اللحم من غذائها او قللت منه وبذلك أمكن للفرد أن يعيش فى الهند على ٨ر٠ من الفدان وفى الصين على نصف فدان ٠

تناقض غذائي :

وليس أدل على التناقض الغذائى الدولى من أن الولايات المتحدة ظل بها فائض كبير عن حاجة سكانها من القمح والذرة ، والبيض واللبن ، والجبن ، بحيث أن تخزين هذا الفائض كان يكلفها نحو خمسة الاف مليون دولار سنويا ووضعت المشروعات لشراء هذا الفائض ولتخزينه في مخازن وصوامع هائلة وشجعت المزارعين ماليا للاقلال من الزراعة حتى يمكن انتاج المحاصيل بالقدر اللازم للاستهلاك ، ولا تنخفض أسعارها نتيجة زيادة العرض علي الطلب ، وهكذا ظلت الحكومة تشترى الفائض حتى أصبحت المخازن والصوامع لا تكفى لخزنه ، بدأت تستغل المدرعات والسفن الحربية فى التخزين ، كما دب الفساد الى جزء كبير منه ٠

ثم أتت الحرب العالمية الثانية ، وحلت المشكلة لحاجة الجيوش

الى الغذاء ، ولكن ما أن طويت صفحة الحرب العالمية حتى عادت المشكلة تطل برأسها من جديد فوزعت منها اعانات للبلاد التى خربتها الحرب وبدأت تتخذ فى تصريف هذا الفائض اكثر من اتجاه ٠

ومنها بيع الفائض للدول الاخرى وتسديد الثمن بعملاتها المحليـة او بالدولار ، فاذا تم التسديد بالعملات المحلية فان الثمن ينفق فى نفس القطر لمواجهة مصروفات السفارة فيه ومشروعات التبادل الثقافي وغيرها ، واذا تم بالدولار يقسط على عشرين عاما ، وأحيـانا يتم البيع بالمقايضـة بالمعادن أو الخامات أى تقاضى الثمن بأى شكل من الاشكال ٠

واتجاه ثان وهو المعونة فى حالة الكوارث كالزلازل أو القحط الفجائى فى بعض الاعوام ، وهذه حالات وقتية ٠

والاتجاه الثالث وهو الهبات السنوية ، وقد تمت الهبات منذ عشرين عاما لاسـباب سياسـية ، سواء تمثلت في مشروع مارشال او المساعدات الامريكية لشان كاى شيك ٠

الأمر الذى يعني أنه لم توجد حتى يومنا هذا هبات بالمعنى الحقيقى للكلمة وحتى هـذه الهبات بدأت بعض الدول تعارض قبولها لأنها استهلاكية وليست انتاجية ، فهى لا تأخذ بيدهم لتساعدهم على أن يقفوا وحدهم ، بل تعطيهم سمكة لتخلصهم من الجوع يوما ، ولكنها لا تعطيهم شبكة تخلصهم من الجوع طول حياتهم ٠

وحتى البنك الدولى للانشاء والتعمير الذى يمكن أن تقترض منـــه الدول النامية لتطوير انتاجها ، كان ينحرف أحيـانا عن الطريق القويم ، ويقع تحت تأثير الولايات المتحدة الامريكية ، وليس رفضـه لتمويل السد العـالي ، وما تبعه من تأميم لشركة قناة السويس عام ١٩٥٦ ببعيـد ٠

ولا يسعنا قبل أن نترك هـذه النقطة ، إلا أن نطرح مقارنة طريفـة بين حالة الفرد فى الهند وزميله في الولايات المتحدة الامريكية ٠

	الهند	الولايات المتحدة
الغذاء : عدد السعرات الحرارية المستهلكة بالنسبة للفرد	١٨٠٠	٣٢٠٠
عدد الحجرات لكل ١٠ اشخاص	٢	١٠
عدد الاطباء لكل ١٠٠ر١٠٠	٢٠	١٢٠
النسبة المئوية للمتعلمين فوق ١٠ سنوات	١٨	١٠٠
عدد الطلبة الملتحقين بالتعليم العالى لكل ١٠و٠٠٠ من السكان	١٢	١٥٠
عدد نسخ الصحف التي تطبع يوميا لكل ١٠٠٠ شخص	٨	٣٤٠
عدد اجهزة الراديو لكل ١٠٠٠ شخص	٢	٧٥٠
السيارات لكل ١٠٠٠ شخص	١	٣٩٠

قد يزيد الانتاج فى الولايات المتحدة أو استراليا بمقدار ٥٪ أو ٦٪ فان هذا الانتاج الاضافى ليس ذو فائدة كبيرة لسكان العالم فى مناطق اخرى مثل الهند أو الصين أو أندونيسيا الا اذا استطاع سكان هذه الدول الاخيرة أن يبادلوا هذه المنتجات الزراعية بما عندهم من فائض فى هذا الانتاج ، وما لم تتوفر هذه السلع المطلوبة فمن الصعب الحصول على المواد الغذائية وكلنا يعرف أن فائض هذه الدول النامية ضئيل ٠

المشكلة اذن ليست فى أن العالم يستطيع أن ينتج الطعام الكافى للعدد المتزايد ، ولكن المشكلة تظهر فيما اذا كانت الهند والصين تستطيع أن تستبدل ما تحتاجه بمنتجاتها ، هذا هو الوضع الصحيح للمشكلة ٠

المشكلة تزداد حدة :

ويزيد من حدة المشكلة عاملان ، أولهما التوزيع غير المتساوى للسكان على سطح الأرض بحيث يتجمع نصف أولاد آدم فى شرق آسيا وجنوبها ، خلية تحل فى ١/٣٠ من مساحة اليابس ، بينما هناك مناطق تعانى تخلخلا سكانيا مع وفرة في أراضيها كما فى كندا والبرازيل واستراليا

وغيرها (١) ، بحيث يمكن أن تعول عـــددا أكبر من السكان دون خفض لمستوى معيشتهم ، كما أن هناك مناطق أخرى يمكن أن ترتفع مستوى معيشتها بزيادة سكانها ، ومع ذلك لا يستجيب السكان لما فى أيديهم من موارد ٠

وهكذا تجد الناس فريقين : قلة من الناس لها من الغــذاء نصيب الفيل ، وكثرة ولها من الغذاء القدر الضئيل ٠

أما العامل الثانى فهو عــدم تكافؤ الزيادة السكانية ، فاقل النــاس زيادة فى الوقت الحــاضر يملــكون من الارض ومن موارد أكثر مما هـم بحاجة اليه ، على سبيل المثال فان الزيادة الطبيعية لمعظم البــلاد الاوربية كما يقول نوتشتين ستنخفض فى العشرين عــاما المقبلة بسبب كبر الســن وما يؤدى اليه من قلة فى المواليد ، وزيادة فى الوفيات على عكس ســكان الهند أو الصين أو اندونيسيا فانهــم يزيدون دون نظر الى مابين أيديهم من موارد ٠ فنمو السكان فى الدول النامية يسير بدرجة عالية لأن التقدم الطبي الذي وصل اليهالغرب بعد محاولات من التجربة والخطأ اســتمرت لمــدة قرنين ؛ قدم الى هذه الشعوب فانخفضت الوفيــــات بمعدل أسرع منه فى غرب أوروبا ، فبعد القضاء على الملاريا فى سيلان ، انخفضت الوفيــات من ٢٢ في الألف الى ١٢ فى الألف فى سبع سنوات من ١٩٤٥ الى ١٩٥٢ ؛ هذا المعدل فى الهبوط استغرق فى بريطانيا ٧٠ عاما وفى جــزر موريشس كان هناك هبوط من ٢٧ فى الألف الى ١٥ في الألف اســـتغرق ســبع سنوات بينما استغرق هذا الهبوط فى بريطانيا ١٠٠ عام ٠ ولم يكن هــذا الانخفاض السريع فى الوفيات مصحوبا بانخفاض فى المواليد ، ومن هنـــا كانت الزيادة عالية في تلك المناطق بحيث تصل الى ٢٥ فى الألف ٠

المشكلة فى اطار اقليمى :

اذن كيف تحل الدول النامية مشكلاتها السكانية ، وأقول مشكلاتهــا وليست مشكلتها لأنها فى الحقيقة تطوى بين ضلوعها مشكلات اجتمــاعية واقتصادية وسياسية ؟ كيف تحل مشكلاتها فى اطارهــــا الاقليمى ، لا في الاطار العالمى ؟ كيف تلحق الزيادة الانتاجية اكسبريس الزيادة الســكانية السريع ؟

---

(١) يتجمع ٦٥٪ من سكان العالم فى ثلاثة أقاليم هي أوربا ، جنوب آســيا (الهند والباكســتان) الصين وهــذه الاقاليم لا تزيد على ١٥٪ من مجموع مساحة اليابس ، وهناك تجمعات تعد بعشرات الملايين كما فى مصر ونيجيريا وشرق أمريكا الشمالية واليابان ٠

يا ترى فلاحة الارض فيها على الطريقة الهولندية ؟ إن هـــذه الطريقة تستلزم وجود آلات زراعية معينة ، وحتى هـــذه الآلات الزراعيـــة لايمكن استعمالها في الهند أو الصين لوجود أعداد ضخمة من السكان (فى ظـــل الوضع الحالى) لاتجـــد عملا ، فما بالك بعد ادخال الآلات الزراعيـــة ؟ ستزداد الامور لاشك تعقيدا ، تتضمن هذه الطريقة أيضا قسـطا من المعرفة الفنية والخبرة عند المزارع ، وهـــــذا يقتضى تدريب المزارعين الهنـــود والصينيين ولكن كم من الوقت يمر قبل أن تصل الى النتائج الموجودة ؟ كما أن المزارع الأمى الذى تقدمت به السن سيعجز دون شك عن هضم هـــذه المعارف الجديدة • قد يتحقق هذا ولكن فى المـــدى الطويل ، فهذه التقديرات تتجاهل مفهوم الزمن أو تتناساه ، تنسى أن الصـــين تزيد كل عـــام مايزيد علي ١٥ مليونا ، وأن الهند تزيد كل عـــام ٥ ملايين • وأنه اذا كان فى الامكان زيادة الانتـــاج الزراعى ، فيجب أن يكون فوريا لان كل عام يزيد المشكلة تعقيدا •

اذن فلنرجع الى أوربا ، ماذا فعلت عندما بدأت تحس بضغوط سكانية ملحة فى بعض أطرافها سنجد أنها استجابت بالتصنيع وبالهجرة ؟

تصـنيع :

والواقع أن التصنيع قد يقلب الأوضاع السكانية ، فبدلا من أن تكون الدولة قبل التصنيع مزدحمة بالسكان نجدها بعد التصنيع قد تكون فى حاجة الي أيدى جديدة ، فالصناعة أحد المخارج الرئيسية من المصيدة المالتوسية ، لأنها ستتشرب الفائض من سكان الأرض الزراعية • وكان هذا من العوامل التى هربت بها أوروبا من هذه المصيدة •

إلا أنه فى الدول النامية تظهر بعض عقبات فى وجـــه التصنيع على نطـاق كبير منهـا ضعف الســوق الداخلي ، لأنه لا يستطيع أن يستوعب كميات كبيرة من السلع لضعف القوة الشرائية بين السكان ، لان هـــذه الشـعوب بحكم هبوط دخلهـا النقدى ، لن تستطيع أن تنفق الا قدرا بسيطا من هذا الدخل علي شراء المنتجـات المصنوعة ، فالجـــزء الأكبر منه يتجه للمأكل والمشرب والمسكن ، أى المطالب الضرورية للمعيشة ، وأن تبقى شيء للمصنوعات الضرورية مثل الملابس • أما الأسواق الخارجيـــة ، فنجد أن الدول الصناعية القديمة قد اكتلأسبت معظمها • ثم هنـــاك عقبة وهى قلـة رأس المال المستثمر •

هجرة :

ان سياسة تقوم على تهجير سكان آسـيا تهجيرا مصحوبا بمعونة مالية ومدروسة دراسة عميقة الى بعض البلاد القليلة السكان ، لذات أثر عميق في الأحوال الاقتصادية للبلاد التى سيهاجرون منها ، والبلاد التى سيهاجرون اليها • ولسنا ندعى أن الهجرة التى يوضع لها نظام مدروس من البلاد المخلخلة ستقضى على جميع المشـكلات السكانية فى الصين أو الهند أو اليابان ، ولكن التهجير سيعمل على ظهور أثر الجهود الزراعية والصناعية وما يصحبه من ارتفاع لمستوى المعيشة ، فاذا ارتفع الشعب الى مستوى معين ، فهناك رغبة فى التمسـك بهذا المستوى والارتفـاع به إن أمكن ، ولكن لم يحدث أن كانت هناك رغبة لدى الأفراد أو المجتمعات فى الانحطاط بمستواهم ، ستنخفض معدلات المواليد بدورها تلقائيا • وتبدأ هذه المناطق تمر بالدور السكانى الذى مرت به دول غرب أوروبا •

ثم هناك عامل آخر لايمكن إغفـاله • وهو أن معظم المهاجرين ليسوا من العجزة المسنين ولا من الأطفـال • ولكنهم في الغالب من الشـباب ذوى الاخصاب القادرين على الانجاب • ومن هنـا كان لابد من نقص فى مواليد الوطن الأم كلما هاجر منها عدد من الشباب •

سدود وموانع :

وتعترض في وقتنا الحاضر قوانين الهجرة المختلفة التى سـنتها الدوله فاذا كانت الهجرات الجماعية فى الماضي قد حلت من مشكلة أوربا • إلا أن أمريكا لم تعد غابة مفتوحة أمام كل قادم • فبعد أن كانت تسير طبقا لمـا هو منقوش على تمثـال الحرية فى نيويورك مخاطبة أوربا « الى بالمتعب والفقير وبالجماعات المضطهدة التى تنشد الحرية • الي بالتعسـاء الذين تلفظهم سواحلك • أرسـلى هؤلاء المشردين والفقراء أرسـليهم الى » • أصبحت الآن تضع شروطا للهجرة تحدد عدد المهاجرين بنحو ١٥٠ ألف نسمة سـنويا • يقسم على أفراد القوميـات المختلفة بنسبة عددهـا عـام ١٩٢٠ •

وترفض بعض الدول هجرة الأجنـاس غير البيضـاء كالصينيين واليابانيين والهنود وسـكان الملايو والباكسـتان والزنوج • هؤلاء منع دخولهم بتاتا بصـفة مهاجرين الى كندا واستراليا وجمهورية جنوب أفريقيا • وهذه السياسة الاحتكارية للأرض اتبعتها دول مثل بريطانيا في وقت ما ،

حتى تقيد الهجرة الى مستعمراتها ، ولتكون هـذه المستعمرات منفذا لفائضها السكاني ، خاصة كندا وأستراليا ، ولكن هذا النوع من الهجرة الأوربية لم يعد قادرا على ملء الفراغ الكبير • فهذه البلاد الأوربية لاتميل الى الزيادة الكبيرة في المستقبل كما رأينا ، واذا وجـدت زيادة في بعض أجزاء أوروبا امتصتها أجزاء أخرى •

فالمهاجرون الايطاليون يقبلون في فرنسا بسهولة ، ويهاجر العمال البلجيكيون للعمل في شمال شرق فرنسا ويرجعون الى بلجيكا ، كما استقبلت المانيا نحو نصف مليون ايطالي لتنشيط الصناعة فيها ، ثم أن الأوروبي الذي يرغب في الهجرة يود أن يذهب الى بلاد أعلى مستوى ، فالهجرة على النقيض من الماء تسير من المستوى المنخفض الى المرتفع •

فالنتيجة التي لا مهرب منها هي أن الطراز الوحيد للمهاجر الذي ينجح في تحويل الأرض الخالية الي أرض زراعية هو الفلاح الآسيوي الصيني أو الهندي أو الياباني • فأستراليا كما يقدر الجغرافي الكندي دكتور جريفث تايلور ، تستطيع أن تتحمل عددا يتراوح بين ٣٠ ر ٥٠ مليونا بدلا من ١٤ مليونا الآن •

ولكن الاستراليين يطلقون على جيرانهم الآسيويين ، لقب الخطر الأصفر ويدعون انه اذا تدفقت الهجرات الآسيوية ، فان هذا سيؤدي الي انخفاض الأجور • ذلك أن التشريعات الصناعية عملت على رفع أجور العمال حتى غير الفنيين منهم •

كما نجحت في خلق ظروف مناسبة لهم تعتبر بصفة عامة اكثر تقدما ، مما وصل اليه الحال في أوربا وأمريكا الشمالية • وربما هددت هذه الهجرات هذا المستوى المعيشي ، لانخفاض مستوى معيشة الاسيوي وقبوله أجورا أقل من الحد الأدنى • ولكن الرد على هذا أن الآسيويين اذا هاجروا فلرغبة في رفع مستوى معيشتهم لا لخفض مستوى معيشة الشعب الذي استضافهم ، ولا يمكن أن نتخيل أن الآسيوي أو غير الآسيوي يحب الفقر ويعيش الكفاف •

ثم ينظر الاستراليون الى الآسيويين نظرة عنصرية يلخصها Hughs أحد رؤساء وزراء استراليا في قوله « إذا كان لملايين البشر الذين يزدحمون بالمناكب في آسيا ، اذا كان لهم حق مشروع في الهجرة الي الاراضي الخالية من السكان ، فاننا لايمكن أن نستبعد حقوق سكان استراليا ذاتها في تنظيم الهجرة الى بلادهم • أما اذا اعتبرنا الهجـرة ضرورية وواجبة

لحل مشكلات اكتظاظ السكان ، فمعني هذا ان الارض فى النهاية سترثها الشعوب المختلفة ، فهى اكثر الشعوب تناسلا بوجه عام ، فالاسرة الانجلو ساكسونية المكونة من ٣ تصبح السابع أو الثامن ٣٤٨ فردا ، بينما الاسرة الصينية المكونة من ٧ اشخاص بعد الجيل تصبح حوالي ٦٠٨٧ ، وهذا معناه نهاية المدنية » •

ففكرته قائمة على العنصرية ، وهى فكرة ثبت خطؤها ، بل لقد ثبت فى استراليا ذاتها أن الزيجات الانجلو صينية لا تقل نجاحا عن الزيجات الاخرى ، وفى هذا يقول جريفث تايلور ، « أن الاستراليات الاوربيات الأصل والمتزوجات من صينيين ، يعشن فى سعادة لا تقل عن سعادة اللاتى تزوجن من أوربيين » كما يصرح مدير القسم الطبي هناك بأن الأطفال المولودين يتمتعون بصحة أجود •

ما يقال عن قدرة استراليا على تخفيف الضغط السكاني ، يقال عن كندا التى يبلغ سكانها ٢٢ مليون نسمة ، فانها تستطيع أن تستوعب ثلاثة أمثال هذا العدد دون خفض لمستوى معيشة سكانها •

كذلك الحال فى أمريكا اللاتينية وأرضها العذراء التى قدر لها أن تستوعب ٢٥٠ مليونا ، والتى لم تكن لديها عقدة اللون والجنس بدأت للأسف الشديد تتأثر في هذه الناحية بأمريكا الشمالية • ونتيجة ذلك اصدرت كثير من جمهوريات أمريكا اللاتينية القوانين التى تحد من الهجرة اليها ، فالبرازيل مثلا حددت عدد المهاجرين اليها من أى بلد بحيث لا يتجاوز ٢ ٪ ممن وفدوا إليها بين عامى ١٨٨٤ و ١٩٣٣ ، ولعل الطريف أن اكبر نصيب للمهاجرين (طبقا لهذا القانون) للبرتغال مع أنها ليست مزدحمة بالسكان ، ولا هى فى حاجة ملحة الى الاستفادة من هذا القانون •

مشكلة السكان هي مسئولية عالمية :

هكذا ازداد سكان العالم هذا القرن بمعدل أعلى منه فى أى وقت مضى ، ويبدو انهم سيزيدون مرتين او ثلاث مرات قبل ان يحدث ما يشبه التوقف ، وليست هناك طريقة بطبيعة الحال لمعرفة متى يتم هذا التوقف فى الزيادة السكانية ، ولكن ما يمكن قوله انه استنادا الى ما حدث على فترات متفاوتة خلال العقد الماضى (فى فرنسا وبريطانيا ، والولايات المتحدة الامريكية والآن ايطاليا واليابان وحضور الاتحاد السوفييتى)

تعطي مؤشرات الي انه مع التصنيع وزيادة الحضرية تصبح العائلة الصغيرة هي المستحبة ، ولحسن الحظ أن الثورة التقنية جعلت فى الامكان زيادة انتاج الغذاء واستخدام موارد جديدة ، فى نفس الوقت الذى أدى فيه تقدم الطب الى الزيادة السكانية الهائلة التي شهدها النصف قرن الأخير .

ولكن يجب أن نعرف فى النهاية أن موارد الارض محدودة أمام الزيادة السكانية غير المحدودة مهما بلغت الثورة التقنية ، ولاستغلال موارد جديدة فى نفس الوقت الذى أدى فيه تقدم الطب الى الزيادة السكانية الهائلة التى شهدها النصف قرن الاخير .

ولكن يجب ان نعرف في النهاية ان موارد الارض محدودة أمام الزيادة السكانية غير المحدودة مهما بلغت الثورة التقنية ، ولاستغلال موارد كواكب جديدة لصالح البشرية يحتاج الامر الى « سوبر تكنولوجي » خارج عن طاقة الانسان الآن ، من ثم فمشكلة البشرية فى العقود القادمة الان هى محاولة الحد من الزيادة السكانية قبل أن يزيد الضغط على موارد الارض مما يحول دون الحياة في مستوى معيشى معقول لجميع البشر . وقد بدأت هذه الظاهرة تطفو على السطح الآن ، ذلك أن ٢٠ ٪ من سكان العالم النامى الان يعانون من سوء التغذية ، ٣٠٪ منهم لا يجدون الخدمات الصحية الضرورية ، فضلا عن أن البطالة تفشت بين ٤٠ ٪ من سكانها . واذا كانت تقديرات سكان العالم عام ألفين هو سبعة مليارات نسمة ، فان الدول النامية وحدها ستزيد مليار نسمة حتى ذلك التاريخ .

ان ترك السكان يتزايدون بهذه المعدلات دون اشتراك العالم المتقدم سوف يحولها الي مشكلة سياسية واقتصادية عالمية تمس البشر جميعا المتقدم والنامى على السواء ، ذلك أن الدول التى تواجه هذه المشكلة سوف تخصص مبالغ متزايدة لاستيراد المواد الغذائية الضرورية لإطعام أفواه الملايين من المواليد الجدد كل عام ، ومعنى هذا تقليص المبالغ اللازمة لأغراض التنمية الزراعية والصناعية ، وبالتالى سيتقلص حجم استيرادها من الدول الصناعية ، والتى لن تجد أسواقا لتصريف منتجاتها ، وبالتالى تغلق مصانعها وتتفشى فيها البطالة وقد تنهار بعض اقتصادياتها .

وفى نفس الوقت لا شك أن الدول التى تعانى نقصا في المواد الغذائية وليست لديها القدرة الاقتصادية لاستيراد المواد التموينية ، ستضغط على الدول المجاورة ، ولو أدى الامر الى الالتجاء الى النزاع المسلح ٠

لابد اذن من حل المشكلة على المستوى العالمى ، واعتبار البشر جميعا مسئولين عن حلها : المتخومون بالغذاء وذوو المسغبة ، الذين لديهم أراضى خالية لا تستغل على الوجه الاكمل والذين ليس لديهم منها شبر غير مستغل ، ونظن أن مليار دولار تصرف يوميا علي السلاح للخراب ، يمكن أن تخفض الى الربع مثلا ، ويوجه الباقى لصالح البشرية ٠

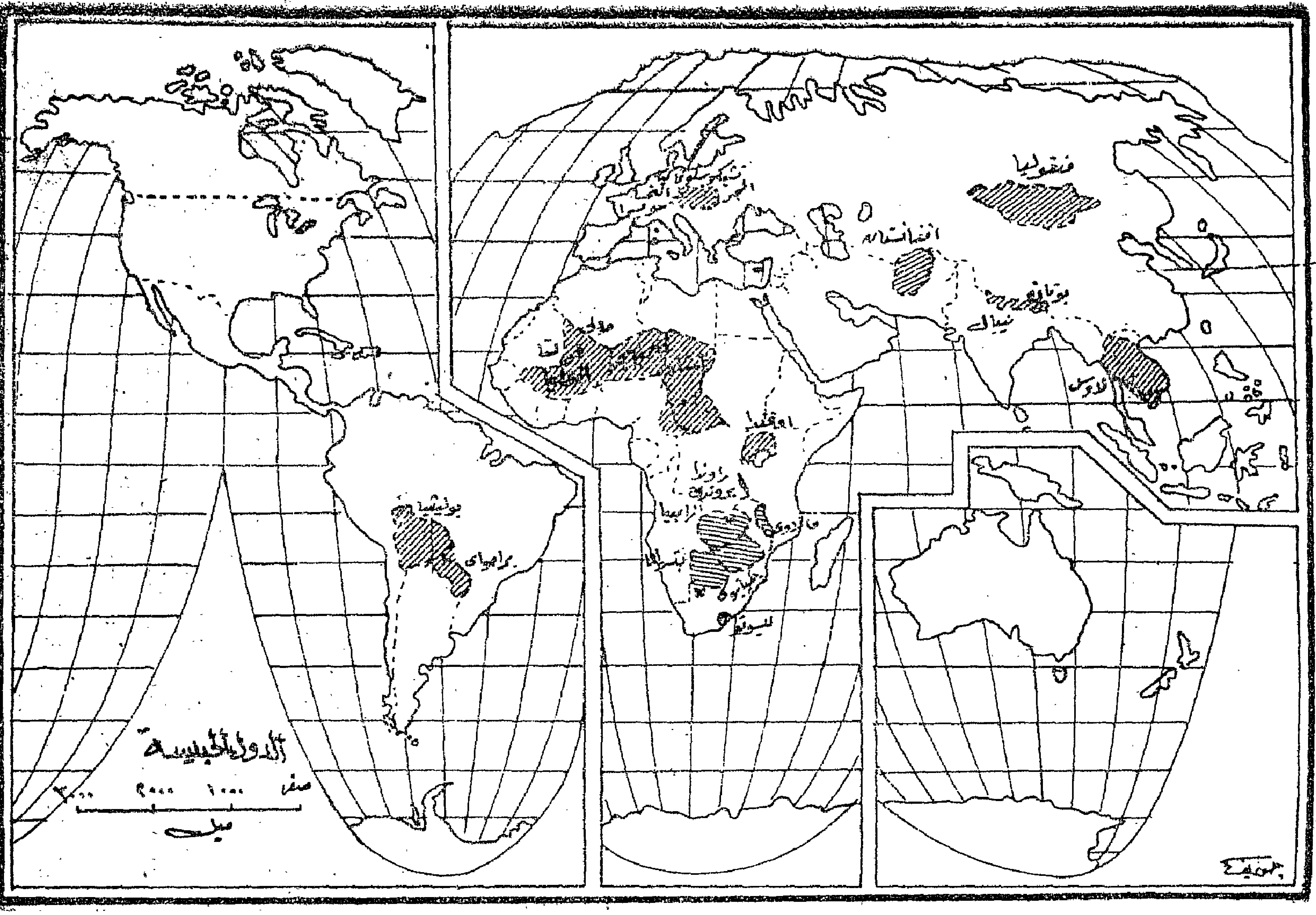
الفصل الثانى

الدول الحبيسة

سبق لنا أن ذكرنا بأن هناك ٣١ دولة لا تطل على البحر بأى شكل من الاشكال ويطلق عليها الدول الحبيسة ، ومعظم هذه الدول الحبيسة تجاورها أكثر من دولة وتعتمد الدول الحبيسة على الدول المجاورة فى فى تصريف تجارتها ، إذ تعتمد الدول على البحر لتصريف جزء من تجارتها الخارجية ، فضلا عما تجنيه منه ، ولعل النزاع وعدم اتفاق الدول الساحلية علي المياه الاقليمية والمياه الاقتصادية خير دليل · وتصبح الدول الحبيسة بالتالى فى وضع لا تحسد عليه ، الا اذا ضمنت حق المرور الى البحار والمحيطات كالدول الساحلية ، حق المرور البرىء فى المياه الاقليمية ، والحصول على تسهيلات في موانى الدول الساحلية ، ووسائل نقل من هذه الموانى الى الداخل ، أى أنها تبحث عن مجموعة من الضمانات وإلا أصبحت من ناحية الموقف السياسى الدولى فى عزلة ، وقد يترتب علي هذا الوضع قيام كثير من نزاعات الحدود بغرض تأمين ممرات أو منافذ حرة ودائمة الى البحر ·

الدول الحبيسة

افريقية	آسيا	أوربا	امريكا الجنوبية
بتسوانا	أفغانستان	أندورا	بوليفيا
بوروندى	بوتان	النمسا	براجواى
أفريقية الوسطى	لاوس	تشيكوسلوفاكيا	
تشاد	منغوليا	ليشتنشتين	
ليسوتو	نيبال	لوكسمبرج	
مالاوى	سكيم	سويسرا	
مالى		سان مارينو	
النيجر		مدينة الفاتيكان	
زيمبابوى		المجر	
رواندا			
سوازيلاند			
أوغندا			
الفولتا العليا			
زامبيا			
(١٤)	(٦)	(٩)	(٢)



(شكل رقم ١١) الدول الحبيسة

فلقد أصبحت المحيطات مسالك وطرقا للقوة فى عصر التقدم التكنولوجى بعد أن كانت تمثل فواصل مائية ضخمة تعزل البشر بعضهم عن بعض • اذ نقلت البحار ثروات المستعمرات من خامات زراعية وصناعية الى الدول المستعمرة ، وساعدت على غناها وقوتها ، وما زالت تفرغ السفن الى الآن هذه الخامات فى موانى الدول الصناعية ، حيث تقوم الصناعة في أحوال كثيرة لتفادى تكاليف النقل الى الداخل ، هكذا يتدفق سيل من السلع والافكار على هذه المدن والموانى ، وفى كثير من الاحوال تمثل القلب النابض بالنشاط الاقتصادى (الموانى الشرقية للولايات المتحدة الامريكية • موانى غرب أوربا ••• الخ ، هذا بينما لا تجد الدول الحبيسة مفرا من نقل السلع منها واليها عبر الموانى الاجنبية ، وأملها الوحيد أن أن يتم هذا عبر أقرب الموانى اليها وأرخص الطرق دون أن تجد صعوبات أو عقبات ، وهذا يتوقف على علاقة الدولة الحبيسة بجارتها أو بجيرانها ، لأن الدولة أو الدول الساحلية قادرة على غلق هذه المسالك فى وجهها •

الوصول إلى البحر عن طريق الأنهار :

اذا كان النزاع للوصول الى البحر قديما ، فقد ظهر بصورة جلية في القرن التاسع عشر ، ويجب أن نشير فى هذا المجال أنه ليس من الضرورى أن تكون الدولة محرومة من السواحل لتكون فى حاجة الى موانى غيرها ، فقد يكون الساحل قصيرا أو صخريا أو لا يصلح لقيام الموانى فيه لسبب أو لآخر ، من ثم تقوم مثل هذه الدولة بتنمية ميناء أو موانىء علي نهر يمر فيها ، وينتهى فى دولة أجنبية مجاورة ، واذا أغلقت دولة المصب هذا المنفذ عزلت الدولة الداخلية تماما ، وهذا ما حدث فعلا عندما أغلق الهولنديون مصب الشلد أمام البلجيك في منتصف القرن السابع عشر وعزل ميناء أنتورب البلجيكى عن البحر لمدة بلغت نحو قرن ونصف حتى أمكن جيوش الثورة الفرنسية غزو هولندا ، وفتح مصب الشلد للملاحة عام ١٧٩٢ ، وأعلن مجلس الثورة الفرنسى بأن العقبات التي وضعت أمام التجارة ، هى مناقضة تماما للمبادىء الأساسية للقانون الطبيعي ، فمجارى الانهار ملكيتها واستخدامها لكل الدول التى تجرى فيها ، ثم كانت لائحة الملاحة الدولية التى أقرتها الدول فى مؤتمر فيينا عام ١٨١٤ ، والتي استندت اليها الولايات المتحدة الأمريكية فى حق مرور تجارتها فى نهر سنت لورنس الى المحيط الأطلنطى •

وتستخدم المجارى النهرية أيضا بواسطة الدول الساحلية التى بحثت عن مخارج اضافية ، ففى المثل السابق مازال الشلد يعتبر مخرجا رئيسيا لبلجيكا التي تطل على بحر الشمال ، كذلك يخدم نهر يرانا وروافده

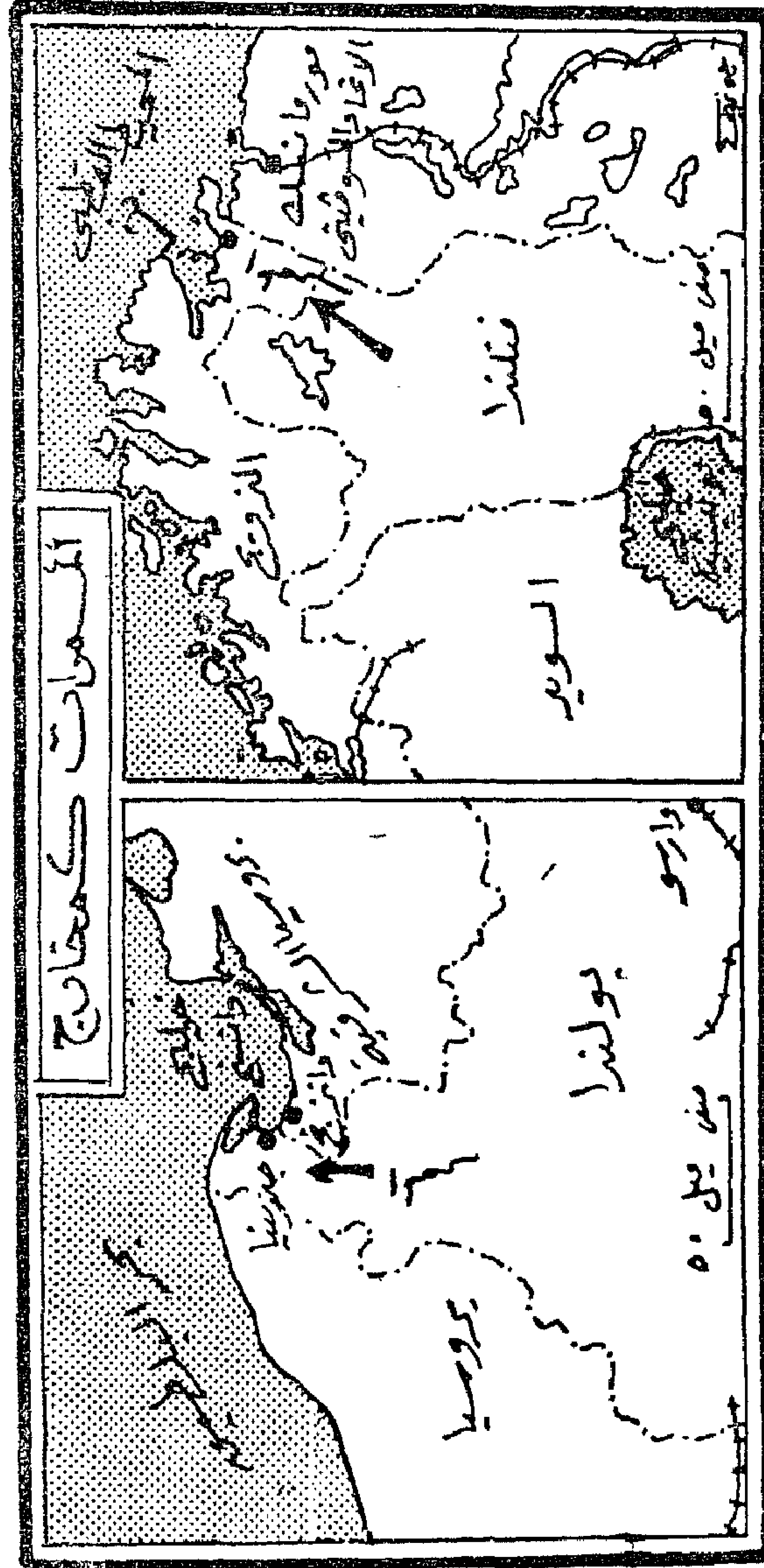
جنوبى البرازيل ويخدم سانت لورنس الولايات المتحدة الأمريكية كما تستخدم ألمانيا أنهار وقنوات هولندا فى حركتها التجارية رغم أن لكل من الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية سواحلها وموانيها المتعددة ٠

الوصول الى البحر بواسطة الممرات :

كانت فكرة الممرات Corridos تعتبر حلا مناسبا ومستخدما لمشكلات الدول الحبيسة وخاصة فى أوربا ، قبل أن تستقر الحدود السياسية ، وقبل تبادل الأراضى ، ولكن هذه الفكرة غير مقبولة الآن ولا ينصح بها أحد لأوغندا أو زامبيا أو بوليفيا ، ولكنها كانت مستخدمة فى أوربا منذ نحو نصف قرن كحل لسلام دائم لاتقطعه عزلة الدول الحبيسة وأشهر هذه الممرات هو **الممر البولندى** الذى ظهر علي الخريطة السياسية عقب الحرب العالمية الأولى ، ذلك أن بولندا بدون مخرج على بحر البلطيق تصبح دولة حبيسة ، فضلا عن أن منافذها اليه سوف تكون تحت رحمة دولة لها معها تاريخ طويل من العداء والبغضاء (ألمانيا) ٠ فكانت فكرة الممر البولندى لايجاد مخرج طبيعى فى مقابل حرية حركة الألمان على الطرق والسكك الحديدية التي تمر بين ألمانيا وبروسيا الشرقية وكان تحديد الحدود السياسية فى المنطقة القريبة من بحر بلطيق صعبا لأن أغلبية السكان من الألمان ، وأدى هذا الى فصل بروسيا الشرقية عن بقية الوطن الألمانى ، وتحويل ميناء دانزنج الذى يسكنه الآلمان الي ميناء حر تحت ادارة عصبة الأمم ، وظل سكان دانزنج من الألمان (٤٠ ألف نسمة) على ولائهم لألمانيا ، وظلوا يطالبون بالعودة اليها وشيدت بولندا ميناء جديدا الى الشمال الغربى من دانزنج عام ١٩٢١ ، وبعد انتهاء هذا الميناء الجديد توقفت الحركة فى ميناء دانزنج ، ونظرا لما أصاب هذا الميناء من ركود ، فقد أصبح مركزا للدعاية النازية فى الثلاثينات واستغل هتلر توفر سكان ميناء دانزنج والممر البولندى فى المطالبة بعودة هذه الأراضى حتي كانت الحرب العالمية الثانية وضم ألمانيا له ، ثم طرد الروس للألمان مرة أخرى وتحركت حدود ألمانيا الى نهر الاودر ٠ وعند ما تحصل الدولة الداخلية على ممر ، فان هذا معناه اتساع فى مساحتها وان كان قد يؤدى الي تشويه فى شكلها ، ولكن المهم انها تمد سيادتها على الممر ، وهو حل مستحب للدولة الداخلية بدلا من الحصول على تسهيلات فى السكك الحديدية أو الأنهار أو موانى الدولة الساحلية المجاورة ، لأنها لاتمتد بسيادتها فى الحالة الأخيرة ٠

وكان البولنديون يصرون دائما على أنهم لم يحصلوا على منطقة الممر

لانهم يمثلون دولة حبيسة فحسب ، بل لأن من يعيشون فيها بولانديون وليسوا بألمان ، وطبقا لحق تقرير المصير الذى انتشر عقب الحرب العالمية الأولي ، فانه (يصبح من حق بولندا وليس من حق المـانيا) .



شكل (رقم ١٢) الممران القطبى والبولندى

والممر القطبى aretic corridor أو الممر الفلندى نموذج آخـــر لوصـــول الدولة الى البحـــر ، فعندما حصلت فنلندا على اســـتقلالها من

روسيا عام ١٩٢٠ ، حصلت أيضا على الممر الفنلندى وكأنه كان هدية عيد ميلاد الدولة الجـــديدة ، ويشبه الممر الفنلندى نظيره البولندى ، وفى نفس الوقت يختلف عنه ، يشبهه فى أنه يعطى منفذا الي البحر ، ذلك أنه رغم ان لفنلندا سواحل تطل على خليج فنلندا وخليج بوثنيا ، فموانيها متجمدة طوال الشتاء ، وبالتالى يتيح الممر القطبى ميناء شتويا يصله تيار الخليج الدافيء ولكن وجـــــه الاختلاف عن الممر البولندى يأتى من كون الممر الفنلندى شبه خالى من السكان ، ذلك أن فنلندا فى فصل الشـــــتاء تعتبر معزولة ، وقد أقيم ميناء بتسامو على أمل أن يبرر خلق هـــذا الممر ، ولكن بينما يتصل الممر البولندى بقلب الدولة تقريبـــا ، فان الممر الفنلندى يعيد عن قلب الدولة ومراكز نشاطها الاقتصـــــادى فى الجنوب فالرحلة البحرية الطويلة الي ميناء بتسامو رغم أنه ميناء مفتوح شتاء ، فضلا عن نقل السلع مرة أخرى الى جنوبى البلاد جعله ذو أهمية ضـــئيلة بالنســـبة لنشاط فنلندا التجارى ، ولم يزد عدد سكان ميناء بتسامو بعد عشرين عاما من انشائه على ألفين من السكان ، لذلك لم يكن هناك مايبرر أهمية هـــذا الممر الفنلندى ، وقد ضمه الاتحاد السوفيتى عام ١٩٤٥ ، أى بعد الحرب العالمية الثانية ٠

وتتعدد الممرات في القارات الاخرى ، وفى افريقيـــا نجـــد نموذجين للممرات في كل من زائير وناميبيا ، فقد استبدلت الحـــكومة البلجيكية (المستعمرة للكنغو) عام ١٩٢٧ مساحة ميل مربع واحد بأربعمائة وثمانين ميلا مربعا مع البرتغاليين ، وكان هذا الميل المربع لتنمية ميناء متادى على مصب نهر زائير ٠ أما اصبع كابريقي فى ناميبيـــا ، فقد وافق عليه مؤتمر برلين عام ١٨٨٥ تحت ضغط المانيا لربط جنوب غرب أفريقية بنهر الزمبيرى الدولى (وان كان الغرض الفعلى غير ذلك ، بل ربط جنوب غرب أفريقيه بتنجانيقا الألمانيتين وقطع طريق القاهرة - الكاب البريطانى) ، ولم يؤدى هذا البروز فى خريطة جنوب غرب أفريقيه الغرض المطلوب ، وان كان قد أدى غرضا آخر استراتيجيا منذ عام ١٩٦٥ مع ظهور زامبيـــا المستقلة المعارضة للنظام العنصرى في جمهورية جنوب أفريقيه فبدأت الحـــكومة الأخيرة فى انشاء قواعد عسكرية فى هذا الأصـــبع لمواجهة الحـــركات التحررية التى تغير عليها من زامبيا ٠

المرور أو الترانسيت :

والحل الثالث والأخير لمشكلة الدول الحبيسة هو حرية المرور لتجارتها وهذا فعلا ما تعتمد عليه معظم الدول الحبيسة فى العالم ، وقد عقد مؤتمر دولى فى برشلونة عام ١٩٢١ ، ووقعت أربعون دولة ساحلية على اتفاق يقضى بالسماح ومساعدة حركة التجارة للدول الحبيسة عبر أراضيها الى أقرب ميناء ، دون تمييز أو ضرائب أو مكوس ، كما عقدت اتفاقيات ثنائية كثيرة بين الدول التى لم توقع على ذلك الاتفاق ، عقدت الأمم المتحدة مؤتمرا بهذا الخصوص عام ١٩٥٨ ، ودعت له ممثلو اثنتا عشر دولة حبيسة . وكان هناك اعتراف بحق هذه الدول في حرية المرور ولكننا نلاحظ أنه فى عام ١٩٥٨ ، لم تكن هناك دولة أفريقية واحدة ممثلة ، بينما هناك اليوم أربعة عشر دولة أفريقية حبيسة ، وهذا معناه مضاعفة عدد الدول الحبيسة ، بالتالى يحمل هذا معه مشكلات مضاعفة ، فقد تضطر مالى والفولتا العليا الى التحول بتجارتها عن أقرب الموانئ اليها وهو داكار ، وذلك لسوء العلاقات فى بعض الأحيان مع السنغال ، كذلك الحال في أوغندا ، فمنفذها الوحيد بل الأوحد على المحيط الهندى وهو ميناء مجسا الكينى كما يعتمد تشاد والكمرون على الموانى النيجيرية ، وتعتمد الفولتا العليا على أبيدجان فى ساحل العاج .

وتعتبر زامبيا في أفريقية نموذجا لما عانته وتعانيه دولة حبيسة تعتمد على النحاس كصادرها الرئيسى ، وكان خام النحاس يخرج من زامبيا قاطعا طريقا طوله ١٥٠٠ كم (كالمسافة بين باريس وموسكو) اما الى ميناء بيرا فى موزمبيق ، أو ميناء لوبيتو فى أنجولا ، وكلاهما كان مستعمرة برتغالية حتى عام ١٩٧٥ ، كما أعلنت روديسيا استقلالها غير الشرعى عام ١٩٦٥ (١) ، وكان الطريق عبر روديسيا وموزمبيق هو أفضل تلك الطرق بل كان أهمها جميعا قبل توليد الكهرباء من سد الكاريبا لأنه في حقول فحم وانكى فى روديسيا ، ويتزود منها بالوقود ، وتحمل العربات الفحم الى زامبيا فى رجوعها لتعدين نحاس زامبيا ، ولكن هذا الطريق الذى استخدم كمخرج للنحاس وكمدخل لواردات زامبيا لعقود عديدة لم يكن من السهل استخدامه لتوتر العلاقات بين زامبيا وروديسيا ، وإيواء زامبيا لحركات التحرير .

---

(١) نالت روديسيا استقلالها الفعلى عام ١٩٨٠ باسم دولة زيمبابوى

وأدى هذا الي صعوبات جمة أول الأمر ، ونظمت بريطانيـــا طلعات جوية تحمل الوقود الضرورى الى زامبيا حتى لايصاب اقتصادهـا بشلل ، ولم تستطع زامبيا أن تصــدر سوى ٣٠ ألف طن من النحـــاس بدلا من المتوسط العام وهو ٦٠٠ ألف طن بالطريق البرى الى تنزانيا ، والتى كانت بدورهـا تســـتقبل واردات زامبيا ، بينمـــا الباقى كان تحمله الخطوط الحديدية الي لويتو على المحيط الأطلنطى ، ولما كانت هذه الاجراءات غير كافية ، وقعت كل من تنزانا وزامبيا اتفاقا عام ١٩٦٩ مع الصين لمد خط حديدى يمتد من زامبيـــا الى تنزانيـــا بقرض قدره ١٥٠ مليون جنيـه استرلينى يسدد بدون فائدة على مدى ثلاثين عاما .

بدأ العمل فيه عام ١٩٧٠ ، وانتهى عام ١٩٧٤ ، ودشن في أكتوبر ١٩٧٥ ، ويربط هذا الخط سكك حديد زامبيا عند موبوشى ، ويسير لمسـافة ١٨٧١ كم ليصل الى دار السلام عبر أراضى وعرة وخاصة فى قطـــاعه الجنوبى ، ولكن الانتهاء منه حرر زامبيا من القيد الذى وضـــع لهـــا ، كما زاد فى عزلة روديسيا وقوى الروابط بين زامبيا وتنزانيا .

وهكذا رغم أن الدول الساحلية تحترم تعهدها بحرية مرور التجـارة للدول الداخلية فيمكن للدول الداخلية أن تواجه صعوبات ، اذا ما تدهورت العلاقات ، كما رأينا في حالة زامبيا ، وكما هو الحال فى برلين الغربية ، ويذهب البعض الى أن حرية المرور لم تكن ذات أهمية لأقليم فى أوربا كما هو الحال بالنسبة لبرلين الغربية ، فعندما تقدم الحلفـــاء فى نهـــاية الحرب العالمية الثانية نحو ألمانيا كان الروس أسبق الى احتلال العاصـمة برلين ، وبذلك وقعت فى كاملها ضمن القطــاع الروسى (في ألمانيـــا الشرقية الآن) واتفق على تقسيمها الى برلين الشرقية (النفوذ الروسى) وبرلين الغربية (كانت مقسمة بين قوات الاحتـلال الفرنســـية والانجليزية والأمريكية) ، وبنت ألمانيا الشرقية سور برلين - فضلا عن شبكة الأسـلاك المكهربة على نهر سبيرى ، وأصبح مركز الكتلة الغربية حرجـا لأن برلين بشطريها تقع ضمن ألمانيا الشرقية ، وكانت الكتلة الغربية تتصـل ببرلين الغربية عن طريق خط حديدى ، وطريق سيارات ، وكان هناك تهديد فعلى بحصارها ، وقطع هذين الطريقين عام ١٩٤٨ ، وبعدها بين ألمانيا الغربية وبرلين الغربية .

الفصل الثالث

جنوب أفريقية نموذج للمجتمع المركب والتمييز العنصرى

مجتمع مركب : لا يمكن في الحقيقة اطلاق لفظ أمة أو مجتمع واحد على سكان جنوب أفريقيه الذين بلغوا ٢٦ مليونا بل الأصلح بأنه عدة مجتمعات أو أمم ·

أولا ـ الافريقيون الأصليون أو زنوج البانتو الذين يكونون أغلبية السكان (٧٠ ٪) قد بلغوا نحو ١٨ مليون نسمة عام ١٩٧٦ ، وهم ينتمون الى الشعبة الجنوبية للبانتو ، وأهم مجموعاتهم القبلية : **النجونى :** (سوازى واكسوزا والزولو) **والسوثو** (السوثو الجنوبيون وتسوانا ، والفندا وشنجانا وتسونجا) وتمتد مجموعة النجونى فى النطاق المحصور بين جبال داركنزبرج والمحيط بينما تنتشر مجموعة السوثو علي الهضبة ·

تطور سكان جمهورية جنوب أفريقية بالألف

	المجموع	البيض	الملونة	الآسيوية	البانتو
١٩١٠	٦ر٩٠٠	١ر٥٠٠	٥٤٦	١٦٦	٤ر٧٠٠
١٩٢١	١٦ر٠٠٠	٢ر٠٠٠	١ر٥٠٠	٤٧٧	١١ر٩٠٠
١٩٧٠	٢١ر٥٠٠	٣ر٧٥٠	٢٠٠٠	٦٢٠	١٥ر٠٠٠
١٩٧٦	٢٦ر٠٠٠	٤ر٥٥٠	٢ر٤٤٠	٧٥٠	١٨ر٢٠٠

ثانيا ـ العناصر البيضاء ، وبلغوا نحو ٤ مليون نسمة عام ١٩٧٦ أو نحو ١٧ر٥ ٪ ، وغالبيتهم من ، الهولنديين أو الافريكانرز ، بدأت هجرتهم الى جنوب أفريقية بانشاء مكتب للاشراف على الملاحة فى مدينة الكاب عام ١٦٥٢ ، ثم شجعت الشركة الهولنديين على الاستقرار وفلاحة الأرض لمد السفن بحاجتها من الخضروات واللحوم ، وتوالت أفواج من الهولنديين المزارعين (البوير) فضلا عن البروتستانت الفرنسيين ، غير أن الموجة الكبرى الاخرى وفدت بعد ما احتلت بريطانيا اقليم الكاب ، وكانت معظم هذه الموجة انجليزية ، وتدهورت العلاقات بين الجاليتين واتجه البوير نحو

الشمال الشرقي بعد عام ١٨٣٦ حيث أسسوا دويلات مستقلة (أورانج الحرة والترانسفال) ، ولكن اكتشاف الماس في كمبرلي والذهب في الترانسفال عام ١٨٦٧ ، أدى الى هجرات انجليزية جديدة ٠ ودخلت العلاقات مرحلة حاسمة بين الفريقين بقيام حرب البوير (١٨٩٩ / ١٩٠٢) التي انتهت بهزيمة البوير ، وتكوين اتحاد جنوب أفريقية عام ١٩١٠ تحت التاج البريطاني ٠ ويتكلم البوير الأفريكانية ، وفيها من الهولاندية القديمة كما يتكلم الانجليز اللغة الانجليزية ، وكلاهما معترف به كلغة رسمية ٠ على أن العناصر الأوربية لا تقتصر على ذوي الأصول الانجليزية أو الهولندية فحسب ، فهناك ذوى الأصول الفرنسية والايطالية واليونانية وغيرهما ٠ وبعد ما يزيد على نصف قرن من تكوين الاتحاد أي في عام ١٩٦١ انسحب الاتحاد من الكمنولث البريطاني في مارس من ذلك العام ، وألغي منصب ممثل بريطانيا ، وأعلنت جمهورية في آخر مايو من العام المذكور ٠ هذا وقد استولى الحزب الوطني (حزب الافريكانرز) على الحكم منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن ، وهو المسئول عن المجتمع المقسم وسياسة العزل الاجتماعي Apartheid السائدة هناك ٠

الملونون :

ويقصد بهم العناصر الملونة التي نتجت عن اختلاط الأوربيين بنساء الهوتنتوت ونساء الرقيق الذين جلبوا من غرب افريقيه وشرقها ، فضلا عن الملايو ، وكان هذا من الأمور العادية في بداية الاستيطان ، نظرا لأن الهجرات الأوربية كانت في معظمها ذكرية ، حتى لقد قدر أنه في السنوات الأولى للاستيطان الأبيض ما بين عامي ١٦٥٢ ، ١٦٧٢ كان حوالي ٧٥ ٪ من الأطفال الملونين من أمهات من الرقيق وأباء من البيض ٠ ولم يتوقف الاختلاط بينهما فيما بعد ، وان كانت القيود قد زادت منذ القرن التاسع عشر ٠ ويعيش ما يقرب من ٩٠ ٪ منهم في ولاية الكاب يعملون بالزراعة ، وكعمال في المصانع فضلا عن الخدمة المنزلية لدى البيض ، ويكون هؤلاء نحو ٢ر٥ مليون نسمة أو أقل من ١٠ ٪ من السكان ٠

الاسيويون أو الهنود :

وبدأوا يتوافدون على جنوب أفريقية وعلى اقليم ناتال بصفة خاصة منذ عام ١٨٦٠ ، حينما بدأ المستوطنون زراعة قصب السكر ، وعجزوا عن تشغيل البانتو ، غير أن الهنود استقدموا عائلاتهم فيما بعد ، وعملوا مرارا بعد انتهاء العقود ، إما فى المزارع أو المصانع أو المتاجر ، وبدأوا يتحولون أيضا الى ملاك للأراضى ، وحينما أحس المستوطنون بمنافســـتهم عرض عليهم العودة الى الهند ومكافاتهم ولكنهم رفضوا ، ويكونون نحو ٣ ٪ من السكان أى ثلاثة أرباع مليون نسمة ٠

ما بين الأبيض والأسود :

ينظر المستوطنون البيض الذين يسيطرون على مقرات البـــلاد فى جنوب أفريقية بأسى بالغ الي ذلك التطور الذى لحق على نســـبة الزيادة بينهم وبين العناصر غير البيضاء وخاصة البانتو فقد كانت هذه النســـبة عام ١٩٢١ هى ١ : ٦ر٣ ، وبلغت ١ر : ٢ر٤ عام ١٩٥٢ ، ثم قفزت الى ١ : ٦ر٤ عام ١٩٧٠ ويقدر أنها ستصل الى ١ : ٦ عام ١٩٨٠ ٠

ويعتبر الحزب الوطني أن أى مشاركة للعنـاصر غير البيضـاء فى الحكم ، معناه انتقال السلطة تدريجيا من أيدى المستوطنين الي الأفريقيين ٠ وكون جمهورية جنوب أفريقية تتكون من عنـاصر متعددة من النـــاحية السـلالية ليس معنــاه بالضرورة قبول مجتمع تذوب فيه الحواجز بين الجماعات ، من ثم كانت فكرة **الابرتهايد** وهى كلمة بلغة الأفريكانرز معناها الفصل بين المجتمع الابيض وغير الابيض فصـــل اجتمـاعى وسـياسى واقتصادى ، ولكنه فى الحقيقة نوع من التفرقة العنصرية والرغبة فى أن تظل السلطة فى أيدى الأقلية البيضاء كمـا **قال رئيس وزراء جنوب أفريقيه عام ١٩٦٣ عن الهدف الأساسى لسياسة الأبارتهيد عند ردهـــا الى أبسط أشكالها ليست الا اننا نريد جمهورية جنوب أفريقية بيضاء ٠٠٠ وبقاؤهـا لا يمكن أن يعنى الا شيئا واحدا وهو السيطرة البيضاء ، واذا كنا متفقين بأنه ينبغى أن يتمكن الرجل الأبيض من الاستمرار فى حماية نفسه بواسطة الاحتفاظ بالسيطرة البيضاء ، فاننا نقول أن هذا يمكن تحقيقه من خـــلال التطور المنفصل ٠**

اعتماد التنمية الاقتصادية على العناصر غير البيضاء :

ولكن رغم خوف الجماعات البيضاء من العناصر غير البيضاء ورفضهم من الناحيتين الاجتماعية والسياسية ، فانهم يرغبونهم من الناحية الاقتصادية ، واذا كانت الحساسية اللونية والتفرقة العنصرية قديمة فى الاقليم بحيث نص عليها فى دستور ١٨٥٦ الخاص بالترانسفال ، فان هذه المسألة مرت دون نص عليها عند ما تكون الاتحاد عام ١٩١٠ على اعتبار أن المشكلة الأساسية وقتئذ قد حلت بين المجموعتين من البيض بانتهاء حرب البوير ، أما العلاقة بينهما وبين الجماعات غير البيضاء فستكون الخطوة التالية • ولكن الحقيقة أن هذه المشكلة لم تأخذ شكلا جادا منذ استولى الحزب الوطنى (البوير) على الحكم منذ عام ١٩٤٨ ووجهت القوانين والاجراءات لتحقيق هذا الفصل ، ولكن التطور الاقتصادى لجنوب أفريقية كان يعمل فى اتجاه مضاد نحو جمع البيض وغير البيض معا •

فاذا كانت التنمية الاقتصادية لجنوب أفريقية قد بدأت باكتشاف الماس عام ١٨٦٧ والذهب عام ١٨٨٦ فان قيام قاعدة اقتصادية عريضة لم تعرفه جنوب أفريقية الا منذ نشاط الصناعة خلال الحرب العالمية الأولى ، ووضع تعريفة حامية فى العشرينات ، وكانت هناك دفعة أخرى فى الثلاثينات بعد الكساد العالمى بحيث زادت القوى العاملة فى الصناعة بنحو ٧٧ ٪ فى خلال فترة ١٩٣٣ / ٣٩ ، وزاد عدد العاملين في الصناعة لأول مرة من العناصر غير البيضاء على العناصر البيضاء : ١٤٣ ألف نسمة الى ٩٣ ألف نسمة على الترتيب •

وكانت الحرب العالمية الثانية بمثابة دفعة كبرى في التنمية الاقتصادية ، بحيث اكتشفت مناجم جديدة للذهب ، وتطورت الصناعة ونمت القوى العامة فى القطاع النقدى نموا كبيرا ، حتي بلغت ٥ر٧ مليون نسمة عام ١٩٦٠ ، ولكن ٨٠ ٪ من هذا العدد على الأقل كان من العناصر غير البيضاء ٢٠ ٪ فقط من العناصر البيضاء مما يدل على مدى المساهمة والمشاركة فى القطاع الاقتصادى الحديث • ويختلف مدى هذا التدخل والمشاركة من اقليم الى اقليم ، بينما نجدها وقد بلغت مدى بعيدا في المدن التى نمت وتضخمت ، فانها تتضاءل فى المعازل حيث يمارس الاقتصاد التقليدى وتصبح وسطا فى مزارع المستوطنين •

ثلاثة قطاعات :

وهكذا نجد جنوب أفريقية وبه ثلاث وحدات أساسية فيما يختص بالابرتهايد ومن هنا لابد من تقسيم جنوب أفريقية الى قطاع البيض ويضم المدن الرئيسية والمزارع الأوربية من ناحية ثم خمسة معازل للبانتو من ناحية أخرى . ففي هذه القطاعات تدور وتتشابك وتقوم الصراعات وتصطدم القوى السياسية والاقتصادية .

أولا - الابرتهايد فى المراكز الحضرية :

يعيش نحو نصف سكان جمهورية جنوب أفريقيه فى المدن التى نمت نموا كبيرا نتيجة للتقدم الصناعى ، ويعيش ثلثى سكان الحضر في الثمان مدن الكبرى كيب تون ، دربان ، بورت اليزابيث ، مجمع بريتوريا ، جوهانسبرج ، بلمفنتين ، بيتر مارتسبرج ، ايست لندن ، كمبرلى فى مثل هذه المدن تظهر مشكلة العلاقة بين السلالات بصورة حادة فهى مشكلة قرب كل سلالة من الأخرى ، وهى مشكلة التكيف الاجتماعي لجماعات حضارية مختلفة ، ومشكلة المنافسة بين الجماعة والأخرى على فرص العمل . وتختلف درجة الحضرية فى كل مجموعة ، فيضم الحضر ٨٤ ٪ من البيض ، ٨٣ ٪ من الآسيويين ، ٦٨ ٪ من الملونيين ، ٣٢ ٪ من البانتو ، ولكن الظاهرة السائدة بينهم هى اشتراك الجميع فى سرعة التحرك الي المدن خلال الربع قرن الأخير ، ويعتبر هذا التحرك الى المدن بالنسبة البانتو ثورة اجتماعية شبيهة بما حدث لدى أقربائهم فى أفريقيه المدارية والمشكلة بالنسبة للبيض الآن هو أن العناصر غير البيضاء أصبحت تمثل ٦٥ ٪ من سكان الحضر بوجه عام ، ويحس الأبيض أنه فى معقله وفى مجتمعه الصناعى أصبحت النسبة بينه وبين غير الأبيض هى ١ : ٢ وسوف تزيد فى المستقبل . ومن بين هذه العناصر غير البيضاء يبرز البانتو كعنصر سائد بنسبة ٤٧ ٪ ، وتقدر هجرة البانتو سنويا الى المدن بنحو ١٠٠ الف نسمة وقد ورد فى التقرير الذى قدمته اللجنة التى شكلت لبحث هذه المشكلة عن التنمية الاقتصادية اذا لم تتحول من تركيزها الشديد فى الثمان مدن الكبرى ، فان النتيجة الحتمية هي زيادة عناصر البانتو ، ومع نهاية القرن ستكون النسبة فى الحضر هى ١٠ مليون للبانتو ، ٥ مليون للعناصر البيضاء فى نهاية هذا القرن .

أما الآسيويون الذين يقتربون من ثلاثة ارباع مليون نسمة فيعيش ٨٨ ٪ منهم فى ناتال ، بل أكثر من نصفهم بقليل في دربان وبيتر مارتسبرج وحدهما . وقد لوحظ ازدياد مشاركة الهنود فى أعمال الحضر . حيث أثبتوا وجودهم فى التجارة والنقل وأعمال الخدمات والصناعة . وأدى هذا

الى اصدار القوانين التي تحد من نشاطهم التجاري ، وحركتهم في كل من ناتال والترنسفال وذلك خشية منافستهم التجـــارية ، وســـكناهم مناطق الاوربيين وخاصة في دربان ٠

ويعيش ٨٨٪ من الملونين في ولاية الـكاب كما ذكرنا ، بل ان اكثر من ربع هذا العدد يعيش في مدينة كيب تاون ، هؤلاء بدورهم ارتفعت نســـبة من يعيش منهم في المدن الى ٦٨ ٪ ٠ ويعمل ربع الملونين في الزراعـــة والتعدين ، وربع آخر في الصناعة والبناء ، ٣٦ ٪ في التجـــارة والنقــل والخدمات ، والباقي اما عاطل واما غير مميز الحرفة ٠ غير انهم يسرعون في بعض الصناعات في ولاية الكاب مثل صناعة الأحذية والملابس والآثاث ٠

سياسة الحكومة اتجاه التعدد السلالي في المدن :

رغم هذه الحقائق التي ذكرناها عن طبيعة المركب السلالي في المدن ، فان سياسة الحكومة تميل الى منع التكامل والترابط بين أجزاء ذلك المجتمع المركب ، فالعناصر غير البيضاء لا تمثل في المجالس المحلية ، كما لا تمثـل في البرلمان ٠ وتعمل تشريعات الحـــاجز اللوني على تجنيب بعض الحرف الفنية للبيض ، وتعترف الحكومة باتحادات التجارة الخاصـــــة بالبيض والملونين والآسيويين ، ولكنها لاتعترف بأية اتحادات للبانتو ٠ والاختلاط بين هذه العناصر من الناحية الاجتماعية محرم الا بتصريح من الحكومة ، ولا يوجد تشجيع على الاطـــلاق بالاختلاط حتى في المجتمعـــات العلمية والثقافية ، فهناك جامعات للبيض وأخرى للجماعات غير البيضاء ٠

غير أن أهم ما يواجه التوزيع الجغرافي للعناصر المختلفة في المـدن هو تدفق الهجرات عليها من الريف والاجراءات التي تتخذ لفصل كل عنصر من العناصر الأربعة في اقليم سكني خاص به ٠

هجرة البانتو الى المـــدن :

وهذه كانت على مرحلتين : الأولى في البداية نتيجة الطلب عليهـــم للعمل في مناجم الذهب والماس ، وكان هؤلاء يمثلون هجرة مؤقتة ذكرية في معظم الأحوال يعيشون حول المناجم ثم يعودون الى أوطانهم آما بصفة دائمة أو مؤقتة حسب الظروف ٠ وقد ظهر في عام ١٩٧٠ أن هنـــاك نحو نصف مليون من البانتو يعملون في مناجم الذهب ٠ وليس من أجل هؤلاء العمـال المؤقتين تتخذ اجراءات منع التدفق الى المدن ٠ والثانية نتيجة زيادة النمو الصناعي ، ونمو الخدمات ، بدأت مرحلة جديدة في هجرة البانتو ولكنها

هذه المرة تختلف عن السابقة لأنها فى معظم الأحوال هجرات أسرية تسكن حيثما توفر السكن • وقد ثبت من دراسة بعض هؤلاء الدائمين (زيادة علي خمس سنوات) أن منهم من لم ير الريف اطلاقا • وفى الحقيقة ان الاجراءات التى تتخذها الحكومة هى لهذا النوع الذى يعمل فى الصناعة والخدمات ، وذلك للحد من تدفقهم •

من هذه القوانين أنه لا يسمح بالاقامة الدائمة في المدن الا للبانتو المولودين فى المدن واستمروا فى الحياة فيها ، أو الذين استمروا في العمل فى المدن عشر سنوات دون انقطاع أو كانت اقامتهم قانونية فى المدينة لمدة خمسة عشر عاما • وهذا للحد من اقامة العمال المؤقتين ، ولكن هذه الحقوق أصابها تعديل عام ١٩٦٤ بمقتضى قانون البانتو ، والذى يقرر أن جميع البانتو الذين يعيشون فى أقاليم البيض يعتبرون الآن قائمين بصفة مؤقتة وان مواطنهم الدائمة هي فى معازل الوطنيين ، وانه يجوز اجبارهم على الرجوع اليها اذا ما تعطلوا عن العمل ، أو ثبت أن وجودهم غير مرغوب فيه • وقد ثبت أن هذه الاجراءات قد قللت من نسبة البانتو فى الثلاث مدن الرئيسية جوهانسبرج ، وكيب تون ، ودربان ، وخاصة في كيب تون حيث بدت سياسة اتاحة فرص العمل أمام الملونين أكثر من البانتو ، ولكن بصرف النظر عن هذه الاجراءات التى تحاول الحد من هجرة البانتو الى المدن ، فان الزيادة الطبيعية للبانتو داخل المدن تجعلهم في نمو مستمر • ويرجع هذا الى عدة عوامل رئيسية ، منها الزيادة المستمرة فى اناث البانتو فى المدن ، وبالتالى انخفاض نسبة الذكور الى الاناث ، وهذا لا يعكس فقط اتجاه الهجرات الأسرية الى المدن فحسب ، بل يشير أيضا الي طبيعة القوانين التى تحد من هجرة البانتو الذكور ، ولا ينطبق على الاناث • مما أدى الى تطبيقه أيضا على الاناث فى جوهانسبرج • وقد أثبتت الدراسة أنه لو استمرت هذه القوانين ، فان الصناعة لن تجد حاجتها من الأيدى العاملة فى المستقبل • وهكذا يظهر التناقض في المجتمع الصناعى المتطور فى جنوب أفريقية حيث تشتد الحاجة الى خدمات البانتو ، وتعمل القوانين فى اتجاه معاكس •

ثانيا البانتو فى مزارع المستوطنين :

تشغل أراضى المستوطنين البيض بمقتضى قوانين الأراضى العامة ١٩١٣ ، ١٩٣٦ نحو ٧٥ ٪ من مساحة جنوب أفريقية باستثناء معازل الحيوان والغابات بينما لا تشغل أراضى الوطنيين سوى ١٣ ٪ من مساحة البلاد •

وتعتبر مزارع البيض هى المسئولة عن معظم الانتاج الزراعى والحيواني النقدى فى جنوب أفريقية ، ولكن العناصر الملونة والبانتو فى نفس الوقت هى المسئولة عن العمل فى هذه المزارع . وقد بلغ مجموع اليد العاملة منها نحو ٨٠٠ ألف نسمة عام ١٩٧٦ (باستثناء خدم المنازل والعمال المؤقتين) ويبلغ نصيب البانتو وحدهم نحو ٩٠ ٪ والباقى من ملونى الكاب .

وقد ثبت أن زيادة الانتاج الزراعى والحيوانى في المزارع الأوربية قد صاحبه نقص فى عدد المزارعين الاوربيين ، وزيادة فى عدد العناصر غير البيضاء ، إذ انخفض عدد الأوربيين من ٦٤٥ ألف أوربى عام ١٩٣٦ الى ٤٠٠ ألفا عام ١٩٧٠ ، ومعظم المزارع التي هجرها أصحابها من البيض كانت فى المراعى الجافة فى الغرب ، وأقاليم الذرة فى الشرق ، وأقاليم القمح فى الجنوب والجنوب الغربي . ويرجع هذا الى تدخل عدة عوامل طبيعية ، واجتماعية ، واقتصادية ، تعكس تغير ظروف الانتاج الزراعى فى جهات أخرى من العالم ، حيث أدت زيادة الانتاج وترشيد الزراعة الى خروج الأراضى القليلة الانتاجية من الميدان .

ولا يقتصر الأمر على ذلك ، بل أنه من المعروف في مزارع البيض أن العامل غير الأبيض يستقر وعائلته فى المزرعة ، ومن ثم فالعدد الذى ذكرناه سابقا وهو ٨٠٠ ألفا فى الحقيقة هو أكثر من ٢٫٥ مليون نسمة وبهذا تصبح نسبة المستقرين البيض الى غير البيض فى مزارع الأوربيين هي ١ : ٦ ، وقد يقال أن هجرة العمال غير البيض من الريف الى المدينة سوف تقلل هذه النسبة ، ولكن ثبت أن هجرة هؤلاء ليست كبيرة نظرا للقيود الموضوعة عليهم فى المدن . ولذلك فهناك ظاهرة انكماش العنصر الابيض كما يقولون ، ويستدلون على هذا أن العناصر البيضاء فى شرق الجمهورية لا تزيد على ٢٠ ٪ خارج المراكز الحضرية ولا يعزى هذا الى هجرة بعض المزارعين البيض لأراضيهم نهائيا ، بل الى أن بعض هذه المزارع أصبح يدار بواسطة البانتو والملونين ، بينما يعيش البيض فى المدن (الملاك الغائبون) .

وهذا معناه فى النهاية زيادة دور البانتو والملونين فى المساهمة فى الاقتصاد الريفى ، كما سبق أن رأينا في اقتصاد المراكز الحضرية ، بل أن هناك ما يقرب من نصف مليون من البانتو يأتون جمهورية جنوب أفريقية من خارجها ، وهذا معناه أن اقتصاد البلاد لا يمكن أن يستغنى عن جهود العناصر غير البيضاء . من أجل ذلك تعمل الحكومة على اعادة

جذب العناصر البيضاء باقامة المشروعات مثل مشروع بونجولا Pongola فى ناتال لرى ١٥٠ الف فدان ، ومشروع نهر أورانج فى ولاية الكيب لرى ٧٥٠ ألف فدان على أمل أن يجذب المشروع الأول ٣٠ ألف نسمة والمشروع الثانى ٣٦ الف نسمة من البيض بعائلاتهم فضلا عن عدد آخر تجتذبه الصناعات والخدمات المتعلقة بها ٠

ثالثا : معازل الوطنيين Native Reserves أو البانتوستان :

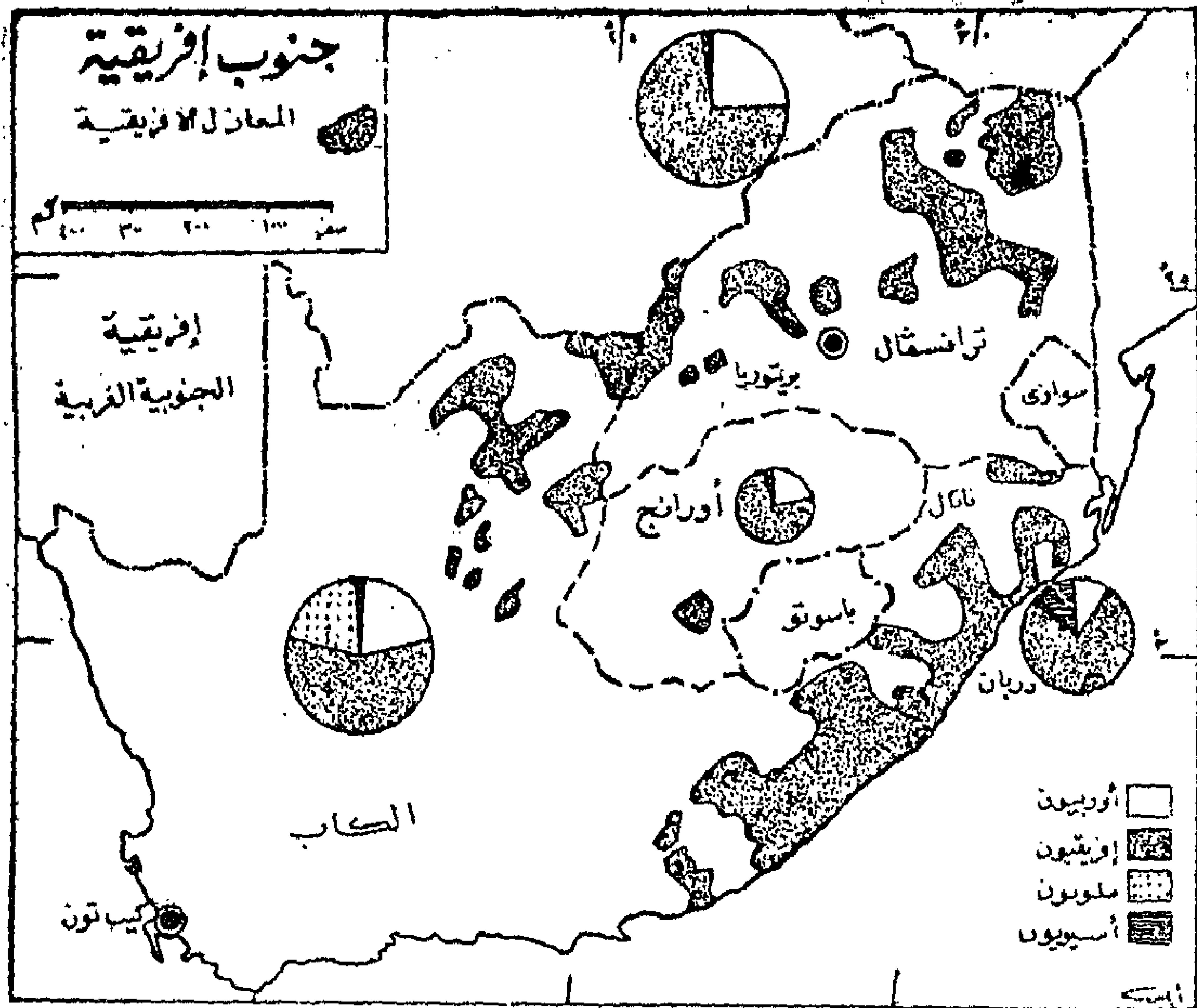
ينص قانون تطوير الحكم الذاتى للبانتو عام ١٩٥٩ على التجمع التدريجى لـ ٦٤ معزلا أفريقيا متفرقة فى عشر وحدات قومية تتطور فى المستقبل الى أوطان تمارس الحكم الذاتى كما ينص هذا القانون على أن يكون لكل أفريقى من مواطنى جنوب افريقية وطنه القومي « على أن يعد عاملا مهاجرا فى بقية انحاء البلاد التى تعتبر منطقة بيضاء ، ولما كان الملونون والآسيويون ليست لهم أوطان فقد فرض ذلك قبولهم كمقيمين دائمين فى المنطقة البيضاء ٠

وحجة الحكومة في هذا انها ترغب فى أن تحتفظ لكل من وحدات البانتو القبلية بأرضها التى ترتبط بها تاريخيا ٠ والوضع المنطقى - عند الحكومة - انها مادامت هناك مناطق مخصصة للبانتو تحفظ لهم فيها الحكومة حقهم التاريخى ، فلابد أن تخصص أيضا للبيض مناطق تحفظ لهم فيها حقوقهم ٠ واذا عرفنا مناطق المعازل وجدنا انها افقر جهات جنوب افريقية تربة وأكثرها تعرية وأقلها مطرا ، وخالية من الثروة المعدنية ، ولا تمثل اكثر من ١٣ ٪ من مساحة البلاد ٠ والغرض من هذا العزل الاجتماعى هو حصر الافريقيين فيها خوفا من طوفان الأفريقى الأسود ٠ ويجب أن نشير الي أن هذا العزل عزل جزئى حتى يمكن الحصول من هذه المعازل على حاجتهم من الأيدى العاملة كما رأينا ، خاصة وأن هذه المعازل المزعومة لا يمكن أن تحول هذه الأعداد الضخمة فتصبح بذلك مستودعا للعمل الرخيص ٠

بل لقد ثبت فى عام ١٩٦٧ أن حكومة جنوب افريقية لم تعد تصر على الوحدة الجغرافية للأوطان الأفريقية فهى تقبل الآن أن يضم الوطن عددا من المناطق المنفصلة ٠ وليس واضحا ، بالتالى كيف يمكن لهذه المناطق التي تحيط بكثير فيها مناطق بيضاء أن تصبح فى أى وقت كيانات تمارس الحكم الذاتى ٠ كما يكفى القول بأن البانتو الذين يعيشون فى المعازل عام ١٩٦٠

لم يكونوا يزيدون علي ٤٢ ٪ من مجموع البانتو ، والبـــاقى يعيشون مع العناصر البيضاء سواء فى الريف أو الحضر بل ويضاف اليهم المهـاجرون من خارج جنوب افريقية ٠

ويمكن أن نستشهد فى هذا المجال بتقرير طوملنسون Tomlinson عن المعازل فى جنوب أفريقية ، فقد قرر الحزب الوطنى عام ١٩٥٠ أن يأخذ رأى الخبراء فى امكان المعازل (أو البانتوستان الآن) القيـــام بوظيفة العزل الاجتماعي تماما ، فكان التقرير مخيبا لآمال أنصار فكرة العزل ، فبينمـــا عارضت اللجنة فكرة الاندماج بين العنصرين الأبيض والأسود ، واشـــارت بوجوب الفصل بينهما ، الا أنها أشارت أيضا الى أن تحويل هذه المعـــازل الى مواطن للافريقيين يتطلب عملا عاجلا ونفقات ضخمة ٠ فأوصت بصرف ١٠٤ مليون جنيه خـــلال عشرة سنوات لنجدة هـــذه المنـــاطق المتخلفة اقتصاديا وحث البيض على اقامة المشروعات الصناعية فيهـــا وقد عارض دكتور فيرفوفورد Verwoerd (وكان وزيرا لشـــئون الوطنيين) هـــذه الاقتراحات ، واكتفت الحكومة بمبلغ ٣٦ مليون جنيـــه بدلا من ١٠٤ مليون جنيه ، أى نحو ثلث المبلغ ، وأخذت التصويت على مبلغ ٣٫٥ مليون جنيـــه بصفة مبدئية ٠



(شكل رقم ١٣)

دولة ترانسكاى :

فى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٦ أعلنت حكومة جنوب أفريقية قيام دولة ترانسكاى في حفل رسمى فى مدينة أومتاتا العاصمة . وهذه الدولة الجديدة هى أول بانتوستان من بين دول البانتو العشر التى تزمع جمهورية جنوب أفريقية اعطائها نوعا من الاستقلال . وفى رأى فورستر رئيس وزراء حكومة جنوب أفريقية « هو اعتراف بمطالب الافريقيين فى أراضيهم التى اختاروها لأنفسهم حيث يمكنهم الحياة فى أقليم يتفق وحضارتهم ومستواهم وتقاليدهم » وفي هذا مغالطة بطبيعة الحال ، لان الافريقيين لم يكن لهم رأى فى اختيار هذه الأقاليم الفقيرة ، ولكن الغرض الأساسى من اعلان استقلال هذه الدويلات هو امتصاص سياسة الاستنكار الدولى للتفرقة العنصرية ، وان البيض لايسعون الى التحكم فى الأفريقيين ، وانهم يتركونهم يعيشون حياتهم الخاصة . ولكن ما هى مقومات هذه الدويلة المستقلة والدويلات المزمع انشائها كلها بطبيعة الحال ستسير في ركب حكومة جنوب أفريقية ، لذلك استنكرت منظمة الوحدة الأفريقية فى اجتماعها فى موريشيس ١٩٧٦ قيام مثل هذه الدويلات ، كما شجب المجتمع الدولى ممثلا فى الجمعية العامة للهيئة الأمم المتحدة محاولات حكومة جنوب أفريقية أعطاء الاستقلال للمستوطنات الافريقية ، حينما وافقت جميع الدول الـ ١٣٢ المشتركة في مناقشات الجمعية العامة باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية التى إمتنعت عن التصويت - على مشروع القرار الذى يطالب ببطلان الاجراءات التى اتخذتها الحكومة العنصرية بمنح إقليم ترانسكاى الاستقلال ، والامتناع عن اقامة أية اتصالات على مستوى الحكومات والافراد مع ذلك الاقليم المصطنع الذى تريد به حكومة بريتوريا أن تستعيض به عن اعطاء الأغلبية الأفريقية حقوقها السياسية والاقتصادية كاملة .

الحدود السياسية ومشكلاتها

الفصل الاول

الحدود السياسية

التخوم والحدود :

تعتبر دراسة التخوم والحدود السياسية من الموضوعات الهامة التى تدرس في الجغرافية السياسية ، من كان لابد من المفيد في بداية هذا الموضوع تفسير مفهوم التعبيرين ، وفى الحق نجد أنهما مترادفان فى الاستعمالات العادية لغير الفنيين ، فالحدود الدولية يعبر عنها أحيانا السياسيون والمؤرخون وغيرهم بتعبير International frontiers وأحيانا Internatiotional Boundaries وليس من تفسير لهذا التعميم أو الخلط سوى عدم وضوح الرؤية فى حدود كثير من الدول ـ باستثناء حالات قليلة ـ لنقص فى معرفتها الجغرافية ولعدم وجود خرائط تفصيلية لها ، وذلك حتى فترة قريبة • ولكن مع تقدم علم المساحة وأجهزته ، وتقدم فن الخرائط ، وتطور الدول الى ماهى عليه الآن أصبحت غالبية الحدود ليست واضحة بجلاء فحسب ، بل محدودة على الطبيعة أيضا •

ونعود فنقول مرة أخرى أن العالم قبل ان يعبأ فى هذه الوحدات السياسية كانت هناك ساحات واسعة من الأرض غير صالحة للتوطن البشرى أو غير جذابة لظروف طبيعية غير مواتية ، كأن تكون مغطاة بالمستنقعات أو الغابات أو غير ذلك مثل هذه المناطق كانت تقوم بوظيفة منع الاتصال وكانت تترك كمناطق دفاعية ، تفرق بين مجموعات بشرية تعيش على جوانبها ، وتنمو فى أمان واطمئنان ، ومع مرور الزمن تغلب الانسان على هذه العقبات الطبيعية بطريق أو آخر ، ودخلت هذه المناطق داخل الوحدات السياسية ، حتى فى المناطق الصحراوية أصبحت تمتد سيطرة الدولة حتى تتقابل مع سيطرة دولة اخرى • من ثم يمكن أن نفرق بين التخوم Frontiers والحدود Boundaries كما يلى :

١ — التخوم عبارة عن مساحات من الأرض ، بينما الحدود عبارة عن خطوط ٠

٢ — الأولى يمكن القول بأنها طبيعية لأنها أجزاء من سطح الأرض ، بينما الثانية اختيرت وحددت بواسطة الانسان ٠

فوادى الراين مثلا يعتبر منطقة تخوم طبيعية بين فرنسا وألمانيا ، ولكن استخدام النهر ذاته كحد فاصل بين ألمانيا وفرنسا يعطي هذا الخط صفة صناعية ٠ فلئن كان النهر نفسه طبيعى فان استخدامه كحد يعتبر صناعى ٠ وكذلك الحال فى جبال الألب تعتبر منطقة تخوم بين ايطاليا وفرنسا ولكن خط الحدود نفسه وما هو الا خط استقر عليه الرأى أخيرا كحدود بعد نحو قرن من التعديل والتغيير والاتفاق ٠

٣ — يمكن أن يتضح هذا أكثر اذا عرفنا أن التخوم سواء كانت طبيعية ، لغوية أو دينية لا يمكن تحريكها أو زحزحتها ، قد تفقد بعض الخصائص التى أعطتها صفة التخوم ، ولكنها تظل فى موضعها على عكس الحدود التي تتغير وخاصة فى مناطق الصدام ٠

٤ — يشتق لفظ Frontier من Front أى المقدمة foreland الأراضى المتقدمة واحيانا تسمي borderland وكلها على هامش الدولة ، وهى عادة الاراضى الفاصلة بين معمورين Ecumene زراعى ورعوى مثلا ، ومع التطور يتقدم كل معمور نحو التخوم ، وتصبح منطقة التقاء مجتمعين ، وبالتالى لم تكن التخوم في الذيل ، بل فى مقدمة الدولة أما لفظ Boundary فيشير الى ارتباط السكان داخله وقد عبر عن ذلك L. Kristof بقوله :

all that which is within the boundary is bound together that is, it is fastened by internal bond.

٥ — كانت التخوم تقوم بوظيفة منع الاتصال بين الجماعات أو الدول ، بسبب طبيعتها الطاردة ، بينما الحدود السياسية اليوم لا تقوم بهذه الوظيفة ، بل على العكس يتم عن طريقها الاتصال العضوى بين سكان الدول ، السكان من كل جانب يتحركون عبرها ، من ثم فهى خط اتصال واحتكاك ٠

٦ — توجيه التخوم خارجى Outer Oriented بمعنى أنه لا سلطة للظهير عليها ، كما تبين لنا دروس التاريخ ان سكان التخوم يدبرون أمورهم

بعيدا عن السـلطة المركزية ولا يشعرون بأنهم مرتبطون بهذه السلطة أو يدخلون فى نظامها ، عكس الحدود فهي ذات توجيه داخلى Inner Oriented فالحكومة المركزية هى التى خلقتها وهى التى تحافظ عليها ، وليس لسكانها حياة خاصة ، لأنها غير موجودة من الناحية المادية ، فهي مجرد رمز على الخريطة واذا كانت قوى الجذب والترابط يجمع بينها خط الحدود ، فان التخوم ناتجه عن القوى الطاردة ·

وقد قامت البحار والغابات الفسيحة والمناطق الجبلية ، ومناطق المستنقعات الصحارى كحواجز ضد التوسع البشرى أو الاختلاط ، ولكن بدأت وظيفتها تتعدل تبعا للنشاط البشرى ، وتقدم وسائل المواصلات ·

فجبال الابلاش كانت التخوم الغربية للثلاثة عشرة مستعمرة على الساحل الشرقى للولايات المتحدة فى مبدأ استعمار القارة · وعندما اكتشفت الأودية التى تصل الساحل بالداخل فقدت هذه الجبال وظيفتها كتخوم لهذه المستعمرات وحلت محلها برارى غرب الوسط · وهذه لم تلبث أن حلت محلها الجبال الغربية حتى وصلت أخيرا الي المحيط الهادى ·

ضرورة الحدود السياسية فى العصر الحديث :

ان الدولة الحديثة لابد لها من حدود لا تخوم ، الحدود تبين المدى الذى تمارس فيه الدولة سيادتها بل واللغة التى سيتكلمها الملايين والافكار التى ستلقن للناشئة والكتب والصحف التى سوف يتمكن السكان من قراءتها والعملة التي سيستعملونها وأحيانا الطعام الذى يتناولونه والجيش الذى سيدخلونه للدفاع عن الارض وللحدود السياسية أثرها أيضا على النظم المتبعة داخل الدولة ويتضح هذا فى الوظيفة التجارية للحدود ، فيمكن للحكومة أن تقيم حاجزا جمركيا عاليا ضد المنافسة في أسواقها ، وبالتالى تساعد على نمو صناعاتها ، وفى نفس الوقت قد تفصل بين مجتمعين يضمان نظما ومؤسسات مختلفة ، وقد يكون هذا الاختلاف حادا كما هو الحال فى الحد السياسى بين ألمانيا الغربية وهولندا ، أو ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا ·

أى أن الحدود تعتبر الفاصل بين سيادة دولة واخرى · فهى ذلك الخط المحدد الذى تتقابل عنده سيادتان ، فقد مضت تلك الفترة التى كانت تفصل فيها سيادة دولة عن سيادة الأخرى بواسطة مساحة كبيرة من الأرض أى

تخوم . اذ كانت سيادتها الفعلية تتضاءل تدريجيا بالبعد عن مركز الدولة .

وهكذا اختلفت وتغيرت طبيعة الحدود على طول العصور التاريخية بسبب اختلاف وظيفتها ، وهى فصل السيادات بعضها عن بعض .

فالامبراطوريات القديمة كالامبراطورية الصينية الرومانية كانت لها حدود فاصلة وواضحة على الأقل حول جزء كبير من مساحتها ، وكانت وظيفتها عند الرومان هى فصل المتحضرين عن بقية الشعوب الاخرى الهمجية ، فكان حدهم فى أوروبا علي طول خط يمتد من الراين الى الدانوب ، وعززوه بالأسوار فى شمال انجلترا وجنوب ألمانيا وبالقرب من مصب الدانوب ، هذه الانشاءات ليست لمقاومة الغزو بطبيعة الحال ، ولكن اختراقها بالنسبة للبرابرة معناها الحرب . كذلك الحال فى سور الصين العظيم ، وان كان من الناحية الحربية أكثر فعالية من السور الذى بناه الأوربيون ، الا أنه كان فى مغزاه يفصل ماهو صين عما هو غير صين . ولم يكن الرومان ولا الصينيون هم الوحيدين الذين بنوا هذه الحوائط . واذا كان مفهوم السيادة في العصر الحديث بمعنى انها سيادة على مساحة معينة من الأرض وعلى الذين يعيشون فوقها الا أن مفهوم السيادة يختلف عما كان عليه فى العصور الوسطى ، فالسيادة الحديثة سيادة إقليمية بينما السيادة فى العصور الوسطى كانت شخصية ، سيادة بشرية فسيادة الاقطاعى أو الامير لا حدود أرضية لها ولكنها تمتد بامتداد الاشخاص أو الناس الذين يفرض عليهم سيادته ، ولم تكن حماية الفرد حينئذ ترجع الى كفاءة الحكومة وتطبيق القانون كما نرى فى الوقت الحاضر ، وانما كانت ترجع الى انتماء الفرد الى شخص قوى ، فيصبح رجله ، يقدم له فروض الولاء والطاعة كما يقدم له الخدمات المختلفة نظير حمايته له . كان هذا بدوره أى البارون أو الاقطاعى يخضع لسلطة اقطاعية أعلي وهذه الأخيرة قد تنتهى الى سلطة الملك . ولم تكن هناك مشكلة حدود لدى الملك . اذ لم يكن هناك نظام ضرائبى عام ، انما كانت هناك فئات تدفع دون أخرى ، كالتجار ورجال الدين وكان الفرسان يؤدون ضرائبهم على هيئة خدمة شخصية في الجيش لمدة معينة أو يدفعون بعض المال بدلا من الخدمة . ولم تكن هناك ضرائب على الأرض ، بالمعنى المفهوم . ومادام الملك لا يجمع ضرائب على الأرض فمن المعقول ألا يكون هناك إهتمام بحدود هذه الأرض غير ان الاهتمام بحدود الأرض كان أظهر فيما يختص بنظر الدعاوى والشكاوى ، فنظرها كان مصدر ربح أو رزق للبارونات الذين كان لهم

حق سماع هذه الدعاوى فكان النزاع يدب بينهم على الحدود الجغرافية التى يفصل بين حق كل منهما في سماع هذه الدعاوى وقد أدت هذه المسألة الى ضرورة تخطيط للحدود .

وكان التحول من مفهوم الحدود فى العصور الوسطى الى العصور الحديثه مرتبطا أشد الارتباط بظهور دول القوميات ، فكما قلنا كانت دول العصور الوسطى فردية شخصية ، يمكن لذلك أن يقسمها بين أولاده أو يمكن أن يبيع أو يتنازل عن جزء منها ، فلم تكن تعبر عن رغبة مجموعة من الأفراد في العيش معا تحت ظل حاكم واحد . فالشعور القومى ثمرة نضجت ولكن ببطء ولكن الدولة القومية مادامت قد ظهرت فلابد من تطور مفهوم الدولة .

فلم يعد السكان عبارة عن تابعين يدفع بهم من حاكم الى آخر ، فقد أصبحوا على الأقل مجموعات من الناس ذوى ميول واتجاهات واحدة ، تميل الى الانتماء الى هذه الدولة أو تلك ، ومع نمو القوميات كان لابد من تحديد واضح للحدود مع مراعاة ميول هؤلاء السكان وشعورهم .

واذا كان تاريخ الحدود يتضمن زيادة التحديد والوضوح فى الحدود ثم يشمل أيضا زيادة الموائمة بينها وبين الأصول الجغرافية ، كمراعاة القوميات واللغات والنواحي الاقتصادية وغيرها ، فانه يمكن القول بأن العملية الأولى قد تمت ، بينما العملية الثانية لم تتم بعد فالحد المثالى هو الذى يفصل بين شعبين ذوى حضارتين مختلفتين ، وفى نفس الوقت يجب ألا يخلق مشكلات بسبب فصله وحدات وظيفية . كأحواض فخم أو نظم رى ، واذا كان لهذا الحد وظيفة حربية فقد تضاعفت أهميته وزاد نجاحه .

وفى الحق لا يوجد حد سياسى فى العالم يجمع بين المميزات جميعا ، فمعظم الحدود السياسية ظهرت بأوضاعها التى عليها نتيجة ضغوط مختلفة ومنها ما هو مباشر أى نتيجة لعلاقات الدولة مع الجيران ولكنها أحيانا ما تتعدى هذا الى علاقات غير مباشرة أى حلفاء وأعداء هؤلاء الجيران .

غير أن زيادة الوضوح فى تحديد الحدود ليس معناه أنها ليست عرضة للتغير ، فمعظم الحدود هى حدود قومية باستثناء حدود بعض المستعمرات أو التى كانت خاضعة للاستعمار ، والحد بين القوميات المختلفة غالبا مالا يكون دقيقا ، فالمجموعات السكانية تعيش مختلطة ببعضها

على طول نطـــاق عريض بين هذه القوميـــات من ثم فالاختلافات أو تغيير الحدود عبر هذا النطاق العريض من الأمور المحتملة ويكون تحـــديد الخط وتغيره في هـــذا الجانب أو ذاك تبعـــا لاختلاف وتطور ميزان القوى على جانبيه ، وليس من الضرورى أن يسير هذا مع الوضـــع الصحيح والمعقول فى معظم الأحوال ٠ وهذا واضح فى كثير من الحـــدود الاثنوجرافية فى أوروبا مع نهاية الحرب العالمية الأولى ، فقد اعتدى على الوضـــع الصحيح للحدود فى كل من بلغاريا والمجر لصالح برلنده وتشيكوسلوفاكيا ، ولعل هـــذا كان من الامور التى بررت تعـــديل هـــذه الحـــدود قبل الحرب العالمية وأثنائها ٠

تعيين خط الحدود ورسمه :

وتبدأ عملية التحديد السياسى بالاتفـــاق على موائد المؤتمرات على الخط ، وعادة ما يعقد هذا الاتفاق اناس ليس لهم خبرة بالأراضى المقسمة ، وانما يستمدون معلوماتهم من التقـــارير التى يضعـــها المختصون ، ومن الخرائط التى غالبا ما تكون بمقياس صغير ، ويوصفون الخط والأرض التى يمر فيها بأنه علىسبيل يمتد من النقطة (ا) الى النقطة (ب) أو من الظاهرة كذا ، أو بعد عن هذه الظاهرة بمسافة كذا وقد تكون هذه الظـــاهرة نهرا أو تلا أو طريقا ٠٠٠ الخ ، وكلما كان الوصف تفصيليا تقل احتمـــالات النزاع فيما بعد ٠٠٠ وتعرف هذه العملية الأولى **بتعيين** definition الحد السياسى ٠

وبعد ما ينتهى واضعوا المعاهـــدة من عملية تعيين الخط ، تنتقـــل العملية ، الي المختصين فى علم الخرائط والمساحة حيث يستخدمون الخرائط ذات المقياس الكبير والصور الجوية لرسم الحد السياسى وتعرف هـــذه العملية Delimitation وقد يستـــغرق الفرق بين العمليفين السـابقتين عشرات السنين ٠

واخيرا تأتى عملية **تحديد الخط على الطبيعة** demarcation حيث يقوم مندوبون عن الطرفين ومعهم فريق من المساحين ومعهم نص المعاهـــدة والخرائط التفصيلية لتحديد الخط على الطبيعة ووضع عـــلامات ، قد تكون اكواما من الحجارة أو ظاهرة طبيعية أو كتلا من الأســـمنت ، وهى عملية مكلفة للغاية لذلك فالعملية الأخيرة مؤجلة فى معظم الأحيان ٠

وفي حالة التنفيذ الفعلى يجب على اللجنة أن تراعى كثيرا من الأمور التى تظهر على الطبيعة ولا تظهر على الخريطة كعدم فصـــل قـــرية عن حقولها ، وبلدة عن مورد مائها ، وجبانة عن البلد الذى دفن فيه أمواته ٠

تصنيف الحـــدود

التصنيف الوظيفى :

يقصد به التصنيف القائم على أساس العلاقات الحضارية ، أى أنهـا تنظر الي علاقة الحدود بالمظاهر البشرية كأنماط الاســتيطان واســتخدام الأرض ، وتوزيع السكان فى وقت تحديد الخط السياسى وهى من هـــذه الناحية تقسم الى ثلاثة أقسام هى :

١ - حـدود سابقة Antecedent لنمو جميع المظاهر الحضـارية للشعب الذى تضعه وبعد نمو المجتمعات المختلفة من الجائز أن تكيف نفسها مع الحدود التي وضعت من قبل كالحد بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية الذى اتفق عليه وعدل باتفاقيات ١٨٤٦/٦٧٨٢ ، فهو ينتمى لاشك الى هذه المجموعة • ففي هذه الفترة لم يكن هناك مستقرون أو مستوطنون لمنطقـة الحدود الا قلة ، وبعض الصيادين من الهنود الحمر هنا وهناك مثل هـذا الحد السياسى كان سابقا لمد الخطوط الحديدية والطرق ، وقبل ظهور المزارع والمصـــانع والمدارس على جانبيه ، وان كان دكتور هارتشـــمون يعتبران مجرد وجود الهنود الحمر وبعض الصيادين هو بداية لتطور الاســتيطان لذلك فهو يفرق بين الحد الســـياسى « الســـابق » والحد الســـياسى الرائد Pioneer فالأخير يمتد فى أراضى غير مسكونة تماما وغير مستخدمة ولذلك يصفها بالأرض العذراء ، كما هو الحال فى الحد بين كندا والاســكا الذى اتفق عليه بموجب معاهدتى ١٨٢٥ ، ١٨٧٢ يجـــرى في أرض متخلفة لا يســـكنها أحد من المســـتوطنين ، ثم بعد ذلك مدت الطـــرق واقيمت المطـارات ••• الخ •

٢ - حـــدود تالية Subsequent لعمليـــة تكون القـومية أو النمط الفاصلة بين الأقاليم الجغرافية أو الحضارية أى فاصـــلة فى الغـالب بين الحضارى المعين لشعب من الشعوب • وهذه فى الغالب تتفق مع الحـــدود القوميات وفى الحق هناك ميل لأن تقترب الحدود وخاصة فى أوربا تدريجيا من الأقسام الحضارية التي تخلقها الاختلافات اللغوية • ومن هـــذه الأمثلة أيضا التقسيم الذى حدث فى شبه القـــارة الهندية الى هند وباكســـتان ، ويمكن أن تضيف الى هذا ان عمليات تبادل السكان التى حدثت أو تحدث ،

ما هي الا خطوة نحو ضم المجموعات المتجانسة داخل حد سياسى واحد . كذلك تدخل الحدود السويسرية ضمن هذا النوع لأنها تفصل الذين يتكلمون الألمانية عن ألمانيا والذين يتكلمون الفرنسية عن فرنسا وهكذا ، وكذلك الحدود التى تفصل ألمانيا الشرقية عن الغربية ولمعرفة مدى صعوبة وخطورة الحدود التالية ، لن نجد خيرا من الحدود الهندية الباكستانية ، فقد ظهر بعد تقسيم شبه القارة الهندية ان باكستان ضمت ⅘ عدد المسلمين (٩٢ مليونا حينئذ) على حين ضمت أيضا ٧ ٪ من مجموع الهندوس (٢٢٥ مليونا) . ولم يؤثر هذا التقسيم فى المسلمين والهندوس فحسب ، بل كان هناك عدد ضخم من السيخ في البنجاب (باكستان) وكان قادتهم يكفون العداوة للمسلمين ، وقامت مذابح ضخمة بين الجماعات المختلفة قبل يوم الاستقلال وهو ١٥ أغسطس ١٩٤٧ ، فأعلن قادة السيخ الثورة ، وقامت المذابح لا تفرق بين ذكر أو أنثى ، كهل أو طفل ، ومع نهاية شهر أغسطس بدأت عمليات هجرة ضخمة فى اتجاهات متعددة ، يترك فيها البشر كل شىء ، ويحاول الانسان أن يخلص بحياته ، المسلمون يتجهون غربا ، والسيخ والهندوس يتجهون شرقا ، ليس لديهم خطة وليس هناك تخطيط أين يأوون أو ماذا سيعملون ، وليت الهجرة كانت وسيلة للنجاة ، بل كانوا يذبحون فى الطريق ، وتقلب القطارات والسيارات ، ولا يعرف عدد الذين تركوا مواطنهم الأصلية ، وان كانت التقديرات تعطهم خمسة عشر مليون نسمة !!

٣ - وهناك الحدود الموضوعة او المفروضة Superimposed وهذه وضعت بعد توطن السكان أى تشبه الحدود التالية (التى ذكرناها) ولكنها تختلف عنها في كونها لا تراعي الفواصل الحضارية ولا الخصائص القومية للمنطقة موضوع التقسيم منها الحدود الأفريقية فكل منهما يقسم قبيلة أو أكثر من قبيلة ومنها كذلك خطوط الهدنة التى تترك أحيانا دون تعديل كالحد بين بلجيكا وهولندا ، وبين كوريا الشمالية والجنوبية ، بين فيتنام الشمالية والجنوبية خطوط الهدنة فى فلسطين المحتلة ، كلها خطوط لوقف القتال ولكن لم تعدل كما لم تؤيدها أى اتفاقات دولية ، ومنها الحد السياسى بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية ، والحائط الذى يفصل بين برلين الشرقية وبرلين الغربية الذى قسم مدينة ظلت عاصمة لدولة واحدة لقرون عديدة . ومثل هذا النوع من الحدود يجد معارضة من السكان ، لذلك كثيرا ما يشتد الضغط على هذه الحدود ، وبالتالى يبدأ النزاع بعد خروج المستعمر ،

وهذا ما حدث بالنسبة لكثير من الحدود السياسية في افريقية (النزاع الصومالى الأثيوبى والصومالى الكينى .. الخ) ويتبادر السؤال وهو الى أى حد يظل هذا النوع يقوم بوظيفته فى الفصل بين الأمة الواحدة وفى الحق أنه كلما ازداد قدما صعب تغييره أو التحول عنه .

٤ - **الحدود التذكارية** Relic : قد تختفى الحدود السياسية أحيانا نتيجة عمليات الضم التى تحدث وخاصة بعد تحول المستعمرات الى دول مستقلة ، فالصومال مثلا تكون من اتحاد مستعمرتين سابقتين احداهما بريطانية والأخرى ايطالية ، والكمرون تكون نتيجة ضم الكمرون الفرنسية بالاضافة الى القسم الجنوبي من الكمرون البريطانية ، ويمكن أن نضرب أمثلة أخرى فى أوربا ، فمثلا عندما تحرك خط الحدود الألمانية البولندية واذا كان خط الحد السياسى قد اختفى ، مع ذلك فاننا نحس به فى المظاهر الحضارية بل يمكن تتبع الحد السياسى القديم بالانتباه الى التغيرات الفجائية فى المظاهر الحضارية ، كتغير فن البناء ، وأسماء الأماكن والأشخاص ، ويلاحظ هذا فى تأثير الامبراطورية العثمانية فى شرقى أوربا ، وتأثير العنصر الأسبانى فى جنوب غربى الولايات الأمريكية ، وقد يتخذ هذا النوع من الحدود كحدود ادارية فى داخل الدولة .

التصنيف المورفولوجى Morphological :

وهناك تقسيم آخر للحدود على أساس طبيعتها ووضعها وهى في هذا المجال تنقسم الى قسمين كبيرين ، حدود طبيعية Natural Boundaries وحدود اصطناعية Artifical Boundaries وكان صاحب هذا التقسيم لورد كرزون Curzn عام ١٩٠٧ وتبعه هولدش Holdish عام ١٩١٦ .

الحدود الطبيعية :

١ - هى الحدود التي تتفق والحواجز الطبيعية مثل :

(أ) البحـر .

(ب) الصحـراء

(جـ) الجبـال .

(د) الغابات .

(هـ) المستنقعات .

٢ ـ الحـدود النهرية :

٣ ـ الحـدود الصناعية :

(أ) الخطوط الفلكية أى خطوط طول أو دوائر العرض ·

(ب) الخطوط الهندسية أى خطوط مستقيمة ، أو خطوط ممتدة أى أقواس مرسومة من نقطة معينة وغير ذلك ·

(جـ) خطوط اتفاقية lines of Reference ·

وهنا يتبادر الى الذهن هذا السؤال : هل وظيفة الحدود هى الفصل بين الوحدات السياسية ؟ هل تجعل الاتصال والانتقال صعبا ؟ فى الحالات المتطرفة للغاية تصبح منطقة الحدود هي منطقة الحواجز الطبيعية ، وبذلك تحدد من الحركة عبرها · وفى المناطق التى ليست فيها هذه الحواجز قد تكون حواجز بشرية كأسلاك شائكة مثلا نجد هناك بضعة مواضع لاختراق الحدود ، وفيها نجد الموظفين الذين يراجعون وثائق السفر والحجز الصحى والتفتيش الى غير ذلك · وعلى هذا الأساس اذا قلنا أن الحدود هى مناطق الالتقاء بالاجانب ، كان معنى هذا ظهور حقيقة قد تبرر تساؤلا جديدا ، هل يجب أن تختار الحدود لتسهيل هذا الاتصال ؟

الجبال والتلال :

وهذه كتة عنها هولدش « أن خط تقسيم مياه يجرى عبر حافة أو سلسلة جبلية ليعتبر من اكفأ الحواجز الظاهرية والتى لا يخطئها انسان » · فهذه السلاسل الجبلية غالبا (وان لم يكن ضروريا على الخط) ما نفصل بين الجماعات بعضها والبعض الآخر لصعوبة اختراقها نسبيا ، ولذلك أيضا اعتبرت حدودا استراتيجية جيدة · وترجع ميزة الجبال كأقاليم فاصلة نتيجة لعوامل عدة منها :

١ ـ التضاريس الوعرة : مما يجعل الانتقال أمرا شاقا وعسيرا وحتى فى الجهات الجبلية التى شقتها السكك الحديدية ، فان نفقات انشائها كبيرة لدرجة تجعل أجور السفر والنقل بواسطتها أغلى منها فى الجهات الأخرى · حقا لقد أصبح اجتيازها سهلا بفضل النقل الجوى وتطوره وبفضل شق الانفاق ولكنها ما زالت أمام سلاحي المشاة والمدرعات تمثل أمرا له قدره ،

٢ ـ تخلخل الهواء فى الطبقات العليا مما يقلل من القوة والنشاط

مما يسبب مرض الجبل ٠

٣ ـ انخفاض درجة حرارة الجهات المرتفعة وهذا يحدد موسم الانتقال ويقتصره على هذه الأشهر الخالية من الثلوج ٠

٤ ـ أن كثيرا منها يعتبروا فواصل طبيعية كجبال الهيمالايا وجبال الأنديز ٠ هذه العوامل مجتمعة تجعل المناطق الجبلية مناطق غير جذابة للسكان ، وبالتالى تكون مخلخة ، وإن كانت فى الجهات الاستوائية تعتبر مناطق ازدحام ٠ ولكن على العموم مناعة الجبال تتناسب تناسبا عكسيا وسهولة اجتيازها ، واجتيازها يتوقف علي عدة عوامل منها : ارتفاع الممرات بالنسبة الى خط الثلج الدائم ، ومقدار انحدارها ، فجبال الألب ترتفع بالتدرج من السهول الآلمانية والسويسرية نحو الجنوب ، وتطل على ايطاليا بطرقها الطبيعية وممراتها ، هذا فى حين أن شدة انحدارها جنوبا (أى نحو ايطاليا) قد جعل عبورها من الجنوب الي الشمال أمرا عسيرا ٠

من أهم السلال الجبلية التى اتخذت كحدود سياسية سلاسل اسكنديناوه بين السويد والنرويج ، وجبال الألب بين ايطاليا وجيرانها وجبال البرانس بين أسبانيا وفرنسا ، وجبال الهمالايا بين الهند والتبت ٠

غير ان اتخاذ الجبال حدودا سياسية لا يخلوا من تعقيد ، فهذه الجبال غالبا ما يكون لها عمق أو عرض فأين يسير خط الحدود فيها ؟ وعادة ما تكون من عدة سلاسل متوازية تفصلها عن بعضها أودية ، أحيانا ما تسكنها جماعات وطدت نفسها واقتصادها عدا استغلال السهل والجبل معا ٠ ولذلك نجد أن الخطوط التى تتبع السلاسل الجبلية كثيرا ما تكون مثار نزاع ٠

وقد ثبت فعلا أن الحدود التى تتبع الجبال كثيرا ما تكون مثار نزاع كالحدود بين الولايات المتحدة وكندا فى منطقة نيو انجلند ، وتلك التى بين كندا والاسكا ، فهنا تظهر فعلا صعوبة تطبيق التحديد النظرى مع التعقد

التضاريسى . وكذلك الحد بين الارجنتين وشيلي فى جبال الانديز فقد استمرت مثار جدل لمدة تبلغ نحو نصف قرن نتيجة لجهل بظروف الجغرافيا والتخمينات عن مناطق لم تكتشف تماما ، حتى وصلت الدولتان الى اتفاق عام ١٩٠٢ . كذلك الحال فى النزاع على الحدود بين الهند والصين في التبت فى الوقت الحاضر .

البحيرات والانهار :

أما فى البحيرات فعادة ما يمر خط الحدود بواسطها ، وبطبيعة الحال ليس هناك تخطيط فعلى داخل البحيرات ، ولكن هذا يثير بدوره مشكلات كمشكلة مياه الصيد وحوادث السفن ، وهل هذا الخط يقسم البحيرات الى قسمين متساويين أم لا ؟ وفى بعض الاحيان تمر خطوط مستقيمة عبر البحيرات كما هو الحال فى بحيرات فكتوريا فى شرق أفريقية .

ويفضل البعض اتخاذ مجارى الانهار كوسيلة لتعين الحدود السياسية غير أن هذه الاراء لا تلقى قبولا عند الجغرافيين ، وأهم اعتراض وجه اليها أن الانهار لا تصلح بطبيعتها للقيام بمهمة الفصل بين الوحدات . ومما لاشك فيه أن مجارى الانهار تلعب دورها الكامل لتحقيق وظيفتها الرئيسية فى الوصل بين أجزائها بعضها بالبعض الاخر ، وأن هذه المجاري المائية تعمل دائما على اقامة نوع من المصلحة المشتركة بين أجزاء الاقاليم التي تجرى فيها . وهذا ظاهر في حالة الانهار الكبرى وعلى الاخص تلك التى تزداد صلاحيتها للملاحة ، أو التى استغلت قوة المياه من مساقطها أو التى تستخدم قوة تيارها فى نقل الكتل الخشبية الكبرى ، أو ادارة الآلات أو التى ستستغل مياهها في مشروعات الرى الكبرى .

جميع هذه النواحى تجعل من الميسور وجود مصلحة مشتركة تهم جميع سكان حوض النهر . واذا أضفنا الى هذا كما سبق أن ذكرنا ، سهولة السطح والتدرج الذى تعطيه أوديتها ، من تجعلها ممرات لعبور الهجرات البشرية ، ثم صلاحيتها ذاتها كوسيلة للنقل الى جانب خصوبة

التربة وامكان قيام الزراعة فيها مما يؤدى الى جذب السكان اليها ٠

على أن النجاح ان كان قد حالف بعض عمليات التحديد بواسطة الانهار ونخص بالذكر نهر كلورادو الذى اتخذ جزاء من مجراه ليؤدى وظيفة الفصل بين الولايات المتحدة والمكسيك لمسافة تزيد على ٥٠٠ كلم ، وأظهر هذا الخط شيئا من الجودة كحد فاصل ٠ الا أن النجاح لا يرجع الى النهر لذاته بل الى طبيعة المنطقة من حيث التضاريس ، حيث تسود المنطقة المرتفعات الوعرة ويسود الجفاف ، الي جانب ما يجرى فيه النهر من خوانق عميقة تشبه الاخاديد ٠

وحين يصل النهر الى مرحلة الشيخوخة يكثر من الانحناءات ، بل فى كثير من الاحيان ينجح فى هجر مجراه القديم ويتخذ لنفسه مجرى جديدا والأمثلة عديدة : منها نهر الهوانجهول ق مجراه الادنى ونهر الراين دائم التغيير والتبديل في فروع دلتاه ٠ وينجم عن ذلك تغيرات طبيعية وبشرية على شىء من الخطورة اذ تصبح بعض الاماكن منعزلة حين يبتعد عنها النهر أو يطمى الفرع الذى كانت تقع عليه المدينة ٠ وكذلك الحال فى دلتا النيجر والدانوب ، بل ما أصاب الدلتا المصرية ليمثل حقيقة التغيير المستمر فى حالة بعض الانهار ٠ فنحن نعلم أنها كانت كثيرة الفروع ، وأن هذه الفروع أخذت تتلاشى بالتدريج واستقرت علي فرعى دمياط ورشيد ٠

الملاحظ أيضا أن بعض أجزاء النيل قد شهدت كثيرا من التغيير وان كنا لا نشعر بهذا فى الوقت الحاضر ، فان هذا يرجع الى مواصلة العناية بمجرى النهر واخضاعه لرقابة شديدة ، ومحاولة وزارة الرى التقليل من الثنيات وجعله أقرب الى الاستقامة ٠

وهناك وجه أخر فى استعمال الانهار كحدود سياسية ، وهو أين سيقع خط الحدود ! هل سيتخذ وسط المجرى Median Line أساسا لهذا الخط ؟ أم سيتخذ منتصف المجرى الصالح للملاحة Thalweg (١) أو أحد الضفتين Banks أو اعتبار ضفتي النهر كحدود ؟

فى الحالة الاولى يكون الخط عبارة عن الخط المار بجميع النقط على

---

(١) كلمة ألمانية بمعنى المجرى المستعمل للملاحة بصفة مستمرة ويعرفه S. Jones بأنه محور المجرى الاكثر أمنا والاكثر ملاءمة للسفن ذات الحجم الكبير ٠

المجرى التى يتساوى بعدها عن أقرب نقط علي الضفتين ، وهـذا يستدعى عمليات حسابية وهذا معناه تقسيم متساوى لسطح الماء وأن كان غير متساوى لحجم الماء ، وعادة ما يتبع هذا فى الانهار غير الصالحة للملاحة •

فى الحالة الثانية أى حالة الجزء الصالح للملاحة وهو عادة أعمق شريط فقد من هـذه الضفة حينا ومن تلك أحيانا ، ولهذا يقطع الخط المتوسط للمجرى ، ويمكن أن نضيف الى صعوبة هذا الاختيار أن الجزء الصالح قد يتغير موضعه هو الآخر •

المستنقعات الكثيفة :

كثر استخدامها فى الماضى ولكن يظهر أنهـا فقدت الكثير من أهميتها ، لان الانسان قد نجح فى تجفيفها وبالتالى أمكنه التغلب عليها •

وأعظم مبررات استخدامها كحدود سياسية كانت صعوبة عبورها وعدم جاذبيتها وقلة سكانها • فاذا ما قضى على هـذه المبررات بعد تجفيفها تقل صلاحيتها للتحديد السياسى قلة ملحوظة • ويكفي للدلالة على هـذاأن التقدم البشرى قد نجح فى التغلب علي مستنقعات بنسك وبريبت بين روسيا من ناحية وبولنده والمانيا من ناحية أخرى ، ولم تمنع هذه المستنقعات الاحتكاك والاتصال بين الدول التى تتاخمها •

وهناك مثل آخر هو مستنقعات شواطىء افريقية الغربية فقد عملت على حجب القارة عن الانظار • ففرضت هذه المستنقعات حماية علي هذا القسم من افريقية لمدد طويلة ، ولكن التقدم العلمى نجح في أن يخضع هذه المستنقعات لرغبة الانسان بتجفيفها والقضاء على الكثير من أمراضها •

الحدود الصناعية :

وهي اما حدود فلكية تتبع خط عرض أو خط طول ، أو تنشأ عن خطوط اتفاقية هندسية وكلاهما لا يراعى فيه ظروف السكان ورغبات المواطنين بقدر ما يراعى القوى النسبية للدول المستعمرة على سبيل المثال حدود المستعمرات التى أقامها الاوربيون فى قارة كأفريقية ، فاذا اخترنا جنوب غرب افريقية المستعمرة الالمانية السابقة التي تبلغ مساحتها ٣١٧ر١٨٧ ميلا مربعا ولها مايقرب من ٢١٠٠ ميل من الحدود منها ٧٢٥

ميلا تلتو، ونشى وتتبع نهر الاورانج وكوينين والاوكافانجو والزمبيزى ، واما الحدود الباقية فهى خطوط مستقيمة رسمها أناس لم يزوروا المنطقة ، ولايعرفون شيئا عن جغرافيتها التى يقسمونها ، ولم يأخذوا فى الاعتبار أى مصالح للمواطنيين · وهـذا يتكرر فى كل حدود المستعمرات الافريقية تقريبا فكثير من الخطوط بدأت من نقطة أو أخرى وأحيانا تتبع ظاهرة رئيسـية طبيعية واضحة بدرجة كافية لهم في هـذه العصور ، ومن ثم جاءت معظمها لا تتفق وحـدود القبائل بأى حال ، أحيانا تقسـم أرض القبيلة الواحدة وأحيانا تضم قبائل متنافرة ، تنشب بينها عداوة ·

وكذلك الحدود فى أستراليا أو الحدود فى المناطق الصـحراوية قسمت مناطق غير مسكونة ولم يكن قد تم كشفها حينذاك ·

والواقع أن وضع مثل هـذا النوع معناه عـدم الاهتمام بشـئون المواطنين الذين يعيشون فى المنطقة كما ذكرنا فى مسألة الحدود في أفريقية ·

كذلك هى خطوط وضعت فى الغالب علي موائد المؤتمرات : خط ٣٨ فى كوريا الذى اتفق عليه بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية -- عام ١٩٤٥ دون اشتراك المواطنين الاصليين فيه ، كذلك خط ١٧ شـمالا بين فيتنام الشمالية والجنوبية والذى يعكس توازن القوى بين فرنسـا وحلفائها من ورائها وبين الصـين عنـدما انتهت حرب الهنـد الصينية عام ١٩٥٤ · فى كلتا الحالتين واضح أن الحد مفروض على السكان من الخارج بواسطة خطوط اتفاقية لا تراعى ظواهر طبيعية أو فواصل ورغبات قومية ·

ومن أمثلة هذه الحدود الصناعية والحدود السياسية فى العالم الغربى وفى القارة الافريقية بعامة · فاذا أخذنا الحدود المصرية السودانية التى تعتبر مع خط عرض ٢٢ شمالا من العوينات نجدها تمتد حتى ساحل البحر الاحمر بلا انقطاع سـوى لسان وادى حلفا الذى يتعمق ٢٥ كم على جانبى النيل حتى يبعد وادى حلفا عن الحدود مباشرة · وليس من تفسير لاختيار هـذا الخط بالذات الا عامل الصدفة التاريخية · فلقد كان الحد الجنوبى للمناطق التى لم تتخل عنها مصر مطلقا اثناء الثورة المهدية ، وفيما عـدا وادى النهر نفسـه لا يمر الخط حاليا بمعمور الا فى شرق النيل ، حيث

نطاق خفيف الكثافة من البشارية والعبابدة يصل بين شرق السودان النيل . هنا يظهر فشل هذا الخط فى أن يصبح حدا حيويا لان المصالح متداخلة متشابكة فتظهر الثنائية أو الازدواج فى الحدود فوضع خط حدود ادارى متعرج سنة ١٩٠٢ الى جانب الحدود السياسية ، يعتبر دليلا على عدم كفاءة الخط الاصلى كفاصل أو حد سياسى .

هـذا الازدواج يقع شرق النيل على هيئة مثلثين ، غربى يقطع من السودان وهو مثلث بارتزوجا مساحته ٦٠٠ كم٢ وشرقي يقطع فى مصر وهو مثلث جبل علبه ومساحته ٢٥٠٠ كلم . وقد تحدد مثلث جبل علبه لترحيد ادارة شئون بشارى مصر مع كتلتهم الرئيسية فى السودان ، بينما مثلث بارتزوجا لا يوحد ادارة شئون عبابدة السودان مع كتلتهم الرئيسية فى مصر . ولكن من الواضح أن الحدود الادارية كالسياسية لا قيمة لها فى وسط رعوى ، لاسيما وأن حدود جبل علبه مازالت تترك جزءا من البشارية حتى أسوان .

فالثابت أن المحرك خلف الحدود الادارية كان الاطماع البريطانية ، فالقطاع الذى سلخ من مصر يبلغ أكثر من ٩ أمثال مساحة النتوء الذى ضم اليها ، كما يشمل منطقة مرتفعات غنية بالرطوبة والحياة والمعادن .

أى الحدود أفضل :

كتب كثيرون في هذا الموضوع ، وكان الكثير منهم يفترض فى الحد الجيد أنه الحد الاستراتيجى الذى لا يشجع على هجوم الجيران ، وفى نفس الوقت يسهل الهجوم بالنسبة للدولة . وكان هذا الشرط الحربى فى الحدود هو السائد فى القرن التاسع عشر ، والامثلة على هذا كثيرة منها ادعاءات روسيا فيما يختص بضم جزء من كاريليا عام ١٩٣٩ ، واستندت فى مطلبها الي أن الحدود الفنلندية لا تبعد أكثر من ١٧ ميلا عن لينينجراد ومعنى هذا انها على مدى ضرب المدفعية الفنلندية مما يهدد أمن المدينة ، وعندما رفضت فنلندا هذا الطلب قامت حرب الشتاء ، وفى معاهدة موسكو عام ١٩٤٠ تقدم الاتحاد السوفيتي بنحو ٩٠ ميلا بعيدا

عن لينتجراد وكذلك الحال فى مدينة بلفور Belfort الفرنسية ، فقد احتج الالمان عام ١٨٧١ بأن حدودهم تقع على مدى ضرب مدفعية هذه المدينة ٠

وروعى فى خط الحدود بين الهند والتبت أن يسير مع قمم الهيملايا ، وروعي في الحد بين الهند الصينية وبين تايلاند ترك مسافة على جانبي نهر ميكونج ٠ وهكذا يمكن أن تتعدد الامثلة على مراعاة الاعتبارات الاستراتيجية بترك أشرطة من الارض الحرام ، حتى تصبح حدودا آمنة ٠ واذا كانت مثل هذه الاعتبارات صالحة فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، فانها فقدت صلاحيتها الآن فى عصر الاسلحة الذرية والصواريخ ٠

الحدود الاثنوجغرافية أو الحدود القومية :

تعتبر الحدود السياسية الاثنوجغرافية أفضل الحدود جميعا ، ذلك أنها تفصل بين الشعوب بعضها والبعض الآخر ، ولكن للاسف قليل جدا من الحدود السياسية في العالم ما يتفق والحدود الاثنوجرافية ، ويرجع هذا الى عاملين رئيسيين هما : أولا الاختلاط والتداخل بين الشعوب بعضها والبعض الآخر بحيث لايمكن عمل فاصل واضح وعازل بينها ، وهذا معناه أنه لا يمكن تخطيط الحدود التى ترسم لفصل الشعوب فصلا دقيقا ، ومن ثم نجد كثيرا من الشعوب تتوغل داخل حدود شعوب أخرى مجاورة ٠ وثانيا أن تخطيط الحدود عادة ما يتم على أساس غير اثنوجرافية ، بل على أسس المصالح الاقتصادية والحربية ٠ فعقب الحرب العالمية الاولي مثلا أعيد تخطيط الحدود فى كثير من جهات وسط وشرقى أوربا ، وعملت استفتاءات لمعرفة رغبات الشعوب ، ومع ذلك فقد كان هناك ما يزيد علي ٣ مليون ألماني ، ٧٠٠ ألف هنجارى ، ٨٠٠ ألف بولندى داخل حدود تشيكوسلوفاكيا ، كما ترك نحو ٩٠٠ ألف ألمانى داخل الحدود البولندية ، ٤٢٠ ألف ألبانى داخل حدود يوغسلافيا وهكذا ٠

على أن الحدود السياسية يمكن أن تفصل بين الشعوب فى بعض الحالات كأن يكون الاساس الذى اعتمد عليه في تخطيط الحدود هو الفصل بين شعبين متجاورين كالحدود بين استونيا ولتفيا ولتوانيا فيما بين

الحربين كذلك الحال اذا ما مد خط الحدود فى منطقة جبلية خالية من السكان كما هو الحال فى جبال الالب والبرانس ، وان كانت الشعوب كثيرا ما تعبر هذه الحواجز الجبلية بدلا من أن تقف عندها ، فالهيمالايا لم تمنع المغول من الوصول الى الهند ، والبرانس لم تمنع الباسك من الانتشار على جانبيها في فرنسا وأسبانيا ويعيش الالمان على جانبى هضبة بوهيميا ، ومن الحالات التى تفصل فيها الحدود السياسية بين الشعوب أيضا اذا جاء تخطيط الحدود بين شعبين متجاورين ، ومضى عليها مدة طويلة بحيث سمح لكل منهما بالاستقرار فى المنطقة التى يعيش منها ، كالحدود بين فرنسا وأسبانيا ، ومنها ان يكون تخطيط الحدود سابقا لوصول العناصر البشرية علي جانبيه كالحدود بين الولايات المتحدة الامريكية وكندا غرب البحيرات العظمى ، وان كان الاختلاف بين الشعبين قليلا على طول الخط الفاصل لاتحادهما فى الاصول واللغة وبيئة الوطن الأم ، ويمكن أن تتفق الحدود أيضا مع الاوضاع الاثنوجرافية ، اذا خططت الحدود أولا ، ثم تتحرك الشعوب على جانبيها ، أى يحدث تهجير حتي تصبح اثنوجرافية كما حدث فى الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية عقب الحرب العالمية الثانية • وهذا النوع ان كان يحل مشكلات الاقليات الا أنه يأخذ جهدا ويسبب متاعب جمة •

خصائص مشكلات الحدود السياسية بعد الحرب العالمية الثانية :

١ ـ تميزت نزاعات الحدود فى القرنين السابقين للحرب العالمية الثانية بأنها كانت منازعات حول أقاليم أكثر منها تحديد وتوضيح لمعالم الحدود كما حدث بعد تلك الحرب فقد كانت الاولى حروبا اقليمية بالدرجة الاولي وذلك بالغزو الشامل للدولة للضغط عليها للتنازل عن اقليم من الاقاليم وتعديل الحدود السياسية •

٢ ـ ان معظم المنازعات على الحدود السياسية بعد الحرب العالمية الثانية كانت خارج أوربا وقد يفسر هذا على أن أوربا قد بلغت مرحلة النضج السياسى ، أو أنها انتهت الى تحديد واضح لحدود دولها ، أو لعدم وجود قوى يمكنها تحدى الاوضاع الراهنة •

٣ ـ ازدياد منازعات الحدود عن ذى قبل ويرجع ذلك لعدة أمور مثل :

(أ) حصول كثير من المستعمرات علي الاستقلال (قارن عدد الدول الاعضاء المؤسسة لهيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٥ عند تكوينها) (٥٠) بعدد الاعضاء عام ١٩٨٠ (١٥٢) وبالتالى ظهرت كثير من الادعاءات التى كان الاستعمار يمنع ظهورها مثل مطالبة المغرب فى فترة ما بموريتانيا،ثم دعوى موريتانيا والمغرب فى الصحراء الغربية بخروج الاستعمال الاسباني ، ودعوى الصومال على كينيا وأثيوبيا ، والنزاع الهندى الباكستانى على كشمير .

(ب) ظهور الثروات المعدنية وازدياد قيمة اليابس والماء حتي ولو كانت رقعة محدودة كالنزاع فى بحر ايجه بين تركيا واليونان (بترول) والنزاع بين تونس وليبيا فى خليج قابس (بترول) النزاع المغربى الجزائرى في الخليج العربى . والطريف مثلا فى دولة الامارات العربية المتحدة أن تجد الخلافات بين الامارات بعضها وبعض على كيلومترات .

(جـ) زحف العمران الى مناطق الحدود السابقة والتي ذكرنا أنها اتفق عليها قبل ظهور أى هيئات حضارية . Cultural Landscape وبالتالى يبدأ الاحتكاك لتوضيح الحدود كنزاع الحدود الهندية الصينية .

وفى غالب الاحوال تكون الدعاوى الاقليمية على أساس الروابط الجغرافية أو القومية وعلى أساس ان المعاهدات التى ابرمت بمقتضاها الحدود كانت غير متكافئة أو غير شرعية لانها ابرمت مع من ليس له الحق فى عقدها وهى القوة الاستعمارية التى كانت رابضة فى الاقاليم ، مثال النزاع الافغانى والباكستانى بالنسبة لاقليم بلو شيشستان ونزاع الحدود الصينية الروسية ومعظم منازعات الحدود السياسية فى أفريقية .

٤ ـ واذا كانت منازعات الحدود السياسية على اليابس فى طريقها للانقراض لتقدم وسائل المسح ، والقياس ، ولم يعد هناك جزء غير مكتشف من سطح الارض فقد زادت مشكلات النزاع على الحدود البحرية وتحديد المياه الاقليمية والاقاليم الاقتصادية (E.Z) .

الفصل الثانى

مشكلات الحدود السياسية

تعتبر مشكلات الحدود السياسية من الموضوعات التى يعنى بها الباحثون فى الجغرافيا السياسية ، ولا ينفرد الجغرافيون وحدهم ببحث مشكلات الحدود بل هى ميدان ثرى للمشتغلين بالعلوم السياسية والمؤرخون ورجال القانون الدولي ، ولكن الجغرافى يتميز عليهم جميعا بتفهمه للخصائص الاقليمية وسهولة استخدامه للخرائط . وان كانت هناك بعض مظاهر للنزاع لا يمكن للجغرافى أن يكون منافسا لغيره فيها . كاتخاذ القرارات والحكم على مدى قانونية المعاهدات والمناقشات التى تدور فى صالح جانب أو آخر . ولكن لا يزال هناك المجال كبيرا أمام الجغرافي لكى يضيف الكثير لاجلاء المواقف المختلفة .

أنماط منازعات الحدود السياسية :

يعتبر نزاع الحدود السياسية مظهرا أو صورة من صور التوتر Teusion الدولى لمشكلة من مشكلات الحدود ، لانه قد تكون هناك مشكلة ما Problen دون أن تثير نزاعا Dispute ، ويتضمن نزاع الحدود بوجه عام انماط أربعة رئيسية ، قد يقوم احداهما بين وحدتين سياسيتين مستقلتين وهى :

١ ـ يعرف النمط الاول بالنزاع الاقليمى . . Territorial Dispute ينشا نتيجة وجود خصائص معينة في اطراف الدولة ، يجعلها ذات جاذبية للدولة البادئة فى اثارة النزاع . كأن تسكنها قومية تابعة لها ، أو تظهر فيها ثروة معدنية ، أو تريد احياء حدود قديمة كانت تضم هذه

الاطراف أو تكون احدى الدولتين قد انفردت بتعيين نطاق حدودها البحرية الاقليمية دون مراعاة مصـــالح وحقوق الدول الاخرى أى اتخذت سياسة الامر الواقع ، والامثلة متعددة وخير مثال للنزاع على أساس تفتت القومية وسياسة الامر الواقع هى الحدود الالمـانية عقب الحرب العالمية الاولي وتقطيع أوصـــال المـانيا ، انظر الى ما قاله هتلر فى مؤتمر نورمبرج عام ١٩٣٨ مدافعا عن المـانى السوديت ٠

انى أقولها واكررها ، أنه اذا لم يقدر لهـذه الفئة المعذبة أن تأخـذ حقوقها وحرياتها ، فان لها أن تعتمد علينا في الحصول عليها ، ان الالمان لا يطالبون سوى تقرير مصيرهم ، وهو حق مقدر لـكل أمة غيرهم ، كذلك الحال فى نزاع الصومال مع أثيوبيا على اقليم أوجادن الذين يسكنه جزء من الامة الصـومالية فى معظم الاحوال يكون هناك طرف متضـرر وينتهز الفرصة للاشتباك كالمانيا في الحالة الاولى ، والصومال فى الحالة الثانية ، وطرف مستفيد يدافع عن بقائها مثل تشـيكوسـلوفاكيا فى الحالة الاولى وأثيوبيا فى الحالة الثانية ٠

وقد شـجع علي النزاع عـدم وجود معاهدات بين الاطراف المعنية يمكن اللجوء والاحتكام اليها فضلا عن جاذبيـة المنطقة موضـع النزاع ، كالنزاع على واحة البوريمى بين أبو ظبى والسعودية (قبل تسوية ١٩٧٤) وكذلك ادعاءات الغربية علي الصحراء الغربية لان المعيار فى كل منهما كان استقراء تحركات القبائل وولائها ، فقد اعتمدت الســعودية عندما طالبت بواحة البوريمى على جباية الزكاة وولاء القبـــائل لأن السعوديون كانوا يجبون الزكاة منها أعوام عام ١٨٤٥ ، ١٨٥١ ، ١٨٦٩ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٩ ، وهم يرون أن دفع الزكاة معناه اعتراف بسيادته السعوديين ، كذلك استند المغرب فى دعواه على الصـحراء الغربية بأن ملوك المغرب كانوا يعينون القضاة والقادة المدنيين وكانت قبائل الصحراء ترسل مندوبين الى البلاط المغربى ليقدموا فروض الولاء ٠

ويعرف النمط الثاني بالنزاع الموضعى ٠ ٠ ٠ Positional dispute الا أنه يتعلق لوضع الخط السياسى ، وغالبا ما يكون النزاع حول التفسير

الصحيح لمعاهدة سبق أن قبلها الطرفان ، كالنزاع بين شيلى وارجنتين حول تفسير خط تقسيم المياه أو أعلى القمم الجبلية ·

هكذا فالنوعان السابقان يتطلبان تغييرا فى وضع خط الحدود السياسية بينما نجد النوعين الآخرين لا يتطلبان تغييرا في وضع ذلك الخط ، وبالتالى كان أقرب المشكلات منهما الى المنازعات ·

النوع الثالث وينشأ نتيجة تأثر الخدمات أو الوظائف التى يحصل عليها سكان اطراف الدولة من جراء رسم خط حدود معين لذلك تطلق عليها منازعات وظيفية Functional cisp Ute كالمشكلة التى نشأت بعد تعيين الحد السياسى بين ايطاليا وفرنسا في جبال الالب البحرية عام ١٩٤٧ اذا كان من نتيجة أن بعض الجماعات الرعوية الفرنسية على الحدود حرمت من مراعيها الصيفية بينما حرمت الجماعات الرعوية الايطالية على الجانب الآخر من مراعيها الصيفية الربيعية لانها أصبحت داخل الحدود الفرنسية ونظرا لانه ليس من الممكن تحريك خط الحدود ، فقد تمت التسوية بالاتفاق على السماح لكل من الجماعات الرعوية الفرنسية والايطالية بعبور خط الحدود للاستفادة بالمراعى علي الجانبين ، وهذا يشبه الاتفاق الذى تم أخيرا بين تونس والجزائر ·

ويختص النوع الرابع باستخدام بعض الموارد مثل الموارد المعدنية أو النهرية ويطلق عليه نزاع حول الموارد Dispute over Resources كاستخدام مجرى مائى (شط العرب) أو استخدام النهر عبر الحدود (الانهار الدولية) ·

ما وراء مشكلات ومنازعات الحدود السياسية :

لابد للوصول الى حل لمشكلات الحدود من معرفة عدة أمور أساسية :

أولا : الاسباب الفعلية للمشكلة ·

ثانيا : فهم الظرف المناسب الذى أدى بالدولة الى اثارة ادعاءاتها ·

ثالثا : أغراض هذه الدولة من هذه الادعاءات · ويمتد التحليل الي تفنيد هذه الادعاءات على أسس جغرافية ، ثم تقدير نتائج هذه الادعاءات سواء فيما يختص بأثرها على المناطق المتاخمة أو علي العلاقات الدولية ·

ولفهم وجهة النظر هذه نضرب مثلا مختصرا بنزاع قام بين أفغانستان والباكستان ، فتدعى أفغانســتان بأن قبائل الباثان Pathan فى غرب باكستان يجب أن يسمح لهم بتكوين دولة مع اخوانهم فى أفغانســتان وتنكر الباكستان بدورها رغبة قبائل الباتان في الانفصال وتكوين دولة الباتان المزعومة فاذا نظرنا الى السبب الاســاسى نجده فى المعاهــدة الانجليزية الافغانية التى ترجع الى عام ١٨٩٣ التي حددت مناطق النفوذ بين بريطانيا وأفغانستان ، وهــذه الاتفاقية أيدتها معاهدات كثيرة أعوام ١٩٠٥ ، ١٩١٩ ، ١٩٢١ ، ١٩٣٠ ، ٠ وقد قسم ذلك الخط الاقليم الذى تعيش فيه قبائل الباتان بطريقة جعلت هنــاك ٢ر٤ مليون نســـمة داخل منطقة النفوذ البريطانية (باــكســتان الآن) وكانت الظروف المشجعة على اعلان أفغانستان لمطالبها هى تقسيم الهنــد الي هند وباكستان عام ١٩٤٧ حين كانت الباكستان تواجه صعوبات التقسيم داخليا وخارجيا • أما الاســس التى قامت عليها مطالبها ، فتنحصر فى أن اتفاقية ١٨٩٣ غير ذات موضوع لان أفغانســـتان وقعتها تحت ضغوط ، ثانيا أن أفغانســـتان لا يمكن أن ترث تبعات انتهت (وهى بريطانيا في الهند) وهــذه مناقشات قانونية بطبيعة الحال لا تقع فى ميدان البحث الجغرافى ، وثالث الحجج أن حدود أفغانستان كانت فى وقت ما تمتد بعيدا فى الهند ومنها بطبيعة الحال باكســـتان الان ، وبالبحث التاريخى يظهر أن أقصى اتساع لافغانستان كان عام ١٧٩٧ حين امتدت أفغانســتان الي دلهى ولاهور ثم سقطت لاهور فى أيدى المغول عام ١٧٩٨ وسقطت بشاور عام ١٨٢٣ •

فان كانت هناك فترة توســـع منذ قرن ونصف يعتمد عليها الان فى تخطيط الحدود اليوم ، فان معنى أن خريطة العالم يمكن أن تتعرض لتغير جذرى خطير ، ورابعا : هناك ادعاء لعله أكثر الادعاءات وجاهة وهو أن هــذه القبائل على الجانبين تكون وحــدة اثنولوجيــة ، ويجب أن تلتئم فى وحدة ســياسـية •

اذ بحثنا بعد ذلك اغراض أفغانســتان الحقيقية في بلوخســـتان ، فيمكن اســتنتاج أمل أفغانســـتان فى خضــوع الدولة الجــديدة لنفوذها واستغلالها كمخرج لها على البحر العربى •

وأما نتائج هـذا النزاع فكانت واضحة علي المستوى المحلى ، وقـد تكون أكثر أهمية على المستوى الدولى ، فقد قطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فى سبتمبر عام ١٩٦١ واستعيدت في مايو ١٩٦٣ ، خلال تلك الفترة أغلقت الحدود باستثناء فترات قصيرة فى يناير عام ١٩٦٢ لتصل المعونة الامريكية الى أفغانستان عن طريق باكستان ونظرا لان معظم صادرات أفغانستان الي الهند ومعظم وارداتها من اليابان والهند والولايات المتحدة الامريكية حدث تغير فى الترجيه التجارى لافغانستان فأصبح الاتحاد السوفيتى يسهم بقدر وافر من الصادرات والواردات. وأدى القتال والمناوشات فى المنطقة الي أن تقوم الباكستان بتعزيز خطوطها الحديدية فيها ، وكان اغلاق الحدود سببا فى منع الهجرة الفصلية لنحو مائة ألف من الرعاة الى باكستان حيث كانوا يهاجرون بقطعانهم شتاء . وكان هؤلاء الرعاة يتكسبون أيضا بالاشتراك في الاعمال اليدوية أثناء اقامتهم فى باكستان وخاصة جمع محصول قصب السكر ، وكان من نتيجة هـذا أن أصبحت الباكستان تطلب عنهم تأشيرات خروج ودخول ومستندات لا يطيقونها وحتى بعد فتح الحدود وعودة العلاقات ، نجد أن الباكستان بدأت عمليات توطين لهم فى مشروعات زراعية مما يترتب عليه هجرهم المراعى في أفغانستان .

أما علي المستوى الدولى فيلاحظ أن أفغانستان وجدت تشجيعا من الهند والاتحاد السوفيتى ، فالحكومة الهندية يهمها أن تنشغل باكستان عنها فى مشكلة جديدة غير مشكلة كشمير . ويجد الاتحاد السوفيتي نفسه قادرا على اضعاف دولة في الحلف المركزى لجنوب شرق أسيا ، وفى نفس الوقت تقوية لعلاقاته مع أفغانستان التى كانت هـدفا للدبلوماسية الروسية حتي قبل الثورة الشيوعية .

هـذا المثل الذى ضربناه يبين أوجه النزاع على الحدود والتى يمكن للباحث الجغرافي أن يراعيها ويركز عليها فى هذا المجال من الجغرافية السياسية .

الحدود السـياسـية فى افريقية

من المعروف أن غالبية الحدود الافريقية هى حدود مفروضة أو موضوعة من الخارج ، وضعتها القوى الاوروبية خلال العقدين الذين تبعا مؤتمر برلين عام ١٨٨٤ ، أما قبل الاستعمار الاوربي للقارة • فلم تكن هناك حدود وكان البناء السياسى الوطنى كقيام ممالك معينة من السكان الاصليين ، كان يفصلها عن بعضها تخوم ، كأن تكون أراضى غير مسكونة ، أو مناطق مستنقعات وكان من نتائج وضع هذه الحدود أن أصبحت تمر أحيانا فى أرض القبيلة الواحدة ، ويرجع هذا الي عاملين أولهما عدم اتفاق الطرفين الاوروبيين لسبب من الاسباب ، وثانيهما التغلب مصلحة اقتصادية أو استراتيجية •

وكانت السلطات الاستعمارية تخفف من حدة فصل أعضاء القبيلة الواحدة بين المستعمرتين ، وذلك بالتخفيف من قيود الانتقال على الجانبين ، وقد يرجع هذا الى أن كثيرا من السلطات الادارية لم تعرف الحدود الفعلية لكل وحدة سياسية لذلك كانت عمليات الانتقال والهجرة من الامور المألوفة • غير أن استقلال هذه المستعمرات السابقة دون تعديل للحدود ، ومحاولة كل دولة جديدة ممارسة حقها في السيادة بوضع القيود على الانتقال عبر الحدود ، أدى الى ظهور مشكلات خطيرة على طول تلك الحدود • فعلى سبيل المثال نجد أن حكومة توجو تضع مراقبة شديدة علي طول خط الحدود بين غانا وتوجو خشية تهريب السلاح للاحزاب المعادية للحكومة ، بينما نجد الحدود بين نيجيريا والكمرون وقد انتشرت عليها المحطات المراقبة لمنع الهاربين من الكمرون واتخاذ نيجيريا ملجأ لهم • كما شددت اثيوبيا الحراسة على حدودها مع الصومال وألغت اتفاقية مع الصومال كانت قد عقدت ، تسمح لرعاة الصومال بعبور الحدود الاثيوبية بحثا عن الكلأ والماء لقطعانهم •

لقد وضح أن الحدود السياسية فى افريقية في الوقت الحاضر فى حاجة الى تعديل حتى تتفق وتنسجم الحدود مع الحقائق الجغرافية من ناحية ، ومع الاتجاهات السياسية للدول الافريقية المستقلة من ناحية أخرى

ومع ذلك فقد استقر رأى منظمة الوحدة الافريقية على الابقاء على الوضع الراهن منعا للانشقاق بين الدول الافريقية (١) ٠

أنواع الحدود السياسية فى افريقية :

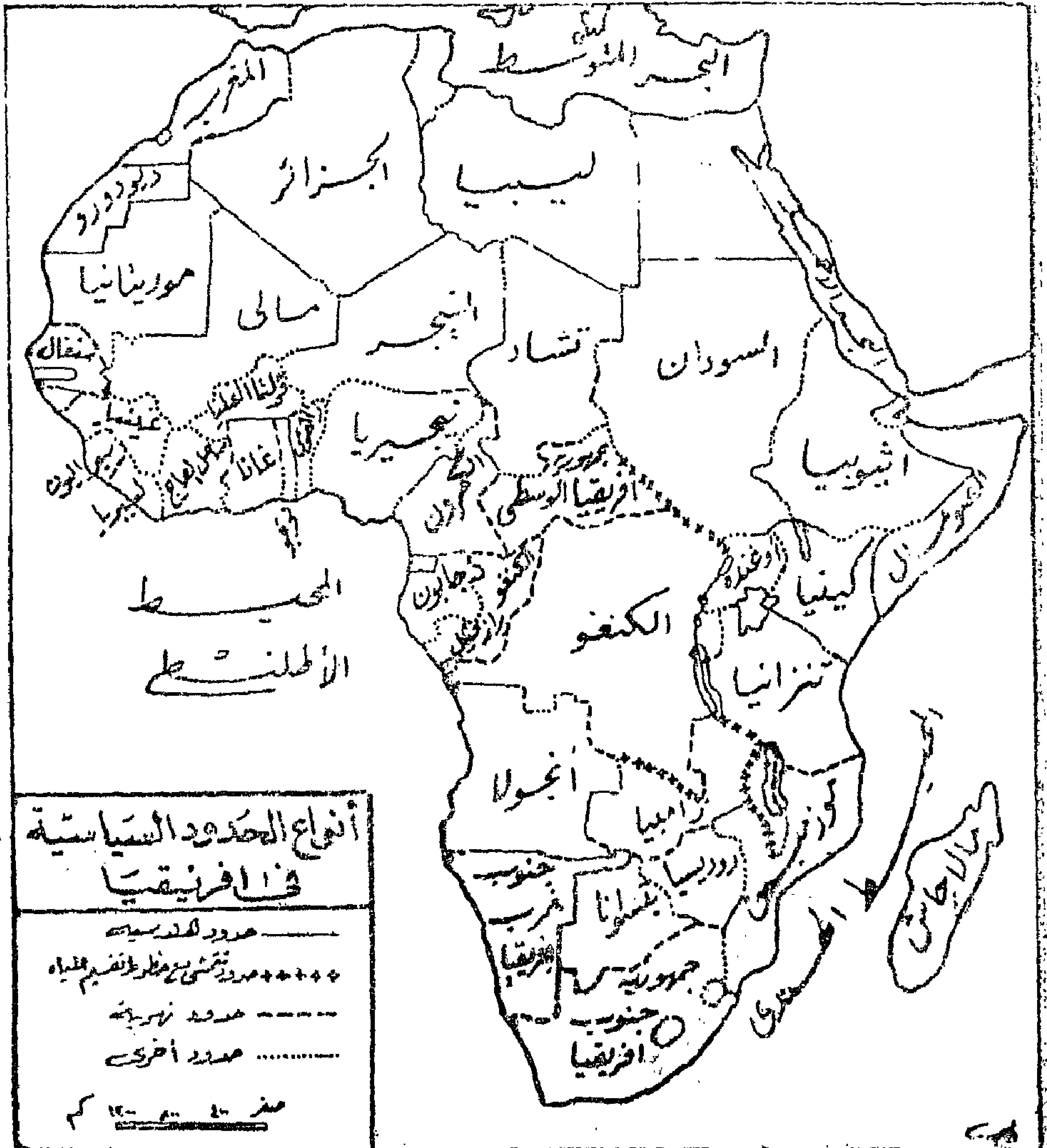
وتظهر الخريطة السياسية لافريقية غلبة الخطوط الفلكية والهندسية وعادة ما تسير فى المناطق المخلخلة السكان (كما هو الحال فى الصحراء الكبرى) وان كان هذا ليس بقاعدة ٠ وقد ظهر أن نسبة كل نوع على وجه التقريب كما يلي : الخطوط الفلكية ٤٤٪ والخطوط الهندسية ٣٠٪ ، الخطوط التى تتفق والمظاهر الطبيعية ٢٦٪ ٠

واذا قارنا أفريقية بقارة أخرى ٠ فان النسب ستتغير لا شك ، ففى استراليا مثلا لا توجد حدود دولية على الاطلاق وانما هى حدود داخلية بين الولايات ، وحتى اذا اعتبرناها دولية ، نجد غلبة الخطوط الفلكية ، أما فى أوربا فلا تمثل الخطوط الفلكية فيها الا نسبة ضئيلة للغاية ، ويرجع هذا الى انه معنى وقت طويل على القارة ، كثر فيها النزاع على الحدود وتحركها من مكان الى آخر بينما تزيد نسبة الخطوط التى تتبع الحواجز الجبلية والأنهار ، واذا حاولنا تعليل أسباب كثرة استخدام خطوط تقسيم المياه في عمليات التحديد السياسى ، لوجدنا أن هذا يرجع الى عمليات الكشف الجغرافي لأفريقية ، اذ انها كانت تتضمن القاء الأضواء على أنماط التصريف النهرى للقارة ، ولم يكن يعرف من حوض النهر سوى منطقة المصب ، ولذلك كان من الطبيعى أن تتفق القوى الاستعمارية على أن تكون الحدود بينها في الداخل المجهول ، هى مناطق تقسيم المياه بين الأحواض النهرية ، لذلك اعترفت بريطانيا عام ١٨٩٤ بنفوذ الملك ليوبولد فى حوض الكنغو حتى تقسيم المياه أوحتى الحافات الجبلية التى تحد الأحواض النهرية المجاورة ، وخاصة حوض النيل في الشمال ، أما مدى مراعاة هذا لصالح السكان

---

(١) أصدرت جمعية رؤساء الدول والحكومات الافريقية فى دورتها الاولى عام ١٩٦٤ بالقاهرة بشأن منازعات الحدود بين الدول الافريقية القرار الثاني « تتعهد جميع الدول الاعضاء باحترام الحدود القائمة عندما يتم استقلالها الوطني » ٠

الوطنيين فيمكن أن نستشفه من رسالة وصلت الى السلطان زيمى أحد سلاطين الزاندى (فى جنوب غرب السودان) عام ١٩٠٠ « انك على بينة من الحدود التى اتفق عليها الانجليز والفرنسيين والبلجيكيين ، أن النفوذ المصرى الانجليزى يبدأ حيث تتبع المجارى المائية التى تتدفق نحو الشمال أو نحو النيل ·



(شكل ١٥)

أما النوع الآخر الشائع فى أفريقيه وهى الخطوط الفلكية ، فهذا يتفق عليه عادة على موائد المؤتمرات ، وعلى بعد مئات وآلاف الأميال من

القـارة ، من ثم كانت تظهر صـعوبات كبيرة أمام هؤلاء الذين يقومون بالتخطيط العملى على الطبيعة ، والآمثلة عديدة علي ذلك ، فعند تخطيط الحدود السياسية بين الكمرون الألمانى ونيجيريا البريطانية عام ١٩٠٣ ، اختلف الفريقان نظرا لأن كل فريق كان يقدر خطوط الطول بطريقة مختلفة عن الآخر ، وحيث تسير خطوط الحدود (الفلـكية) في مناطق أو عبر طرق هجرات فصلية ، تصبح غير مناسبة ٠

ومنها خط الحدود بين مصر والسودان الذى اتفق علي أن يسير مع خط عرض ٢٢ شـمالا ، مما أدى ضرورة اتخاذ خط آخر للحدود الادارية بحيث يجمع قبيلة البشاريين بأكملها فى السودان، وقبيلة العبابدة فى مصر ٠

ولعل اسـتعمال الانهار كحدود سـياسية كان أقل أنواع التحديد السياسى تعقيدا من الناحية الفنية ، الا فى المناطق التي تغير فيها الانهار مجاريها المـائية ، أو حين كان المجرى المـائى معروفا فى جزء منه، ومجهولا في جزء أخر عندما وقع اتفاق الحدود لذلك نجد أن كارل بيترز الالمـانى يدعى أن نهرا غير مجراه ، وذلك بغية الحصـول على أرض جـديدة فى شرق أفريقية ، أو للمسـاومة علي منطقة من جهة ثانية ، وفى مناقشـة لتخطيط الحد السياسى بين السودان وأثيوبيا نجدهم يقترحون اسـتخدام نهر البيبور ٠ ولـكن اذا لم يصل البيبور الى خط عرض ٦ شـمالا ، فان مجراه حتى خط طول ٣٤ شرقا يصبح هو الحد السـياسى ٠ويؤدى جهل السياسيين أحيانا ببعض المصطحات الى ضياع لمصـالح بلادهم ، فعلي سـبيل المثال وافق مندوب ليبيريا مع مندوب فرنسا عام ١٨٩٢ على أن يتبع خط الحد السـياسى بين ليبيريا وسـاحل العاج الضفة اليمنى لنهر كافالى المتجه جنوبا نحو المحيط ، وكان يظن أن الخط تبعا لذلك الاتفاق يسير مع الضفة الشرقية ، وبذلك تشرف ليبيريا علي المـلاحة فى النهر ، ولـكن الحقيقة ظهرت أن الخط بهذا التحديد يسير على الضفة الغربية ، ويضـع المجرى برمته تحت النفوذ الفرنسى ، ولهذا النهر أهمية ملاحية كبيرة لليبيريا ، نظرا لان مزارع فيرسـتون تقع على الجانب الليبيرى مجاورة للنهر ، من ثم الاسـتخدامه للنقل من الامور الضرورية للشركة ٠

بعض مشكلات الحدود فى افريقية

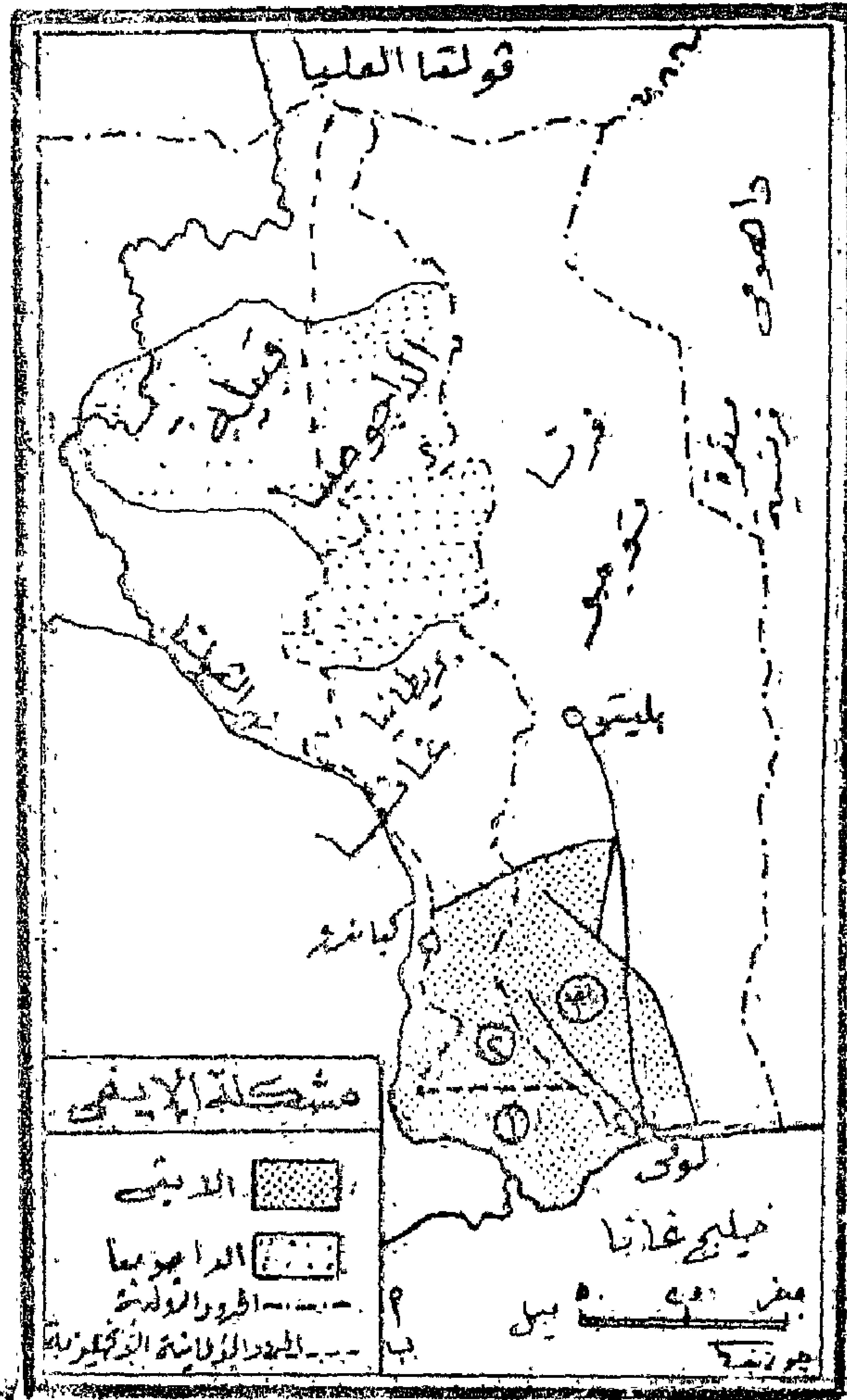
مشـكلة الايفى في غانا وتوجو :

يبلغ عدد أفراد قبيلة الايفى نحو ٧١٥ الف نسمة ، يعيشـون بين الفولتا الادنى ونهر ناهو Naho اللذان يصبان في خليج غانا ، والحد الشـمالى للقبيلة يسير موزيا لخط الساحل على بعد نحو ٨٥ ميلا منه ٠ وتتألف مواطنهم فى معظمها من سهول متموجة لا يزيد ارتفاعها علي ٤٠٠ متر ، وتغطيها حشائش السفانا المـكشوفة ، ولا يظـهر تغير ملمـوس فى هـذه البيئة اللهم بالقرب من الساحل ، حيث تمتد البحيرات السـاحلية التي تحيطها أشـــجار نخيل الزيت وتفصل بينها رمال السـاحل ٠ واذا استثنينا بعض صـيادى الاسـماك ، نجد الايفى قبيلة من الزراع ، تقوم بزراعة الذرة واليـام ٠ وهناك رغبة من الايفى بأن يلتئم شملهم سـواء كدولة مسـتقلة أو كجزء من غانا أو جزء من توجو ٠

وكانت قبيلة الايفى قبل التدخل الاوربى تنقسم الي اثنتا عشر قبيلة فرعية تعيش بين مملـكتى أبومى والاشانتي ، وخلال فترات الحروب كانت تعقد الاحلاف الوقتية بين هذه الفروع ٠ وكان أول فصل للايفي عندتحديد خط الحدود بين ساحل الذهب البريطانى وتوجو الالمـانية حيث سار الخط بين لومي على الساحل ونهر الفولتا على بعد ٣٠ كيلو متر الى الجنوب من كباندو ، ولم تكن هناك شـكاوى من الايفى فى ذلك الوقت ، غير أن المنطقة قسمت بعد الحرب العالمية الاولى بحيث ضمت فرنسا ثلثى الاقليم بما فيه كل السـاحل والخط الحديدى وضـم الباقي المجاور لسـاحل الذهب الى بريطانيا ، وقد تأكد هـذا الوضع عام ١٩٢٢ عندما منحت فرنسا بريطانيا انتدابات على المنطقة ٠ وخفف أثر هذا التقسيم الثالث أن بريطانيا كانت تحكم الجزء الخاص بها ، كقسم من ساحل الذهب ، على عكس الفرنسيين الذين احتفظوا بادارته منفصلة عن داهومى والفولتا العليا ، وقد أحـس الايفى بهذا الفصل في فترة ١٩٤١/١٩٤٣ ، وعندما أغلقت حكومة فيشى الحدود ، وما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى ظهرت رغبات من الايفى بالالتئام والوحدة ، وان ظهرت اقتراحات متعددة على كيفية الوحدة ٠

وقد زارت بعثة من الامم المتحدة عام ١٩٥٠ وكتبت تقريرا ذكرت فيه « أن المشكلة بلغت من الحدة بحيث تستدعي حلا سريعا لصالح السـلام

والاستقرار فى المنطقة ، ولم يظهر هناك حل مرضى لمشكلة الايفى حتى الآن ، وقد عمل استفتاء فى توجو عام ١٩٥٦ ، وظهر من نتيجته رغبة الجزء البريطاني من توجو فى الانضمام الى ساحل الذهب ، بينما التصويت الذى حدث فى توجو الفرنسية كانت نتيجته الرغبة فى قيام دولة مستقلة داخل الاتحاد الفرنسى ، وان كانت جمهورية توجو خرجت من هذا الاتحاد عام ١٩٦٠ .



(شكل رقم ١٦)

انه لمن الصعب تصور حل مرضى لهذه المشكلة ، فاعادة توجو البريطانية ثانيا وتوحيدها مع جمهورية توجو مثلا لن يحل اشكالا لانه لن

يضم الايفى الذين يعيشون في جنوب شرقى غانا ، بل وسيقسم الداجوميا فى شمال شرقى غانا وخلق دولة مستقلة للايفي ليس حلا مرضـــيا لانه سيخلق مشكلات في المواصلات والتنمية لبقية أجزاء توجو ، ويعتبر الايفي أنهم يدفعون ثمنا غاليا لوحدتهم مع غانا ، وكان لعدم حل هـذه المشـكلة أثره فى حدث التوتر الدائم فى الاقليم ، واشتدت الحراسة من غانا وتوجو على خط الحدود ، وعندما اغتيل الرئيس أولمبيو Olympio عام ١٩٦٣ أغلقت حدود توجو مع غانا فورا . وقد أشارت غانا مرارا الى قيام اتحاد بينها وبين توجو . وزاد من توتر الاقليم الضغط الغانى من ناحية وخوف حكومة توجو من اقتطاع أجزاء من أراضيها من ناحية أخرى .

مشـكلة الصومال وأثيوبيا :

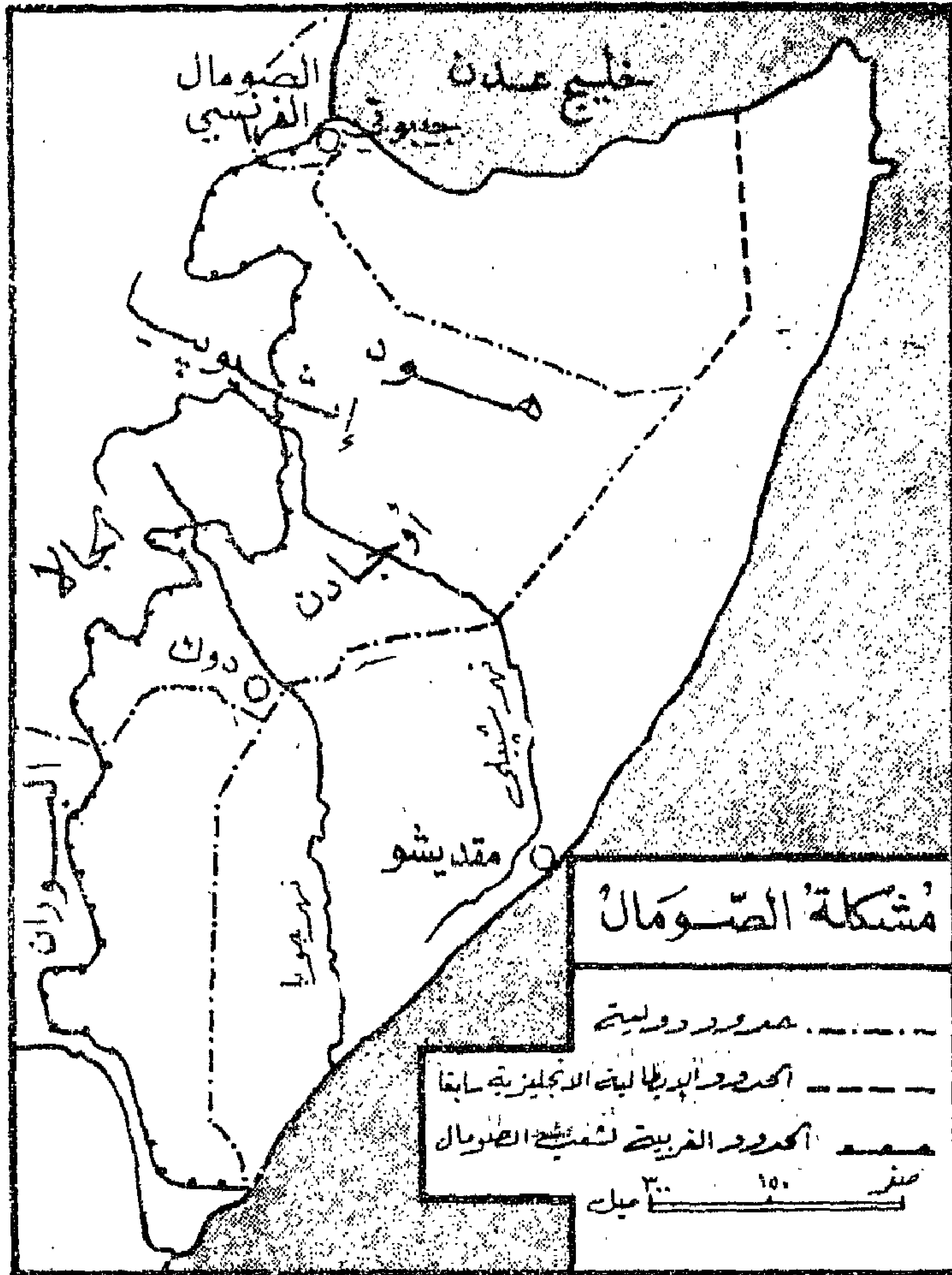
يحتل الصوماليون القرن الافريقى الذى يحده البحر الاحمر والمحيط الهندى وخليج عدن ، فضلا عن خط غير منتظم يبدأ من مصب نهر تانا فى كينيا الى ميناء جيبوتى وينقسم الشعب الصومالى بين الصومال الفرنسى (٢٥٠٠٠) جمهورية الصـومال (٢٫٠٧٦٫٠٠٠) وأثيوبيا (٣٥٠٫٠٠٠) وكينيا (١١٩٫٠٠٠)، من ثم توجد مشكلتان للحدود بين جمهورية الصومال من ناحية وبين كينيا وأثيوبيا من ناحية أخرى ويتفق الشعب الصـومالى فى اللغة والحضارة ويقويهما الاقتصاد القائم على الرعى ، ورغم أنه لم تكن هناك وحدة سياسية قبل ذلك فى الاقليم ، الا أنه كانت هناك فترات من الاتحاد لصـــد قبائل الجلا فى كينيا وأقبـاط أثيوبيا ، وتعتبر الإبل حيوانهم الرئيسى فى الشمال وبعض أجزاء الجنوب ، بينما تعتبر الماشـية الحيوان الرئيسى لدى قبائل الجنوب كالدجيل Digil والهوايا Hawiya لعدم تحمل الماشـية لذبابة التايابانوبس ، أما الضـأن فيرعى فى جميع أجزاء الاقليم .

ولعل الإستثناءات القليلة لهذا النمط هو ظهور الزراعة كحرفة ثانوية الى جانب الرعى فى اقليمين بين نهر جوبا وشبيلى حيث تعيش جماعات الساب Sab فهذان الاقليمان وهما بورهكبا Bur Hakaba وهضبة بيدو Baidu تغطيهما تربة فيضية ، وينالا مقدارا من المطر أوفر من الاقاليم

المجاورة ، ويؤدى هذا الى زراعة الذرة الرفيعة والسمسم والقطن والفول . وفى هذه المناطق فقط توجد حدود معروفة ، بينهما يعتبر الاحتلال الفعلى للارض هو الاساس الوحيد للسيطرة على الارض القريبة من موارد الماء والسكلأ ، ولذلك نجد أن الحدود في مناطق الرعى تعتبر حدودا ديناميكية متحركة تبعا لاختلاف قوة القبائل ومدى احتياجاتها ويتبع قبائل شمال الصومال نمطا من الرعى يتمثل فى الهجرة صيفا الى اقليم هود في أثيوبيا ، عندما تكون مرتفعات هود في أحسن حالاتها نباتيا وفى نفس الوقت تكون مراعى سهول الصومال قد أنهكت ، أما الاجزاء الجنوبية من الصومال ، فلا يتميز بظهور حرفة الزراعة فحسب ، بل الهجرة الفصلية للرعاة أيضا ، حيث يتجه السكان بحيواناتهم الى الاراضى النهرية خلال الفصل الجاف ، لان نهرى جوبا وشبيلى دائما الجريان ، ثم يرجعان الى مراعى الاقاليم الساحلية خلال فصل المطر القصير الذى يمتد من أبريل الى مايو ، ومن أكتوبر الى نوفمبر ، ويصبح اختراق خط الحدود (الصومالية — الاثيوبية من الامور الضرورية بالنسبة لبعض القبائل مثل البيدهان والميرهان .

فاذا رجعنا الى الحدود التى فرضت على الاقليم بواسطة بريطانيا وفرنسا وايطاليا نجدها ترجع الى فترة (١٨٨٥ — ١٩٠٠) حين حصلت بريطانيا على محمية كينيا والصومال البريطانى ، بينما حصلت فرنسا وايطاليا على مستعمراتيهما . وقد فصلت هذه الحدود الهندسية بين أراضى القبيلة الواحدة ، حيث فصلت المراعى الشتوية عن المراعى الصيفية وقد نصت المادة الرابعة من الاتفاقية الايطالية الحبشية لعام ١٩٠٨ ، وعلى أن خط الحدود يجب أن يمر الى الشمال الغربى من وبى شبيلى بحيث تقع كل أراضى القبائل الساحلية ضمن النفوذ الايطالى ، بينما يقع اقليم أوجادين وقبائل أوجادين ضمن أثيوبيا . وقد بدأت لجنة ايطالية أثيوبية تحديد الخط عام ١٩١٠ ، ولكنها لم تصادف نجاحا كبيرا لعدم اتفاق الطرفين على حدود أراضى القبائل . ورغم أن تحديد الخط بين الصومال البريطانى وأثيوبيا صادف نجاحا عام ١٩٣٥ ، الا أن الصوماليون

فى المستعمرة البريطانية كان لهم حق عبور الحدود الي مراعيهم التقليدية في اقليم هود طبقا للمعاهدة البريطانية الاثيوبية لعام ١٨٩٧ .



(شكل رقم ١٧)

ورغم الحدود الاستعمارية فقد أدى ضغط الصوماليين المتواصل على قبائل الجالا فى شمال شرقى كينيا الى زحزحتهم الي الغرب من النهر فقد انخفض عدد الصوماليين في كينيا فى عام ١٩٢١ نتيجة تنازل بريطانيا عن الاقليم الواقع بين نهر جوبا وحدود الصومال الايطالى ، مكافأة لايطاليا على اشتراكها فى الحرب العالمية الاولى، وقد اتفق علي خط حدود يبعد ٦٠ ميلا شرق نهر تانا يعرف بخط الصومال Somali Line ومنعت هجرة

الصوماليين الى الغرب من هذا الخط ، وذلك لحماية قبائل الجالا ، ولكن هذا الاجراء بدوره لم يصادف نجاحا يذكر ، نظرا لان الجماعات الصومالية فى الوقت الحاضر تعيش على مرمى ١٠ أميال من الضفة الشرقية للنهر .

وقام نزاع على الحدود بين أثيوبيا وايطاليا عام ١٩٣٥ ، وفى نفس العام احتلت ايطاليا الحبشة ، وبذلك ربطت بين شعب الصومال فى أوجادن والصومال الايطالى ، واحتلت ايطاليا الصومال (الايطالي) عام ١٩٤٠ ، غير أن السيادة الايطالية حلت محلها السيادة البريطانية فى العام التالي ، ورغم استقلال الحبشة الا أن بريطانيا استمرت فى ادارة اقليم هود ، وهذا معناه أن الشعب الصومالي استمر تحت الحكم البريطانى حتى عام ١٩٥٠ ، عندما وضع الصومال الايطالى تحت الوصاية الايطالية من قبل الامم المتحدة، حاولت ايطاليا الوصول الى اتفاق بشأن موضوع الحدود مع أثيوبيا خلال العشر سنوات التالية ، ولكن دون جدوى . وبدأت وحدة الشعب الصومالى تتفكك عام ١٩٥٤ عندما رجع اقليم هود وبعض المناطق الاخرى الى أثيوبيا ، وان كانت قد عقدت معاهدة بين بريطانيا وأثيوبيا لحفظ حق الصوماليين الايطالي والبريطانى فى جمهورية الصومال المستقلة . ورغم أن هذا أدى الى وحدة بين شعب الصومال فانه زاد من حدة النزاع مع أثيوبيا ، وأدعت أثيوبيا أنه ليس من حق حكومة الصومال وراثة حقوق أعطيت للحكومة البريطانية وهى حقوق الرعى فى اقليم هود . وقد تبع هذا محاولة الحكومة الاثيوبية ضمان ولاء الصوماليين الذين يدخلون ضمن الحدود الاثيوبية ، وجذب الجمهورية الجديدة الي نوع من الاتحاد الفدرالى مع أثيوبيا كما فعلت مع أرتريا ، ووعدت أثيوبيا الصوماليين بفتح المدارس وبناء المستشفيات وحفر الآبار ، فضلا عن اقامة مشروعات توليد القوى الكهربائية على نهرى جوبا وشبيلى ، ولكن الصوماليين عارضوا كل تسوية مع أثيوبيا ، مما أدى الى أن حكومة الصومال تنفق ٢٠٪ من ميزانيتها (١٩٦٣) على المجهود الحربى .

وبينما يتصف النزاع الصومالى الاثيوبى بالقدم ، نجد النزاع الصومالى الكينى ، أو طلب صومالي كينيا الانضمام الى الصومال

لا يرجع إلا لعام ١٩٦١ • وقد اتفق الحزبان اللذان يمثلان صومالى كينيا فى مطالبهم للمستقبل ، وتتمثل هذه المطالب في عمل استفتاء فى مديرية الحدود الشمالية فى كينيا التى يعيش الصوماليين شرقهـا والبورون فى غربها وهؤلاء أقرب الي الصوماليين منهم الى أهل كينيا ، ويشرف على الاستفتاء أعضاء من منظمة الامم المتحدة ولكن من غير الاعضاء الافريقيين وذلك بعد انسحاب قوات البوليس والجيش التابعة لكينيا من الاقليم •

هـذا ولا يؤيد قضية ضم الصوماليين لكينيا كونهم يرتبطون حضاريا بأهل جمهورية الصومال فحسب ، بل لأن خط الحدود الهندسى يفصل بين المراعى الصيفية والمراعى الشتوية للقبائل ، فضلا عن بعد هذا الاقليم عن بقية كينيا • وبطبيعة الحال لا نجد أى من الاحزاب المتصارعة فى كينيا يوافق على اقتطاع نحو خمس مساحة كينيا وهي التى تكون المديرية الشمالية •

نماذج لمشكلات الحدود فى آسيا وأمريكا اللاتينية

مشكلة كشمير :

اشتهرت ولاية كشمير فى فترة الاستعمار البريطاني بأنها ملجـأ للموظفين البريطانيين لقضاء إجازتهم صيفا ، هربا من الحر اللافح ، ومن الامطار الموسمية ، ثم أصبحت بعد عام ١٩٤٧ من مناطق الانفجار السياسى فى العالم ، ومنطقة صراع مرير بين الدولتين الجديدتين الهند والباكستان وكشمير ، أو بالاصح ولايتى جامو Jammu وكشمير ومركزى جليجت Gillgit ولادكه Ladakh يقع فى شمال باكستان الغربية أو بمعني آخر شمال غربى الهنـد • من ثم أصبحت متاخمة للهند وباكستان وأفغانستان والصين • وتبلغ مساحة المنطقة موضوع النزاع ما يزيد على ٨٢ ألف ميل مربع يعيش عليها ٤ر٥ مليون نسمة ، ثلاثة أرباعهم من المسلمين •

ويغلب الارتفاع على سطح كشمير ، إذ يتراوح ارتفاعها ما بين

بين الالف والالفي متر من الجنوبى الغربى الى سلاسل قراقورم فى الشمال حيث يربو الارتفاع على الثلاثة آلاف مترا ، ولا تظهر الارض المنخفضة إلا فى ولاية جامو حيث يمتد شريط يقل ارتفاعه عن الالف متر من جنوبها الغربى • أما ولاية كشمير فتقع شمال جامو بارتفاع يتراوح بين ١٢٠٠ ، ١٥٠٠ متر ، وتضم مدينة سريناجار Srinagar العاصمة نحو ٤٠ ٪ من السكان ، تجمعهم وتوحد بينهم الظروف الطبيعية والحضارية ، فهم محاطون بالجبال من جوانب ثلاثة ، ويتكلمون لغة واحدة ويدينون بالاسلام ، أما جامو التى تقع الي الجنوب وبها نحو نصف السكان ، فيتركز الهندوسيون منهم فى جنوبها فقط ، بينما ينتشر المسلمون فى بقية أنحائها •

ويرجع النزاع بين الهند والباكستان بشأنها الى اغسطس عام ١٩٤٧ ، حينما كان علي كل ولاية أن تقرر الانضمام الى أى الدولتين الناشئتين • ورغم أن الديانة السائدة فى كشمير هى الاسلام ، الا أن الاسرة الحاكمة هندوسية ، ولم يبد حاكم كشمير أول الامر رأيه فى الانضمام الى أى من الدولتين ، بل يظهر أنه أراد أن يبقي الحال على ما هو عليه بعيدا عنها • ولما كان تقسيم شبه القارة الهندية ، على أساس الدين فقد بدأت الثورة الداخلية ضد الادارة الهندوسية • وبدأت جيوش الهند تدخل كشمير لمساعدة المهراجا ، وبدأت قوات الباكستان تدخل كشمير لمساعدة الشعب ، واستمر القتال بين الفريقين فى كشمير ما يزيد على العام واخيرا توقف القتال في يناير عام ١٩٤٩ عند خط وقف اطلاق النار نتيجة لتدخل الامم المتحدة ، وقسم خط وقف اطلاق النار كشمير الى قسمين • بحيث أصبح ثلثى مساحة كشمير وأربعة أخماس سكانها تحت الادارة الهندية بما فيها العاصمة سرينجار •

وظلت كشمير مقسمة منذ عام ١٩٤٩ ، وذهبت جميع الجهود التى بذلت لحل النزاع سدى ، اذ كانت كلا من الدولتين تدعيان حقوقا في المنطقة استنادا على أسس اثنولوجية واقتصادية وسياسية وتاريخية • وأصبحت مشكلة كشمير من العقبات الرئيسية التى تقف فى وجه استمرار الصداقة الهندية الباكستانية ، وحاولت الامم المتحدة الضغط لعمل أستفتاء للسكان ، ولكن هذه الرغبة كانت تعارض دائما من الهند •

وتستند باكستان فى مطالبتها بكشمير الي عوامل متعددة منها :

١ ـ أن معظم السكان من المسلمين ٠

٢ ـ ارتباط كشمير بالسكك الحديدية والطرق بما يعرف فى الوقت الحاضر بباكستان الغربية وذلك قبل تقسيمها ، من ثم كان توجيهها التجارى نحو الباكستان ٠

٣ ـ أن ضم كشمير الى الهند معناه تحكمها فى مياه السند ومدى استفادة باكستان من مياهه في الرى وتوليد الكهرباء ، نظرا لان أعالى السند ورافديه الرئيسيين يمران فى كشمير ٠

٤ ـ أن ضم الهند لكشمير معناه تهديد للامن القومى فى باكستان نظرا لعدم وجود حواجز طبيعية بين جنوبى كشمير وباكستان ، فضلا عن أن ضمها للباكستان ضرورى للامن في اقليم الحدود الشمالية الغربية حتى لا تنفصل قبائل الباتان ٠

وتستند الهند فى ضمها اليها الى عدة ادعاءات منها :

١ ـ أن حكومة كشمير طلبت تدخل الهند رسميا عام ١٩٤٧ ٠

٢ ـ أن الحكومة الهندية قامت منذ عام ١٩٤٧ بمشروعات تنمية لكشمير كمد شبكة كثيفة من طرق المواصلات البرية والحديدية مع الهند ، فضلا عن مشروعات توزيع الاراضى ٠

٣ ـ أن مستقبل كشمير يكون أكثر ابتساما اذا ما ضمت الى الهند لما تحتويه الهند من أسواق أكثر اتساعا ، كما أنها أكثر تصنيعا من الباكستان ٠

٤ ـ يمكن الاتفاق دوليا علي مشكلة المياه التى تثيرها باكستان ٠

٥ ـ يجب حماية مصالح المليون هندوسى الذين يعيشون فى جنوبى جامو ٠

هـذا وقد سبق لنا دراسة اتفاقية مياه السند التى تمت بالاتفاق بين الدولتين والتى بمقتضاها صار نصيب الهند ٢٠ ٪ من مياه النهر ، ونصيب الباكستان ٨٠ ٪ من هذه المياه ٠

وكانت هناك شبكة رى لنحو ٣٠ مليون فدان قبل التقسيم ، قسمها الوضع الجديد الي قسمين غير متعادلين : الثلثين فى باكستان والثلث فى الهند ٠

هـذا وقد ظهرت اقتراحات متعددة لحل المشكلة نذكر منها :

١ ـ استفتاء يشمل كل كشمير ، بشرط انسحاب قوات الطرفين ، ولكن الهند كما ذكرنا رفضت الجلاء عن اقليم أصبح تحت قبضتها الفعلية ٠

٢ ـ الاجزاء ذات الغالبية الهندوسية كجامو ، والبوذية كلادكه الى الهند ، والباقى الى الباكستان ٠

٣ ـ استقلال كشمير عن كل من الجانبين ، وهـذا لا شك سيحدث فراغا في المنطقة ٠

٤ ـ ضم كل جزء من كشمير بعـد وقف اطلاق النار الى الدولة المسيطرة عليه ، وكان الرئيس نهرو من أنصار هذا الحل عام ١٩٥٦ ٠

وهـذا وقد جهدت الهند منذ ١٩٤٩ فى ربط الجزء الذى سيطرت عليه بانفاق رؤوس الاموال هنـاك ٠ وتوجيه التجارة نحو الهنـد ، وفى عام ١٩٥٧ أعلنت الهند ضم هـذا الجزء اليهـا رسميا ، ومن ثم زادت المشكلة تعقيدا ، لان باكستان لا تعترف بهذا التقسيم ، ولعل نقلها العاصمة الى الشمال في راولبندى يعكس اهتمامها بالمشكلة ٠

مشكلات الحــدود الصــينية

الأحدود الصينية الهندية :

تمتد الحدود الصينية الهندية مع جبــال همالايا ، وفى أقصى الطرف الغربى مع سلاسل قراقورم ، وبذلك تقطع مسافة ٢٥٠٠ ميل ، بينما تقع هضبة التبت الى الشمال من خط الحدود فيما عدا أقصى الغرب حيث توجد سينكيانج التي تفصلها قراقورم عن كشمير ٠ ولا يخترق هذه المرتفعات سوى ممرات قليلة ، كما يسكن منطقة الحدود هــذه عدد قليل من السكان فيما عدا قسمها الاوسط المتاخم لنيبال وبهوتان وسيكيم ٠ وتطالب الهند بأن يسير خط الحدود مع خط كماهون ، الذى قام السير هنرى مكماهون بالمفاوضات من أجلة عام ١٩١٤ وإن كانت الصــين لم تقبله فى أى وقت كحد بينها وبين الهند ، كما أن معظم هذه الخطوط لم يحدد ٠ وكانت الهند تواجه على طول حدودها الشمالية التبت شبه المستقلة وسنكيانج ، ولكن منذ أن دخلت الشــيوعية الصين عام ١٩٤٩ ، ودخول القوات الصينيــة التبت ، وأصبحت الهنــد قوة سياســية وحربية لم تعهدها من قبل ٠

وعملت حكومة بكين لا على تقــوية نفوذهـــا فى التبت وسنكيانج فحسب ، بل على الضغط للحصول على مكاسب من الهند ٠

وبدأت الصين تخترق خط مكماهون عام ١٩٥٤ ، ولكن الرئيس نهرو كان يفسر هــذه العمليات على أنها سوء فهم ، رغبة منه فى عدم قيـــام حرب ، وكانت الهنــد من أوائل الدول التى اعترفت بالنظــام الجديد فى الصين ، وكانت ضمن المطالبين بادخالها الامم المتحــدة ، ورغم ذلك احتلت الصين عام ١٩٥٩ بعض المناطق جنوب الخط المذكور ، وظهرت الخرائط الصينية وعليها حدود جديدة جنوب التبت وسنكيانج ، ومضيفة بذلك نحو ٥١ ألف ميل مربع الي أراضيها ٠ وكانت معظم الاراضى الجديدة هنــدية فضــلا عن مساحات صــغيرة من الباكستان وبهوتان ، وقد عملت الهنــد منذ ذلك التاريخ على تقوية جبهتها الشمالية ٠

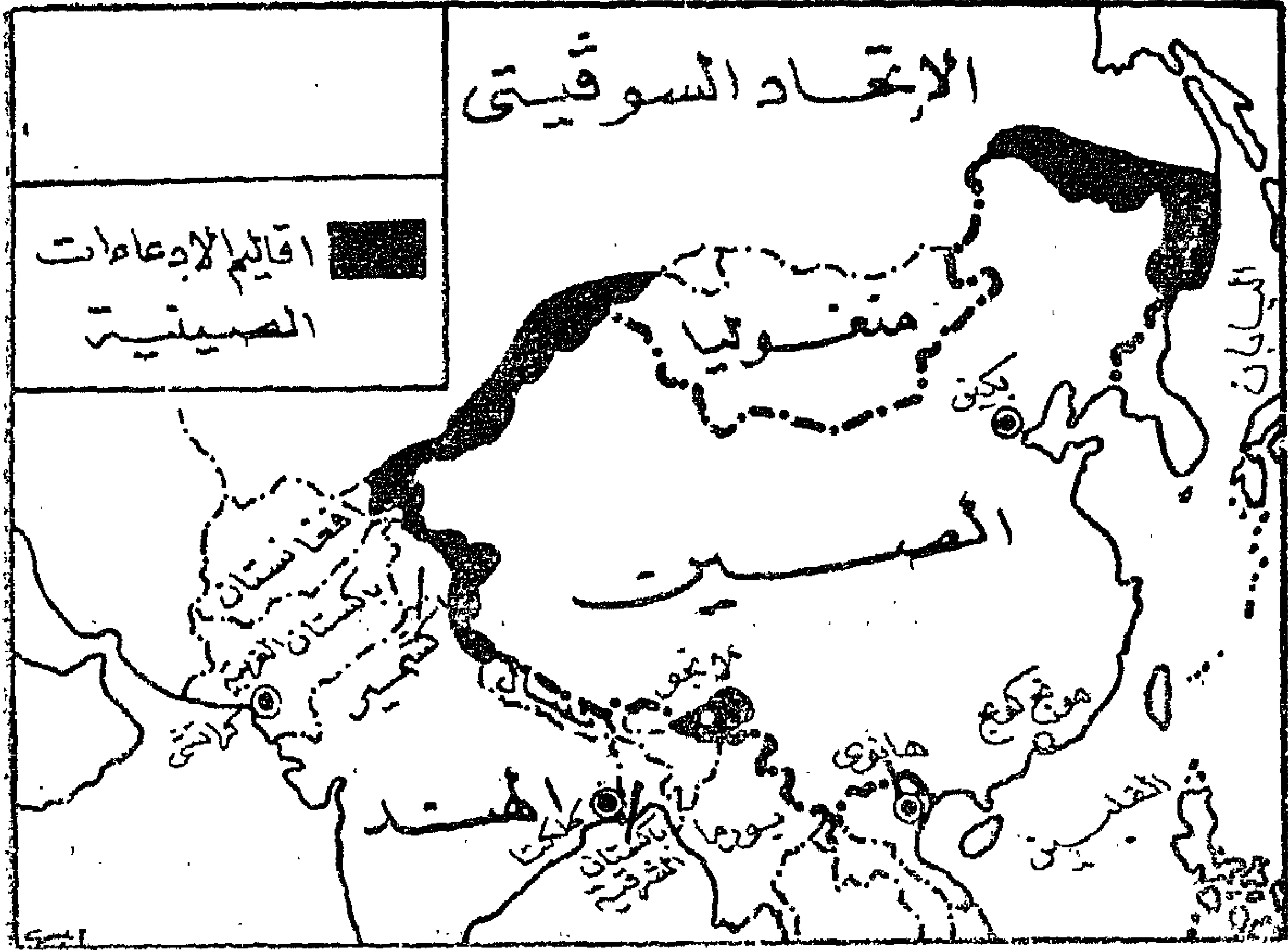
ويدعى الصــينيين أحقيتهم فى ١٥ ألف ميــل مربع من ولاية لاداخ

Ladakh في اقصى شمال كشمير حيث تمتـــد قراقورم الشرقيـــة ، واحتلت القوات الصينية فعلا نحو ١٢ الف ميل مربع في منطقة النزاع ، وبدأت الهند عمليات اصلاح الطرق وأعطت الاولوية لإكمال ١٧٠ ميلا من طريق سرينجار Srinagar عاصمة مركز لاداخ و٨٠ ميلا من لادكه شرقا الى حدود التبت . وتعمل هـذه الطرق على تنمية لاداخ اقتصاديا فضلا عن خدمة الاغراض العسكرية وفي نفس الوقت كان الصـينيون يمـدون جزءا من طريق يربط بين Cartok في غرب التبت ويركند Yarkaud في غرب سنكيانج .

وقد اتفقت نيبـال مع الصين على الحدود بينهما عام ١٩٦٠ وان لم يتم الاتفاق مع بهوتان حيث يطـالب الصينيون بمنطقتـين احداهما على حدود بهوتان الشمالية والاخرى في جنوبها الشرقي وأخيرا تدعى الصين أحقيتهـا في ٢٦ الف ميل مربع من أسام وجميع هـذه الاقاليم موضوع النزاع تحتلها القات الصينية من الناحية الفعلية .

هـذا واستمرت المنازعات المسلحة بين القوات الصينية والهنـــدية من حين الى آخر لمدة ثلاث سنوات ، ولـكن الصين رمت بثقلها عام ١٩٥٨ في لادكه وفي الشمال الشرقي ، وأرغمت الهنـد على الانسحاب من مساحات واسـعة وخاصة في لادكه ، وتركت الهنـد حيادها وتوجهت الى بريطانيا والولايات المتحدة طالبة المعونة العسكريـة ولكن الصينيين لم يتـــابعوا التقـدم ، واعلنوا خطا لوقف اطلاق النـار ، بعد أن استولوا على مساحة ١٢ ميل مربع من شمال شرق لاداخ .

وقد يتساءل البعض ما غرض الصين منهـذه المنــاطق رغم قلة أهميتهـــا الاقتصـــادية وما الداعى لإثارة دولة كانت من أوائل الدول الصديقة لنظام الحـكم فيها . هل ينوى الصينيون غزو الهنـــد أم هو اسـتعراض لقوتهـا أمام أقطار جنوب وجنوبي شرقي آسـيا ومهمـا كان التفسـير .



شكل رقم (١٨)

ادعاءات الصين :

١ – ويستند الصينيون فى دعواهم الى أن خط مكماهون هذا لم يتم نتيجة مؤتمر تمت فيه مناقشة الموضوع ، وانما تحدد بتبادل المذكرات سرا فى نيودلهى عام ١٩١٤ ، بين الممثل البريطانى وممثل السلطات المحلية فى التبت قبل توقيع المعاهدة فى سملا فى ١٤ مارس من ذلك العام ، ووضع الخط على خريطة عامة للهند وأطلق عليه الحد الشمالى الشرقى ، والخريطة ممهورة بتوقيع مكماهون وخاتم وتوقيع ممثل التبت ، وليس على هذه الخريطة أى توقيع صينى ·

٢ – ان خط مكماهون لم يرسم أو يتعين بالمعنى الدقيق ، خاصة وأنه يجرى فى منطقة جبلية معقدة التضاريس جبال شاهقة متداخلة وأودية عميقة ، ويرفض الصينيون اعتماد الهند على مبدأ خط تقسيم المياه ، لأنه ليس العنصر الوحيد فى تعيين خط الحدود ، إذ أن الجزء الاكبر من

الحدود شرقى لداخ يتبع قمم جبال هيمالايا : وفى الحق أن الخط يجرى فى منطقة حساسة أقرب الى التخـوم من الناحية الفزيوغرافيـة أو الانثربوجرافية ، ولم يعمم ليتحمل ضغوط الحدود السياسية ، وخاصـة منطقة دخلت مرحلة المراهقة السياسية فبـدلا من أن يجرى عند حضيض سلاسـل الهيملايا ، يمر خلال هـذه السلاسـل ولا يمكن أن يكون فاصلا قوميا أو لغويا .. الخ .

ادعاءات الهنـد :

١ ـ ان الخط المذكور جاء نتيجة اتفاقيات وأيدتها معـاهدات ، وان مبدأ تقسيم المياه ليس جديدا فى تخطيط الحدود ، وان مندوب الصين كان حاجزا فى مؤتمر سملا ، ولـكنه لم يوقع لاعتراضـه على حدود التبت الداخلية والخارجية (الداخلية تديرها الصين ، الخارجية تتمتع باستقلال داخلى) لا على حدود الهند مع التبت .

٢ ـ القول بأن حكومة الصين كانت ضعيفة حينئـذ أمام القوة البريطانية فهذا مرفوض بدوره ، فالقاعدة العامة تقول بقبول الحـدود التقليدية التى جرى العرف على الاعتراف بها ، عندما يصعب تحـديد الحدود فى منطقة ما ورغم تدخل ست دول أفريقية وآسيوية لإزالة النزاع فى ديسمبر ١٩٦٢ (اندونيسيا ، كمبوديا ، بورما ، سيلان ، مصر ، غانا) فلم تنجح تلك الوساطة . لمـاذا حدث النزاع المبلغ ؟ من الواضـح أن الاقاليم موضوع النزاع لا يبرر النشاط العسكرى الصينى فلماذا حدث فى اقاليم صعب المراس من الناحية العسكرية ؟ ان الاجابة فى الواقع تـكمن فى ميدان الجيوبولتيك ، ومدى افادة الصين من سياستها العـدوانية التى بدأتها فى هـذا الاقليم ، منها :

- اثبات قوة الصين فى آسـيا ، بل وأرادت أن تثبت للعـالم أن الحل الوحيد لجعلها تلتزم بمبادىء الامم المتحـدة هو قبولهـا فى المنظمة الدوليـة .

- إن مساعدة الغرب للهنـد في هـذا النزاع سوف يخلـق مرارة

للباكستان ، وخروج باكستان من حلف جنوب شرقى آسيا هو فى حد ذاته مكسبا للصين ويتضح من الخرائط التفصيلية أن هناك ممرا يربط باكستان بسنكيانج ، وظهور محور صينى/باكستانى يعتبر أمرا على درجة كبيرة من الخطورة فى هذه المنطقة من العالم ٠

- كان نهرو يتزعم معسكر عدم الانحياز فى آسيا ، وهو أمر لا يرضى عنه زعماء الصين فهم أحق بزعامة آسيا ، وأن تخيف أقطار جنوب شرقى آسيا ٠

- أرادت أن تعزز مركزها على حدود الهند ، وأن تؤمن سيطرتها على التبت بالسيطرة نهائيا علي لداخ لانها المنطقة التى تشرف على مواصلاتها الاستراتيجية مع التبت ٠

حدود الصين مع بورما :

اتفقت الحكومة الصينية مع بورما عام ١٩٥٠ على تصفية نزاع الحدود بينهما ، وتتنازل بورما بمقتضى هذا الاتفاق عن ١٣٢ ميلا مربعا من أراضيها الي الصين فى مقابل ٨٥ ميلا مربعا من أراضى كانت جزءا من الصين قديما ولكنها تقع تحت نفوذ بورما نتيجة اتفاقية تأجير دائم لها بين الصين وبريطانيا ، وكانت هذه الاراضى ذات أهمية كبيرة لبورما نظرا لانه يمر بها طريق رئيسي بين ولايتي شان Shan وكاشين Kachin

الحدود الصينية السوفييتية :

عند ما وجد خرشتشيف أن الصينيين ينتقدونه بشدة فى تصرفه ازاء المشكلة الكوبية فى نهاية عام ١٩٦٢ لامهم على الصبر الذى يتحلون به إزاء احتلال القوى الإستعمارية لهونج كونج ومكاو ٠ وأثار هذا الصينيين ، وذكروا الروس بأنه ليست بريطانيا والبرتغال وحدهما اللتين فرضتا معاهدات غير متكافئة مع الصين في الماضى ، بل ان روسيا القيصرية قد أعتدت أيضا على الأراضى الصينية ٠ وقد عملت السياسة الصينية على ترك الحال على ما هو عليه Status quo حتى تتضح الامور

ويحين الوقت اللازم لاعادة النظر في تلك المعاهدات وتساءلت الصين هل من نيـة الروس حقيقة اثارة كل مشكلات المعـاهدات غير المتكافئة وهل يعرفون نتائج اثارة هـذا الموضوع وبدأت الصين اثارة موضـوع جديد ليزيد من التوتر القائم بين الدولتين وهو النظر فى الاربعة آلاف ميل فى تمثل الحدود بينهما ٠

وعلى هذا الاساس تصبح الاقاليم موضوع النزاع ذات مسـاحات كبيرة فعلى مدى قرون طويلة في التقدم نحو الشرق ضمت روسيا مساحة تقدر بنحو ٧٠٠ الف ميل من أراضى تدعى الصين أنها جزء منها ، فقـد حصلت روسيا من الصين طبقا لمعاهدة ١٨٥٠ على مساحة ١٣٣ الف ميل مربع وفى معاهدة ١٨٥٨ حصلت على مساحة ١٨٥ الف ميل مربع ٠ وقد ظهرت خريطة في أحد المراجع الصينية عام ١٩٥٤ تبين الولايات البحرية للاتحاد السوفيتى فضلا عن جزء كبير من سوفيت وسط آسـيا كأراضى صينية ٠

وزاد التوتر على الحدود الصينية الروسية في سبتمبر ١٩٦٣ حين اتهم الصينيون الروس بالقيـام بنشاط هدام على نطاق واسع فى اقليـم سنكيانج ، وراجبارق عشرات الآلاف من المواطنين الصينيين على الهجرة الي الاتحاد السوفيتى ، ورد السوفييت على هـذا بأن الصينيين يعتـدون على الحدود بانتظام منذ عام ١٩٦٠ ٠

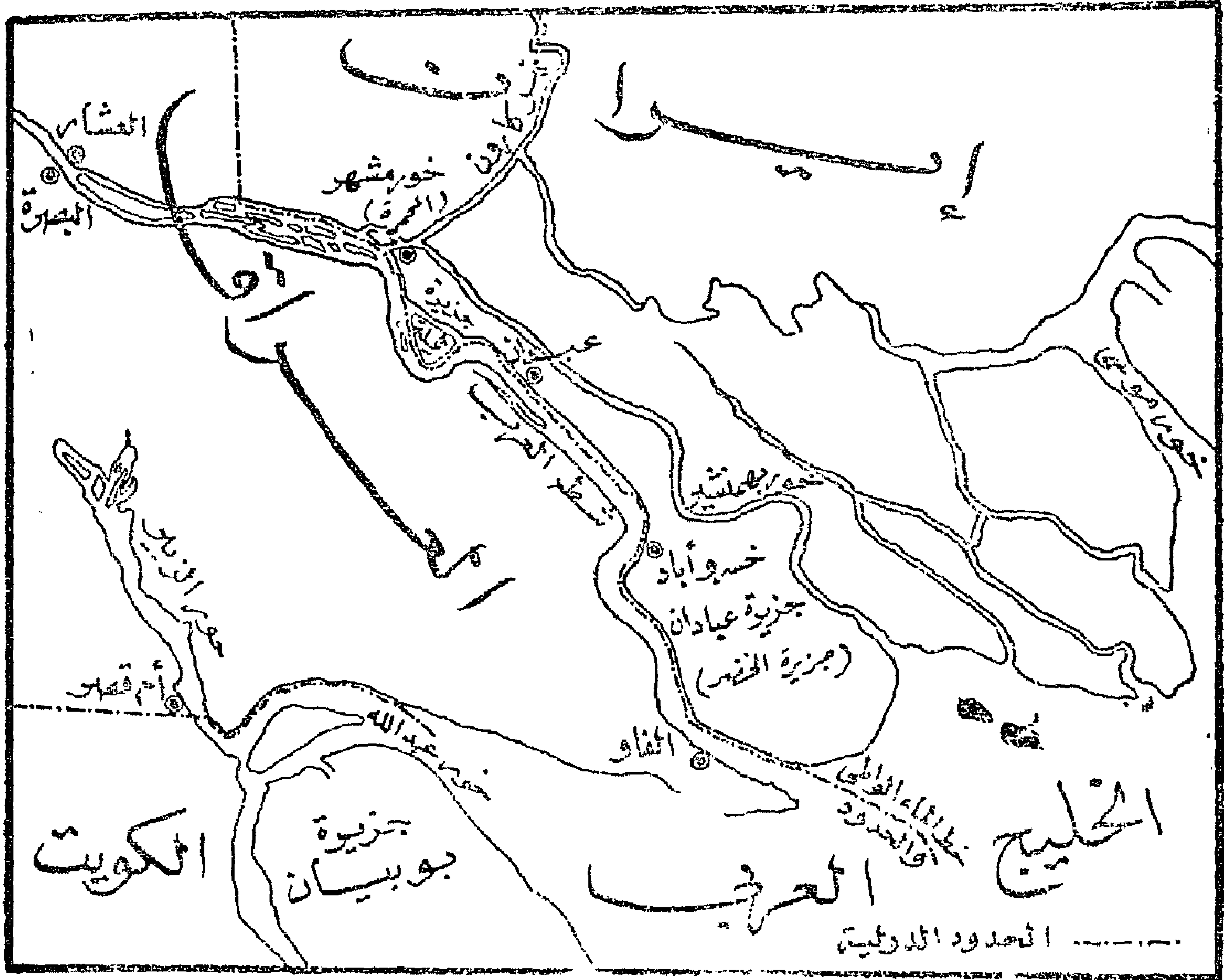
وزادت مشكلة الحدود حدة عام ١٩٦٤ ، عند ما أصر الصـينيون على الوصول الى حل على أساس المعاهدات الحالية ، واتهموا الروس باثارة القلاقل في مناطق الحدود ، وكان موقف الروس ، أن أى مشكلات خاصة بالحدود يمكن تسويتها بسهولة ، وليست لها اهمية كبرى ٠ وذهب وفد لمفاوضة بكين عام ١٩٦٤ ، ولـكنه رجع بخفى حنين عند ما وجد أن الصين تطالب بمساحة ٥٨٠ الف ميل من الاراضى السوفيتيـة وقد اتهم ماوتسى تونج الاتحاد السوفيتى علنا بالنوايا التوسعية ، وأضاف « بأنه منذ قرن أصبحت جميع الاراضى الواقعة شرق بحيرة بيكال تابعة لروسيا ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت فلاديفـتك وكمتشتكا وغيرها أراضى روسـية ، ونحن للآن لم نطالب بتسوية هـذا الوضع أما كوريل فواضح أنه لابد من رجوعها الى اليابان » واتهم ماو السوفيت أيضا بوضع منغوليـا تحت سيطرتها وبحشد للقوات على الحدود الصينية ، ومهما كان دافع الصـين

من اثارة مشكلات الحدود الروسية فان الروس قابلوا هـذا باستعدادات دفاعية علي الحدود الصينية لاى هجوم محتمل ٠

هـذا ويبدو أن هدف الصين هو تصـعيد النزاع بينهم وبين الروس الى ذروته أكثر من الرغبة في اضافة أراض جديدة ٠

مشـكلة شط العرب :

يتكون شط العرب عند بلدة القرنة من **التقاء نهرى دجلة والفرات ،** ويبلغ بذلك طوله نحو ٢٤٠ كيلو مترا حتى مصـــبه فى الخليـج العربى ، ويبلغ عرضـه عند المصب أكثر من كيلو مترين، بينما يضيق عند البصرة الى حوالى الـكيلومتر الواحد ، ويتأثر بحالة المـد والجزر في الخليـج العربى ، ويصل الفرق بين منسوب المـــد والجزر حوالى ١٫٧٠ مترا فى الصيف ، ويقل الي ٢٥ سم فى الربيـــع ، أى فى موسم الفيضـــان ٠ **ويمثـل شط العرب جزءا من مشكلة الحـــدود الايرانيـة العراقيـة ٠** ولا يرجع الاتفاق على هذه الحدود الى تاريخنا المعاصر ، وانما الى التاريخ الحديث حينما كانت الدولة العثمانية تبسط نفوذها على العراق ، والدولة الصفوية تبسط نفوذها علي فارس ، وكان شـط العرب وجميـع الاراضى علي ضفتين جزءا من الدولة العثمانيـة خـلال قرون عديدة ، ولم يكن موضع نزاع بين الدولة العثمانيـة والدول الفارسـية حتى عقد معـاهدة أرضروم الثانيـة عام ١٨٤٧ وبمقتضاها تنـازلت الدولة العثمانيـة عن المحمرة وجزء من أراضيها الواقعة على الضفة اليسرى لشط العرب لمصلحة فارس ٠ وأيدت لجنـة الحـدود عام ١٩١٤ خضوع شـط العرب للدولة العثمانية « يسير خط الحدود فى شـط العرب مع مستوى المياه المنخفضة فى الشاطىء الفـارسى ، باسـتثناء قسم منه يتاخم ميناء المحمرة ويبلـغ طوله نحوا من سـبعة كيلومترات حيث تسير الحدود فى وسط مجرى شط العرب ٠ كما سمحت الدولة العثمانية بناء على علاقات حسن الجوار بحرية الملاحة للسفن الفارسـية ٠



(شكل رقم ١٩)

واعترفت ايران بصحة تسوية الحدود فى معاهدة ١٩٣٧ « بأن يكون خط الحدود هو نفس الخط الذى تم تخطيطه من قبل لجنة تخطيط عام ١٩١٤ ما عدا استثناء مؤداة يتنازل العراق عن جزء صغير من شط العرب مقابل عبدان يسير خط الحدود فيه مع المجرى الملاحى لمسافة ٧ كيلومترات لاتخاذه كمرسى للسفن الايرانية ·

ولكن الحكومة الايرانية لا تقتنع بهذا الحين والحين ، ورأيها أن يمتد خط الحدود مع المجرى الملاحى Thalweg وأعلنت في عام ١٩٦٩ الغاء معاهدة ١٩٣٧ من جانبها وصحب هذا حشود عسكرية على طول خط الحدود ·

ويستند العراق فى دعواه الى أن هذه الحدود تستند الى معاهدات اعترفت بها الحكومة الايرانية ، ومن ثم يجب استبقاء الوضع الراهن Status quo حيث يجرى تطبيق هذا المبدأ على أساس مبدأ uti possidetis

وهو اصطلاح مستعار من القانون الرومانى يشـــير الى أمر من القاضى الرومانى « يحذر فيه من المساس بالوضع الراهن بملـكية العقارات الثابتة وذلك فيما يجرى بين الافراد » ويزداد هذا المعنى تأكيدا فى القانون الدولي عندما يقول مبدأ uit possidetis « طالما أنك تملك بالفعل فمن حقك أن تستمر فى الملـكية » واذا تركنا القانون الدولى جانبا ولجأنا الى الحقائق الجغرافية سنجد أن خط الحدود فى هذه المنطقة لا يتفق والظروف الجغرافية طبيعية أو بشرية ، ذلك أن خط الحدود العراقية الايرانية فى الشـــمال يسير مع سفوح جبال فى زاجروس فاصلا بين القومية العربية وبين القومية الايرانية ، ولـكن الحدود السـياسية ابتداء من هذه المنطقة تفترق عن خط الجبال وتتجه رأسـا حتى تقابل شط العرب وسط منطقة من المستنقعات أى تبتعد عن السلسـلة الجبلية ، من ثم اغتصبت منطقة عربية (عربستان) لتصبح جزءا من ايران بعيدا عن كتلتها الاصلية فى العراق ٠

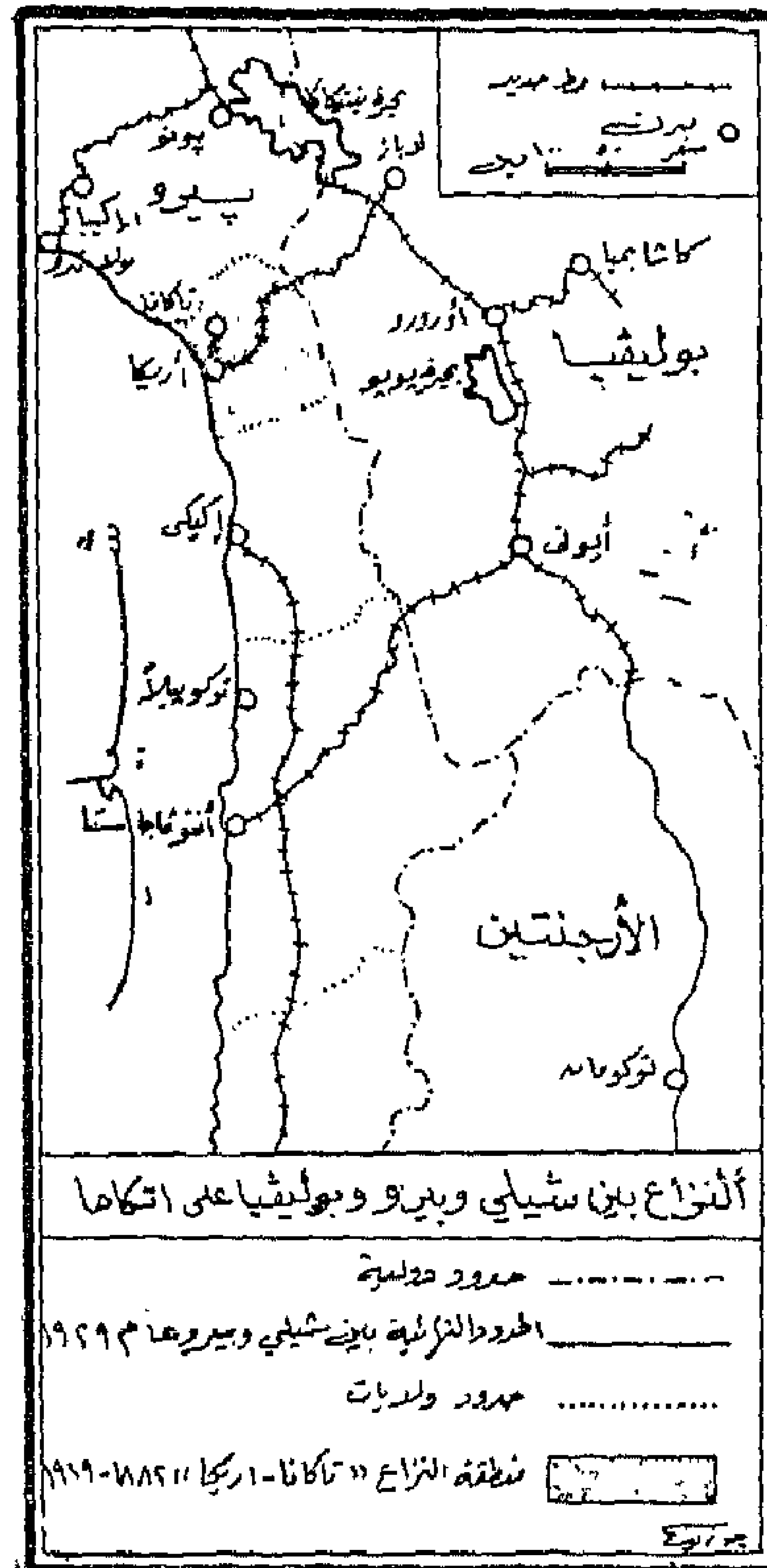
تسوية عام ١٩٧٥ : وقعت اشـتباكات مسـلحة عام ١٩٧١ وثارت حـدة مشـــكلة الاكراد ، وأعقب ذلك زيادة التوتر والقصـــف المتبادل (١٩٧٣ / ١٩٧٤) ، وكان عام ١٩٧٤ ٠ هو عام التمهيد للتسوية ، ومعاهدة ١٣ يونيو ١٩٧٥ ، وفيها ارتضى الطرفان أن يفصل بينهما فى شط العرب خط الوسط للمجرى الملاحى الرئيسى عندما يكون الجزر فى الشط عند أدنى نقطة ، وبذلك يتغير حسب الخط الملاحى الرئيسى تغيرا طبيعيا فقط ٠

مشكلة صحراء أتكاما :

وتعتبر من المشكلات الرئيسية التى تعرضت لها أمريكا اللاتينية ، وتبدو أهمية المشكلة فى اشتراك أكثر من دولتين في النزاع على منطقة واحدة ، وهذه الدول هى بيرو وشيلى وبوليفيا ، فضلا عن أن المشـكلة اتخذت شكل النزاع المسلح ، وكانت نتيجتها فى صالح المعتدى ٠

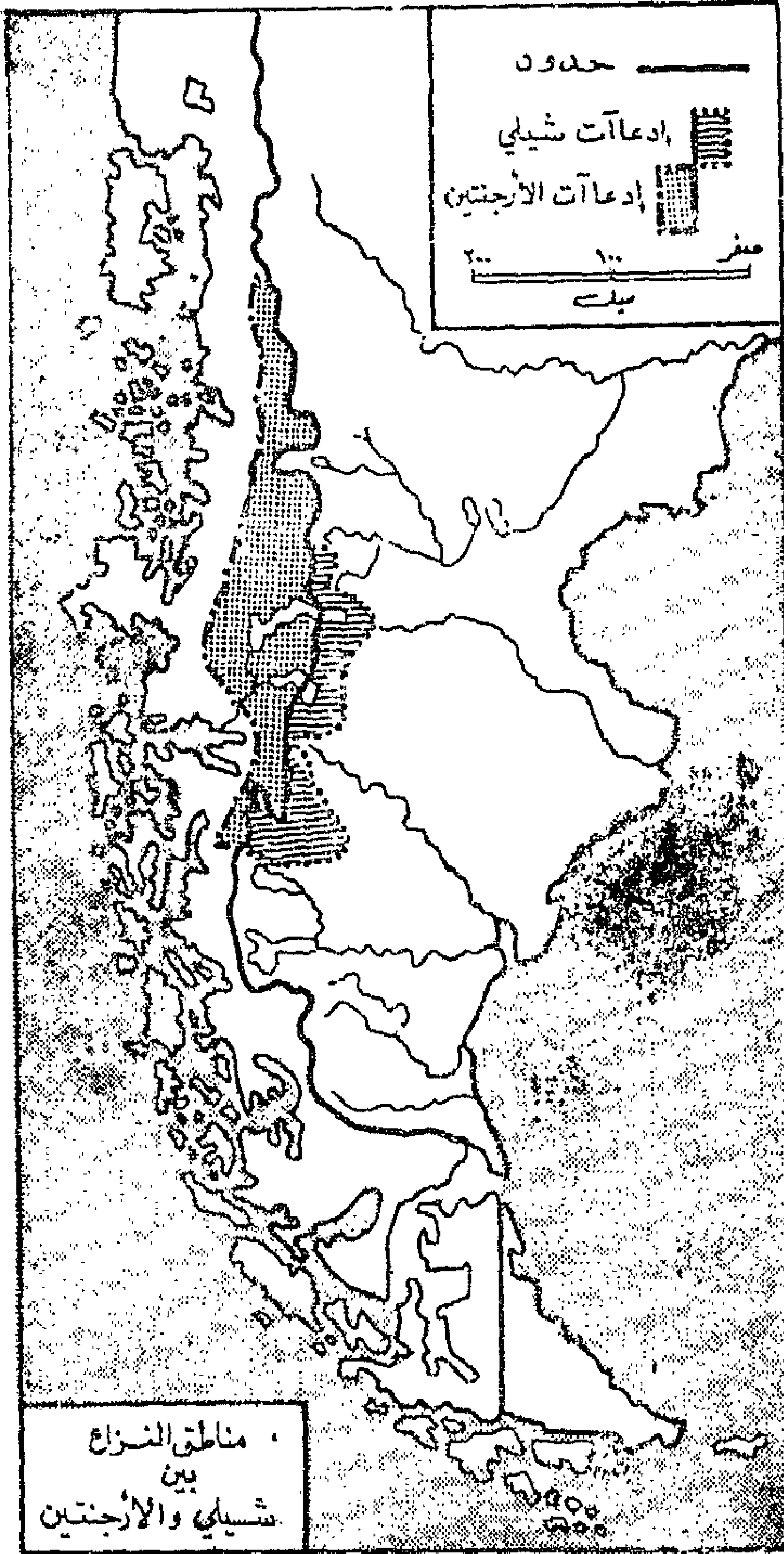
لقد كان القسم الشـمالى من صحراء أتكاما تابعا لبيرو قبل عام ١٨٧٠ ، بما في ذلك ميناء أريكا Aricu وواحة تكانا Tacna القريبة منه ، هذا بينما كانت سيادة بوليفيا على القسم الاوسط من الصحراء ، ويتبع القسم الجنوبى منها شيلى ، وكانت الاهمية الاقتصـادية لهـذه الصحراء ضئيلة ، اللهم من تعدين بعض الذهب والفضة ، ثم زادت هذه الاهمية فجأة بعد تعدين رواسـب نترات الصوديوم ، وأدى هذا الى صراع كل دولة لمد نفوذها على الاقليم ، وكانت حكومتا شيلي وبيرو قد نشـطتا فى اسـتغلال الاملاح التى أصبحت لها شـهرة عالمية فى الخارج ، بينما

اكتفت حكومة بوليفيا بجمع الضرائب على مؤسسات التعدين التابعة لشيلي وبيرو والتى تعمل فى أرضها · ونظرا لعدم وضوح الحدود ، والرغبة فى الكسب السريع ، تطور الامر الى صراع كان من نتيجته حرب مريرة استمرت خمس سنوات (١٨٧٩ – ١٨٨٤) ، هاجمت فيها شيلى جارتيها ، وحالفها النصر فى كثير من المواقع ، وكانت نتيجة هذه الحرب فقد بوليفيا لاقليمها الساحلى بما فيه ميناء أنتوفجستا مخرج بوليفيا الوحيد الي المحيط · وامتدت حدود شيلى شمالا على ساحل الباسفيك حتى ميناء أريكا ، من ثم أصبح كل نترات الصوديوم ملكا لشيلى ، وجنت شيلى أرباحا ضخمة من تصدير نترات صحراء أتكاما · وكان لانقطاع بيرو عن البحر أثره الخطير على اقتصادها لاعتمادها على تصدير المعادن · وأخيرا اعتبر ميناء أريكا حرا لمرور تجارة بوليفيا الخارجية ·



(شكل رقم ٢٠)

أما العلاقات بين شيلى وبيرو فقد ظلت متوترة فترة من الزمن ، ذلك أنه بمقتضى معاهدة السلام بين شيلي وبيروه والتى أنهت حرب الباسفيك ، كان المفروض عمل استفتاء فى اقليم تكنا أريكا لتحديد وضعه بين الدولتين ، ولكن شيلى عارضت عمل هذا الاستفتاء ، ولم تحل المشكلة الا بعد ضغط دبيلوماسى من الولايات المتحدة الامريكية ، أدى الى



(شكل رقم ٢١)

الدولتين ، بحيث ضمت تاكانا الي بيرو .

حدود شيلى وأرجنتين :

ويضرب بهذ النزاع المثل فى اختلاف تفسير التعبيرات الجغرافية ، ذلك أن جبال الأنديز يضرب بها المثل كحد طبيعى بين الارجنتين وشيلى ، وانكانت فى أقصى الجنوب لا تبلغ من الارتفاع بما فيه الكفاية لتصبح حاجزا منيعا . ويحدد الخط الفاصل بين الدولتين ، المادة الاولى من معاهدة شيلي ــ أرجنتين عام ١٨٨١ ، وتقول هذه المادة « بأن خط

الحدود يسير على أعلى القمم الجبليـــة والتى تقسم الميـــاه فى نفس الوقت ، ولـكن لسوء الحظ كان الخط الذى يصـــل بين أعلى القمم ، ليس بخط تقسيم المياه في جميع الاحـــوال وبخاصـــة فى القطاع الجنوبى منها ، ذلك أن بعض المجارى المـائيـــة التى تنحدر غربا قد نحتت مجاريها العليا تراجعيا بحيث أصبحت تصرف مياهها على الســـفوح الشرقيـة ، وادعت حكومة شيلى بأن أعلى القمم المقصودة بها أعلى القمم التي تقسم المياه ، وبين هـــذه القمم لابد وأن يتبع الحد الســـياسى خط تقسيم المياه ، أما أرجنتين فقد ردت بأن المقصود من أعلى القمم هو نفس اللفظ فى حد ذاته ، وكادت الحرب تنشب بين الجانبين ، لولا أنهما اتفقا علي تحكيم انجلترا ، التى قسمت الاقليم موضوع النزاع ، وهدأ الحال عام ١٩٠٢ بين الجارتين ، وأقام سكان شيلى والارجنتين تمثالا للمســـيح ، أطلقوا عليهمسيح الأنديز فى ممر أوسـباللاتا Uspitatta على الطريق الرئيسى الذى يخترق الجبال بين بوينس ايرس ووسط شيلى .

الفصل الثالث

المياه الإقليمية

رأينا في خريطة العالم السياسية أن هنك واحدا وثلاثين دولة ذات حدود برية تماما والباقى يطل بدرجة أو أخرى على البحر ، منها ما هى محاط بالبحر تماما كملاجاشى أو نيوزيلندا أو اليابان ، ومنها ما يطل عليه لعدة أميال قليلة كما هو الحال في العراق أو الأردن • ولكن مهما صغرت أو كبرت الواجهة التى تطل بها الدولة على البحر ، فهناك مشكلة المدى البحرى الذى يمكن لدولة أن تمد عليه سيادتها •

وتختلف السيادة على البحار عنها فى اليابس في كثير من الوجوه • فالبحر ليس عليه سكان ثابتون مستقرون ، وتنحصر موارده (باستثناء المعادن التى قد توجد فى قاعة أو مائة) فى ثروته السميكة ، فالسيادة هنا تنحصر فى منع الآخرين من الصيد واستخراج المعادن والملاحة البحرية فيه أو الجوية فوقه • وقد ظهرت كثير من الادعاءات والمنازعات حول السيادة البحرية خلال العصور المختلفة ، فى القرن السادس عشر ادعت كل من اسبانيا والبرتغال السيادة على مساحات واسعة من المحيط • وكان القانون الهولندى Hugo Grotius أول من أشار فى كتابه (حرية البحر) الى أنه لا يمكن لدولة ما أن تفرض سيطرتها وتحكم البحار المفتوحة ، وكان ذلك فى القرن السابع عشر ، وادعى الكتاب البريطانيون فى ذلك القرن بملكية بريطانيا للبحار المحيطة بها والتي تفصلها عن أوربا ، غير أن قانونى هولندى كان أقرب الى الافكار الحديثة فى كتابه (السيادة البحرية De Dominio Maris » الذى نشره عام ١٧٠٢ ، اذ قال أنه بينما البحر ملك للجميع الا أن السيادة على المناطق البحرية المجاورةمن حق الدولة المطلة علي هذا البحر ، وحدد مسافة هذه السيادة بالمدى الذى تصل اليه طلقة المدفع ، ثم بدأ يظهر الاتجاه تدريجيا نحو حرية البحار ، حتى بدأت حرية البحار تصبح مبدأ أساسيا مع بداية القرن التاسع عشر ، فأعالى البحار ملك الجميع ، فحتى لو كان هناك دولة قوية بدرجة كافية لامتلاكها ، فان مطالبتها بفرض سايدتها عليها لا يمكن الاعتراف بها لا لصعوبة الامتلاك الفعلى لها ، بل لأنه ليس هناك سبب معقول ووجيه لهذه الملكية •

ولقد بدأ الاقتراح الذى ذكره القانونى الهولندى عام ١٧٠٢ بأن الدولة يمكن أن تمارس حقوق سيادتها علي البحار المجاورة فى حدود مدى طلقة المدفع ، بدأ يلقى قبولا لدى معظم الدول · ولكن هذه المسافة كما نعلم متغيرة تبعا لحجم ونوع المدفع ، وما اذا كان المدفع فوق ربوة أوعلى الشاطىء ، مثل هذه الامور لم تناقش أول الامر ، وفى نهاية ذلك القرن الثامن عشر اتفق على ثلاثة أميال يمكن أن تمثل اقصى مدى للمدفعية · واتفق علي ثلاثة أميال بحرية من الشاطىء هى حد للسيادة البحرية ، وبعد هذا ندخل فى منطقة أعالى البحار الخارجة عن نفوذ الجميع · ولا زال هذا المبدأ متعارف عليه فى كثير من الحالات ، وان كان البعض قد زحزح هذه المسافة الى ٤ر٦ ثم ١٠ أو حتى ١٢ ميلا · وأخيرا كان لظهور الصواريخ عابرة القارات أثره في جعل أى ادعاء للسيادة ، يستند على حماية منطقة بحرية من البحر أمرا غير ذى موضوع ·

وقد حاولت بعض الدول الكبرى أن تضع حدا لهذه الفوضى ، وأن تفرض قاعدة الثلاثة أميال كقاعدة عامة ، لكن هذا الاقتراح لم يصادف قبولا من الكثيرين واستحال الاتفاق على شيء بهذا الخصوص ، ولم يكن مؤتمر جنيف عام ١٩٥٨ أوفر حظا من مؤتمر لهاى عام ١٩٣٠ ، وكانت النتيجة أن أقر المؤتمر اتفاقية المياه الاقليمية دون تحديد لعرض البحر واستمر عدم الاتفاق بعد ذلك في مؤتمر البحار الذى عقد عام ١٩٧٣ ، وظهر أن ٥ر٥٠٪ من مجموع الدول التى حضرت المؤتمر وعددها ١١١ دولة طلبت أن تكون عرض المياه الاقليمية ١٢ ميلا بحريا ، ٩٪ طالبت بأن يكون ٦ أميال بحرية ، ٥ر٢٢ ٪ فقط هم الذين يوافقون على ثلاثة أميال ولكن في نفس الوقت كان هناك ما يقرب من ٢ر٧ ٪ يطالبون بعرض ٢٠٠ ميل ومعظمها من دول أمريكا اللاتينية ·

وهكذا تنوع الاختلاف ، بل ان تركيا طلبت أن يكون عرض مياهها الاقليمية ١٢ميلا على البحر الاسود ، ٦ أميال على البحر المتوسط ، بل وبعض الدول مثل نيكارجوا ولبنان لم تتقدما بأى أرقام · بل وهناك

بعض دول تطلب أن تتعدى مياه الصيد المياه الاقليمية أى أن تكون الاولى أكثر اتساعا من الثانية ، ومن أهمها دول غرب أوربا التى تطالب بأن يمتد نطاق الصيد أكثر من ١٢ ميلا ماعدا المملكة المتحدة التى تطالب بأن يقل عن هذا ٠

وهكذا بدأ انتشار طلب المائتي ميل لأن تكون مياه صيد حينا ، ومياه اقليمية حينا آخر فى أواخر السبعينات ، واذا فرض واتفق على هذا الحد فمعنى هذا أن ٣٠ ٪ من البحار والمحيطات سوف تخرج من نطاق أعالى البحار ، وسوف تخضع كل الممرات والبحار والخلجان بين الجزر والقارات تحت السيادة القومية ، ومن الطريف أن الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية بالاخذ بحد الاثنا عشر ميلا على نطاق عالمى ، وحتى اذا اتفق على هذا الحد سنجد أنه سيضع جميع الممرات البحرية التى يقل عرضها عن ٢٤ ميلا تحت السيادة الاقليمية ، كالقنال الانجليزى وهو واحد من أكثر الممرات العالمية حركة ، نظرا لأن اتساعه من دوفر الي كاليه اثنان وعشرون ميلا ، لذلك يتطلب هذا مجموعة من الضمانات الدولية ٠

وفى ظل هذه الظروف فان اتخاذ حد الاثنا عشر ميلا تعتبره الدول التى تطالب بمائتى ميل هزيمة لها ، كما تدخلت العوامل الايديولوجية فى الصورة فالصين الشعبية مثلا أيدت بقوة طلب المائتى ميل ٠

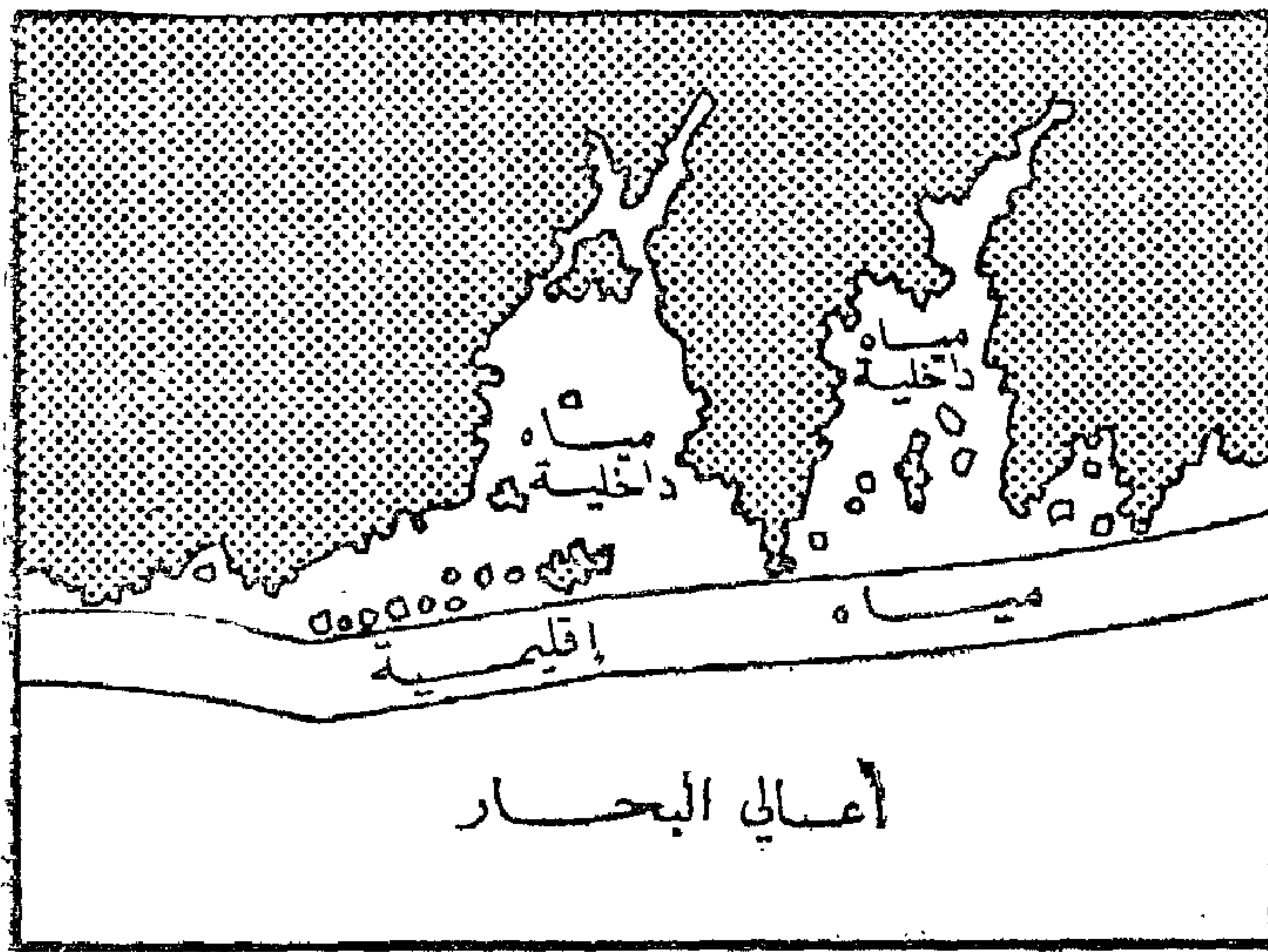
كيف يحتسب عرض المياه الاقليمية :

هذا ويحتسب عرض المياه الاقليمية من آخر نقطة تنحسر عنها المياه وقت الجزر بالنسبة للشاطيء الطبيعى أى من وراء الحواجز أو الارصفة التى تحيط بالموانى أو الاحواض البحرية ، وتختلف الآراء بشأن المياه الاقليمية ، فمنهم من يرى أنه لابد وأن توازى الشاطىء فى تعاريجه ، ومنهم من يرى أن تحدد بخطوط مستقيمة تقابل الخطوط الممتدة بين الرؤوس البارزة من الساحل ٠

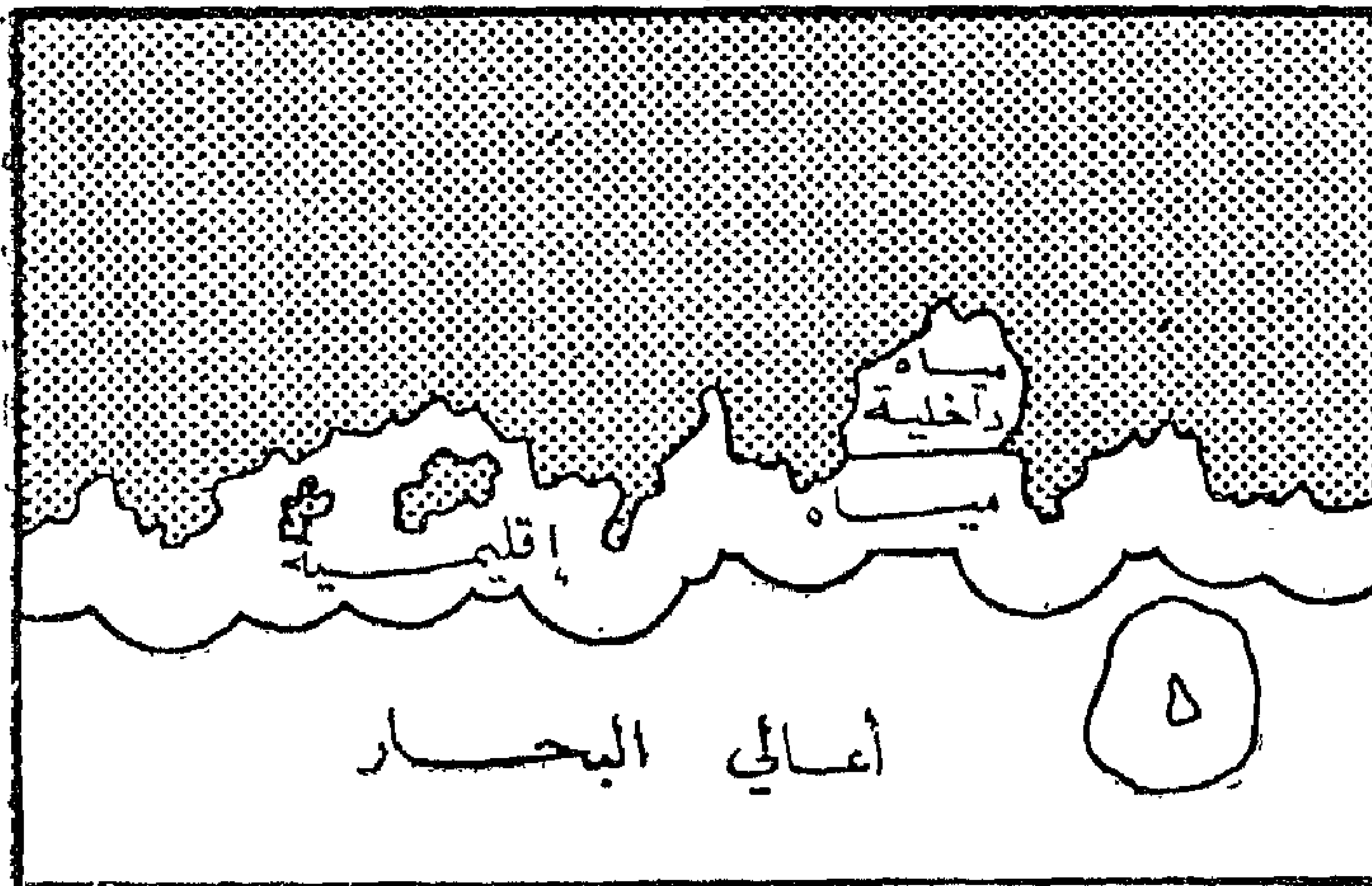
هذا واذا وجدت جزر فى المياه الاقليمية ، فانها تعتبر جزءا من الاقليم ويصبح لها منطقة اقليمية اضافية ، من ثم تبدأ المياه الاقليمية الدولة كالنرويج كثيرة الجزر بعد هذه الجزر ٠

وظيفة المياه الإقليمية :

لعل عامل الدفاع له الاعتبار الاول في وظائف المياه الاقليمية ، فللدولة لها حق تفتيش السفن الغريبة ، ومنع سفن الاعداء من الاقتراب منها بل لها حق اقامة أعمال دفاعية فى البحر كبث الالغام مثلا ، وهذه الحق كانت هناك وظائف أخرى كمنع التهريب ، والتهريب عملية قديمة عرفتها جميع الشعوب منذ أن ظهرت قوانين لتنظيم التجارة ٠ وطالما



خطوط القاعدة للمياه الإقليمية



(شكل رقم ٢٢)

كانت وسائل الدفاع سابقا فاذا كانت هـذه هى الوظيفة الوحيدة الآن ، فلا شـك أنها ليست بذات أهمية بعد وسائل التسـليح الحديثـة • وفى قامت مواقع حربية بين الحكومات والمهربين • لذلك فمن ضمن الاسـباب التى استندت اليها الدول فى السيادة الاقليمية هو منع التهريب فقد أقر البرلمـان البريطاني حق السفن البريطانيـة فى تفتيش أى سـفن غريبة تحوم حول البـلاد لمسافة فرسـخين (٦ أميال) من الشاطىء ، ثم امتد هـذا الحق فيما بعد الى ٣ر٤ فراسـخ حتى وصل الى ١٠٠ فرسـخ من الشاطىء ، وهـذا فيه مبالغة بطبيعة الحال • وقد انتهي هـذا الى أن ٩ أميـال فيها الـكفاية بالنسبة لبريطانيا ، أما بالنسبة للولايات المتحدة أقرت ٤ فراسخ أو (١٢ ميل) من الشاطىء عام ١٧٩٠ ، وطالبت أسبانيا ١٨٧٣ ـ ١٨٧٥ بمسافة ٦ اميال بحرية (١) •

ثم تأتى مشكلة تلوث المياه الساحلية ، وهـذه ظهرت بصـــورة كبيرة بعد زيادة أعداد السفن من ناحية وزيادة النشاط البحرى التجارى وزيادة نقل زيت البترول ، وأصبحت مخلفات هـذه السـفن ونفاياتهـا خاصة من الزيوت تشكل خطرا جسيما على المياه الساحلية ، منهـا مثلا الحرائق التى قد تنشب فوق هـذه المسطحـات الزيتيـة ثم تأتي الرياح وتدفع هـذا المسطح الزيتى الملتهب الى هـذا الشاطىء أو ذاك ومنها أن هـذه الزيوت تجعل المناطق التى تغطيها غير صالحة لحياة الاسمـــاك فتقضى عليها وتفنيها •

ولا تظهر مشكلات مياه اقليمية في مسائل صـيد الاسماك ما دامت سـفن الصيد صغيرة ، ولا تتحمل الرحلات البحرية الطويـلة ، ولـكننا فى العصر الحديث أمام سـفن صيد ضخمة ، تجوب أعالى البحار بحثا عن الاسماك لشدة الطلب عليها كعنصر غذائى مما غير الوضع ، من ثم لم تظهر مشكلات حول الصيد فى العصور الوسطى حتي القرن المـاضى ، فحق الدولة فى الصيد من مياهها حق لا ينـاقش ، أما الصيد من ميـاه دولة أخرى فتكون عاقبته القبض علي الصائد وتوقيع الغرامة عليـــه ،

---

(١) الميل البحرى أطول من الميل الارضى إذ يساوى ١١٤و١ ميـــل أرضى أو ٦٠٨٠ قدما •

ومثل هــذه القضايا معروفة فى محاكم المدن الساحليــة في غرب أوربا وهــذا لا يمنع أن تسمح دولة اسفن أجنبية بالصيد فى مياهها ولـكن بشرط أن تـكون قد نصت على ذلك اتفاقيــة أو معاهدة وان كانت بعض الدول تعجز عن استعمال هــذا الحق ، فهناك اجماع بين دول غرب أوربا على الصــيد فى مياه ايسلندا وكذلك الحــال في مياه اســتراليا الشمالية غير المحميـــة والتى كان يستغلهـا الصــيادون اليابانيون قبـل الحرب العالمية الثانيـــة ٠

وفى السنين الاخيرة طالبت كثير من الدول الساحلية بحظر الصيد فى المياه الاقليمية واستندت في هــذا الى اعتبارين ، أولهما حماية حرفة صيد الاسماك فى الدولة ، والثانى منع اختفاء وانقراض أنواع معينــة من الاسماك ٠ ولذلك طرد الصيادون اليابانيون بعد الحرب العالمية الثانية من مياه بحر أوختسك ، كذلك طالب صيادو كوريا الجنوبية بالصيد فى بحر اليابان ، وعززوا مطالبهم باســتعمال قوارب الصيــد المسلحــة ٠ وفى الحق لقد أصبحت البحار والمحيطات تكون جزءا رئيسيا من حيــاة الانسان بعد أن زاد عدده وأنهك الارض الصالحة للاســـتغلال في كثير من المواضع ، وبعد التقــدم التـكنولوجى الرهيب الذى بلغه ، والمنتظر أن يزداد النزاع فى العقود القــادمة لاســتخراج المعادن من قاع البحر والتسابق على المحيطات Scramble for the Oceans .

النزاع فى البحار الشمالية :

هناك بعض أقطار تعتمد اعتمادا كبيرا علي الصــيد البحرى كأيسلند التى تعتبر حالة متطرفة من هــذا النوع ، وذلك أن ١٤ ٪ من مجمــوع انتاجهــا القومى من الأسماك كما تمثل الاسماك ومنتجاتهـــا ٩٠ ٪ من صادرات البلاد ٠

---

(١) أصــبح العالم الآن يســتخرج من ١٨ ٪ الى ٢٠ ٪ من ثروته النفطية من قاع البحر ٠

وقد أعلنت حكومة ايسلند أن مياهها قد أجهدت صيدا ، وطالب البرلمان الايسلندى الحكومة بمد سيادتها البحرية حتى نهاية الرصيف القارى ، ولم تفعل هـذا بل حددت مسافة ٤ أميال عام ١٩٥٢ ، ثم زادتها بعد ٦ سنوات الي ١٢ ميلا بحريا ، وبطبيعة الحال ليس للسفن الاجنبية حق الصيد فى هـذه المناطق ٠ ونظرا لأن المياه الأيسلندية كانت تزار من قبل بواسطة العديد من سفن الصيد الاجنبية وخاصـة البريطانيـة والالمـانية ، إذ يأتى نحو ١٣ ٪ من صيد شمال غرب أوربا من مياهها ، فقد قوبل قرار ١٩٥٢ بالاحتجاج وخاصة من بريطانيـا ، ثم جاء قرار الاثنا عشر ميلا بمثابة اعتبار مساحة تقدر بنحو ٦٦٠٠ ميل مربع محرمة على الصيادين الاجانب ، بل وحرمتهم من معظم صـيدهم من الباكلاه والهادوك ٠ ولذلك اتجهت سـفن الصـيد البريطانيـة فى موسم ١٩٥٨ للصيد داخل حدود الاثنى عشر ميلا تحت حماية القوارب المسلحة وعرفت هـذه الحوادث باسم حرب البكالاه Cod war ، واذا كان هذا ليس من حق ايسلند ، الا أن الرأى العام العالمي ، وضع اعتبارا لوضع ايسلند الاقتصادى، واعتمادها على الاسماك ، وقبلت بريطانيا ذاتها هذا الحد ، وبينما لم يصل النزاع البريطانى الايسلندى الى محكمة العدل الدولية ، فان النزاع البريطانى النرويجى عرض عليهـا ، ذلك أن كثيرا من خطوط القاعدة في النرويج التى عينت عام ١٩٣٥ ، كانت تبعـد عن السـاحل لمسافة أكثر من ١٠ أميال أحيانا ، ثم كانت المياه الاقليمية تمتد بعد ذلك لأربعة أميال ، مما دفع بالسيادة النرويجية الى ميـاه اعتـادت السفن البريطانية الصيد فيها ، وعندما عرض الامر على المحكمة الدوليـة عام ١٩٥١ ، خذلت المحكمة بريطانيا وانتصرت للدولة الساحليـة على الدولة الدخيلة مرة أخرى ، وهكذا فان النزاع فى معظم الاحوال ينشأ بين الدول التى تأتي سفنها لتغترف من مياه دولة أخرى ٠

على العموم السائد الآن هو الاتفاقات التى تنظم الصيد بين الدول المعنية كاتفاقية تنظيم الصيد بين انجلترا ، والدانمرك حول جزر فارو ، وكاتفاق تنظيم صيد السالمون بين الولايات المتحدة الامريكية وبين كندا فى منطقـة شمال غرب الباسفيك ، وترخيص البرازيل عام ١٩٧٠ لخمسين سفينة من ترايندداد بصيد الجمبرى فى مياهها التي تمتد لمسافة مائتى ميل وهذا معناه اعتراف صريح بهذا الحد ٠

النزاع فى حوض البحر المتوسط :

اذا انتقلنا الى حوض البحر المتوسط تظهر عدة منازعات اقليمية ، قد تصعد الى مواجهات وان كانت ليست بالخطيرة ، كان أكثرها خطورة على سبيل المثال النزاع المغربى الاسبانى الذى يرجع الى عام ١٩٧٢ عند ما أنكرت دولة المغرب اتفاقا مع أسبانيا وقع عام ١٩٦٩ بشأن صيد الاسماك ، وبدأت دوريات الحراسة المغربية فى القبض على سفن الصيد الاسبانية ، وازداد الوضع تأزما فى مارس ١٩٧٣ عند ما أعلنت المغرب منطقة الصيد الخاصة بها وعرضها ٧٠ ميلا ، ولم تعترف أسبانيا بهذا القرار ، مما ترتب عليه أحيانا تبادل اطلاق النار فضلا عن زيادة القبض على السفن الاسبانية واجبارها على دفع الغرامات ، حتى توصل الطرفان الى اتفاق فى يناير عام ١٩٧٤ ، يعتبر نصرا للمغرب ، وان كان هذا لم يمنع من تكرار القبض على سفن الصيد الاسبانية عام ١٩٧٥ ، ومما زاد من تعقيد المشكلة عدم الاتفاق على الحدود الفاصلة بين المغرب وجزر كنارى فيما يختص بالمنطقة الاقتصادية لقاع البحر ٠

وحدث نزاع مماثل بين ايطاليا وتونس عام ١٩٧٥ نظرا لأن سفن الصيد الايطالية تجاوزت اتفاقا سبق أن عقد بين الدولتين عام ١٩٧١ ، وحدث تبادل اطلاق النار ، وان وضح فى هذا النزاع ضعف بعض الدول عن حماية مياهها ذلك أن السفن الايطالية كانت أسرع من الدورية التونسية ٠ وقام نزاع آخر بين البانيا ويوغسلافيا عام ١٩٧٦ عندما أطلق النار على صياد البانى ، ونتيجة لهذا مدت البانيا مياهها الاقليمية من ١٢ الى ١٥ ميلا هذا ، ويمكن تتبع نزاعات عديدة بين دول البحر المتوسط وخاصة اذا ما كانت هناك نزاعات لاسباب محلية أخرى ٠

ان أكبر المشكلات التى تواجه دول حوض البحر المتوسط هي كيفية تطبيق قوانين البحار فى مساحة مائية محدودة ، يحيط بها العديد من الدول ، فاذا اتخذت كل دولة حد المائتى ميل ، فمعنى هذا التداخل بين مياه هذه الدول وانه تتعقد الامور ، وتتطلب مفاوضات ثنائية متعددة ، ولكن لحسن الحظ معظم دول البحر المتوسط حددت مياهها الاقليمية بين ٦ أميال ، ١٢ ميلا ما عدا المغرب والبانيا (٧٥ ، ١٥ ميلا) ولكن قد تظهر هناك مشكلات حيث توجد الجزر ذات المواقع الجغرافية الحرجة

كالجزر اليونانية القريبة من ساحل تركيا ، والجزر الايطالية القريبة من الساحل التونسى ، وكذلك النزاعات الخاصة ببعض الاقاليم كجبل طارق وسبتة ومليلة ٠

النزاع اليونانى التركي :

قام الصراع اليونانى التركى فى بحر ايجة بعد اكتشاف شركة أمريكية للبترول وهذا ما أثار اهتمام الجانبين بملكية الرصيف القارى ، وأدى الى تتابع الازمات ، في ربيع وصيف عام ١٩٧٤ ، وخريف عام ١٩٧٦ ، ويتميز الموقف هنا بتعقده ، فهذه الازمات وقعت بين شعبين وحكومتين تكن كل واحدة العداء للاخرى ، وارتبط هذا أيضا بالنزاع اليونانى التركى على قبرص ، والحساسية الناشئة عن كون كل منها عضو فى حلف الاطلنطي ٠

وتطالب اليونان بأحقيتها فى قاع بحر ايجه كله تقريبا ، على أساس ملكيتها لمعظم جزره ، بل انها اذا تركت حدود الستة أميال المأخوذ بها فى بحر ايجة ، واتخذت حد الاثنى عشرة ميلا الذى بدأ يسود في العالم ، فمعنى هذا أن بحر ايجة بكامله سيصبح مياها اقليمية لليونان ، لذلك فهناك رؤى فى تركيا يقول بالمطالبة ببعض الجزر ، وخاصة ليسبوس والدوديكانيز ، ويخشى اليونانيون من هذه المطالبة لا على أساس ما حدث قبرص فحسب ، بل من الهجرة اليونانية الخارجية من تلك الجزر الي مدن اليونان الاصلية ، وأن تكون مطالبة الاتراك بالرصيف القارى للجزر المقابلة لها هو مقدمة للسيادة على الجزر نفسها ٠

وتستند اليونان أساسا الى مبدأ الامر الواقع ، بينما تستند تركيا الى ضرورة مراجعة هذا الموقف ، فتستند اليونان الى اتفاقية جنيف لعام ١٩٥٨ التى تعترف بوجود مياه اقليمية ورصيف قارى للجزر ، بينما وضعت أسسا مختلفة منها اتخاذ خط المنتصف بين الاراضى الاصلية لكل من الدولتين أى خط أكثر الاعماق (على أساس امتداد الرصيف القارى للاناضول) ولذلك بينما تفضل اليونان الالتجاء الى محكمة العدل الدولية حيث سيكون الحكم فى صالحها رغم تعقيد الموضوع ، تصر تركيا على المفاوضات الثنائية لأن فرصتها فيها ستكون أكبر ٠

وقد نشط هذا النزاع منذ أوائل عام ١٩٧٤ واختلفت درجة حدته بحسب الطرق المختلفة التى اتبعتها تركيا فى الاثارة ، بدءا من الرحلات التي قامت بها سفينة المسح البحرى التركية « سيزميك ١ » الى الحملات الصحفية ، الملتهبة ، الى التحركات العسكرية ، وما يقابلها من اعادة اليونان تسليح بعض الجزر القريبة من الساحل التركى ، غير أن قمة المشكلة كانت عندما قامت السفينة سيزميك بمسح قاع البحر فى جهات تعتبرها اليونان من حقها ، واذا كان نزاع ١٩٧٤ قد دخل ضمن النزاع اليونانى التركى بصفة عامة ، فان نزاع ١٩٧٦ قد احتواه نشاط منظمة « حلف الاطلنطي والولايات المتحدة الامريكية ، فقد وقع الطرفان اتفاقا بعدم التمادى فى النزاع ، والاشتراك فى محادثات ثنائية بهدف الى الى الوصول الى حد سياسى مقبول من الطرفين ، ويعكس هذا الاتفاق الضغوط الخارجية أكثر منه تحرك الجانبين للوصول الى اتفاق ، ويمكن لعوامل أخرى أن تتدخل لتغيير الموقف مرة أخرى مثل مشكلة قبرص ، أو المضايق التركية ، أو التوازن بين حلفى وامسو وشمال الاطلنطى ، أو تغير الحكومات فى أى منهما ، على العموم لا يلوح فى الافق أن النزاع سيهدأ ، بل يتوقع له النزاع المسلح ٠

على أن الاكثر خطورة هى النزاعات التى تقوم علي أساس حقوق الملاحة ، ففى البحر المتوسط أعناق زجاجات أربعة ، جبل طارق ، المضايق التركية ، وقناة السويس ، والمضايق التونسية ، وهذه المضايق لاتقتصر أهميتها على الدول التى تشرف عليها ، بل أهميتها عالمية والمرور فيها حرا ، ومع ذلك فقد تحدث بعض المشكلات ، وخاصة فيما يتعلق بالسفن الحربية ٠

المضايق التركية :

وهى من المشكلات التى يثيرها الاتحاد السوفيتى منذ القدم لانها تصل بين البحر الاسود وبحر ايجة ، ويمثل البسفور والدردنيل وبحر مرمره عنق الزجاجة بالنسبة للبحر الاسود ٠ ويمتد الدردنيل لمسافة ٤١ ميلا بينما يختلف اتساعه من واحد الي أربعة أميال ، أما البوسفور فهو أقل طولا ، اذ يبلغ طوله ١٨ر٦ ميلا ، كما أنه أقل عرضا ، اذ يتراوح اتساعه بين ستمائة ياردة وميلين ، ومن ثم ليس هناك خلاف فى أنهما يقعان ضمن المياه الاقليمية لتركيا ، وتظهر أهمية هذه المضايق

فى أنها تكون نافذة دفيئة يستنشق منها الاتحاد السوفيتي نسيم البحر المتوسط ، وكذلك بلغاريا ، ورومانيا وخاصة بعد أن خرج الاتحاد السوفيتى من عزلته الاقتصادية ، وبدأ نشاطا اقتصاديا مع الدول العربية ، كما أن هذه المضايق مداخل للدول العربية تصل عن طريقها وبسهولة الى الجزء الجنوبى من الاتحاد السوفيتى ، والضرب فى نصف دائرة من حقول البترول في القوقاز شرقا الى جمهورية أوكرانيا شمالا وبلغاريا ورومانيا غربا ، خاصة وأن الاستراتيجية الامريكية تصل الى القواعد المرنة المتحركة ، وتعلق آمالا كبيرة على الاسطول السادس فى البحر المتوسط ·

معاهدة سيفر ١٩٢٠ :

نصت على عدم تحصينها فضلا عن حرية المرور للسفن الحربية والتجارية وقت السلم والحرب ، ولكن الاتراك لم يقتنعوا بهذا ، وعرضت المشكلة على مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣ ، وهنا نرى أن السياسة الروسية قد وقفت موقفا متناقضا ، ذلك أن روسيا التي كانت تطالب بفتح البوغازين ، عارضت ذلك ، لانها كانت في مرحلة اعادة بناء واستقرار بعد الثورة الشيوعية فأرادت أن تكون فى مأمن من خصومها وأساطيلهم فى هذه المرحلة · على العموم نصت معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ على :

١ _ حرية مرور السفن التجارية وقت السلم ، ولا يختلف الحال وقت الحرب الا اذا كانت تركيا دولة محاربة ، فلها أن تستعمل حقوق المحاربين وتقصر المرور علي السفن المحايدة ·

٢ _ حرية المرور للسفن الحربية وقت السلم ، ووقت الحرب اذا كانت تركيا على الحياد ، أما اذا كانت محاربة فلها حق استعمال حقوق المحاربين ·

٣ _ منع تسليح المضايق ·

٤ _ تشكيل لجنة دولية مسئولة امام عصبة الامم للاشراف على المضايق ·

وهكذا استمر الحال حتى بدأت تباشير الحرب العالمية الثانية ، حين نشأ النزاع بين ايطاليا والحبشة ، وأقدمت ألمانيا على احتلال منطقة الراين فانتهزت الحكومة التركية الفرصة ، وطالبت بتعديل الاتفاقية فحلت محلها اتفاقية مونتريه Montreu عام ١٩٣٦ وبمقتضاها :

١ ـ استعادت تركيا حقها في تحصين المضايق .

٢ ـ ألغيت اللجنة الدولية للمضايق وسلمت اختصاصاتها لتركيا .

٣ ـ يبقي الوضع كما هو بالنسبة للسفن التجارية كما أقرته معاهدة لوزان .

٤ ـ قصر مرور السفن الحربية على السفن الحربية الخفيفة دون الغواصات ، هذا اذا لم تشترك تركيا في الحرب ، أما اذا اشتركت فيها أو وجدت أنها مهددة بها ، فيكون مرور المراكب الحربية متوقفا على ارادتها .

وبذلك كانت الاتفاقية لصالح تركيا الي حد كبير . وكان عدم اشتراك تركيا في الحرب العالمية الثانية مما دفعها الي الحذر فيما يختص بسياستها الخاصة بالمضايق في الفترة من ١٩٣٩ ـ ١٩٤٢ ولم يستعمل الحلفاء المضايق التركية في تموين الاتحاد السوفيتي لسبب آخر وهو أن البحر المتوسط كان ملغما بالغواصات الالمانية ، وبطائرات العدو وكانت عملية حماية الاسطول التجاري والاسطول الحربي تقتضي نفقات باهظة ، فضلا عن أن تركيا بالتأكيد سوف تمنع مرور القطع الحربية ، غير أنه في بداية عام ١٩٤٤ عندما تحسنت أحوال الحلفاء استمرت تركيا تحرم السفن المسلحة أو السفن المحمية حمل التموين الي الاتحاد السوفيتي . لذلك ولغيره ، لم يرق للاتحاد السوفيتي السياسة التركية ، خاصة أنها في أثناء الحرب العالمية الثانية ، وفي أحرج لحظات موقعة ستالينجراد لم تسمح تركيا للحلفاء بتموين الاتحاد السوفيتي ، فطالب بالاشراف على جميع الممرات الاستراتيجية التي تؤدي الى أراضيه ، وطلب فعلا في مؤتمر بوتسدام سنة ١٩٤٥ مناقشة هذا الامر ، ولم ينته الامر الى نتيجة توافق عليها تركيا والاتحاد السوفيتي والغرب .

وقد اثار عبور حاملة الطائرات السوفيتية كييف عام ١٩٧٦

للمضايق ، قلق الدول الغربيــة ، ذلك أن اتفاقية مونتريه تحد من قــدرة الاتحاد السوفيتى على تواجد أسطول له فى البحر المتوسط تـكون قواعده فى البحر الاســود وبصفة خاصة الغواصات وحاملات الطائرات ، وهــذا معناه أن الاتحــــاد السوفيتى بدأ لا يعير اتفاقيــة مونتريه اهتمــــاما ، ولــكن لا يتوقع أن يقوم نزاع بين الاتحـــــاد السوفيتى وتركيا خاصــا بالمضـــــايق ٠

نطاقات الميــاه البحرية :

ذكرنا أن سـيادة الدولة تنتهى عند حـدود مياهها الاقليميـــــة ، ولــكن مع هــذا فلا زالت الدول تمارس بعض الســـيادة خارج هــــذا النطاق ، من ثم يمكن تمييز خمس نطاقات ابتداء من اليــابس الي داخل البحر وهى :

١) المياه الداخلية Inland Zone

وتشمل الخلجــان ومصبات الانهار والبحيرات الساحلية Lagoons وتقع جميعها داخل خط القاعدة الذى تبدأ بعده الميــاه الاقليميـــة ، وهى جزء متمم ليابسة الدولة ، لأنها إما مغلقة ، وإما لأن مياهها العذبة أكثر من المــالحة ، وبالتالى لا تعتبر جزءا من البحر ٠

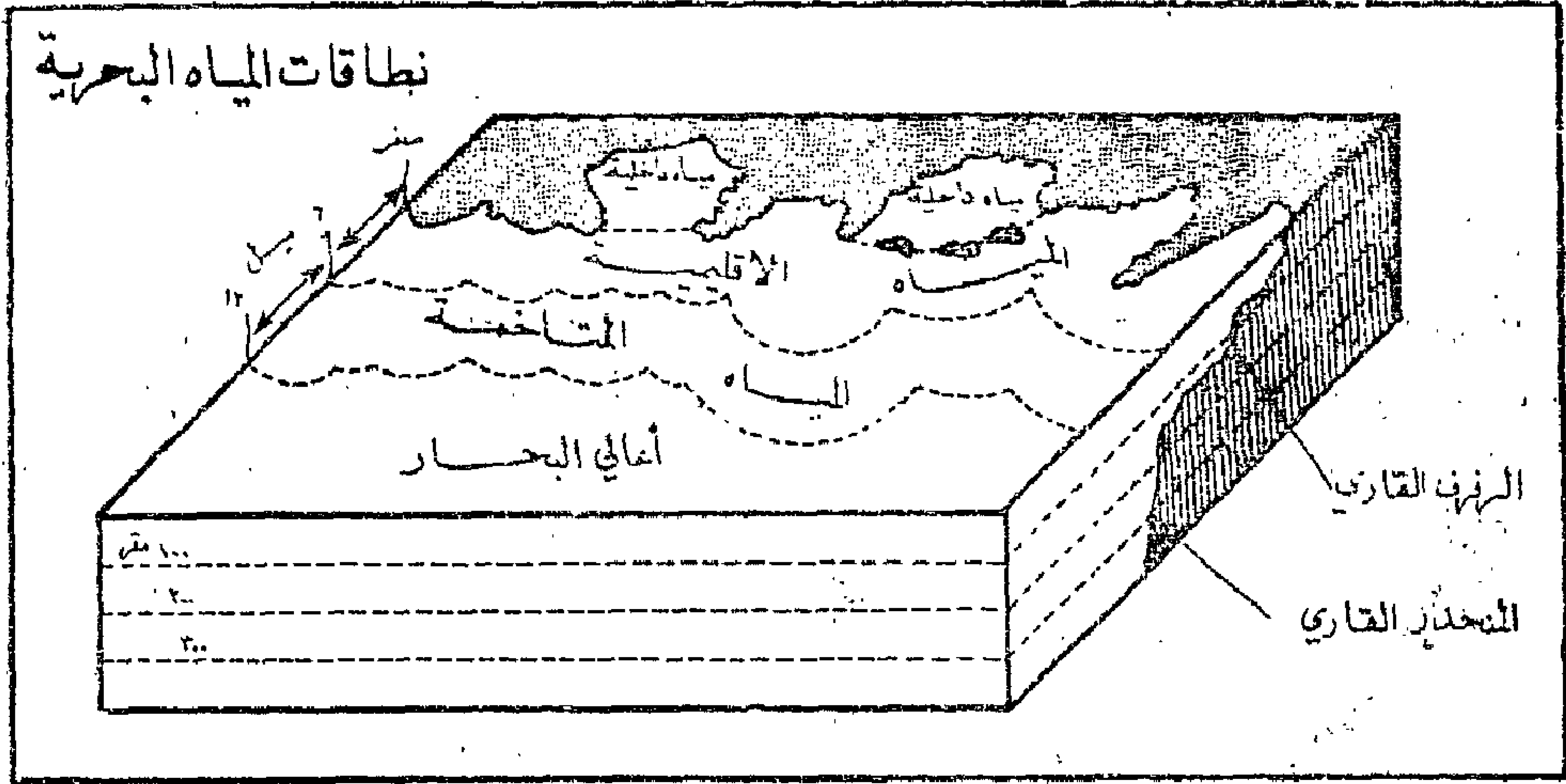
٢) المياه الاقليمية Territorial Waters

وهــذه تمتد من خط القاعدة لمسافة معينـــــة تختلف من دولة الى أخرى كما رأينا ، وفى هــذا النطاق نجد سـيادة الدولة مطلقة الا فيما يختص بالمرور البرىء للسفن الاجنبية ، فلهذه السفن عبور المياه الاقليمية لأى دولة ما دام عبورها لا ينطوى على إضرار أو إهانة للدولة ذات المياه الساحلية ، وأى جريمة ترتكب على السفينة فى المياه الاقليمية يعـــامل مرتكبوها بمقتضى قوانين الدولة صاحبة المياه الاقليمية ٠

٣) المياه المتاخمة للاقليمية Contiguous Zone

وهــذه يختلف اتساعها من دولة الى أخرى أيضا ، ويمكن للدولة أن تمارس فيها حق تفتيش السفن التى تشك فى أنها تعمل بالتهريب ، كما

تمارس فيها اجراءاتها الصحية والجمركية وتمنع الهجرة غير المشروعة ، وقد تمتد بمياه الصيد واستغلال المعادن اليها ، اذا حدث اتفاق بين جميع الاطراف المعنية ، والا اعتبرت ضمن أعالي البحار من الناحية النظرية ، ولا تمتد هى والمياه الاقليمية لما يزيد على اثنى عشر ميلا ، بمعنى أنه اذا كانت المياه الاقليمية ٣ أميال تصبح المياه المتاخمة تسعة أميال فقط ٠



شكل (رقم ٢٣)

٤) الرفرف القارى Continetal Shelf

وهو ذلك الجزء من اليابس الذى ينحدر الى البحر ، وتغطيه مياه البحر بمائتي متر ، ويمثل نحو ١٠ ٪ من مساحة البحار والمحيطات ، وهو يمثل مرحلة الانتقال من اليابس الى البحر والمحيط ٠ وكما هو واضح من تسميتها فهى تحيط باليابس ويختلف اتساعها ٠ وتتميز هذه المنطقة بغناها الحيوى ، لما يترسب عليها من أملاح ومواد غذائية تحملها الانهار من اليابس ، كما تتميز بقلة عمقها بحيث يخترقها الضوء ، وتحتوى نسبة عالية من الاكسوجين ، وكلاهما يقل بسرعة بعد هذا العمق ، وكل هذا مما يساعد على نمو البلانكتون بما ينتج عنه فى النهاية أن تكون هذه الرفارف أرضا خصبة لتكاثر الاسماك كما هو الحال فى رفارف غرب أوربا ، وايسلندا ، وبحر قزوين ، وبحر أوخستك ، وبحار اليابان ، وبيرو ٠

ونظرا لقربها من اليابس تصبح هذه النطاقات هي أولى المناطق بحثا عن الثروة المعدنية خارج اليابس ٠ وبينما يتركز البحث الآن عن

البترول فى الخليج العربى ، وخليج المكسيك ، وبحر قزوين ، وانجولا ، وبحر الشمال ، فان البحث سيتضمن معادن أخرى فى المستقبل بسبب التقدم التكنولوجى فى الابحاث والنقص المتزايد لتلك المعادن على اليابس . ولقد أصبح واضحا فى العقد الاخير ، أن هناك رواسب معدنية على هيئة كتل أو عقد متعددة لمعادن ، تكمن فوق الرفارف القارية وفى الاعماق البعيدة ، فوجدت كتل من المنجنيز والنيكل والكوبالت والنحاس . وذكر في صحيفة التايمز فى ١١ مايو سنة ١٩٧٢ أنه ثبت أن هناك تركيزات معدنية من الذهب والفضة والنحاس فى رواسب قاع البحر الاحمر . ولكن المشكلة هى فى التقدم التكنولوجى اللازم للبحث في هذه الاعماق السحيقة ، وهذا ما تقوم به الولايات المتحدة الامريكية الآن .

وهذا النطاق مثار خلاف كبير ، حيث تدعى الدول حقوق مختلفة عليه ، سواء حقوق صيد أو استغلال لمعادن القاع ، فمثلا تدعي بيرو بامتداد مياه الصيد الخاصة بها لمسافة ٢٠٠ ميل من الشاطىء ، وهكذاتفعل اكوادور ، وكوستاريكا . ولا يعترف القانون الدولى بمياه الرصيف القارى ، من ثم تتوقف السيادة عليها حسب قوة الدولة المعنية . فعلى سبيل المثال اقتربت احدى سفن الصيد التابعة لاسطول أوناسيس لمسافة ١٨٥ ميلا من سواحل بيرو ، عام ١٩٥٤ فوقعت بيرو عليها غرامة قدرها ٣ مليون دولار ، لاعتدائها على سيادة بيرو ، وقد دفعت الغرامة للافراج عن السفينة .

هذا ويجب أن نشير الى الادعاءات الخاصة بالرصيف القارى التي اتفق على أن تقتصر على استغلال الدولة الساحلية لقاع البحر وليس للمياه السطحية ، ففى عام ١٩٥٤ مثلا أعلن الرئيس ترومان بأن الموارد الطبيعية للرصيف القارى المجاور للولايات المتحدة الامريكية من حقها ، بينما المياه السطحية لها صفة أعالي البحار . ونتيجة لهذا التصريح ، بدأت دول أخرى تعلن حقوقها فى الرصيف القارى دون أن تقتصر مطالبها على استغلال موارد الثروة الطبيعية كشيلى ، وبيرو ، وسلفادور ، وكذلك استراليا ، ولما كانت تطل على محيطات واسعة فلم يثر هذا مشكلات سوى فى الاخيرة لانها حرمت اليابانيين من صيد اللؤلؤ في مياهها ، وقد ظهرت بعض مشكلات طريفة فى هذا المجال ، وهى الخاصة بالكائنات البحرية المستقرة وشبه المستقرة فى قاع البحر كالمحار واللؤلؤ والاستاكوزا Lobester كما حدث بين فرنسا والبرازيل ، حينما فسر كل منهما الامر لصالحه ، واستمرت السفن الفرنسية فى صيد

الاستاكوزا من الرصيف القارى للبرازيل لأنها تعتبر الاستاكوزا تسبح والبرازيل تعتبرها تمشى ، وكاد يحدث اشتباك مسلح لولا تراجع الفرنسيين كذلك الحال في منع استراليا اليابانيين من صيد اللؤلؤ من الرصيف القارى • وفى الحق أن السيادة بعد المياه المتاخمة تتوقف على قوة الدولة أكثر من أى شيء آخر •

٥) أعالى البحار High Seas

وهذه تمتد بعد ذلك ، وليس عليها لدولة ما حق من حقوق السيادة ، وانما هى ملك للجميع لأنه إرث مشترك للانسانية ، وان كان بعد تطور استغلال ثروات قيعان البحار والمحيطات ، وقد حان الوقت لوضع قانون ينظم هذا النشاط ، وأى سلطة سوف تمنح تصريحات التنقيب •

عرض المياه الاقليمية لبعض الدول

الدولة	ميل	الدولة	ميل
أكوادور	٢٠٠	الجزائر	١٢
جابون	١٠٠	أرجنتين	٢٠٠
غانا	٣٠	البحرين	٣
اليابان	٣	لبنان	ـ
النرويج	٤	ليبيا	١٢
الصومال	٢٠٠	موريتانيا	٣٠
العربية السعودية	١٢	البرازيل	٢٠٠
السودان	١٢	كمرون	١٨
المملكة المتحدة	٣	الصين	١٢
الولايات المتحدة الامريكية	٣	مصر	١٢
الكويت	١٢	الاتحاد السوفيتى	١٢

الباب الرابع

القوى العالميـــة

مقـــدمة

مفهوم القوة :

لابد لصـــانعى القرارات فى أى دولة من الدول أن تـكون لديهم القدرة على تنفيذ قراراتهم ، ومن ثم لا يمكن لحكومات هذه الدول أن تنفذ ســياستها الا في ظل قوة Power تستخدم لفرض ارادتها والتأثير على ســلوك الدول الاخرى ٠

وتتمثل القوة السياسية أولا : في القدرة على صـــنع وتنفيـــذ القرارات داخل حدود الدولة ، ويتوقف هذا النوع على مدى التأييـــد والدعم الذى يتاح للحكومة من جانب الرأى العام ، وكذلك على مـــدى سيطرة الحكومة على الرأى العام وأجهزته الاعلامية ، وهـــذا ليس من موضوعات الجغرافية السياسية ٠ ويتمثل ثانيا : في القدرة على اتخاذ القرارات وتنفيذها خارج الحدود السياسية للدولة ، وهذا يدخل فى مجال الجغرافية السياسية وفى مجال السياسة ٠ وقد درسنا بعض العـوامل التي تعطى هـــذه القوة كالموقع الجغرافى والمساحة والسكان والمـــوارد ٠٠ الخ أى العوامل الجغرافية ، والعوامل غير الجغرافية كالتقـــــدم التكنولوجى ، والدعم الخـــارجى ، وحركة الميزان الدولى فى صـــالح الدولة ، والاعلام بمعنى أن تكون وجهة نظرها واضحة للعـــالم بحيث تعطيها المبرر للحركة ٠ ومن المفروض أن الغرض الاول والاســاسى من القرار السياسى هو تحقيق الرفاهية والتقدم لسكان الدولة في الداخل ، فضلا عن ضمان أنها بالنسبة للدول الاخرى بصرف النظر عن الاستراتيجية التى تتبعها للوصـــول الى هـــذه الغاية وبدون القوة تصبح الدولة وكأنها شيئا لا قيمة له أو على أقل تقدير ، يكون دورها ثانويا ٠

وتستند القوة السياسية فى الميادين العالمية على :

القوة الحربية Military Power والقوة الاقتصادية Pconomic Power

والقوة الحربيــة هي ركيزة القوة السياسـية ودعامتها . فالاجراءات التى تتخذها الدولة لفرض قراراتها على دولة أخرى هى الحرب أو التهديد بالحرب فكما يقول A.H.Carr تـكمن الحرب فى خلفيــة السياسة الدولية . كما تـكمن الثورات في خلفية السياسة المحليـة « وليس من شـك أن القـدرة على اشـعال الحرب تتوقف علي العوامل الجغرافيـة وغير الجغرافية التى ذكرناها ، غير أن القيمة النسبية لهذه العوامل التى تعطى الدولة القوة قد تتغير ، فقد استطاع نابليون أن يعبر كل أوربا حتى موسكو فى وقت كان فيه سكان فرنسا اكبر من سكان اى دولة اخرى باستثناء - ربما - روسيا القيصرية ، وارتبط ظهور القوة الحربيـــة الالمـانية مع نمو الصناعة الحديثة والتي كانت المـانيـا مهيأة لها أكثر من فرنسا . وفى هذا قال كينز Keynes أن الامبراطورية الالمـانية بنيت بحق على الفحم والحديد اكثر منها على الدم والحـديد ، كما أن الصناعة الثقيـلة اليوم بدأت تخلى مكانها للصناعات الخفيفـــة التى تعتمـد علي الالـكترونيات ، وبالتـالى قد تعتمـد القوى العالميــة فى المسـتقبل على اليورانيوم والمعـادن الخفيفـة أكثرمنهـا على الحـديد والصلب .

واذا كانت القوى الحربية هى دعامة القوة السياسـية ، فلا قوة حربية دون ركيزة اقتصـادية ، فالحصول على الاسـلحة وأجهزة القتال يبدو صعبا اذا لم تـكن هناك طاقة لانتـاج الآلات والادوات الخاصـة بالاسـتعمالات العلمية . والامثلة عديدة على أثر القوة الاقتصادية في هـذا المجال ، منها القدرة علي شراء السلع النادرة والاسلحة الضرورية للحرب من الخـارج ، (قـارن بين اعتمـاد اسرائيـل التـام علي المعـونات الامريكية من السـلاح أو من المـال لشراء السـلاح وقـدرة مصر على شرائه) ، ومنهـا القـدرة علىتخزين السـلع الاستراتيجية الموصول الي كفاية ذاتية منها ، كما فعلت اليابان وألمـانيا من تخزين للنحاس قبل الحرب العالمية الثانية ، ومنهـا منـع السـلع الضرورية والاستراتيجية عن العدو كما فعلت الولايات المتحدة حين قللت من صادر الحديد الخردة عام ١٩٣٨ . وكما فعل العرب فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣حين خفضوا صادرهم من البترول ، بل ومنعوه عن الـدول المؤيدة لاسرائيل ، أو اعطاء الفرصة لحلفائها في الحصول على ما ينقصهم كما فعلت الولايات المتحدة مع الدول الاوربية بمقتضى قانون الاعـارة

والتاجير Lend — Lease فى الحرب الثانية وكما تفعل الآن مع اسرائيل •
مع اسرائيل •

ان الحرب الحديثة تأكل الدبابات والطائرات •• الخ ، والدول التى لا تملك مصانع لها كما هو الحال في دول العالم الثالث ، لا يمكن أن تعتمد اعتمادا مصيريا على استمرار الدول الصناعية بامدادها لهـا ، خاصة اذا ما تغيرت الظروف السياسية ، وهـذه مسألة حياة أو موت ، كما ثبت فى حرب اكتوبر والجسر الامريكى من السلاح الذى أسعفت به الولايات المتحدة الامريكية اسرائيل ، كذلك منع قطع الغيار الخاصـة بصيانة الطائرات الايرانية بدلا من أن تتحول الى خردة

هكذا تختلف قوة الدول ومنازلها ، وهـذا هو الذى يدفع الأقوى منها الي محاولة استغلال تفوقه النسبى لترتيب أوضـاع وعـلاقات تستجيب لدواعى مصالحها القوميـة ، بغض النظر عما يسببه ذلك من أضرار بمصـالح الدول الاخرى ، ولعل هـذا هو الذى دعا البعض الي مقولة أن العلاقات الدولية لا تخرج عن كونها صراعات قوى ، ومن ثم كانت فلسفة الحق للقوة أو أن القوة صانعة الحق Might Makes right وأن القـانون الـدولى ما هـو إلا قـانون اللاقانـون بين الامـم The Lawless law of Nations تستبيحه الدول القوية ، ولا تسرى قواعده الا على الامم الضعيفة •

القوى العملاقة Super Powers

« وحتى نكون أكثر تحديدا فيما يختص بالتوتر الدولى ، فيبـدو واضحا أن كل شىء فى النهاية يدور حول العلاقة بين دولتين هما الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية ، ولتوضيح هـذا يمكن القول بأنك اذا قمت بنزع أوراق (الـكرنب) ورقة بعـد الاخرى لتصل الي القلب ، فسيكون هذا أشبه بإزاحتك جميع المشكلات مثار النزع بين الدول جانبا ، عندئذ تصل الى قلب المشكلة وهو التضاد بين بلدينا : الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى •

(خورشوف ، برافدا ، ١٠ مايو ١٩٥٧)

اذا أردنا التعرف على القوى العالمية ومنازل الدول بعضهـا من بعض ليس أمامنا سوى عرض جدول يبين سكان وموارد ومساحة بعض الدول التى يمكن أن تؤثر فى الشئون العالميـة على أساس أحـد هـذه العوامل أو كلها مجتمعة •

مساحة وسكان وانتاج الصلب عام ١٩٧٨

الدولة	انتاج الصلب ٪	السكان ٪	المساحة ٪
الاتحاد السوفيتي	٢٢	٦ ٪	١٧ ٪
الولايات المتحدة	١٧	٥ ٪	٧ ٪
بريطانيا	٣	١ ٪	أقل من ٥ر٠ ٪
المانيا الغربية	٦	١ ٪	أقل من ٥ر٠ ٪
فرنسا	٣	١ ٪	أقل من ٥ر٠ ٪
البنلوكس	٣	٦ر٪	أقل من ٥ر٠ ٪
ايطاليا	٣	١ ٪	أقل من ٥ر٠ ٪
اليابان	١٥	٢ ٪	—
الصين	٤	٢١٪	٧ ٪
الهند	١	١٥٪	٢ ٪
كندا	٢	٦ر٪	٧ ٪
البرازيل	أقل من ٥ر١	٣ ٪	٦ ٪
استراليا	١	٣ر٪	٦ ٪

ويلاحظ على الجدول أننا ذكرنا الصلب كرمز للطاقة الصناعية وفيما يختص بالمساحة تغاضينا عن المساحات المنتجة وغير المنتجة ٠ على سبيل المثال مساحة الاراضى الزراعية في فرنسا أكبر من مساحتها في استراليا ، بينما مساحة استراليا تبلغ قدر مساحة فرنسا نحو ١٥ مرة ٠

ويظهر من الجدول أن هناك أربعة أقطار يمكن أن تدعى لنفسها ، أو تعتبر كقوى عالمية أولى :

أولا : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى لأن كلا منهما له نسبة مئوية ملحوظة سواء فى السكان أو فى المساحة أو فى انتاج الصلب ٠

ثانيا : مجموعة من الدول طاقتها الطبيعية لا بأس بها ، ولكنها لا تسهم بنصيب كبير فى السكان أو فى المساحة ، فكل منها مساحته أقل من ١ ٪ وتشمل المملكة المتحدة ودول السوق الاوربية المشتركة (ألمانيا وفرنسا والبنلوكس وايطاليا) ثم اليابان ٠

ثالثا : الصين والهند لـكبر مساحتهما وكثرة سكانهما ، وان كان انتاجهما الصناعى لا زال قليلا للآن ٠

رابعـا : كندا والبرازيل واستراليا لكبر المسـاحة وان كان عـدد سكانها قليل وكذلك كفاءتها الصناعية ٠

وهناك أندونيسيا والباكستان أيضا ، كل منها ذات أعداد كبيرة في السكان ولكن انتاجهما الصناعى ضئيل أو يكاد يكون معدوما ٠

هكذا تعتبر الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى بأى مقياس من مقاييس القـوة همـا القوتان الرائدتان أو القوتان الاعظم فى عالمنا الحاضر ٠ ويرجع ظهورهما كقوى عملاقة الى الحرب العالمية الثانية حينما ظهرت الولايات المتحدة الامريكية بطاقة صناعية ضخمة لم تتأثر بالازمة التى عانت منها الدول الاوربية حينذاك ، فضلا عن سلاح ذرى جرب فى اليـابان ، وقوتين جوية وبحرية ضخمتين ، وانتهت الحرب وقد بسط الاتحاد السوفيتي نفوذه على ثلثى القارة الاوربية ، وبأكبر قوة برية عالمية تضم حشدا غفيرا من المدرعات والمدفعية ، فضلا عن مراكز صناعية لم تتأثر بالاحتلال النازىوحقق هدفه الاستراتيجى الاول،وهو القضاء على النازية وعملت كل قوة منذ نهـاية الحرب على جذب عـدد من الدول تسير فى محورها ، كما واجهت كل منها الاخرى فى أكثر من مناسبة بطريق مباشر وغير مباشر ، في المجر وكوريا وفيتنام وكوبا والباكستان والهند والشرق الاوسط ٠

وقد اسـتمر الاتحاد السـوفييتى فى الجانب الدفاعي حتى نهاية الخمسينات ٠ لعدم قدرته على ردع الولايات المتحدة الامريكية ذات السلاح الذرى ، اذا ما قامت الحرب العالمية الثالثة ، ومن ثم كانت الولايات المتحدة لديها السيطرة الحربية على العالم في تلك الفترة ولـكن تغير الحال بعـد أن أصبح الاتحاد السوفييتى بدوره قوة نووية يمكنها ردع الولايات المتحدة أو مبادئتها ٠ وقد بلغ كل منهما قدرا من التسليح المتطور لدرجة أنه ليس متصورا أن يكون بعد ذلك مجال لاسـلحة تدميرية رهيبة ، فاذا قامت حرب عالمية ثالثة ، واسـتخدم فيها السلاح النووى أو النيترونى فان صورة العالم سـوف تتغير نهائيا حتي لو عمر جزء من البشرية بعدها ، بحيث لا تصـبح هناك ضرورة لتسطير هذا الـكتاب ٠ ومعنى هذا أننا نفترض استحالة قيام مواجهة نووية لانها لن تبقى ولن تذر ٠ حقيقة أطلت الحرب النووية أكثر من مرة ولـكنها سرعان ما تتوارى بعد تطور الاسلحة الرهيب ،

وتطور وسائل نقلها ، بحيث تجعل للضربة الثانية قوة لا تقل عن الضربة الاولى ، من ثم أصبح الصدام المسلح المباشر بين القوى الاعظم فى حكم المستحيل ٠

أما المواجهة بين الدول المتوسطة والصغرى ، فلا تتم الا بالاسلحة التقليدية ، وما لديها من هذه الاسلحة مرتبط بعطاء الدول الكبرى ، مهما كان شكل هذا العطاء صفقات أو معونات وهذه بالتالى لا تسمح لها باستخدام المحظور ٠

وهكذا مهما قال السياسيون الامريكيون والسوفييت عن أوجه الخلاف بين الدولتين ، فليس من شك أن هنك تشابه كبير بين القوتين ، فهما لايختلفا كثيرا فى عدد السكان ٠ واذا كان الاتحاد السوفييتى أكبر مساحة فان المساحة المزروعة فيها تكاد تقترب من نظيرتها فى الولايات المتحدة ، كما أن ميزان الموارد/السكان جيد فى كليهما اذا ما قورن بالهند أو الصين أو حتي أوربا الغربية ، كما يأمل قادة السوفييت فى تضيق الفجوة بين مستوى التنمية الاقتصادية لديهم ونظيره فى الولايات المتحدة الامريكية بمقتضى برامج التنمية الاقتصادية ٠

ومهما يكن فى ضمير الغيب ، فالدولتان كبيرتان ومتقدمتان بما فيه الكفاية بحيث يجعلهما القوتان الاعظم Super Power ومن السهل تفسير كثير من الصراعات التى حدثت بعد الحرب العالمية الثانية على أساس المنافسة بين القوتين أو المعسكرين الذين ينتميان اليهما ٠

غير أنه يلاحظ في الفترة الاخيرة تطورا جديدا فى هيكل النظام الدولى المرتكز على القطبية الثنائية Bi Polarit فقد تعرض هذا النظام لشىء من التفكك سواء في الكتلة الغربية أو فى الكتلة الشرقية ، بمعنى أنه ظهرت مراكز جديدة لاتخاذ القرارات الاستراتيجية والسياسية ، بحيث أصبح النظام الدولى متعدد الاقطاب Malti Polar خماسيا (الولايات المتحدة الامريكية ، الاتحاد السوفيتى ، المجموعة الاقتصادية الاوربية ، الصين اليابان) أو سداسيات اذا أضفنا العالم العربي بقوته المالية والنفطية ومن مظاهر هذا التعدد :

* تمرد الصين علي زعامة الاتحاد السوفييتى ٠
* تمرد الصين وفرنسا على احتكار الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى للاسلحة النووية وفلسفة القطبية الثنائية ، وما يترتب على هذا من اختلال فى أوضاع التوازن النووى ٠

* تعاظمت امكانات بعض الدول الداخلة في نظام هـذه التكتلات ، كالجماعة الاقتصادية الاوربية ، فانسحبت فرنسا من حلف الاطلنطي ، وتبنت المانيا الغربية سياسة الانفتاح على الشرق ، ورفض نصب الصواريخ الامريكية فى أراضيها ٠

* في ضوء صعوبة أو تعذر استخدام السلاح النووى ضعفت سيطرت القوتين الاعظم فى السيطرة على الدول التى كانت تدين لها بالتبعية، وتحولت العلاقة الي اسلوب المشاركة بدلا من أسلوب التسلط ٠

* ظهور العالم الثالث كقوة غير منحازة واتساع رقعة الارض المحايدة بين العالمين الشيوعى والرأسمالى ، واتسع دور الادوات الاقتصادية فى العلاقات الدولية كأداة من أدوات التنافس الدولي (النفط) ٠

وللصين فى هذا المجال رأى ، يصح أن نذكره هنا فيما يختص بالوضع الدولى القائم الآن ، فالعالم يضم مناطق ثلاثة رئيسية ، تشكل بدورها عوالم ثلاثة مختلفة ، يضم العالم الاول الدولتين العملاقتين اللتين ترى فيهما الصين دولتين تميلان بطبيعتهما الى التسلط والتدخل المتعمد فى الشئون الداخلية لجميع دول العالم ، والفارق بين العملاقين أن الولايات المتحدة الامريكية هى فى نهاية سلم الجبروت ، على حين أن الاتحاد السوفيتي فى بداية ذلك السلم ٠ ويضم العالم الثانى الدول الصناعية المتقدمة كاليابان ودول غرب أوربا وكندا وهذه تخضع بدرجات متفاوتة لسيطرة أحد العملاقين ٠ ويضم العالم الثالث الدول النامية فى أسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية ، وأهم ما تتم به أوضاع الدول النامية أنهما ما زالت تحارب الاستعمار القديم والحديث والاسلوب الذى تتحرر به وتحقق فيه الثورة الأشتراكية تبتدىء بتحرير الريف خلافا لاسلوب لينين ، فتحرير الريف قبل تحرير المدينة ، ومن ثم لابد من العمل على نجاح الثورة فى العالم الثالث (ريف العالم) ثم الانتقال الى العالم الثانى الذى هو بمثابة مدن العالم ، وهو الطريق الذى يؤدى الي مواجهة دولتى العالم الاول ، وتكتيك الصين بالنسبة للقوى الاعظم هى التحالف مع واحدة للقضاء على الاخرى فاذا ما تم هذا تفرغت للعدو الثانى
(أنظر فاضل زكى محمد ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٤٨ ص ١١٠) ٠

على العموم يمكن القول بأن القوى الاخرى غير الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية قد يكون لها وزنها الاقتصادى أو العسكرى أو التقنى ، لكنها لم تصل بعد الى المرحلة التى يمكن لها أن تتحدى أى تنازع فيها القوتين الاعظم فالقطبية الثنائية ما زالت قائمة ٠

الفصل الأول

الولايات المتحدة الامريكية

نمو الولايات المتحدة الامريكية

يمكن أن نميز أربعة أدوار رئيسية في نمو الولايات المتحدة الامريكية وظهورها كقوة عالمية ، هذه الادوار هي :

أولا : مرحلة تعمير القارة بالمهجرات حتى الحصول على الاستقلال عام ١٧٨٣ .

ثانيا : مرحلة التوسع غربيا حتى الوصول الى الباسفيك ، بين الاستقلال ١٧٨٣ ، والحرب الاهلية (١٨٦١ - ١٨٦٥) .

ثالثا : مرحلة النمو فى الباسفيك وامريكا الوسطى من نهاية الحرب الاهلية ١٨٦٥ ، حتى ١٨٩٨ .

رابعا : منذ اعتداء اليابان على بيرل هاربر ١٩٤١ حتى الوقت الحاضر .

المرحلة الأولى : تعمير القارة حتى الاستقلال :

لم تظهر الولايات المتحدة الامريكية على المسرح العالمى كدولة مستقلة الا منذ ما يزيد قليلا على قرن ونصف ، ومن هذه الناحية ، نجد أن روسيا أكثر منها قدما ، ذلك أن منطقة موسكو أو بلدية موسكو بدأت تظهر كدولة قوية منذ خمسة قرون على الاقل ، ومع ذلك فقد استطاعت الولايات المتحدة الامريكية أن تتفوق على الاتحاد السوفيتى زراعيا وصناعيا منذ عام ١٧٨٣ ، وقاربت سكانه فى ذلك العام ، وكلاهما توسع نحو الباسفيك ، روسيا شرقا من نواتها فى أوربا ، والولايات المتحدة غربا من نواتها الى ساحل المحيط الاطلنطى .

وقد اتجهت السفن من العالم القديم نحو العالم الخارجي ، لتغترف الذهب والفضة ، من المكسيك ، وبيرو ، وصيد الاسماك من نيوفوندلند ، وبدأت بعض عمليات الاستقرار ، كانت معظمها على هيئة حصون ومراكز تجارية وبعثات تبشيرية .

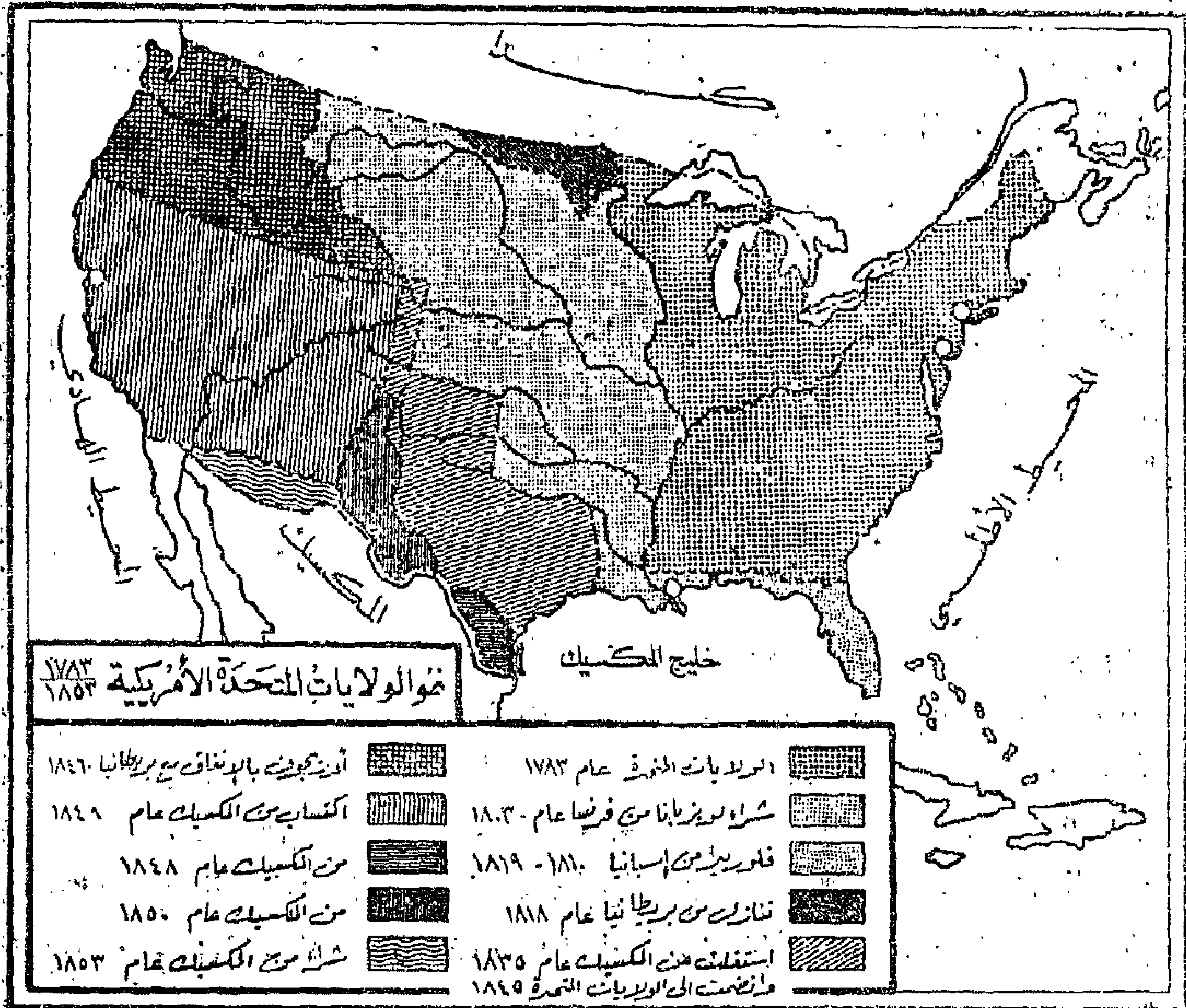
وكان الأسبان هم أنشط الرواد في المراحل الاولى من الكشف ، فقد امتدت مستعمراتهم من فلوريدا الى كاليفورنيا ، بينما استقر بعض الفرنسيين فى كندا على طول سنت لورنس ، وأسسوا مراكز للتجارة وللبعثات التبشيرية حول البحيرات العظمى والمسيسبي ، وبدأوا بتجارة الفراء مع الهنود الحمر ٠

واستقر الهولنديون حول نهر هدسن ، بينما تجمع معظم الفنلنديين والسويديين على طول ديلاوير Delaware ومع ذلك فقد كان أكثر المستعمرين عددا هم الانجليز الذين امتدوا من المستعمرات الفرنسية فى الشمال الى المستعمرات الاسبانية فى الجنوب ٠ وقامت شركة لندن بانشاء أول مستعمرة انجليزية وهي جمستزن Jamestown فى فرجينيا ، غير أن سوء الادارة وانتشار الامراض والمجاعات ومهاجمة الهنود الحمر ، ادى الى خلق المتاعب أمام هؤلاء الرواد حتى أنه لم يبق سوى ١٢٣١ نسمة عام ١٦٢٤ من مجموع السكان الذين أرسلتهم الشركة وعددهم أربع عشر الف نسمة ، لذلك بدأت الحكومة البريطانية التدخل ، وحولتها الى مستعمرة ملكية ٠ وتميزت المستعمرات الانجليزية بنموها السريع على عكس المستعمرات الفرنسية فى الشمال والمستعمرات الاسبانية في الجنوب ، ويرجع هذا النمو السريع الى العاملين معا : الزيادة الطبيعية والهجرة اذ كان متوسط عدد أفراد الاسرة كبيرا فى ذلك الوقت ، فكانت الاسر ذات الثمانى أو العشرة أفراد عادية ، لأن الآباء كان فى امكانهم إعالة الأسر الكبيرة لرخص الأرض ، ولانهم كانوا يبنون مساكنهم بأنفسهم من أخشاب الاشجار ، فضلا عن الاولاد الذين يمكنهم المعاونة في أعمال المنزل والمزرعة مما شجع تلك الأسر على النزول المبكر ٠

وكان كثير من الرواد من الباحثين عن الحرية السياسية والدينية ، فمن هؤلاء الكاثوليك ، والهوجنوت (البروتستانت الفرنسيين) واليهود ، ومنهم من أتى العالم الجديد للتبشير ، ومنهم من اتي باحثا عن حالة اقتصادية أفضل كالإيرلنديين ، وكان منح المهاجر الجديد من ٥٠ الى ١٠٠ فدان من العوامل التى جذبت كثيرا من المزارعين والعمال الفقراء من أوربا ٠ ويضاف الى هذا نحو ٥٠ الفا من نزلاء السجون الانجليزية

فقد بدأت الاحكام تصدر بالنفى الى العالم الجديد حتى تتخلص بريطانيا من نفقات بقائهم فى السجون ، وكان الكثير من هؤلاء محكوم عليه بسبب عقائده السياسية أو الدينية التى أثقلت كاهله وأعداد قليلة بسبب جرائمهم الخطيرة ، وكان هؤلاء المحكوم عليهم اذا ما وصلوا الى العالم الجديد عليهم أن يؤدوا خدمات لأسيادهم لمدة تبلغ نحو السبع سنوات وبعدها يطلق سراحهم ويفك قيدهم ٠

وهكذا وبعد قرن من الاستعمار ، أى فى القرن السابع عشر ، لم يكن متوقعا من المستعمرين الانجليز ـ الذين كانو يعيشون فى الجهات الساحلية بين الاطلنتى من ناحية ، وبين الابلاش من ناحية أخرى لم يكن متوقعا أن يكون هؤلاء نواة لسكان دولة مستقلة تصل الى الباسفيك ، خاصة وأن عددهم اذ ذاك لم يكن يزيد على ٣٠٠ر٠٠٠ نسمة ، ولكن هذه النظرة تغيرت وتبدلت عام ١٧٨٣ ، أى بعد ثلاثة أرباع قرن آخر ، حين استطاعت هذه المستعمرات الانجليزية الحصول على استقلالها من الدولة الأم ، فقد وصل عدد السكان الى مايقرب من الثلاثة ملايين نسمة من أصل أوربى « معظمهم من الزراع » ولم تكن هناك صناعات تذكر ، كما كانت المواصلات على درجة كبيرة من الانحطاط ٠



شكل (رقم ٢٤) نمو الولايات المتحدة الامريكية

المرحلة الثانية : الوصول الي الباسفيك :

ثم كانت الفترة التى بدأ فيها التوسع على أشده وكانت ما بين ١٧٨٣ ، والحرب الاهلية الامريكية (١٨٦١ ـ ١٨٦٥) ٠

فقد تم شراء اقليم لويزيانا من نابليون (فرنسا عام ١٨٠٣ ، وفلوريدا من أسبانيا عام ١٨١٩ ، وبذلك تم للولايات المتحدة السيطرة على ساحل الاطلنطى من الحدود الكندية حتى خليج المكسيك ، أو بمعنى آخر وصلت الولايات المتحدة الي ما يزيد على نصف مساحتها الحالية ، ثم كان التوسع التالي الذى وصلت به الى نهر ريوجراند عام ١٨٤٣ ، الذى وضعها وجها لوجه مع المكسيك ، ونتيجة للحروب ، ثم لعمليات الشراء فقدت المكسيك أكثر من نصف مساحتها ، (اذ كانت في ذلك الوقت مخلخلة السكان) فقدت تكساس أحد ولايات الولايات المتحدة الامريكية الآن ، ثم بعد ذلك اتفقت الولايات المتحدة الامريكية مع بريطانيا علىالحدود الكندية ، وفى عام ١٨٤٦ ضمت أريجون اليها ، ثم عادت المكسيك فتنازلت عن جزء آخر من أراضيها وهو كاليفورنيا العليا Upper Calif عام ١٨٤٨ ٠

وبهذا تكونت الولايات المتحدة بحدودها الحالية منذ أكثر من قرن بقليل ثم اشترت الآسكا من روسيا عام ١٨٦٧ ، وعلى العموم يمكن أن نقول بأن عام ١٨٦٩ هو العام الذى تم فيه تماسك الولايات المتحدة الامريكية الحديثة نظرا لانه تم فى هذا العام الانتهاء من مد أول خط حديدى عبر القارة ٠

وهنا يصح المقارنة بين توسع الاتحاد السوفيتى نحو الشرق ، وتوسع الولايات المتحدة الامريكية نحو الغرب ، فكلاهما بدأ من نواة ، كانت بمثابة مشتل للدولة الجديدة ، وكلاهما توسع في أعقاب هجرات الزراع المستعمرين الذين سبقوا التوسع الرسمى للدولة ، وكلاهما استمر سيرا نحو الباسفيك ، ولم يقف الا عند المحيط ، وان كان الروس قد تعدوا البحر الى الاسكا وغرب أمريكا الشمالية ، وكلاهما عانى صعوبات ومشكلات عديدة في سبيل تكوين الامبراطورية ،

فقد وجدا صعوبات من السكان الاصليين ، وهم العناصر المغولية المختلفة التي تعيش شرق الأورال والهنود الحمر والاسبان والمكسيكيين فى غرب الولايات المتحدة وجنوبها ، وكما أن الحكم القيصرى كان يتبع المستوطنين كان العلم الامريكى يتبع الناس ٠

Where the folk went, the flag should (Ratzel)

واستمرت سياسة العلم الذى يتبع الناس ، حتى منتصف القرن التاسع عشر ، وكان حلم الكثيرين أن يستمر هذا التوسع حتى تشمل الدولة الجديدة كل أمريكا الشمالية ، وخاصة تلك الاجزاء التي لا تفصلها عقبات طبيعية عن أراضى الولايات المتحدة ، فيجب أن يحقق الامريكيون مصيرهم الفزيوغرافى Physiographic Destiny حتي لقد كان البعض يتنبأ أنه ما أن ينتهى القرن التاسع عشر ، حتى تعكس المياه تلاطم شواطيء أمريكا الشمالية ، نجوم الراية الامريكية وأشرطتها ٠

ولم تسهم الولايات المتحدة بنشاط يذكر خلال فترة التوسع هذه خارج القارة ، ففي حربها مع بريطانيا (١٨١٢ ـ ١٨١٥) اقتصرت الحرب على الحدود الكندية الامريكة من ناحية ، وعلى المواقع البحرية في الاطلنطى من ناحية أخرى ، وفى العشر سنين التالية عندما كانت المستعمرات الاسبانية والبرتغالية فى أمريكا اللاتينية تناضل فى سبيل استقلالها ، أظهرت عطفها على هذه الجمهوريات الجديدة ، بغية طرد القوى الاوربية من العالم الجديد باعلان مبدأ مونرو الذى يقوم على أساسين :

١) عدم السماح للدول الاوربية بانشاء مستعمرات جديدة فى الامريكتين ٠

٢) عدم السماح للدول الاوربية بالتدخل فى شئون دول الامريكتين ٠

وقد وقف هذا المبدأ مانعا للقوى الاوربية من استعمار القارة ، أما اهتمامات الولايات المتحدة خارج أمريكا الشمالية فلم تظهر الا بعد

الحرب الاهلية التي انتهت عام ١٨٦٥ ، فقد بدأت بعدها تظهر اهتماماتها الخارجية خاصة فى المحيط الهادى الشمالى ، وفى أمريكا الوسطي ٠

المرحلة الثالثة : النمو في الباسفيك وأمريكا الوسطي :

زاد اهتمام الامريكيين بالشرق الاقصى بعد ثورة الاستقلال ، وذلك حينما بدأ تجار نيو إنجلند التجارة مع الصين ٠ وقد ظلت كانتون لعدة سنوات هى الميناء الوحيد المفتوح للاجانب ، ثم عقدت الصين عام ١٨٤٠ عدة اتفاقيات منحت بمقتضاها عدة موانى أخرى للاجانب وحصلت الولايات المتحدة على حق التجارة في هذه الموانيء عام ١٨٤٤ ، بل دخلت وحصلت على امتياز عدم خضوع الامريكيين الذين يعيشون فى الصين لحكومة الصين ، بل يخضعون للقانون الامريكى ، والموظفين الرسميين الامريكيين ٠

حصل الامريكيون أيضا علي حق دخول الموانيء اليابانية والتجارة معها عام ١٨٤٥ ، ثم زاد الاهتمام بعد الاستيلاء علي هاواى ، وجزر سامو ، وجزيرة ويك Wake والفلبين (١٨٩٨ — ١٨٩٩) بل ان امتلاكها للفلبين جعلها جارة لكل من الصين واليابان ، ووجد رجال الاعمال الامريكيون الفرصة سانحة للتجارة مع هذا العدد الغفير من الشعب الصينى ٠

وبينما كانت الولايات المتحدة الامريكية مشغولة بتسوية حربها مع أسبانيا ، كانت القوى الانجليزية والفرنسية والروسية واليابانية تسعى الى الاستحواذ على مناطق نفوذ لها في الصين ، ووجدت الولايات المتحدة أن الاسواق الصينية ستقفل في وجهها ، فأعلنت سياسة الباب المفتوح لكل الدول فى الصين عام ١٨٩٩ ، وذلك خشية علي مصالحها الاقتصادية ٠



امبراطورية الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا الوسطى وشمالي المحيط الهادي

شكل (رقم ٢٥)

الاسـكا :

وأكبر الولايات البعيدة عن صلب الولايات المتحدة الأمريكية بمساحة تزيد على النصف مليون ميل مربع ، وبسكان بلغوا عام ١٩٦٥ ما يزيد على مبع مليون نسمة وقد اشترتها الولايات المتحدة الامريكية عقب الحرب الاهلية · وكان لاكتشاف ثروتها المعدنية ، فضلا عن أهميتها الاستراتيجية أثره في زيادة عدد سكانها بنحو ثلاث مراتمنذ عام ١٩٣٠ ، ويتجمع السكان في ثلاث أقاليم منفصلة بعضها عن بعض ، فى الجزء الجنوبى منها ، وفى وسط الآسكا حيث يمتد وادى يوكون السهلي والذى ينفتح نحو الغرب أى نحو بحر بزنج ، وفى أقصى الشمال حيث تمتد منطقة سهلية أخرى تنحدر نحو المحيط القطبى ، هـذا ويفصل بين مناطق تجمع السكان هذه المناطق الجبلية ·

ويعتمد اقتصاد ألاسكا على مواردها الثلاثة الشهيرة ، وهي الفراء والاسماك والمعادن ، وتسهم الاسماك وحدها وخاصة السالمون بنحو ٧٠ بالمائة من الدخل القومى · واذا كان الذهب هو أهم معادنها المستخرجة فان تكويناتها تضم احتياطيات كبيرة من الفحم ، واحتمالاتها البترولية كبيرة ، فضلا عن امكانات توليد الكهرباء على سفوح المرتفعات الجنوبية ، غير أن استغلال موارد المياه في هذه المنطقة الجنوبية لابد له من اتفاق مع كندا ، نظرا لان معظم الروافد تأتى منها ، وقد بدأت كندا فعلا في استغلال القوى المائية علي نطاق واسع فى قسمها الغربى ، وهناك ثروة خشبية ، ولكنها لا تقدر على المنافسة فى أسواق الولايات المتحدة بسبب تكاليف النقل المرتفعة ، والتى تجعل من أخشاب كندا ، والولايات المتحدة ، منافسا خطيرا ، وان كانت تجد لها أسواقا جديدة فى اليابان ·

وتملك الحكومة الفيدرالية ٩٩٫٥٨ ٪ من أراضى الآسكا ، والجزء الباقي ترك للملكية الخاصة · وقد اضطرت الحكومة الي هذا حتى لا يساء استخدام موارد الآسكا الطبيعية ·

وتعطى الحكومة حق استغلال المناجم والغابات للسكان نظير ايجار معين ، ومع هـذا فلا زال معظم الآسكا بعيدا عن التنميـة الاقتصادية الكاملة ، ولعل السبب الرئيسى هو عدم وجود التسهيلات المناسبة فى المواصلات ، فلا زالت السفن التى تقلع من سيتل Seatle هى وسـيلة

الربط الرئيسية بين الولايات المتحدة وأكبر ولاياتها الآسكا ، ومع ذلك فقد بدأت الولايات المتحدة في شق طرق كبيرة فيها لاستعمالها للاغراض الحربية ، فضلا عن نشاط النقل الجوى منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وتقترب الآسكا من الاتحاد السوفيتى ، فجزيرة آتو Attu تعتبر النهاية الغربية لجزر الوشيان لا تبعد بأكثر من ٢٠٠ ميل عن جزر كومندورسكى Komandorski السوفيتية ، كما تقع على بعد ٦٠٠ ميل من شبه جزيرة كمتشتكا ، هذا بينما نجد أن بعد الآسكا عن سيبيريا لا يزيد علي ٦٥ ميلا عبر بوغاز برنج .

وفى الحق أن نمو العمليات الحربية فى الآسكا ظاهرة حديثة للغاية ، فالطريق الدائرى بين شمال غربى الولايات المتحدة الامريكية وجزر اليابان يمر بجنوبى الآسكا ، من ثم أقيمت استعدادات دفاعية كثيرة في هذا الاقليم خلال الحرب العالمية الثانية ، وحاول اليابانيون احتلالها عام ١٩٤٣ باحتلال الجزر القريبة منها وشن الغارات عليها ، غير أن انتهاء الحرب مع اليابان عام ١٩٤٥ ، زاد من حدة التوتر فى المنطقة بزيادة قوة الاتحاد السوفيتي ، زادت بالتالى أهمية الآسكا الحربية ، وأقيمت فيها قاعدتان جويتان احداهما بجوار أنكوراج Anchorage والثانية بجوار Fairbanks وتعززها عدة مطارات صغيرة نسبيا ، كما أقيمت فيها شبكات الرادار وشبكة الدفاع الجوى ، وقوة أرضية لحراسة القواعد الجوية . فضلا عن دعم بحرى على طول الساحل . وضمت كالولاية التاسعة والاربعين في يناير ١٩٥٩ .

ولم يكن الامريكيون يقدرون الآسكا حق قدرها ، لم يعرفوا بذهبها ولا غاباتها ولا فحمها ولا أسماكها ، فضلا عن أهميتها الاستراتيجية التى ظهرت أخيرا ، من ثم صادف وليم سيوارد William Seaward الذى كان وزيرا للخارجية فى عهد لينكولن وجونسون معارضة شديدة لفكرة شراء الاسكا وغلاء الثمن (٧٠٢ مليون دولار) رغم أن هذا معناه أقل من ٢ سنت للفدان وهاجمته الصحف ، ومنها صحيفة New York Herald التى نشرت الاعلان التالي :

Cash. Cash Cash - Paid for Castoff territory Best price given for old Colonies, North or South, any Impoverished

monarch retiring from the colonization business, may find a good purchaser by addressing W.H.S. (Seward) , Post office Washimgton N. D. C.

ميدواى وجوام والفلبين وهاواى :

وفى نفس العام استولت أيضا علي جزيرة Midway (في الهادى) ولعل السبب في اهتمام الولايات المتحدة بالمحيط الباسفيكى فى تلك الفترة هو التطور السريع في أهمية ولاياتها الباسفيكية وخاصة كاليفورنيا ، ثم لتطور علاقتها مع شرق آسيا ، اذ أنها استولت على جزر الفلبين بعد حربها مع أسبانيا عام ١٨٩٨ ، وأرغمت أسبانيا على بيعها هذه الجزر مقابل ٢٠ مليون دولار ٠ وكذلك أن تتنازل عن جزيرة جوام ، كما ضمت اليها جزر هاواى فى نفس العام ، وهي مجموعة من الجزر تبعد الفي ميل عن غرب الولايات المتحدة جنوب مدار السرطان مباشرة ، وتتجمع معظم جزرها بل وسكانها فى الثمانى جزر الشرقية ، بحيث لا تظهر جزر ذات شأن في النهاية الغربية لأرخبيل هاواى سوى ميدواى Midway ، وتبلغ مساحة الجزر جميعها نحو ٦٤٢٣ ميلا ، وتعتمد في حياتها على الاقتصاد التجارى وبخاصة زراعة قصب السكر والاناناس ، فضلا عن السياحة ، والقواعد الحربية الممثلة فى بيرل هاربر Pearl Harbour وشوفيلد Schofield ، وقد بلغت قيمة صادراتها وخدماتها مع الولايات المتحدة ٩٥٣ مليون دولار عام ١٩٦٥ ، بينما بلغت وارداتها فى ذلك العام من الولايات المتحدة ٩٢٣ مليون دولار ٠

وقد وجدت هاواى بعض المعارضة في ضمها كولاية الى الدولة الاصلية ، وكان أساس هذه المعارضة هو تركيب سكانها ، علي أساس أن ٣٥ ٪ من سكانها يرجعون لأصول يابانية ، ١٢٪ لأصول فلبينية ، ٦ ٪ لأصول صينية ، ولكن الاهمية الإستراتيجية لهذه الجزر تغلبت على هذه الاعتراضات ، وضمت كالولايات الخمسين فى أغسطس عام ١٩٥٩ وبذلك

أصبحت هى والجزر الاخرى مثل ميدواى وجوام وغيرها ، تؤلف حلقات ربط بين غرب الولايات المتحدة والآسكا ٠

أمريكا اللاتينية :

أما في أمريكا الوسـطى فقد كانت الولايات المتحدة الامريكية قانعة بالوصول الى نهر ريوجراند فى عام ١٨٤٥ ، ولـكن حربها مع أسـبانيا عام ١٨٩٨ أعطاها آخر المستعمرات الاسـبانية في أمريكا اللاتينية وهى كوبا وبورتريكو ٠

وقد ازدادت اهتماماتها بأمريكا الوسطي بصفة خاصـة بعد ١٨٩٨ وعندما قامت ثورة فى الجزء الـكولومبى في ولاية بناما شجعت الولايات المتحدة على هذه الثورة ، ووقعت معاهدة مع هـذه الجمهورية الجديدة ، وبذلك أنهت المفاوضات الطويلة مع جمهورية كلومبيا الخاصة بحفر قنـاة تجرى في أرضها ٠

قنـاة بنمـا :

شقت قناة بنما لتقصير المسافة بين المحيطين الاطلنطى والهـادى ، ولقـد كان شق هذه القناة حلما راود النفوس منـذ أن عبر (بلباو) برزخ بنما عام ١٥١٣ ، واكتشف الباسـيفيك ، وظهر أول اهتمام للولايات المتحدة بهذا الموضوع عام ١٨٤٦ بعد ما ضـمت كليفورنيا ، لانها بهـذا وصلت الى الباسـفيك ، ومن ثم كان لابد من طريق سـهل بين الشرق والغرب ، وعقدت الولايات المتحدة اتفاقية مع جمهورية كلومبيا التى كانت تتبعها بنما حينئذ ، يمنح الولايات المتحـدة طريقا للمرور عبر البرزخ ، وعندما اكتشف الذهب فى كليفورنيا وبدأ التـدفق نحو الغرب ، ظهرت الحاجة الي قناة في هذا البرزخ الضيق ٠



شكل (رقم ٢٦) قنـاة بنما

وظهر اهتمام آخر لبريطانيا فى شـق قناة فى أمريكا الوسطى ، ولـكن الولايات المتحدة لم تكن ترضى بالنفوذ البريطانى في المنطقة ، من ثم عقدت الولايات المتحـدة معاهدة مع بريطانيـا عام ١٨٥٠ ، تشترط بمقتضاها اشراف الدولتين علي أى قناة تقوم بحفرها أى من الدولتـين فى المنطقة ، والا تحصـن وتكون مفتوحة لسـفن جميع الدول ، ولـكن الولايات المتحـدة الامريكية فقدت هـذا الاهتمام بعد مد الخط الحـديدى عبر القـارة ٠

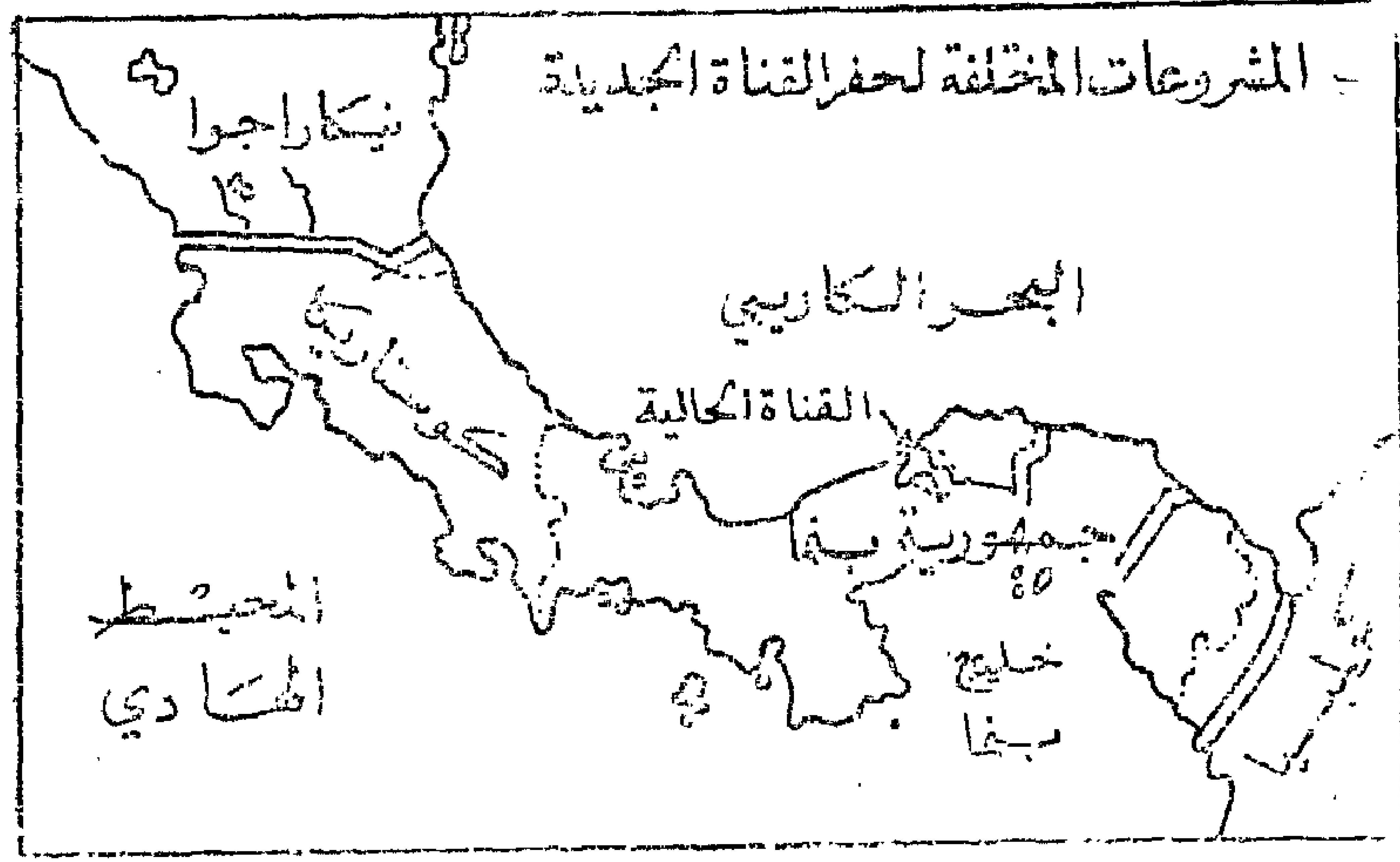
وظهر فرديناند ديلسبس عام ١٨٨٠ على مسرح الاقليم ليبدأ شـق قناة بنما ، وقدر مبلغ ١٧٠ مليون دولار نفقات للمشروع ، ولـكن بعـد صرف مبلغ ١٧٠ مليـون دولار ومضى خمس سـنوات ، لم يكن قد قام سوى بثلث العمـل ، بسبب أمراض المنـاطق الحـارة التى انتشرت بين العمال وفتكت بهم فضـلا عن الصـعوبات الهندسـية مما أدى الي افلاس الشركة وتوقف الحفر ٠

وعاد الاهتمام الامريكي مرة أخرى بالقناة بعد وضع الولايات المتحدة يدها علي الفلبين وهاواى · وظهور فرص للتجارة مع الشرق الاقصى والدفاع عن مصالحها فى المحيط الهادى ، وإلا معنى هذا ضرورة احتفاظ الولايات المتحدة بأسطولين منفصلين أحدهما فى الاطلنطي والآخر فى الباسفيكي وأعيد النظر فى المعاهدة الامريكية البريطانية الخاصة بالقناة ، واعترفت فيها بريطانيا بحق الولايات المتحدة بحفر قناة ، وأن تخضع لإشرافها بشرط حرية مرور جميع السفن فيها ·

وكانت عملية اختيار طريق للقناة من الطرافة بمكان ، ذلك أن الكونجرس الامريكى والمهندسين الامريكيين كانوا في جانب حفر القناة فى نيكاراجوا ، ولكن الشركة الفرنسية التى ألفت كانت تواقة لبيع امتيازها وأدواتها للولايات المتحدة ، فبذلت نشاطا كبيرا لحفر القناة في بنما ، وبذلت جهودا جبارة لمنع مجلس الشيوخ من الموافقة ، وكانت تلوح لهم بأن البراكين فى نيكاراجوا ستقضى علي المشروع ، ولم يحسم الامر الا حدوث بركان في مايو عام ١٩٠٢ فى نيكاراجوا ، مما أدى الى تغيير الاتجاه نحو بنما ، وشراء حق الامتياز والادوات من الشركة الفرنسية بمبلغ ٤٠٠ مليون دولار ·

وعرضت الولايات المتحدة علي كلومبيا مبلغ ١٠ ملايين دولار فضلا عن ربع مليون دولار كل عام نظير قطعة أرض تمتد بعرض ٦ أميال فى بنما ، ولكن حكومة كلومبيا رفضت العرض لانها بعد عام واحد ستؤول اليها حقوق الشركة الفرنسية ، فضلا عن الاربعمائة مليون دولار · وهنا بدأت الولايات المتحدة الامريكية والشركة الفرنسية تلعبان دورا سياسيا كبيرا لفصل بنما عن كلومبيا · وبدأت الشركة الفرنسية تقدم الرشاوى وتكون جيشا صغيرا ، وأرسلت للولايات المتحدة قطع من أسطولها الى بنما لحمايتها ، فأعلنت بنما استقلالها فى ٣ نوفمبر ١٩٠٣ ، وحصلت الولايات المتحدة على ايجار قطعة أرض بعرض عشرة أميال ، بنفس الشروط التى عرضتها سابقا علي كلومبيا بعد ذلك بخمسة عشر يوما فقط ·

وهكذا بدأ العمل عام ١٩٠٤ ، ولم يتم الا بعد عشر سنوات ، حين افتتحت في عام ١٩١٤ أى عند بداية الحرب العالمية الاولى ·



شكل (رقم ٢٧) قناة بنما

ويبلغ طول القناة ٦٠ كيلومترا أى أن طولها أقل من نصف طول قناة السويس ويتراوح عرضها بين ١٠٠ ، ٣٠٠ مترا ، ويستغرق المرور فيها نحو ٨ ساعات ، وان كان وجود الاهوسة فيها يؤدى الى بطء الحركة ، بحيث تضطر بعض السفن الى الانتظار أكثر من ١٥ ساعة حتي يأتى دورها ٠

توتر العلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية :

ويعتبر عام ١٩٥٦ بداية توتر علاقات الولايات المتحدة مع بنما ، وذلك بسبب النصر الذى أحرزته مصر بتأميم قناة السويس ، ودعت بريطانيا الدول البحرية الى مؤتمر لندن (أغسطس ١٩٥٦) لدراسة الآثار المترتبة علي تأميم قناة السويس ، دون دعوة جمهورية بنما لحضور المؤتمر ، وكان رد الولايات المتحدة على احتجاج بنما بأنها تملك حقوق السيادة على قناة بنما ، مما أثار شعب بنما ، وبدأ الضغط الشعبى يتزايد وبدأ التوتر أشده حين قطعت بنما علاقتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة نتيجة لتمزيق الطلبة الامريكيين لعلم بنما علي مدرسة بالبوا الثانوية عام ١٩٦٤ ٠

وبدأت الولايات المتحدة ضغطا أمريكيا ، فحواه أنها اتخذت قرارين :

أولهما : أن تتفاوض الولايات المتحدة مع بنما وغيرها من الدول المعنية ، حول الترتيبات التى تتخذ لحفر قناة في مستوى سطح البحر في أمريكا الوسطى ٠

وثانيهما : أن تقترح الولايات المتحدة على حكومة بنما الدخول فى مفاوضات لعقد معاهدة جديدة بشأن القناة الحالية ، وعينت الدول الجديدة التي ستجرى التفاوض معها وهى كوستاريكا ونيكاراجوا وكولومبيا ، فضلا عن بنما ٠

واستندت الولايات المتحدة فى هذا الى أن قناة بنما الحالية سوف تصبح غير ذات جدوى في المستقبل ، بسبب نظام الاهوسة ، وبطء الملاحة ، وضيق القناة بحيث لن تسمح للسفن الضخمة بالعبور ٠

واقترحت ثلاثة مواضع للقناة الجديدة فى كولومبيا ونيكاراجوا وكوستاريكا وفى بنما ذاتها ، ويعيب المشروع الكولمبى طول المسافة (١٦٤ كيلومترا) ، بينما يعيب مشروع نيكارجوا ـ كوستاميكا أنه يمر في دولتين ٠ وبذلك يفضل مشروع بنما المشروعين الاخيرين ، وتفاوضت الدولتان وصدر اعلان مشترك من الدولتين عام ١٩٦٤ ٠

اتفاقية ديسمبر سنة ١٩٧٧ :

تنهى هذه المعاهدة سيطرة الولايات المتحدة الامريكية على القناة واقليمها (بعرض ١٠ أميال) فى ظهر ديسمبر ١٩٩٩ ، وتمنح حكومة بنما حكومة الولايات المتحدة الامريكية حق تشغيل وتنظيم الملاحة وحمايتها والدفاع عنها حتى التاريخ المذكور ، كما تزداد مشاركة حكومة بنما تدريجيا فى ادارة وتنظيم وحماية القناة ، مع تكوين لجنة مشتركة من كبار ضباط البلدين للتشاور فى مسائل الامن ٠ وتعلن حكومة بنما حرية الملاحة فى القناة وقت الحرب والسلم علي السواء لسفن جميع الدول دون تمييز ، والا تكون أرض نزاع فى أى نزاع مسلح قد يقاوم بين الدول ، كما تضمن حكومة بنما للولايات المتحدة الامريكية حق مرور السفن الحربية ٠

وقد ظلت هذه القناة حيوية من الناحية الاقتصادية والاستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة لأنها تطل علي محيطين ، اذ سهلت الاتصالات

البحرية بين أساطيلها فى المحيط الاطلنطى والهادى ، ولم يكن فى الامكان ذلك من قبل الا بالدوران حول رأس هورن ، وقد حققت أحداث الحرب العالمية الثانية هذا حينما اشتبكت الولايات المتحدة الامريكية فى كفاحين في الحرب العالمية الثانية ، أحدهما فى المحيط الاطلنطي والآخر فى المحيط الهادى ·

ولزيادة تأمين نفسها اشترت جزر فرجين من الدنمارك عام ١٩١٧ وهى جزر صغيرة تشرف على مداخل البحر الكاريبي من الشرق ، وانتهزت فرصة الحرب العالمية الثانية ، وأنشأت قواعد أمريكية فى جزر بهاما ، وجامیكا ، وترينداد ، كما أنشأت قواعد لها في نيوفوندلاند ، وهذه جميعا ممتلكات بريطانية ، ما عدا نيوفوندلاند التابعة لكندا ، وبذلك أحكمت حلقة الدفاع عن ساحل المحيط الاطلنطى ·

غير أن البعض يرى أنه اذا كانت للقناة أهمية تجارية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ، فلم تعد أهميتها حيوية واستراتيجية كما كانت من قبل ، فلم يمر في القناة فى أواخر السبعينات سوى ٥ ٪ من حجم التجارة العالمية ، فضلا عن ١ ٪ من قيمتها ، لذلك يصفها بعض الاقتصاديين بأنها مفيدة وان كانت ليست حيوية Useful but not vital

وتمر بالقناة ٩ ٪ من تجارة الولايات المتحدة الامريكية ، فضلا عن أن التطور التكنولوجي فى بناء السفن العملاقة قلل من أهمية القناة كمعبر ، كما أن الولايات المتحدة الامريكية تحتفظ بأسطول حربى فى كل محيط من المحيطات ، على عكس الحال سابقا عندما كان اسطولها الحربى صغيرا ، وكان يلزم تحركه بسرعة من محيط الى محيط ·

المرحلة الرابعة : الخروج من العزلة :

ولقد ظلت الولايات المتحدة الامريكية لمدة قرن وربع بعد ظهورها كأمة علي هامش المسرح السياسى العالمى ، ذلك أنها كانت تعيش فترة نموها وتكوينها ومد حدودها الى درجة العرض ٤٩ شمالا حتي نهر ميوجراند ، ومن المحيط الاطلنطى الى شقيقه الباسفيكى ، وكانت دولة سعيدة الحظ بما حبتها به الطبيعة من موقع جغرافى بين محيطين عالميين ، قاما بمثابة درعا الامان وحماية الدولة الناشئة ، من اضطرابات العالم القديم ، كذلك أفادت الولايات المتحدة الامريكية شمالا وجنوبا من انشغال جارتيها الناشئتين بمشكلاتهما ·

وكانت سياسة الولايات المتحـــدة الامريكية أي الامن ، تنحصر في نصف الكرة الغربي ، تاركة العالم يغلي في مشكلاته كما يقولون ، فليس من شأن الولايات المتحدة أن تزج بنفسها وسط هـذه المشكلات ، بل لقد عارض كثير من الامريكيين سياسة ضم جزر هاواى شراء الاسـكا وظل الامريكيون يعتبرون أن السياسة الخارجية ليست من شئونهم لمدة طويلة بعد حرب الاستقلال ، ويؤيد الشعب الامريكي في هـذا رجال السياسـة أنفسهم ، والسياسة التي اتبعها البارزون من قادتهم ، فجورج واشـنطن أعلن سياسة الحياد ، وجيفرسون كان يشكر الطبيعة التى أدت الى عزلة البلاد ، والرئيس مونرو كان صـاحب فكرة العـالم الغربي للامريكيين ، وعدم تدخل العالم القديم فى شئون العالم الجديد ، وهكذا تتابع الرؤساء على البلاد محبذين استراتيجية البعد عن العالم القديم • وعندما أعلنت الحـرب العالمية الاولى ، أعلن الرئيس ويلسن حياد الولايات المتحـدة الامريكية فى أغسطس عام ١٩١٤ أى بعد قيام الحرب العالمية الاولى نحو شـهر ، وأن يكون الامريكيون على الحيـاد فى أعمالهم وتفكيرهم حتى لا يقذف بأمريكا فى حرب لا تمسها ، ومع ذلك فكانت عواطف معظم السكان مع الحلفاء ، وخاصة انجلترا وفرنسا ، بل لقد شعر كثير من السكان أن هناك دين على الولايات المتحدة الامريكية لفرنسا لأنها ساعدتها فى حرب الاســتقلال ، فكانوا يدعون فى صلاتهم « رب لا تذكرنا اذا لم نذكر سيف لا فييت المقدس » ولكن المانيا أجبرت الولايات المتحدة علي دخول الحرب بسبب اغراقها السفن الحاملة للامريكيين ، لأن المانيا قررت فى عام ١٩١٧ تشديد الحصار علي بريطانيا لمنع مؤن تصل اليها ، فأعلنت الولايات المتحدة الحـرب وأرسلت قوات أمريكية الى فرنسـا بلغت نحو المليونين وفى الثالث والعشرين من أكتوبر عام ١٩١٧ ، انطلقت أول طلقة مدفع من القوات الامريكية من أحد خنادق نانسى في فرنسا فى الخطوط الالمانية ، وفي هـذه اللحظة يمكن القول بأنها دخلت باب السـياسة العالمية ، ولـكن كما يقولون « غطست أصبع من أصابع قدميها فى الميـاه الباردة ثم جذبته مرة أخرى » •

ولكن بعد انتصار الحلفاء ، وإعادة توازن القوى عادت الولايات المتحدة الامريكية الى سياسة العزلة مرة أخرى حتى أنها لم تشترك فى عضوية عصبة الامم وظلت كذلك طيلة فترة ما بين الحربين (١٩١٨ — ١٩٣٨) •

أدى تهـديد المانيا لميزان القوى مرة أخرى الى تعـديل السـياسة الامريكية ولقـد تحطم ميزان القوى فى ١٩٤٠ بالغزو الالمـانى للدنمرك والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا ، وكان الدور بعد ذلك على بريطانيا ، لولا هتلر ارتكب خطأ محاولة تحطيم روسيا قبل بريطانيا · فأصبح واضحا أن المانيا لو استطاعت غزو بريطانيا واستولت على أسطولها لكان من الجائز والممكن أن توجه ضربة للولايات المتحدة من المحيط الاطلنطى ·

كذلك بدأت الخطورة فى ميـدان المحيط الهـادئ ، ذلك أن اليابان خالفت معاهدات واشطن (عقب الحرب العالمية الاولي) فعززت منشوريا ، وانسـحبت من معاهدةتحـديد السـلاح البحرى عام ١٩٣٤ ، ثم غزت الصين نفسها عام ١٩٣٧ ، ولذلك بدأت الولايات المتحدة الامريكية حربا غير رسمية منذ ١٩٤١ عن طريق مد الصين بالمساعدات لتقف في وجه اليابان ، وذلك خوفا على الفلبين من ناحية ، ولمساندة فرنسا فى الهند الصينية ، وبريطانيا فى الملايو ، وهولندا فى جزر الهند الشرقية ثم دخلت الحرب رسـميا بعد ضرب اليـابان لمينا بيرل هاربز Pearl Harbaur في ٧ ديسمبر سـنة ١٩٤١ .

على أنه من الخطأ الاعتقاد بأنه لم يكن للولايات المتحدة الامريكيـة سياسة خارجية خلال فترة عدم التدخل ، ولكن الاصح القول بأن الامريكيين كانوا يعتبرون بأنه كلما بعدوا عن السياسة الدولية ، كلما كان هذا أفضل ، كما كان السياسيون يعتقدون بأنه لابد من فاصل واضح بين السـياسة الداخلية والسياسة الخارجية ، وكان التحول نحو السياسة الحالية وليد فترة قصيرة للغاية وقبل أن يستعد الامريكيون نفسيا وعقليا اتقبلها · من ثم لم تكن هناك فترة تحضير واستعداد أمام الامريكيين للتدريب على الدور الجديد ، بينما أخـذت بريطانيا نحو قرن من التدريب علي دورها العالمى ، ولم تضطر الظروف الولايات المتحدة لأن تأخذ دورا قياديا في الشئون العالمية فحسب ، بل كان عليها أن تقود منظمات أو أحلاف دولية ·

وبذلك خرجت الي نطاق السياسة العالمية تشارك فيهم بسهم وافر ، بل وبعد أن انتهت هذه الحرب أصبحت الولايات المتحدة مرتبطة بمعاهدات دفاعية لا مع دول أمريكا اللاتينية فحسـب ، بل مع دول عديدة من أوربا وآسـيا وافريقية ·

الولايات المتحدة كقوة سياسية

العلاقات المكانية :

كان لموقع الولايات المتحدة الامريكية فى العالم الجديد أثره فى أن انعزلت عن العالم فترة طويلة ، واتخذت سياسة العزلة السياسية ، والبعد عن مشاكل العالم القديم ، منذ نشأتها كوحدة سياسية ، حتى الى ما بعد الحرب العالمية الاولى كما رأينا ٠

وتشبه الاتحاد السوفيتي في أنها تمتد فى درجات عرضية كبيرة مما يؤدى الى التنوع المناخى ، وان كان الاختلاف واضحا أيضا فى أنها لا تمتد الى الجهات القطبية الا فى طرفها الشمالى الغربى (الاسكا) فهى أكثر امتدادا نحو العروض الدفيئة من الاتحاد السوفيتى (من ٤٩ شمالا حتي ما يقرب من مدار السرطان فى فلوريدا ٠

وكان لهذا الموقع الجغرافي أيضا أثره فى أن أصبحت تطل على محيطين كبيرين ومن ثم كان لابد لها من علاقات مع الغرب أى مع الاصل ، كما لابد ولها مع شرق آسيا ، ذلك أن هذه المحيطات لم تعد حواجز وموانع بقدر ما أصبحت طرق اتصال ونقل ، كذلك أدى موقعها وقوتها السياسية فى هذا الجزء من العالم الى ايجاد علاقات جوار مع دول أمريكا الجنوبية، هذه العلاقات التي درسناها وخرجنا منها أن الولايات المتحدة عينت نفسها حاميا لنصف الكرة الغربى بصفة عامة ٠

كذلك أدى موقعها البعيد هذا فى عصور كشفها الاولي الى أن من عمرها من المهاجرين الاوائل صنفين من الناس ٠ اما مغامرين أشداء من ذوى العزائم القوية التى تدفع أصحابها نحو المخاطرة والذهاب الى المجهول، واما هؤلاء الذين كانوا يبحثون عن أماكن جديدة تمنح حرية العبادة وحرية الرأى ٠ ولذلك كان معظم المهاجرين أول الامر صفوة منتخبة ، لانه كان عليهم أن يقطعوا شقة تبلغ نحو ٣ الاف ميل بين العالمين القديم والجديد ، وكانت الرحلات الى العالم الجديد ، مليئة بالمخاطر أو المغامرات ، ففى أحسن الظروف كانت السفن تقطع الرحلة ما بين جانبي الاطلنطى فيما يتراوح بين ستة وثمانية أسابيع ، أما اذا جرفت الرياح السفينة عن مسارها المعتاد فلربما طالت الرحلة الي ثلاثة شهور ، ولم تكن هناك خطوط منتظمة ، ولاتواريخ معينة لابحار السفن ، كما لم تكن هناك تعريفة للسفر ، أو حتي رعاية صحية للمسافرين ، بل كان كل مسافر يتفق مع ربان

السفينة على أمر الركوب ، وقد يظل فى الميناء هو وأسرته أسابيع ، حتى تستعد السفينة للرحيل عندما تأتى الرياح بما تشتهي السفن ، وكانت وسائل الراحة فى السفن محدودة ، اذ كان الربان يحشر حشرا ، ويعيش فيها طوال الرحلة السليم المعافي بجانب المريض ، وكثيرا ما أوشكت المياه العذبة على النفاذ ، اذا ما طال الطريق بسبب عاصفة هوجاء ، أو بسبب ضعف الرياح ، وكان من الامور المعتادة ، أن يصاب نصف ركاب السفينة بالحصبة ، والجدرى ، والدوسنطاريا •

ولقد كان لموقعها هذا أثره الكبير فى تكوين هذه الدولة في عهد طفولتها ، فلحسن حظها أنها وقعت بين أكبر محيطين فى العالم ، فى وقت صعب فيه وسائل الاتصال وشقت ، فمنح الوليد فرصة أن ينمو ويشتد عوده في عزلة عن قلاقل واضطرابات العالم القديم ، كما كانت هناك لحسن حظها دولتان مناضلتان فى شغل عنها بمشاكلها الداخلية ، ومن ثم كان لها الحرية التامة والفرصة المواتية للنمو •

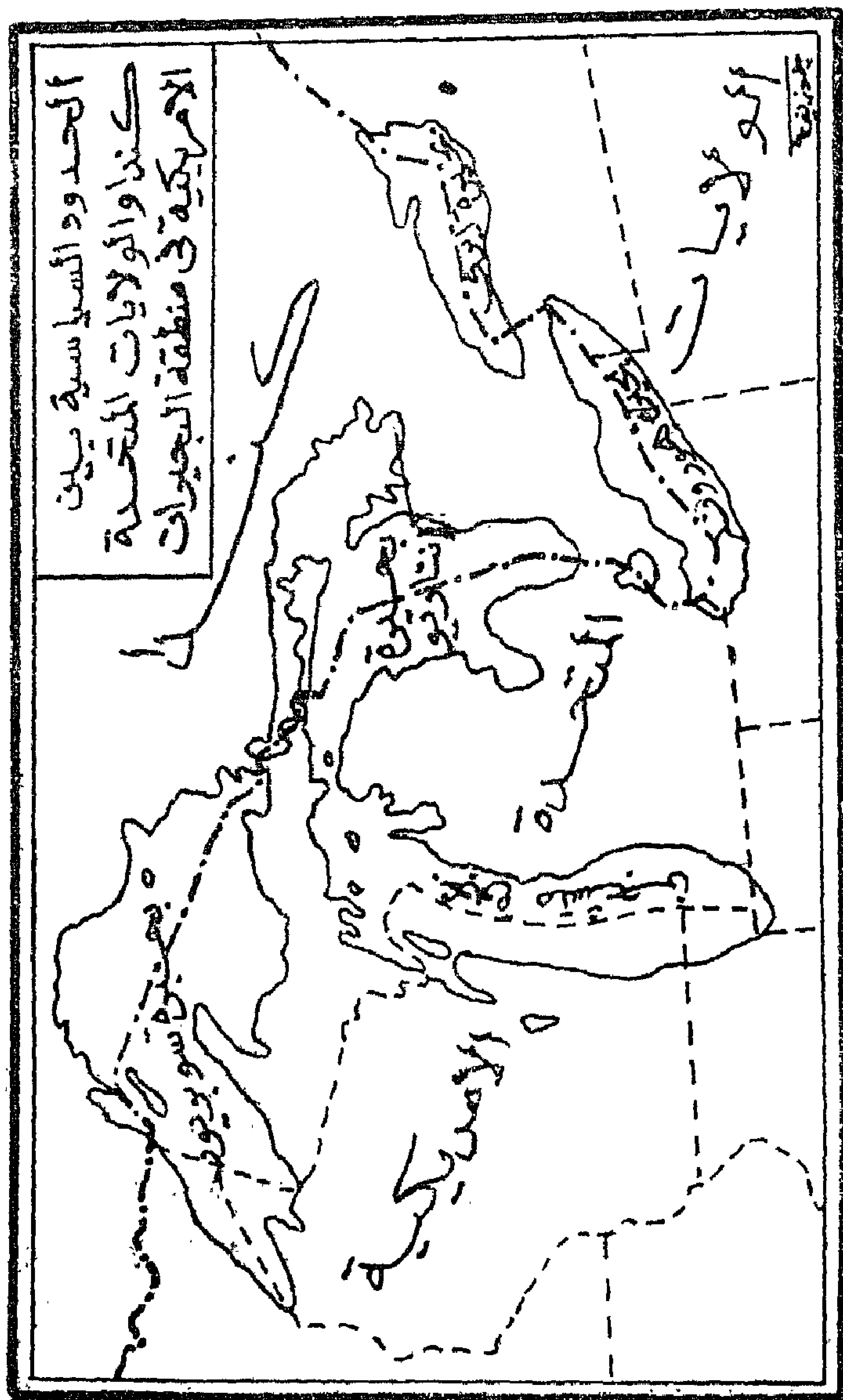
كان لسياسة الصداقة مع جيرانها شمالا وجنوبا ما جعل كل القارة تعيش تحت ظروف من الحرية ، وبعيدا عن الضغط ، كما كانت محظوظة أيضا لان حدودها لا تشترك الا مع دولتين فقط ، علي عكس كثير من دول القارة الاوربية ، وعلى طول الحدود الكندية (٣٩٨٧ ميلا) نجد أهدأ حدود سياسية فى العالم ، وتجد الولايات المتحدة فى كندا عميلا هاما للصناعات الامريكية تشترى منها كندا أكثر مما تشترى من دولة أخرى •

ولا تمثل كندا ولا المكسيك قوى منافسة للقوى الامريكية ، وكذلك الحال في بقية دول العالم الجديد لا متجمعة ولا منفردة ، فتفرد الولايات المتحدة فى نصف الكرة الغربي أمر معترف به فى نصف الكرة الشرقى ، وهذا التفرد وهذه السياسة ناتجة عن حجم الانتاج الزراعى والمعدني والصناعي والنمو الحضارى الذى بلغه السكان ، فكل من كندا والبرازيل في العالم الجديد دولة ذات مساحة كبيرة ، ولكن المناخ في كلاهما وقلة المساحات الصالحة للانتاج الزراعى ، وقلة السكان لم يتح لاى منهما أن تبلغ منزلة الولايات المتحدة الامريكية • أما بقية أمريكا اللاتينية ، فهي مقسمة الى وحدات سياسية أصغر من الولايات المتحدة ، بحيث لا يمكن لهذه الوحدات أن تبلغ قوتها •

الحدود السياسية :

من المعروف أن حدود الولايات المتحدة الامريكية تعتبر من أهدأ الحدود الدولية فى العالم ، ومع ذلك فحدودها لم يتم تسويتها الا بعد ١٧ معاهدة واتفاق بين عامي ١٨٧٢ ، ١٩٢٥ ، حتى وصلت الى ما هي عليه الآن ، وقامت عدة لجان دولية لفض المنازعات الناتجة عن تفسير الاتفاقيات حتى سوى النزاع ، ورغم أن الولايات المتحدة الامريكية لا تجاور سوى دولتين ، فان أطوال حدودها (باستثناء الاسكا) تبلغ ٥٩٠٠ ميل، منها ٤٠٠٠ ميل مع كندا ، والباقى مع المكسيك ، وتتبع نصف الحدود مع كندا المسطحات المائية بما فيها نهر سنت لورنس والبحيرات العظمي وبحيرة وودز وغيرها • ويتجه نحو الشمال الغربى بعد بحيرة سوبريور الى الركن الشمالي الغربى من بحيرة وودز ، ومن هنا نجد أكثر الحدود الشمالية للولايات المتحدة بعدا نحو الشمال ، ومن هنا تتجه نحو الجنوب لمسافة ٢٥ ميلا حتى تقابل خط العرض ٤٩ شمالا ، ثم تتبع الحدود هذا الخط لمسافة ١٣٠٠ ميل حتي تصل الى المحيط الهادى ، وقد سوى النزاع علي الحدود فى ولاية أوريجون بين بريطانيا والولايات المتحدة عام ١٨٤٦ ، بعد أن كانت الولايات المتحدة تطالب باتخاذ خط العرض ٤٠ر٥٤ Fifty Four Forty or Fight أو الحرب كحد بين الممتلكات البريطانية والامريكية من جبال الروكى حتى ساحل الباسفيك ، واتفقا على أن يدفع الحد السياسى خط العرض ٤٩ شمالا في هذه المنطقة • والواقع أن معظم الخلافات التي نشبت كانت نتيجة الخلاف الكبير بين الاتفاقيات النظرية على الخريطة ، وبين التطبيق الفعلى فى الميدان ، وقد أوضح تخطيط الحدود بين كندا والولايات المتحدة كأمثلة عديدة لصعوبات تطبيق الاتفاقيات النظرية القائمة على الجهل الكبير بالارض ، فقد كان من الصعب العثور على المجارى النهرية ، أو خطوط تقسيم المياه أو المرتفعات التى تشير اليها الاتفاقيات •

ويبدأ خط الحدود مع المكسيك من خليج المكسيك متبعا نهر يوجراند لمسافة ١٢١٠ ميل حتى بلدة الباسو El Paso ، ثم يأخذ بعد ذلك أشكال خطوط مستقيمة حتى المحيط الهادى ، باستثناء ٢٦ ميلا يعتبر خلالها نهر الكلورادو ، هو الحد بين الدولتين •



شكل (رقم ٢٨) الحدود السياسية بين الولايات المتحدة الامريكية وكذا في اقليم البحيرات

وتعتبر الحدود مع الدولتين فريدة فى نوعها ، ذلك أنها غير محصنة على الاطلاق من ناحية ، وسهلة العبور من ناحية أخرى • ولا يطلب من العابرين جوازات سفر ، من ثم يعبرها الملايين كل عام سواء كسائحين ، أو زائرين مؤقتين ، وان كانت هناك بعض القيود علي عدد العمال المؤقتين الذين يهاجرون سنويا الي الولايات المتحدة من المكسيك • وتتألف لجنة للحدود من كل من الدولتين على كل جانب لها صلاحيات كاملة فى كل ما يتعلق بالحدود ، كالتفتيش واصلاح علامات الحدود ، والحسم فى أية منازعات خاصة بالحدود ، فضلا عن أنه يدخل فى مهمة اللجنة الامريكية المكسيكية أيضا مشكلات استغلال مياه الانهار ، كما تقوم لجنة مشتركة على الحدود الكندية لحسم أى خلاف حول استغلال المسطحات المائية المشتركة ، كاستغلال شلالات نياجرا ، والملاحة فى سنت لورنس وغيرها •

هذا وقد خلق تقسيم مياه ريوجراند والكلورادو العديد من المشكلات بين الولايات المتحدة والمكسيك ، وتستفيد الولايات المتحدة بنحو ٨٠ ٪ من مياه ريوجراند الخاصة بالرى ، رغم أن أكثر من ٥٠ ٪ من مياه النهر تأتي من روافد مكسيكية وعلى العكس نجد أن كل مياه الكلورادو تأتى من الولايات المتحدة ، ومع ذلك تعتمد المكسيك على هذا النهر فى رى القسم الادنى منه • من ثم تعدل الاتفاقيات الخاصة باستفادة كل فريق من النهر بين الحين والحين •

ولا زالت هناك مشكلتان على الحدود مع المكسيك : منها مشكلة تغيير نهر ريوجراند لمجراه لانه بعد بلدة الباسو يدخل سهلا فيضيا ، فتكثر التواءاته وتغييره لمجراه الاصلى ، بحيث يمكن لمنطقة مكسيكية أن تصبح في الولايات المتحدة والعكس ، من ثم بدأ برنامج مشترك منذ عام ١٩٣٤ للحد من الفيضانات وتقويم المجرى ، واتخذ أعمق جزء من المجرى كحد سياسي بين الدولتين •

والمشكلة الثانية هى مشكلة المتسللين الى الولايات المتحدة والذين يطلق عليهم Wetbacks (نظرا لان كثيرا منهم يحاول التسلل بسباحة نهر ريوجراند) ذلك أن الولايات المتحدة الامريكية تتعاقد كل عام على عدد من العمال الزراعيين مع المكسيك ، ونظرا لارتفاع الاجور في الولايات المتحدة ، فان عمليات التسلل قائمة مهما اشتدت الرقابة على الحدود ، بل ويتم أيضا التهريب والتجارة فى المخدرات ، ونتيجة لهذا يتم تسلل

مئات الآلاف سنويا ، ويتلقفهم أصحاب الاعمال فى ميادين الزراعة والمناجم والبناء ، وكثيرا ما يتغاضون عن الاقامة في سبيل تشغيلهم بأجور زهيدة للغاية ، ويضطرون بدورهم للعمل والمعيشة في ظروف قاسية ، فى أكواخ من الصفيح خارج المدن، أو فى مراب تصليح السيارات، ويبلغ ذو الاصول المكسيكية نحو ١٠٪ من سكان الولايات المتحدة الامريكية ، ويتركزون فى ولايات تكساس ولهم أحياء خاصة بهم فى كثير من مدن الشمال ، كما فى شيكاغو ، ودنفر

مساحة الولايات المتحدة :

تمتد الولايات المتحدة فى مساحة ضخمة تزيد على ثلاثة ملايين من الاميال المربعة ، وبذلك اختلف المناخ فيها اختلافا بينا ، بين الاجزاء المدارية في الجنوب حيث الصيف الحار ، والشتاء الدافىء ، الى الشتاء البارد فى الشمال ، ومن الجهات ذات المطر الذى يهطل طول العام ، الى تلك ذات المطر الصيفى أو الشتوى الى حالات الجفاف التام ٠

وكان لامتداد الولايات المتحدة مطلة على المحيطين الي جانب خليج المكسيك أثره فى أن أصبحت سواحلها الغربية منخفضة الحرارة ، كثيرة الضباب ، بسبب تأثير تيار كاليفورنيا البارد نوعا ، بينما السواحل الشرقية تتعرض لتأثير تيار الخليج الدافىء ، والطريف فى الامر ، أن هذا التيار تكون الولايات المتحدة الشرقية أحوج اليه فى الشتاء عن الصيف ، ولكن الطبيعة تعمل على عكس هذه الرغبة ، ذلك أن الرياح تخرج من القارة في فصل الشتاء فتدفعه بعيدا عن سواحلها ، بينما فى فصل الصيف تأتى الرياح من المحيط ، فتدفعه قرب الساحل فترتفع حرارة السواحل الشرقية وتعظم رطوبتها ، اذا ما كانت شديدة ترتب على هبوبها جعل المناخ فى الصيف حارا رطبا غير محتمل ٠

أما على سواحل خليج المكسيك حيث يجرى تيار الخليج فتعظم الرطوبة ، وهذا يفسر غزارة الامطار هناك ، وكثيرا ما يترتب على دفء مياه خليج المكسيك ورطوبته تكوين منطقة ضغط منخفض نسبيا فوقه ، فتجتذب موجات باردة من شمال ووسط القارة فى فصل الشتاء ٠

وليس من شك أن الامتداد الكبير أدى الي هذا التنوع فى موارد ثروتها الزراعية والمعدنية ٠

واذا كانت الولايات المتحدة الامريكية هى رابع دولة في العالم من حيث المساحة فهى تقرب من خمس الاتحاد السوفيتي ، ولكنها أصغر قليلا من كندا والصين والبرازيل ، ورغم هذا فمن ناحية استخدام الارض نجد أن الولايات المتحدة تتفوق على الاربع دول السالفة ، فمساحة الارض المزروعة تقرب من نظيرتها فى الاتحاد السوفييتى ، ورغم فارق المساحة فضلا عن أن الغابات تغطي ثلث مساحتها ، ورغم صغر هذه المساحة بالنسبة للدول الاربع الاخرى ، فانها تتميز بجودة أخشابها وبسهولة استغلالها ، كما وهبتها الطبيعة ثروة رعوية وثروة معدنية ، كما تمتد جبهاتها البحرية مسافة ٥٠٠٠ ميل ، وكلها ذات موانى طبيعية ، ورغم أن الجبهات البحرية للاتحاد السوفييتي أطول بكثير ، فانها لا تقارن بالجبهات البحرية للولايات المتحدة من حيث سهولة استخدامها ، كذلك تتميز الولايات المتحدة كالاتحاد السوفييتي بظاهرة الدفاع فى العمق ، ان كان هناك عمق فى العصر الذرى ! ٠ ٠ ٠ ٠

أما من ناحية الشكل فهى كتلة واحدة متماسكة ، ومع هذا فقد وقفت الظروف الطبيعية أحيانا أمام تماسك الدولة ووحدتها ، فقد هدد الشمال الغربي الباسفيكى فى وقت ما بالانفصال نظرا لموقعه بعيدا فى أقصى الشمال الغربى في شبه عزلة عن نواة الدولة فى الشرق ، وصعوبة الاتصال البرى والبحرى بها ، فالطريق اليه يتضمن رحلة بحرية طويلة ، الى مضيق بنما ، ثم طريق برى خلال أدغال بنما الموبوءة بالملاريا الى الجانب الآخر ، ثم رحلة بحرية مرة أخرى اليه ٠ وفي الحق لولم تكن هناك شبكة المواصلات الممتازة التى تتمتع بها الولايات المتحدة لاختلفت مصالح السكان ، وثقافتهم بل ولهجاتهم ٠ ولقد ظهرت البواخر النهرية والسكك الحديدية والبرق فى الوقت المناسب لمنع التفكك السياسى ، بل لقد تم تعمير أجزاء كثيرة من الغرب بفضل هذه المواصلات الحديثة ٠ ومدت الدولة شبكة من هذه الطرق المختلفة تعتبر نموذجا للمواصلات التى تربط بين الاقاليم المتباعدة ، وتوجد بين أجزاء الدولة ٠

المظاهر الطبيعية :

تنقسم الولايات المتحدة الى أربعة أقسام رئيسية هى :

١ ـ السهول الساحلية والهضاب المتصلة بها تقع بين الساحل والابلاش ٠٠

٢ ـ جبال الابلاش ٠

٣ ـ السهول الوسطى والهضاب المتصلة بها في الوسط ٠

٤ ـ مجموعة الجبال الغربية والاحواض التى بينها وتشمل جبال روكى ، وسيرانيفادا ، والكاسكيد ٠

كان للسهول الساحلية وورائها جبال الابلاش مباشرة ، أثره في أن الهجرات الاولى ، بدأت في تعميرها للقارة تنتشر فى استطالة من الشمال الى الجنوب على طول هذه السهول ، وكانت الابلاش تمثل التخوم بالنسبة لهذه السواحل ، وبذلك أصبحت هذه المنطقة هى النواة التي ترعرعت وكبرت ، وفي النهاية كونت اتحاد الولايات ، ذلك أن الابلاش كانت حاجزا تضاريسيا عظيما ، يتميز بوعورة السطح ، كما كانت تغطية الغابات ، وبذلك اكتظت نقط الاستيطان والسكنى ، وتقاربت بعضها من بعض وكان لابد من أن تتعاون وتعظم صلات الاتحاد ، ثم حين بدأت الهجرات نحو الداخل نجد أنها اتخذت من المسالك والدروب فى هذه الجبال طرقا لها ، وكثيرا ما كانت تتفق وأودية الانهار ، كما انتفعوا لاقصى حد ممكن بالممرات والفتحات التى تصل بين التضاريس المتباينة من جهة الى أخرى ٠ بل ان الباحث فى التوزيع الجغرافى لطرق المواصلات الحديثة يسترعى نظره أن السكك الحديدية تكاد تتبع نفس الدروب والمسالك القديمة ٠

وكان لعدم تجمد أنهار الولايات المتحدة وصلاحيتها في معظم أجزائها للملاحة أثره فى أنها لعبت دورا هاما كوسائل النقل فى المراحل الاولى من الاستعمار ففى الجهات الساحلية الشرقية ما يقرب من ١٤٨ نهر كثيرا ما تنتهي بمصبات خليجية تتأثر بموجات المد والجزر حتى أن نهر هدسن تؤثر في مجراه الادنى موجة المد والجزر لمسافة ١٥٠ ميلا من مصبه ، وكذلك فتحة Cheasapeake التى تتوغل فى الداخل مخترقة سهول فرجينيا ومارى لاند ٠

ولعب المسيسبى والاوهيو دورا كبيرا في استقرار السكان وتعمير المنطقة الوسطى ، ذلك أنه على طول امتداد مجارى النهرين ، امتدت نقط الاستقرار ، ومن أشهر هذه النقط سنسناتى ، ولويسفيل ٠ واذا كانت السكك الحديدية قد اجتذبت كثيرا من تجارة الولايات المتحدة ، فان الاوهيو

مازال الوسيلة الاساسية للنقل الثقيل الى جانب أن القطن والاخشاب والحبوب والسكر أهم شحنات المسيسيبى ٠

وكان لوجود البحيرات فى الشمال أثره في تسهيل الملاحة ، والنقل ، وتنشيط استغلال الثروة المعدنية ، بين معادن الابلاش من ناحية ، وخاصة الفحم ، وبين مناجم الحديد غرب بحيرة سوبريور من ناحية أخرى ، وخاصة بعد شق القنوات فى مناطق الشلالات كقناة ايرى Erie التى تصل هذه البحيرة بنهر هدسن (لتفادى شلالات نياجرا) كذلك وصل بحيرة متشجن بالمسيسبي ، ووصل الروافد بعضها ببعض ، حتى أنه تم حفر ما يقرب من ٤٦٠٠ ميل من القنوات معظمها في السهول الوسطى ، وساعد على ذلك سهولة السطح ، وان كان أكثر من نصفها معطل عن العمل بسبب منافسة السكك الحديدية ٠

الولايات المتحدة الامريكية دولة قارية بحرية :

الولايات المتحدة الامريكية اذن دولة قارية بحرية ، وليس أدل على بحريتها من أن أسطولها التجارى يأتي فى المرتبة الثانية ، ولا يتفوق عليه سوى الاسطول البريطاني ويتلوه الاسطول النرويجى ، كذلك لها أسطول صيد كبير يعد من أكبر أساطيل الصيد ٠ كما تبلغ طول جبهاتها البحرية ما يقرب من الخمسة آلاف ميل تتبعثر عليها الموانيء المفتوحة طول العام ٠ من ثم تتفوق في هذا المجال على الاتحاد السوفييتي ، أو كندا ذات الجبهات البحرية الاكثر طولا والاقل استعمالا ٠

والولايات المتحدة دولة قارية أيضا ، فموقعها فى وسط أمريكا الشمالية وتغطي بذلك أكثر من ثلث مساحة القارة ، ولعل ما يوضح هذه القارية أيضا أن معظم مجهودات التنمية هى تنمية اليابس ويتضح هذا في الانتاج الزراعى الضخم ، ومد شبكة الخطوط الحديدية البرية ، والقنوات ، واستغلال المناجم ، والغابات ، وتربية ملايين الرؤس من الحيوانات ، فضلا عن تنوع الانتاج الصناعى ، ورغم أن أكبر مدن الولايات المتحدة هى موانى بحرية فهى تقوم بمهمتين معا : كميناء ٠ وفى نفس الوقت كمركز صناعي ٠

وقد أدى اتساع مساحة يابس الولايات المتحدة الى امكان تقسيمها الى أكثر من قسم ، رغم شبكات النقل البرى الواسعة ، وشبكات النقل

الجوى ، والهاتف ، والبرق الذى يربط أنحاء البلاد ، فالجزء الواقع الي الشرق من الروكي يتجه نحو الشرق الى أوربا ، أما الجزء الباسفيكى أى ولايات واشنطن ، وأوريجون ، وكليفورنيا ، فتتجه نحو الغرب والشمال الغربى ، أى الى آسيا ، وهاواى ، والاسكا ، فهؤلاء الذين يعيشون فى الغرب يشعرون بشىء من الانفصام عن المشكلات الاوربية ، وفي نفس الوقت يرتبطون بمشكلات وأحداث المحيط الهادى ، وان كان أهل الشرق أكثر اتساعا فى أفقهم ونظرتهم لوجود العاصمة السياسية لديهم ٠

كذلك نجد أن المناطق الشرقية والباسيفكية يغلب عليها الحضرية ، كما أنها بحرية ، ومن ثم كانت نظرة سكانها دولية عالمية Cosmopolitan وعلي عكس القسم البحرى البحيرى نجد القسم القارى وهو الغرب الاوسط Mid. West أو المزرعة القارية Continentai farm التى تشمل المرتفعات الشرقية والغربية والسهول الداخلية ، فهنا أنصار سياسة العزلة ، وحيث تتغلب المصالح القومية المحلية على المصالح الدولية فى الاهتمام ٠ وهنا أكثر قطاعات الدولة محافظة ، ويمكن أن تضم هؤلاء المحافظين سكان الجنوب فهم ورثة أصحاب مزارع الرقيق ويطلق علي نطاق الغرب الاوسط ، نطاق الانجيل ٠

ويمكن القول بأن اهتمام المواطن الامريكى بالعالم الخارجى قليل بوجه عام ، وقد أجرى بحث خاص بكيفية تلقي الامريكيين للانباء الخارجية ومدى اهتمامهم بها ، ونتيجة هذا البحث هى أن القارىء الذى ينفق فى قراءة صحيفته اليومية ثماني عشرة دقيقة فى اليوم ، يخصص من هذه المدة دقيقتين للانباء الخارجية ، بينما الاهتمام مقصور الى حد كبير جدا علي البيئة المحلية ، أو الولاية التى يعيش فيها ، واذا حللت المادة الصحفية فى صحف الولايات ، وجدت تسعة أعشارها عن الولاية ذاتها من تجارة مشروعات وسياسة وتعليم وزواج ووفيات ٠

سكان الولايات المتحدة :

يمثل سكان الولايات المتحدة مظهرا رئيسيا من مظاهر طاقتها السياسية ، فرغم أن الولايات المتحدة تضم نحو ٦٪ من مساحة اليابس الا أنها تضم ٥٪ من سكان العالم (٢١٨ عام ١٩٧٨) ولا يرجع نمو سكان الولايات المتحدة من نحو ٣ ملايين نسمة عند الاستقلال الي ٢١٨ مليون نسمة فى الوقت الحاضر الى عامل الزيادة الطبيعية وحدها ،

بل الى عامل الهجرة وتعمير الولايات المتحدة من الخارج ، وخاصة من أوروبا ، ويقدر عدد المهاجرين اليها بنحو ٣٣ مليون نسمة فى الفترة من ١٨٦٠ الى ١٩٢٤ ، فقد كانت البلاد فى حاجة الى هذه الهجرات لاستثمار ثرواتها ، غير أن انتشار البطالة عقب الحرب العالمية الاولى ، أدى الى تحديد الدولة للمهاجرين بمقتضى قانون ١٩٢١ بحيث حددت الهجرة (من أوروبا وجهات أخرى بمقدار ٣٪ من عدد كل جنسية حسب احصاء عام ١٩١٠ ٠ وحددت حصص الدول الأسيوية بأعداد معينة ، بينما ترك باب الهجرة مفتوحا أمام دول أمريكا اللاتينية ، وخفضت الحصص مرة أخرى عام ١٩٢٤ من ٣٪ الى ٢٪ ، وظلت هذه النسب الى وقتنا الحاضر ، وبمقتضى هذا القانون الاخير ، لم يدخل الولايات المتحدة الامريكية سوى ٠٠٠ر٣٢١ر١ نسمة بين عامي ١٩٢٤ ، ١٩٤٦ وهذا ما يعادل عدد المهاجرين فى عام واحد قبل الحرب العالمية الاولى ٠ وقد انخفضت الهجرة الآن الى مايقارب من ¼ الى ½ مليون نسمة سنويا ، وان كانت هناك حالات خاصة تسمح فيها بالهجرة فوق الحصص المعتادة ٠ كالمهاجرين من المجر عقب حوادث ١٩٥٦ ، والذين هاجروا من الصين الشيوعية ، والمهاجرين من كوبا عام ١٩٨٠ (كان نصيب القارات المختلفة فى الهجرة الى الولايات المتحدة الامريكية فى العقد السادس من هذا القرن كما يلى : الامريكتان ٥٢٪ ، أوروبا ٣٤٪ ، أسيا ١٣٪ ، افريقية ١٪ استراليا ٥ر٪) :

ويتمتع هؤلاء السكان بأعلى المستويات المعيشية ، ويعتبرون فى مقدمة الشعوب التى تنخفض فيها نسبة الامية ، وقد ظهر من الاتجاهات الاقتصادية العامة لعدة سنوات وأن الولايات المتحدة الامريكية قد بلغت من الرفاهية والوفرة مستوى لم تحلم به دولة صناعية ٠

وكانت الزيادة فى التنمية الاقتصادية أسرع بكثير من زيادة السكان وذلك أن الانتاج الاقتصادى ازداد منذ ١٩٠٠ حتى عام ١٩٦٠ نحو ٢٥ مرة ، بينما تضاعف عدد السكان فقط خلال تلك الفترة ، وفي الوقت الحاضر تنتج الولايات المتحدة وتستهلك نحو ثلث السلع والخدمات العالمية ويقف وراء هذا الانتاج ، العمل الامريكي بفضل استعمال الآلات ، فقد بلغ معدل الزيادة فى الانتاج نحو ٢٦٪ خلال العقد الاخير وقابل هذه الزيادة انخفاض ساعات العمل لدى الفرد ، وقد لا يعادل انتاجية العامل الامريكي فى العالم كله سوى انتاجية العامل الالمانى ٠

الهجرات الى الولايات المتحدة الأمريكية
من الفترة ١٨٣٠ _ ١٩١٠

شكل (رقم ٢٩) الهجرات الى الولايات المتحدة الامريكية

على أننا يجب أن نشير هنا الي مظهرين للسكان لهما علاقة قوية بالجغرافية السياسية للولايات المتحدة الامريكية وهما :

أولا : تدهور العائلة الامريكية ، وهذا يؤدى بدوره الى نقص الزيادة السكانية العامة للبلاد، فقد بلغ معدل المواليد ١٥ فى الالف ومعدل الوفيات ٥ر٨ فى الالف عام ١٩٧٨ ، أى أن الزيادة الطبيعية كانت ٥ر٦ في الالف في العام المذكور .

ثانيا : الزيادة فى متوسط الاعمار ، فاذا كان عدد سكان الدولة قد تضاعف منذ عام ١٩٠٠ ، فان عدد الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ ، ٦٤ عاما قد زادوا بمعدل ثلاث مرات ، بينما عدد الذين بلغوا ٧٥ عاما فما فوق قد زادوا أربع مرات ، ففى عام ١٩٧٦ كان هناك ٢٣ مليون نسمة من الرجال والنساء بلغوا ٦٥ عاما أو تخطوها ، وهذا العدد أصبح يزداد سنويا بمعدل ٤٠٠ ألف نسمة .

وعلى العموم لقد أصبحت الولايات المتحدة تدخل ضمن مجموعة الدول ذات المعدلات القليلة الخصوبة والقليلة الوفيات ، وطبقا لمسح الامم المتحدة من المحتمل أن يزداد انخفاض معدل الزيادة الطبيعية فى الربع الاخير من القرن العشرين عنه خلال النصف الاول من ذلك القرن ، ولعله من المفيد هنا ألا ننسى كيف أن الولايات المتحدة الامريكية قد ازدادت خلال النصف الاول من هذا القرن بنسبة أعلي من أى دولة أخرى ، ولعل المقارنة التالية توضح لنا هذا القول فقد ازدادت الولايات المتحدة الامريكية خلال الخمس عقود الاولي من هذا القرن بنسبة ١٠٠٪ بينما ازداد الاتحاد السوفييتي بنسبة ٩٣٪ والعالم بنسبة ٥٥٪ وآسيا (باستثناء الاتحاد السوفييتى) ٤٩٪ وأوروبا (باستثناء الاتحاد السوفييتى) ٣١٪ ٠

وقد تغير نمط السكان فى الولايات المتحدة من وجوه أخرى : منها انخفاض المواليد الاجانب ، وهذا يعكس انخفاض عدد المهاجرين الى الولايات المتحدة ، والذين أضافوا الكثير الي سكان البلاد فيما مضى ، ولكن عوض قلة الهجرة الخارجية تحسن صحة الامريكيين ، فقد انخفضت وفيات الاطفال (الاقل من عام) من ١٦٢ لكل ألف مولود عام ١٩٠٠ الى ١٤ فى الالف فى الوقت الحاضر ، وارتفع متوسط الاعمار بمقدار ٢٠ عاما منذ أوائل هذا القرن حيث أصبح ٨١ عاما للنساء ، ٦٧ عاما للرجال ٠

وتختلف نسبة الزيادة السكانية فى أنحاء الولايات المتحدة ، وان كان الواضح أنها تميل الي الارتفاع نحو الغرب ، فقد ازداد سكان الساحل الباسفيكي بمعدل ٤٩٪ فى الفترة من ١٩٤٠ الي عام ١٩٦٠ ، بينما ازداد سكان ولايات الروكى بنحو ٣٢٪ والمنطقة الشرقية جنوب نيوانجلندا بنحو ١٩٪ وان كان هذا الاقليم الاخير يعتبر من أكثف أقاليم نصف الكرة الغربى ، وكانت أقل زيادة فى السهول الوسطى ونيوانجلند تتراوح بين ٤٪ فى القسم الشمالى من السهول الوسطى الى ١١٪ من نيوانجلند والقسم الجنوبي من السهول ٠

وكانت هناك هجرة خلال النصف قرن الماضى من الريف الى المدن ، ففي عام ١٩٢٠ كان ٥٠٪ من الشعب الامريكى من سكان الريف ، وانعكست الآية عام ١٩٧٠ حينما سجلت الارقام ٧٩ ٪ من الامريكيين من سكان المدن ، وكان تدفق الهجرات نحو المدن بصورة كبيرة منذ الحرب العالمية الاولى ، وان صاحبها هجرة الى ضواحى المدن مما أدى بالتالي الى بعض تفكيك للصناعة ، ورغم أن أكبر مدن الولايات المتحدة هى موانى

ساحلية أو بحرية (مع قيامها بوظيفة مزدوجة كميناء ومركز صناعى) فان المراكز المدنية متناثرة على طول البلاد ، ففيها عشرة مدن يزيد تعدادها على ٨٠٠ ألف نسمة ، من بوسطن التى تقترب من هذا الرقم الي نيويورك التى يبلغ سكانها نحو ٨ ملايين نسمة ، كما سجل احصاء ١٩٧٥ ، ١٦٠ مركزا حضريا يزيد سكان كل منها على ١٠٠ ألف نسمة ، وهى اما مراكز صناعية أو مراكز تجارية ٠

البناء الاجتماعى لسكان الولايات المتحدة الامريكية :

رأينا أن سكان الولايات المتحدة الامريكية يمثلون خليطا من الجماعات المتعددة ولم يبق من سكانها الاصليين وهم الهنود الحمر سوى ٢٥٠ ألف نسمة ، ومع ذلك فأهم ما يميز الشعب الأمريكي أنه مجتمع مركب أو متعدد الاصول ، ومازالت هذه الصفة هي الغالبة عليه ، ولا يقتصر الامر على كونه يتألف من البيض والسود ، والملونين ، والحساسية والصراع الذى يقوم بين هذه الفئات ، بل يتعداه أيضا الي البيض أنفسهم ، واذا كان لا يظهر هناك صراع بين فئات البيض ، فرغم ذلك فهناك احساس بالعرقية بينهم ، بحيث يمكن القول بأن هناك شعب أمريكي ، مجتمع أمريكى وليس هناك أمة أمريكية ٠

العناصر البيضاء :

تحرك المهاجرون البيض الى الولايات المتحدة الامريكية من أقطار مختلفة يتكلمون لغات مختلفة ، ويعبدون الله بطرق متباينة ، ويتذكرون أوطان عديدة ، رحلوا الى أمريكا لاسباب عديدة ، ولكن المهاجرين اشتركوا في شيء واحد وهو أنهم غرباء فى أرض غريبة ٠

وكانت أسباب هجرة هذه الاعداد الضخمة ، وتركهم مواطنهم الاصلية ، وأسرهم ، متعددة ، فقد هاجر الايرلنديون فى معظمهم بسبب المجاعة الناتجة عن غزارة الامطار وغرق محصول البطاطس في أربعينات القرن التاسع عشر ، ولم يكن سهلا الوصول بالاغاثة لهؤلاء الذين كانوا يتضورون جوعا حتى هلكت أعداد كبيرة منهم ، وهرب بعضهم الى بريطانيا بحثا عن فرصة عمل ، ولكن غالبية الذين فشلوا فى الحصول علي ذلك العمل ، تجمعوا فى الموانى وأبحروا على ظهر المحيط

الاطلنطى الى الارض الجديدة ، وعندما هبطوا في بوسطن ونيويورك ، كان همهم الاول الحصول على أود الحياة ، ووصل بعضهم مريضا مجهدا من الرحلة الطويلة والغذاء غير المناسب ، ومن ثم انتشرت بينهم الامراض ، ولكن بمجرد خروجهم من الحجر الصحي ، كان عليهم اما العمل واما الهلاك ٠

وخرج الايرلنديون للعمل بأجور تكاد تسد الرمق ، ولما كانت بوسطن ونيويورك ليست لديها طاقة لمنح كل هؤلاء فرصا للعمل ، فقد انتشروا في ولاية نيوانجلند ، تعمل الاناث فى الخدمة المنزلية ، ويشترك الرجال والصبية فى جماعات العمل لمد الخطوط الحديدية ، والطرق، وأينما حلوا انخفضت الاجور ، وأثاروا استياء السكان الذين استقروا قبلهم ، ومن ثم أخذ الايرلنديون يتقاربون كجماعة قومية ، فضلا عن أنهم لم يقطعوا أنفسهم تماما عن موطنهم الاصلى ايرلندا ، بل ظلوا يحتفظون معه بصلات ، فمنهم من ترك أخوة وأبناء ، بل وزوجات يتضورون جوعا ، من ثم كان هم المهاجرين الاوائل بمجرد الحصول علي مأكل ومأوى ، ارسال الاعانات لذويهم ، ثم أخذ الشباب والشابات يكررون ما فعله ذووهم بالهجرة الى العالم الجديد ٠

وبينما كان الايرلنديون يستقرون في مدن شرقى الولايات المتحدة ، تدفق المهاجرون الالمان أيضا ، وكان معظمهم من المزارعين فى حوض الراين الذين تلف محصولهم من البطاطس تماما كما حدث لدى الايرلنديين ، ولكن منهم من لم يكونوا على وفاق مع السلطة من المثقفين ومحررى الصحف ٠ وهكذا لم يكن المهاجرون الالمان على نفس درجة عوز الايرلنديين ، بل منهم من كان لديه بعض المال ولو القليل ، والبعض الآخر كان قادرا علي اصطحاب عائلته منذ البداية ، ودفع أجور السفر الى الولايات المتحدة الامريكية ، بل والتحرك فى داخلها نحو الغرب ، بل أن البعض كان قادرا على شراء مزرعة من أول الامر ، أما هؤلاء الذين لم يكونوا من أصل ريفى، فقد اتجهوا الى شيكاغو ، وسنسناتي ، وسان لويس ، والذين كانوا يعملون بالصحافة استقروا في وسط الجماعات الالمانية يحررون الصحف ، وينشرون الكتب باللغة الالمانية ، وأدى هذا الى ظهور المجموعة الالمانية مميزة عن بقية الامريكيين بواسطة الحاجز اللغوى ، وكان هذا حتي بين الذين استوطنوا الريف بسبب كفاءتهم الذاتية ، وكانت الصحف التى تصدر بالالمانية تأتيهم بأخبار جاليتهم فى المهجر ،

فضلا عن الوطن الاصلي ، ويرسلون أطفالهم الى المدارس الالمانية حينما لا تكون المزارع فى حاجة اليهم ٠

وكون الاسكندنافيون الذين وصلوا مانيسوتا وداكوتا فى ستينات وسبعينات القرن التاسع عشر جماعات مشابهة ، فقد تركوا مواطنهم الاصلية لعدم وجود أراضى زراعية كافية علي طول الفيوردات الشديدة الانحدار فى النرويج ، أو الغابات المخروطة فى السويد ، وفنلندا ، ووجد الشباب الذين وصلوا بمفردهم عملا ينتظرهم كحطابين فى ولاية ويسكونسن ، ومنهم من أرسل في طلب زوجته ، ومنهم من تزوج من بنات المهاجرين ، وبينما استقرت بعض العائلات فى الاراضى التى ظهرت من الغابات ، وانتقل البعض الآخر الي السهول العظمى يزرعون القمح ويتحملون تطرف المناخ ، بين البرودة القارسة، والحر اللافح ، والعواصف الترابية ، والجفاف ، والآفات ، والحشرات التي تصيب النباتات ، وأقاموا كنائسهم ، ومدارسهم واحتفظوا بالسنتهم وعاداتهم لاجيال متعاقبة ٠

وظهر الايطاليون بأعداد كبيرة فى تسعينات القرن التاسع عشر في مدن الاقليم الشرقى ، اذ يعمل المزارعون فى جنوب ايطاليا لمدة ستة شهور من العام فقط ، وعندما نافست السفن التجارية السفن الشراعية فى نقل المهاجرين وانخفضت أجور النقل ، وجد الكثير منهم أنه يمكن العمل في العالم الجديد الستة أشهر الاخرى ، فمنهم من اتجه الى البرازيل وأرجنتين ، ولكن منهم أيضا من اتجه الى الولايات المتحدة الامريكية ، وعملوا فى مصانعها ٠ ولكن غالبيتهم استقرت واتخذت من الولايات المتحدة الامريكية موطنا ، بدلا من الذهاب والاياب وأرسلوا فى طلب أهاليهم ٠ وتقوقعت العائلات الايطالية خلف الحاجز اللغوى أيضا ، ولكنهم وجدوا أن معرفة الانجليزية يتيح لهم فرصا أفضل فبدأوا يعملون نهارا ويدرسون ليلا وخاصة الاولاد الذين كانت أمامهم الفرص سانحة للالتحاق بالمدارس ، والذين شاركهم فيها أيضا أبناء البولنديين ، والسلاف والروس ، واليهود في الفترة بين ١٨٩٠ و ١٩١٠ ٠

وكانت هناك هجرات يهودية منذ بداية تعمير القارة معظمها من أسبانيا والبرتغال ، وغيرها من دول غرب أوربا ، ولكن معظم اليهود الذين هربوا من شرقى أوربا بعد تسعينات القرن التاسع عشر كانوا من دول متعددة ولكنهم جميعا احتفظوا بعاداتهم وتقاليدهم بانفسهم

الحماس الذى تحرص فيه العائلة اليهودية على الاحتفاظ بدينها ، مكان الجيتو اليهودى •

ومن الجماعات المنظمة جيدا كان المهاجرون الصينيون ، ولا تضم العائلة في الريف الصينى جميع الاقارب الذين على قيد الحياة ، بل تضم الاسلاف والذين تحولت مدافنهم الى أماكن للعبادة ، ومن ثم كان المتوقع من المهاجرين الصينيين أن يعودوا الى أوطانهم ليدفنوا بجوار أسلافهم ، ولكن بعضا منهم قرر الاستقرار وأرسلوا الى الصين طالبين زوجات لهم ، واحتفظوا بعاداتهم وتقاليدهم •

وكانت الفترة بين ١٨٩٠ ، ١٩١٠ هى فترة التحضير للحرب العالمية الاولى وأحس الكثيرون بازدواجية الولاء ، وعندما أعلنت الولايات المتحدة الامريكية الحرب على المانيا ، بدأ الاتجاه المعادى للالمان يظهر بصورة واضحة ، وكان هذا نذيرا أيضا للجماعات الاخرى المترددة لتبعد الشبهات عن نفسها ، وذلك بتعلم اللغة الانجليزية ، بل أحيانا بتغيير أسمائهم التى تدل على أصلها الى الاسماء الامريكية الشائعة ، وهكذا بدأت تقطع الوشائج بين الاطفال وثقافة الاباء والاجداد •

وتأتى الاسر المهاجرة اليوم الي الولايات المتحدة الامريكية من مختلف أجزاء العالم الجديد ، وخاصة من المكسيك وبورتريكو ، يعيش معظم المكسيكيين فى جنوبى غربى البلاد ويعملون كأجراء ، يتنقلون بين عمل وآخر ، ولا يستقرون فى عمل ما مدة طويلة ، ورغم أن القانون يحرم تشغيل الاطفال ، فان هذه الايدى المكسيكية الصغيرة سريعة فى جمع الفاكهة ، وأجورهم منخفضة ، من ثم يبحث عنهم أصحاب المزارع في موسم الحصاد ، ويكبر هؤلاء الاولاد دون تدريب ، أو تعليم ، ويعتبر البورتريكيون مواطنون أمريكيون بمقتضى الدستور الامريكى لهم جميع الحقوق ويتمتعون بجميع المزايا ، ولكن نظرا لانهم يتكلمون الاسبانية فهم مضطرون للعيش في جماعاتهم الخاصة فى عزلة ، يتكلمون لغتهم ، ويتناولون طعامهم الذى اعتادوه ، ويعملون بأجور منخفضة ، وهم في حياتهم هذه يتكدسون فى

حجرات قليلــة ، بل منهم من يبيت فى المزرعة أو المعمل ، ومنهم من يقضى ليله علي الطريق لعــدم وجود مكان مناســـب ، ومن ثم يرتد عــدد كبير منهم الى وطنه بعــد فترة ٠

والآن بعــد بلوغ الجيل الثامن أو التاســع من المهاجرين يوجد بين هؤلاء جميعا طريقة الحياة الامريكية والطعام الامريكى ، واللباس الامريكى ، ويتكلمون الانجليزية ولــكنك تحس أن أمامك طريقة حياة أمريكية ، ومجتمع أمريكى ، وشــعب أمريكي ليس فى نفســه تلك القيود الداخلية التي تمنعه من الاقول والسلوك على نحو حر طليق ، يعبر عن فردية الفرد الى أقصى حد مســتطاع ، فلا غرابة أن يلبس رئيس جمهوريتهم قميصا مشــجوا ملونا ، ولا غرابة فى أن يضحك الفرد منهم لمــا هو تافه فى نظر المتأزم من الوجهة النفســية ، والذى يلجم نفســــه عن المرح ، حتى تهتز له الارض وما عليها من أثقال ، ولــكنك في نفس الوقت أمام أمم أمريكية ، ما أن تتعرف على شـــخص حتى يذكر لك أنه من أصـــل ايطـــالى أو يونانى أو ايرلندى ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ الخ ٠

الملونون :

وتعتبر مشكلات الملونين من العوامل التى تضعف البناء الاجتماعى والسياسى للولايات المتحــدة ، فهناك ما يقرب من ســتة وعشرون مليون ملون ، معظمهم من الزنوج يمثلون أكثر من ١٠٪ من السكان وتزيد نسبتهم في الولايات الجنوبية علي ١٠٪ فى الباني ، وأركنســاس ، وفلوريدا ، وجورجيا ، وكنتكى ، ولويزيانا ، ومارى لاند ، وميسيســبى ، وكارولينا الشمالية ، وكارولينا الجنوبية ، وتنسى وتكســاس وفرجينيا ، وتصل الى أعلى نسبة لها فى ولاية مسيســبي حيث بلغت ٤٢٪ ٠

ويقصد بكلمة زنجي في الولايات المتحدة تلك العناصر الملونة التى يدخل في تركيبها الدم الزنجى ٠ وكان الدافع الى جلبهم هو الحاجة الى الايدى لاســتثمار موارد البلاد الزراعية المرعوية والمعدنية ، بعد أن ثبت عجز الاوربيين عن تشــغيل الهنود الحمر فيها ، وهــكذا بدأ جلب الرقيق من أفريقيــة للعمل في الولايات المتحــدة ، وخاصــة فى الانتاج الزراعى للولايات المتحدة الجنوبية حيث تنتشر زراعة القطن ٠

وقد وطأت أول مجموعة زنجية هـذه البلاد عام ١٦١٩ حين رسـت مركب هولنـدية في جيستون بولاية فرجينيا ، على أن الظروف السـيئة التى كان يعيشـــها الزنوج فى ولايات الجنـوب رغم تحررهم ، أدت الى نزوح أعداد كبيرة منهم نحو الولايات الشمالية ، وكانت هناك عوامل طرد ، تمثلت فى سوء أحوالهم ، لم تكن هناك مدارس لاطفالهم وأجورهم منخفضة (٥٠ سـنتا فى اليوم فى ولاية الاباما علي حين كانت تبلغ ٤٠ سـنتا للسـاعة فى الشمال) ٠

وتزايدت هجرتهم الى الشمال بوجه خاص فى الربع الاول من القرن العشرين ، فلقد كانت الصناعة فى الشمال تعتمد علي سـيل المهاجرين الدافق من أوربا ، وعندما قامت الحرب انقطع هذا السيل ، وقامت الهجرات الزنجية بمواجهة هـذا النقص وذهب الوكلاء لجمع الزنوج من الجنوب ، وتسهيل وسـائل السفر والانتقال لهم ، ولا ننسى فى هذا المجال أيضـا قوانين تحديد الهجرة التى أعقبت الحرب العالميـة الاولى ، وهكـذا حتى أصبح ٤٠٪ من مجموع الزنوج الامريكيين يعيشون خارج الولايات الجنوبية عام ١٩٦٠ ، بينما كانت هذه النسبة لا تتعدى ١٠٪ عام ١٩٠٠ ٠

وهناك مظهر آخر للتجمع الزنجى وتتمثل في أن هجرتهم كانت الى المـدن أساسـا ، ذلك أنهم لم يكونوا أصـحاب الاراضى في الجنوب ، ونظرا لدخول الميكنة فى الزراعة ، فلم تعد الارض فى حاجة شـديدة اليهم ، من ثم اتجهوا الى المـدن حتى لقد أصبح ثلاثة أرباع زنوج الولايات المتحـدة هم من سـكان المـدن ٠

ولعل أشهر المدن التي انتقلوا اليها هى دترويت ، وواشـنطن وبتسبرج وشـيكاغو وسنت لويس ونيويورك ، حيث يوجد في هذه المدينة أكبر تجمع زنجى فى مدن الولايات ، اذ يتجمعون فى منطقة هارلم وفى القسم الشمالى في حي منهاتن ولا زالت الى الآن تتدفق الهجرات الزنجية من أركنسـاس ولويزيانا الشـمالية وشرقى تكسـاس الى مدن الساحل الغربى ، بل وحتى فى الجنوب نفسه فقد لوحظ هجرة الزنوج من الريف الى المـدينة ، هـذا ويقـدر أن الجنوب قـد فقد نحو مليون ونصـف مليون زنجى في الفترة ١٩٥٠ / ١٩٦٠ ، وبينما كسـبت الولايات المتحدة الشمالية الشرقية ٥٤١ ألف نسمة ، والولايات المتحدة الوسـطى الشمالية ٥٥٨ ألف نسمة والولايات المتحدة الغربية ٣٣٢ ألف نسـمة ٠

واذا كانت الولايات المتحدة الامريكية قد خاضت حربا أهلية ليتمتع الزنوج بكافة حقوقهم المدنية ، والغاء الرق الغاءا تاما ، فان الزنوج لايزالوا يرسفون فى أغلال القيود العنصرية وبصفة خاصة في الجنوب ، وأصبحت المشكلة العنصرية مثار نزاع حكومات الولايات والحكومة الفيدرالية ، وذلك أن حكومات الولايات الجنوبية لا تنفذ فى كثير من الاحيان تعاليم الحكومة الفيدرالية فيما يختص بالمساواة بين عناصر السكان ، فقد أصدرت المحكمة العليا فى مايو عام ١٩٦٤ حكما بعدم الفصل بين الزنوج والبيض في المدارس العامة وأرسلت الحكومة الفدرالية قوتها الى ليتل روك Little Rock بعد ذلك بثلاث سنوات لادخال اثناعشر طالبا زنجيا فى المدارس العامة وأرسلت الحكومة الفيدرالية قوتها الى ليتل روك والباما وجورجيا وكاروليدنا الجنوبية عام ١٩٦١ قرار السماح للزنوج بالتعليم المختلط بينما سمحت ولاية كاروليدنا الشمالية بدخول ١٠٠ طالب للمدارس العامة الى جانب البيض ، وهكذا يبلغ التعصب الجنسى أشده فى الولايات الجنوبية ٠

التباين فى المستوى الاقتصادى بين البيض والسود :

ويعيش الملونون في مستوى منخفض عن زملائهم البيض ، فبينما يبلغ متوسط دخل العائلة البيضاء فى الولايات المتحدة بعامة ١٥٥٤٠ دولار سنويا ، فان هذا الرقم ينخفض للعائلة الملونة الى ٩٢٤٠ دولار ، ١٠ آلاف بالنسبة للملونين من أصل مكسيكى ، ويعمل معظم الملونين كعمال وفى مهن غير فنية ، ويدل على هذا انخفاض دخل الفرد بعامة فى الولايات الجنوبية الشرقية التى تضم نسبة عالية من الملونين ، مما يدل على أن سلالة العبيد بعد مضى أكثر من قرن على الحرب الاهلية الامريكية ، لم تتح أمامها الفرص للتدريب على المهن الفنية ، فهناك وظائف محجوزة للبيض ، وهناك وظائف محجوزة للسود ، وهناك أعمال يشترك فيها الاثنان ويمكن القول بوجه عام بأن وظائف ذوى الياقات البيضاء (باستثناء الكتبة) وذوى المهارة العالية محجوزة للبيض ، بينما يكاد العمل غير الماهر والخدمات تقتصر على السود ، فهم غير ممثلين بالنسبة الكافية في قطاعات الزراعة والتعدين والتجارة والاستثمار ، بينما هم ممثلون بنسبة زائدة في قطاعات الخدمات والحكومة مما يعكس التحيز النسبى حتى في الوظائف، لذلك يشغلون الوظائف الاقل اهمية ، والاقل أجرا ، وفى ميدان الاعمال والتوظيف تجد السود آخر من يقبل على توظيفهم فى وقت الازدهار ، وهم

أول من يطردون من العمل فى وقت الكساد ومن ثم فالبطالة بين السود هى مؤشر لتدهور الاحوال الاقتصادية ، وتظهر الاحصاءات الرسمية هذا سواء في الستينات أو في أوائل السبعينات تدور نسبة البطالة بينهم حول ١٠٪ وهى ضعف النسبة بين البيض ٠ وهذا معناه أنه فى أقصى حالات التفاؤل تقدر نسبة البطالة السنوية بين السود بنحو ١٥٠٫٠٠٠ سنويا ٠

وتكون نساء السود نحو ٤٥٪ من قوة العمل السوداء ، ونحو نصف هؤلاء يمثلن العائل الوحيد للاسرة ، ويحتفظ المجتمع الامريكي للمرأة السوداء ببعض الوظائف ، كالخدمة المنزلية وأعمال التنظيف ، وهذه بدورها أقل الوظائف أجرا ، وبالتالى يكون متوسط نصيب المرأة السوداء نحو ٧٥٪ من نصيب الرجل الاسود ونحو نصف نصيب الرجل الابيض ٠

رد فعل الزنوج :

من ثم قامت الحركات المضادة للعنصرية ، وكان أشهرها تلك التى قادها القس مارتن لوثر كينج ، وكانت استراتيجيته تعتمد علي مقاومة كل مظاهر العنصرية في الحياة الامريكية ، وان كانت قد اتخذت سبيل عدم العنف ، وبدأها بمقاطعة سيارات النقل العام فى منتجمرى بولاية الباما عام ١٩٥٦ ، وظهرت مؤسسات أخرى تتبع نهج مارتن لوثر كينج فى استراتيجية عدم العنف، وكان رد الفعل من جانب قيادات البيض فى الجنوب هو المقاومة وكان منها اغتيال مارتن لوثر كينج عام ١٩٦٨ ٠

ويعبر مارتن لوثر كينج عن حالة الزنجى فى المجتمع الامريكى فى الستينات بقوله : مازال الرجل الاسود يعيش فى قاع المجتمع ، فمازال في القاع رغم القلة الذين استطاعوا أن ينفذوا الي مستويات أعلي ، وحتي اذا ما فتح الباب مواربا بسبب قوة الضغط عليه ، فان حركة الاسود بعد ذلك تظل محدودة ، وفي الغالب الاعم ليس هناك مستوى أدني للبداية وفي نفس الوقت ليس هناك مكان للاسود في القمة ؛

ويهمنا فى هـذا المجال أن نبرز مظهرين من مظاهر استياء الزنوج غير الاحتجاج واستخدام العنف واللاعنف ٠

أولا : *الهجرة العكسية من الولايات المتحدة الامريكية :*

وقد بلغ هذا الاتجاه قمته فى فترتين احداهما بين عامى ١٨٥٠ ، ١٨٦١ فى محاولة لتوطين الزنوج فى الارض الموعودة في أمريكا الجنوبية والوسطى وجزر الهند الغربية ، والثانية بين عامى ١٨٩٠ ، ١٩٢٠ بهدف العودة الى ليبيريا ، وتزعم حركة العودة ماركوس جارفى ، ومازال البعض ينادى بها الآن ، ومن طريف تلك المحاولات ذلك الالتماس الذى تقدم به ثمانون زنجيا من بوسطن الي حاكم ولاية ماساشوستس طالبين تدبير المال اللازم لهم للعودة الي افريقية وشراء أراضى هناك ، وكان ذلك فى يناير عام ١٧٨٧، وكان تبريرهم هو حالتهم السيئة فى أمريكا ، ووعدوا بنشر المسيحية وتحسين العلاقات ، وتنمية تجارة الولايات المتحدة الامريكية مع غرب أفريقية ٠ وقد رفض طلبهم ، ولكن هـذا كان بداية للتفكير فى هجر الولايات المتحدة الامريكية ٠

وكانت قمة الحركة الثانية كنتيجة للفشل فى الوصول الي المساواة والحرية حتى الحرب الاهلية الامريكية ، فرغم ما أجرى من تعديلات القوانين عام ١٨٦٥ من اعطاء حق المواطنة لهؤلاء البشر الذين تحرروا ، ورغم القوانين العديدة التي ظهرت فيما بعد ، سرعان ما ظهرت الفجوة بين القانون والتطبيق ٠ وكما قال ايزنهاور « لا يمكن تغيير القلوب بمجرد تغيير القانون » ٠ ومع ذلك فقد رجعت أعداد بسيطة منهم بلغوا ١٩٧ عام ١٨٩٥ ، وتلاهم ٢٢١ في العام الثانى وسبقهم ٣٨ الى سيراليون ، وخرجت هجرات من الولايات المتحدة وكندا الى هايتى ، ولكنها علي العموم أعداد قليلة ومحدودة ، ووجدت معارضة من بعض قادة الزنوج أنفسهم الذين كانوا يؤكدون بأن وطن الامريكيين السود هو أمريكا ، ومنهم من وصف مغادرة أمريكا بأنه تفكير غير صائب ، وغير ناضج ٠

ثانيا : نادى البعض **بتقسيم الولايات المتحدة الامريكية** ذاتها الي أمتين سوداء ، وبيضاء ، وذلك للشك المتزايد في مستقبل الرجل الاسود فى الولايات المتحدة الامريكية ، ففي نظر مالكوم اكس أحد زعماء الزنوج « كل الوسائل تؤدى الى طريق مسدود » ٠

فقد أعطاهم الدستور والقانون الحرية والمســاواة ومع ذلك ورغم أنهم يمثلون نحو ١٢٪ من السـكان فنصيبهم هو ٥ر٦ ٪ من الدخل القومى ، ولم ينجحوا فى الحصول سوى علي أصوات ٤٪ من أعضاء الـكونجرس وعلى ٦٪ من أعضاء الشـيوخ ، وان كان هناك بعض نجاح في انتخابات عمـد بعض المدن والهيئات المحلية ٠

وفى مخاطبة لمؤتمر القوة الســوداء Black Power عام ١٩٦٧ ، قدم خطة التقسيم كما يراها ، وحدث تصويت عام ١٩٦٨ فى مؤتمر عقد في ديترويت على جمهورية أفريقية الجديدة وتشمل الولايات الخمس الجنوبية المسيسبى وجورجيا وكارولينا الجنوبية ، والباما ، ولويزيانا ،وستصبح دولة تعدادها نحو ٢٢ مليون نسمة ، وتأتى فى المـكان الثالث بين الدول الافريقية الســوداء ، بعد نيجيريا وأثيوبيا ، وفى نظره ان تقسيم الولايات المتحدة الامريكية لن يكون أكثر وحشـية من تقسيم الهند وبطبيعة الحال لن يكون هناك تقسيم فعلى ، ولن يوافق عليه الـكونجرس الامريكى وانما يهمنا فى هذا المجال أن نبين الي أى مدى بلغ الاستياء ٠

وهكــذا عندما يصـبح ١٢٪ من سكان البلاد معزولين عن المجتمع ، لا يمارســون حياتهم الديمقراطية ، فلا تتوقع الولايات المتحــدة أن تنجح دعايتها فى الخارج عن الحرية والديمقراطية والمســاواة ٠

القوة الاقتصادية للولايات المتحدة الامريكية :

وليس من شك أن قوة الولايات المتحدة الامريكية فى الميدان السياسى ترجع الى قوتها الاقتصادية التى جعلتها تتبوأ مركز الزعامة الاقتصادية فى العالم ، واذا كانت الدول الاوربية قد خرجت من الحرب العالمية الثانية مدينة لها ، وفي حاجة الي معوناتها ، فعلى العكس خرجت الولايات المتحدة الامريكية من الحرب العالمية الثانية بسـوق متسع تعدى حدودها السياسية، وزاد انتاجها الزراعى والصناعى ، وتضاعفت قيمة تجارتها الخارجية ، عما كانت عليه قبل تلك الحرب ٠ وارتكزت هذه القوة الاقتصــادية على وفرة موارد البلاد من الانتاج الزراعى والمعدنى والصناعى ٠

الانتاج الزراعى

لقد ظلت الولايات المتحدة الامريكية طوال القرن التاسع عشر ، وهى دولة زراعية من الدرجة الاولى ، ثم أخذ عدد العاملين بالزراعة في النقصان ، فقد كان عدد العاملين بالزراعة والمعتمدين عليها ٣٢ مليون نسمة أو نحو ٢٥٪ من السكان عام ١٩٢٠ ، ثم انخفض العدد الي ٢٢ مليون نسمة عام ١٩٥٤ نحو ١٣½٪ من السكان • وانخفض مرة أخرى عام ١٩٥٠ الي ٨ مليون نسمة يعملون كل الوقت فى الزراعة ، ونحو ٣ مليون يعملون بها موسميا ، أما فى عام ١٩٧٥ فقد قدر الذين يعملون كل الوقت فى الزراعة بنحو ٦ مليون نسمة الى ١٠٪ من مجموع القوى العاملة فى البلاد • على أنه ليس معني هذا انخفاض مماثل فى الانتاج الزراعي بل على العكس ازداد الانتاج مما يدل على ازدياد انتاجية المزارع الامريكى الآن عنها في العقود الماضية •

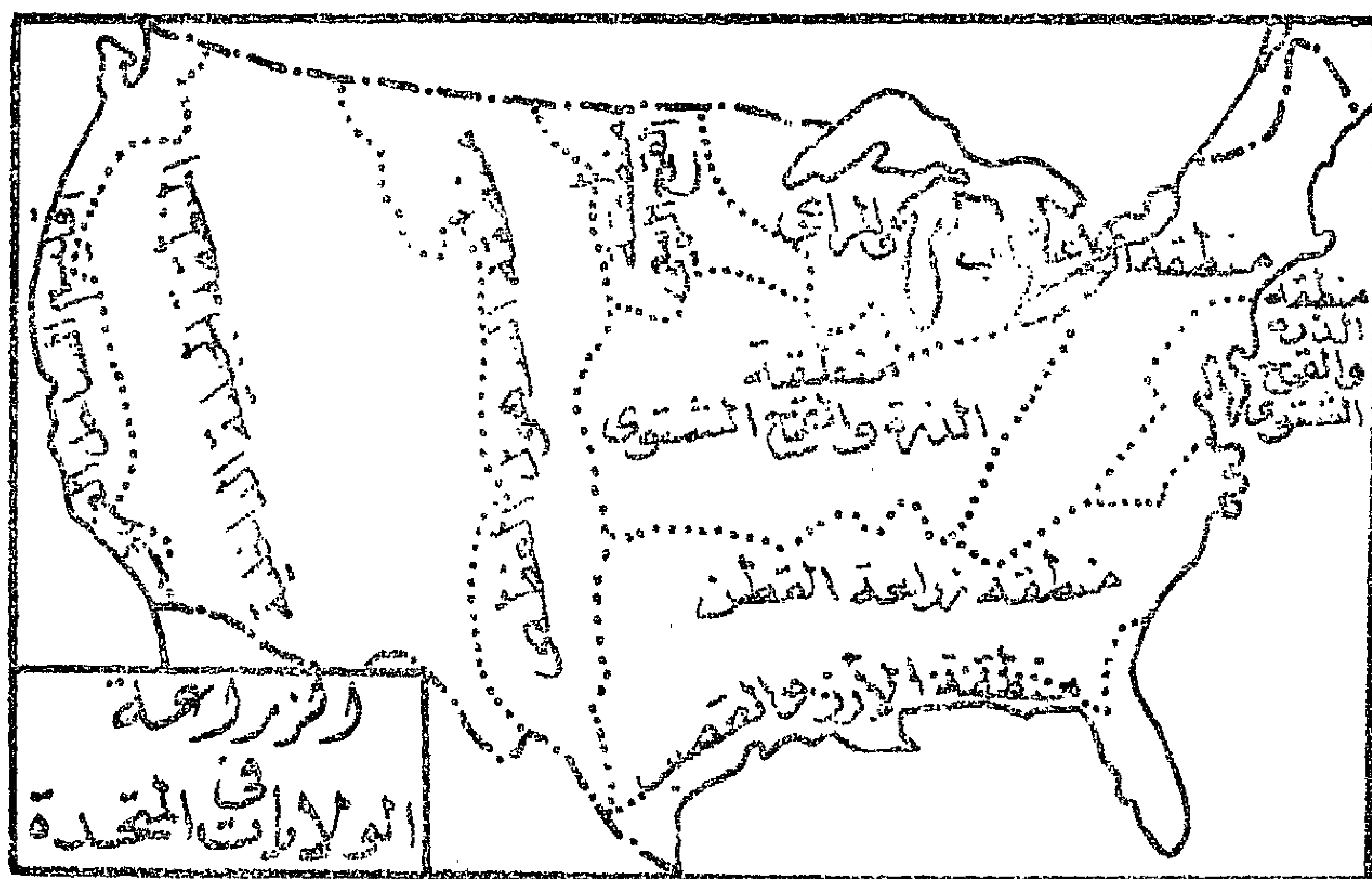
وفى الحق لا ينافس انتاجية مزارع الولايات المتحدة الامريكية الا مزارعى بعض دول قليلة ، كاستراليا ، ونيوزلند ، وكندا ، ويرجع هذا الى تقدم الوسائل الزراعية العلمية •

وتتميز الزراعة فى الولايات المتحدة الامريكية بثلاثة خصائص رئيسية : منها التخصص (باستثناء أقاليم معينة) في انتاج غلة واحدة أو بضع غلات قليلة ، أو فى تربية نوع معين من الحيوان ، فتتخصص المزرعة الكبيرة فى زراعة نوع معين من الحبوب أو في انتاج الالبان ، مما يؤدى بالمزارع الي اكتساب خبرة طويلة مع مرور الزمن فى هذا الفرع من الانتاج ولايحتاج الا لعدد من الآلات • كما تتميز الزراعة الامريكية باستعمال الآلات علي نطاق واسع ، فالجرارات وغيرها من الآلات تستعمل على نطاق واسع نظرا لان معظم المزارع فى أراضى سهلية أو معوجة تموجا خفيفا ، فضلا عن كبر مساحة المزرعة • كما تستخدم المزارع الامريكية الاسمدة الصناعية بكثرة حتى يقدر أنها استهلكت فى عام ١٩٦٢/١٩٦٣ أكثر من ٨ مليون طن من الاسمدة البوتاسية والفوسفاتية والازوتية ، ومن ثم تحتل مركز الصدارة بين دول العالم في استهلاك هذه الاسمدة •

واذا كانت انتاجية الفدان في الولايات المتحدة تتفوق على نظيرتها فى الاتحاد السوفيتى ، الا أنها أقل من نظيرتها فى الدنمارك ، وهولندا والمملكة المتحدة ، حيث تقل مساحة الارض الزراعية ، ومن ثم تمارس فى

الدول الاخيرة الزراعة الكثيفة • وتشغل الاراضى القابلة للزراعة ، وتربية الحيوان ، نحو ثلاثة أخماس مساحة الولايات المتحدة الامريكية ، ولكن ثلث هذه المساحة فقط (٣٠ / من مجموع مساحة البلاد) وهى المزروع فعلا ، هذا بينما تبلغ مساحة الاراضى المغطاة بالغابات أقل من ٣٠ ٪ من المساحة بقليل • ويتركز الانتاج الزراعى شرقي جبال الروكى (فيما خلا بعض الاقاليم المحدودة المساحة كالاجزاء العليا من الابلاش) وتقل مساحة المزرعة فى القسم الشرقى نسبيا عن القسم الغربى ، ذلك أنها تقل فى المتوسط عن ١٦٠ فدانا ، بينما تصل في القسم الغربى الى آلاف الافدنة •

ويمكن اعتبار خط طول ١٠٠ غربا الفاصل بين شرقى الولايات المتحدة وغربها ، وفى هذا القسم الغربى تقوم الزراعة اعتمادا على الرى • وعلي العموم تنتج الولايات المتحدة الامريكية العديد من الغلات الزراعية والصناعية التي تسمح بفائض كبير للخارج ، فيما عدا الغلات المدارية كالبن ، والكاكاو ، والمطاط ، التى تستورد من الخارج ، وبينما يشكو معظم العالم من نقص المواد الغذائية ، ويناضل فى سبيل السعرات الحرارية اللازمة للسكان المتزايدين ، نجد كثيرا من سكان الولايات المتحدة الامريكية يعانون من التخمة •



شكل (رقم ٣٠) النطاقات الزراعية في الولايات المتحدة الامريكية

مكانة الولايات المتحدة
في الانتاج الزراعى العالمي

تحتل الولايات المتحدة الامريكية المكان الثانى (١٤٪ من الانتاج العالمى) بعد الاتحاد السوفيتى فى انتاج القمح ، ولكن أهمية الولايات المتحدة فى التجارة العالمية للقمح تتفوق علي أهميتها كمنتج له ، ذلك أنها أولى دول العالم تصديرا للقمح ، فلها وحدها ما يزيد علي ٤٠ ٪ من الصادرات العالمية ، وبذلك تفوقت علي كندا والاتحاد السوفيتى والارجنتين وأستراليا ، بينما كانت تأتى بعدها قبل الحرب الثانية (فيما عدا الاتحاد السوفيتى) وتستخدم الولايات المتحدة هذا المحصول كسلاح سياسى لفرض ارادتها على الشعوب التى هى في حاجة اليه • ذلك أن الحكومة الامريكية تشترى الفائض من المحصول وتقوم بخزنه فى صوامع الغلال وتستخدمه بعد ذلك فى اعطاء القروض • وتحتل الولايات المتحدة مركز الصدارة في انتاج الذرة العريضة فى العالم ذلك أنها تسهم بنحو نصف الانتاج العالمى (٤٩٪) وحدها ، ويمتد بها نطاق الذرة الرئيسى بين مراعى الغرب والاقليم الصناعي فى الشرق أى فى السهول الوسطي حيث يتداخل مع نطاق القمح ، وتعظم أهمية هذا الاقليم نظرا لانه اقليم تسمين الماشية ، فالذرة على عكس القمح لا تتحمل نفقات النقل الي موانى التصدير وأولى أسواق الاستهلاك • غير أن حاجة الاسواق الخارجية الي الحبوب الغذائية من ناحية ، وتضخم الانتاج الامريكى من ناحية أخرى ، أدى الى احتلال الولايات المتحدة مركز الصدارة في التصدير أيضا حيث أصبحت المسئولة عن ٧٠٪ عام ١٩٧٧ • ويزرع الارز فى النطاق الساحلي لولايتى لويزيانا وتكساس فضلا عن بعض المناطق المحدودة فى غرب الولايات المتحدة اعتمادا على الرى ، ورغم أن الولايات المتحدة لا تسهم بنصيب يذكر في الانتاج العالمي (٥ر١٪) من الارز الا أن انتاجها يكفيها وأصبحت تسهم بما يزيد علي ٢٥ ٪ من الصادرات العالمية للارز • وتحتل الولايات المتحدة المركز الثانى فى انتاج الشعير ، والمركز الاول في انتاج الشوفان ، من ثم يمكن القول بأن الولايات المتحدة تكفي حاجتها من الحبوب الغذائية ، بل ولديها منها فائض •

ويأتى القطن على رأس الغلات الزراعية الصناعية ، ويمتد نطاق القطن فى جنوبي الولايات المتحدة من الاطلنطى الى المسيسبي باستثناء الاقليم الساحلي حيث زراعة الارز وقصب السكر ، وقد ظلت الولايات

المتحدة أولى دول العالم انتاجا للقطن ، وان انخفض نصيبها في الانتاج العالمى عن ذى قبل نتيجة دخول دول جديدة ميدان الانتاج ٠ ويبلغ نصيب الولايات المتحدة الامريكية نحو ٢٢ ٪ من الانتاج العالمى أى قبل الصين وبعد الاتحاد السوفيتي ، ويكفى هذا الانتاج الاستهلاك المحلى ويبقي فائض للتصدير ، يسهم بأقل من ثلث تجارة الصادرات العالمية (٢٩ ٪) هذا ولا تنتج الولايات المتحدة أيا من نباتات الالياف الاخرى كالكتان والقنب ٠ وتأتى الولايات المتحدة فى المركز الخامس انتاجا للصوف (٦٪) وبالتالى لا يكفي انتاجها الصناعات المحلية ، من ثم كانت من الدول المستوردة لهذا الخام ٠ ويزرع فى الولايات المتحدة كلا من قصب السكر والبنجر ٠ كما يزرع قصب السكر فى دلتا المسيسبي ، فضلا عن شبه جزيرة فلوريدا ، وجزر هاواى ، وينقل للتكرير فى سان فرانسيسكو ٠ ولا تحتل الولايات المتحدة مكانة مرموقة فى انتاج قصب السكر (٤ ٪) بينما تسهم بنسبة أكبر من انتاج بنجر السكر (٩ ٪) بحيث تأتى فى المركز الثانى بعد الاتحاد السوفيتي ، ولكنها رغم جمعها لزراعة القصب والبنجر نجدها تأتى فى المركز الخامس فى انتاج السكر ، بينما يأتي الاتحاد السوفييتي فى المركز الثاني ٠ ولا يكفى انتاجها حاجة الاستهلاك المحلى ، من ثم تعتبر على رأس الدول المستوردة للسكر ٠

وتحتل الولايات المتحدة مركز الصدارة فى انتاج الدخان فلها نحو ١٥ ٪ من الانتاج العالمي ، حيث يزرع فى الولايات المتحدة الجنوبية الشرقية ٠ وتشبه الولايات المتحدة الامريكية الاتحاد السوفييتي فى أن كلا منهما غير منتج للمطاط الطبيعى ، وأن كلاهما اتجه نحو المطاط الصناعى ٠ وأصبحت الولايات المتحدة الآن منتجة لنحو ثلثى المطاط الصناعي فى العالم ٠ هذا يغطى نحو ٧٠ ٪ من احتياجاتها ، ومازالت الولايات المتحدة المستورد الاول لهذه المادة الحيوية من جنوب شرقى آسيا وأفريقية ٠

الإنتاج المعدنى

والولايات المتحدة من الدول الفريدة في غناها المعدنى نظرا لكبر مساحتها وتنوع تكويناتها الجيولوجية ، ويرى الخبراء أن الولايات المتحدة قد حالفها الحظ فى هذا المجال أيضا ، ففيها احتياطيات ضخمة من موارد الوقود والمعادن الاساسية ٠ فتأتى فى المكان الثانى بعد الاتحاد

السوفيتي من حيث الاحتياطي العالمي من فحم الإنتراسيت والبيتومين ، كما تحتل المكان الاول فى انتاج هـذين النوعين (٢٠ ٪) وبذلك يقرب انتاجها من انتاج المملكة المتحدة والمانيا الغربية وفرنسا • غير أنه يلاحظ أن انتاج الولايات المتحدة بصفة عامة أخذ فى النقصان فقد كان متوسط الانتاج ٤٠٠ مليون طن للفترة ١٩٣٥/١٩٣٩، وارتفع الانتاج حتى بلغ ٦٠٠ مليون طن سنويا خلال فترة الحرب العالمية الثانية ولكنه هبط بعد ذلك الي نحو ٦٩٠ مليون طن عام ١٩٧٧ • ويتركز هذا الفحم الجيد في القسم الشرقى من البلاد فى جبال الابلاش وخاصة فحم شرقى بنسلفانيا وجنوبى فرجينيا الغربية وبرمنجهام ، وكذلك يتوفر الفحم فى وسط الولايات المتحدة جنوب البحيرات العظمى ، فضلا عن الحقل الغربى الداخلى الذى يمتد من ولاية ايرا جنوبا الى أوكلاهوما • أما حقول الفحم في غربى البلاد فتحتوى علي ثروة فحمية معظمها من اللجنيت أو الفحم الاسمر •

ولعل هذا كان له أثره على صادرات الولايات المتحدة من الفحم • اذ كانت تشترك بأكثر من ثلث الصادرات العالمية قبل الحرب العالمية الثانية ، انخفضت الى أقل من العشر قليلا •

وتغير الموقف الآن ، وأصبح هناك فجوة بين الانتاج والاستهلاك في ميدان الطاقة ، وعملت علي سد فجوة انتاج واستهلاك الطاقة منذ عام ١٩٧٤ • وقد تصاعد هذا الاستيراد لدرجة أن واردات النفط وحدها كانت تمثل ٢٠ ٪ من مجموع الطاقة المستخدمة في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٧٦ ، ٤٢ ٪ من مجموع استهلاكها النفطى ، بل ان الموقف ازداد خطورة عام ١٩٧٧ حين بلغ متوسط الاستيراد اليومى ٨٫٦٧ مليون برميل فى اليوم أو نحو ٤٧ ٪ من احتياجاتها النفطية • وترجع هذه الزيادة في الاستيراد الى زيادة اعتماد الطاقة الكهربائية على النفط فى توليدها ونقص انتاج الغاز الطبيعى محليا وغيرها ، ويقابل النقص في موارد الولايات المتحدة النفطية تصاعد وتزايد استهلاك الطاقة ، فكان التزايد بمعدل أقل من ٣ ٪ سنويا ، فى الخمسينات ارتفع الى ٥٫٢ ٪ سنويا بين عامي ١٩٦٥ و ١٩٧٣ • وقد أثار البعض مشكلة الموارد الجديدة أو الموارد البديلة للطاقة ، كالطاقة الحرارية الشمسية ، أو الطاقة الحرارية الارضية أو الطاقة الذروية • ولكن هذه

جميعـــا لن تـــكون ذات شـــأن فى هـــذا الميـــدان خلال العقـــد القادم على الاقل ، بحيث قدرت وكالة المخابرات المركزية الامريكية ارتفاع معدل الاســتيراد الي ١٢ مليون برميل يوميا عام ١٩٨٥ أى أقل قليـــلا من انتاج كل من السعودية وايران بالـكامل عام ١٩٧٦ ٠

ويذهب البعض الى القول بأن النواحي الاجتماعية والسياســية قد تكون من أكثر المعوقات أثرا فى زيادة مصادر الطاقة واستهلاكها ، فقـد أصبح المجتمع الامريكى بعد الحرب العالمية الثانية مجتمعا نفطيا بامتياز ، عاش بعد هــذه الحرب وتطور على أساس مورد للطاقة رخيص للغاية ، لا ينفد لاعتماده على امتيازات شركاته التي تغطي مناطق انتاج عديدة ، ومنها الخليج ، وبالتالى تشكلت الحياة الامريكية المرفهة ، ممثلة فى مساكن الضواحى البعيدة عن صخب المدن حيث مقر العمل ، وفى سهولة النقــل البرى والجوى عبر مسافات ومساحات شاسـعة ، وفي المصانع المشتتة الموزعة علي أرجاء البـــلاد ، وفى تـكنيك زراعى زاد من اعتماده على الميكنة ، وأخيرا وليس آخرا فى ذلك الزر الـكهربائى الذى اعتاد الامريكي أن يضغط عليه فتلبى كل حاجاته ، ويقف النفط وراء كل هــذه التسهيلات المعيشية والتقدم الاقتصادى ، لان معظم هذه الآلات والاجهزة فى المصانع والمزارع ووسائل النقل صممت علي أساس اســتخدام النفط بطريق مباشر أو غير مباشر ٠ ثم هل اقتصرت الاهمية للنفط علي كونه مادة للوقود ومن ثم كان تعلق العالم الصناعى به ؟ يكفى أن نقول بأن النفط كمادة خام يغطى نحو ٥٠٪ من الاحتياجات الـكيميائية للعالم اليوم ، ومن ثم كانت شـدة الحاجة اليه ٠ وتظهر المشكلة الاولي بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية فى اعتمادها علي مصـــادر للطاقة ، ليس لديها احتياطيات كبيرة منها ، كالنفط والغاز الطبيعي ٠

فمن المعروف أنه بينما يكون النفط والغاز الطبيعى مسئولان عن أكثر من ثلثى الطاقة المنتجة وأكثر من نصـــف الطاقة المستخدمة ، فان احتياطيها معا يقل عن ١٠٪ من احتياطى البلاد من الطـــاقة ، أى احتياطي يقرب من النفاذ ٠

وتظهر المشــكلة الثانية فى أن الاعتماد علي الواردات النفطية يجعل البلاد من وجهة النظر الامريكية عرضة للتقلبات والتطورات التى تحـدث فى الدول المصـــدرة ، أى أنها أصبحت تابعة فى هذا المجال ، وتزداد خطورة الامر بالنسبة لهم الآن أكثر مما مضى لانه حدث تحول كبير فى مصدر النفط المستورد كما هو واضح من الجدول التالى :

مصادر النفط الذى تستورده الولايات المتحدة الامريكية

المصـــدر	١٩٧٣ ٪ من الاســتيراد	١٩٧٦ ٪ من الاســتيراد
العالم الغربى	٦٣٫٩	٣٧٫٩
العالم الشرقى	٣٦٫١	٦٢٫١

هكذا نجد التحول نحو العالم الشرقي ، وهذا فى نظر الساســـة الامريكيين من عدم دواعي الامن ، لان المصدر الرئيسى أبعد عنها وأقرب الى الاتحاد الســوفيتى فبينما كان العالم الغربى النفطى فيما مضى ممثـلا فى فنزويلا ، وكندا ، والبحر الكاريبي ، يقع في مراكز السـيطرة والنفوذ الامريكى ، أخذ الانتاج الفنزويلى بعد أن بلغ قمته ينخفض ، كما أن كندا بدأت تتخذ ســياسة رســمية تقضى بعدم تصدير النفط والغاز الطبيعى الى الولايات المتحدة الامريكية ، ومن ثم انخفض نصيب العالم الجديد أو نصف الكرة الغربى من واردات الولايات المتحدة الامريكية ، بينما زاد نصيب الخليج وشــمال أفريقية الى أكثر من الضــعف •

وتتفوق الولايات المتحدة على الاتحاد السوفيتى فى انتاج كل من الكهرباء الحرارية والكهرباء المائية وفي نفس الوقت تتصــــدر دول العالم جميعا ، فلها نحو ٤٥ ٪ من القوة الحرارية ، ونحو ٢٥٪ من القوة المــائية المستعملة في العالم •

هــذا وقد تقدمت الولايات المتحدة تقدما كبيرا فى اســتغلال الطاقة الذرية ، وان كانت بدأت تحيط أرقام انتاج اليورانيوم والثوريوم بالسرية التامة الا أنه من المعروف أيضا أن رؤوس الاموال الامريكية تستغل يورانيوم زائير وجنوب افريقية •

وقد ظلت الولايات المتحدة أولى دول العالم انتاجا للحديد الخام فترة طويلة الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، غير أن الاتحاد السوفيتى تفوق

عليها وأزاحها الى المكان الثاني (١٠٪) ويأتي معظم هذا الحديد من مناجم مزابي الواقعة غربى بحيرة سوبريور • ونظرا لضخامة انتاجها الصناعى يصبح هذا الانتاج غير كاف بمطالب الاستهلاك ، من ثم تقف الولايات المتحدة على رأس الدول المستوردة للحديد الخام فلها وحدها نحو ربع تجارة الاستيراد • وتتفوق الولايات المتحدة علي الاتحاد السوفيتي فى انتاج مادة النحاس الاستراتيجية ، اذ تنتج نحو ربع الانتاج العالمي أو ضعف انتاج الاتحاد السوفيتى ، وفى نفس الوقت تستغل رؤوس الاموال الامريكية نحاس شيلي وزامبيا وزائير وكندا والمكسيك • أما من حيث المعادن السبائكية فنجدها فقيرة في المنجنيز والنيكل والكروم ولكنها غنية في الكربالت وتستغل رؤوس أموالها فى استخراج كوبالت زائير ، كما أنها غنية بالفناديم والتجنستن •

وتتفوق كذلك على الاتحاد السوفيتى فى انتاج البوكسيت (٢٧٪) واذا أضفنا اليها كندا كان معنى هذا أنها تمتلك أكثر من نصف بوكسيت العالم وهي المادة التى يفتقر اليها الاتحاد السوفيتي •

ورغم أن الولايات المتحدة منتجة لكثير من المعادن فالملاحظ أنها مستوردة لكثير من المعادن أيضا ، وهنا يجب أن نشير الى أن كندا تنتج وتصدر معظم المعادن التى تفتقر اليها الولايات المتحدة ، كالنيكل ، والبلاتين ، والاسبستوس ، والرصاص ، والنحاس ، والزنك فضلا عن تصديرها أخيرا للحديد الخام من لبرادور ، فضلا عن توفر كميات كبيرة من الوقود الذرى فمن النواحي الاقتصادية والاستراتيجية تقع كندا داخل دائرة نفوذ جارتها الكبرى •

الانتاج الصناعى

تقود الولايات المتحدة دول العالم أجمع فى معظم فروع الصناعة ، وكان النمو الصناعى الكبير الذى شاهدته البلاد خلال القرن الماضى نتيجة توافر وتجمع الظروف المشجعة للصناعة سواء بموارد ضخمة من موارد الطاقة خاصة الفحم فى الشمال الشرقى حيث بدأت الثورة الصناعية للولايات المتحدة فضلا عن الحديد والمعادن الاخرى • ويضاف الى هذا تدفق سيل المهاجرين الاوربيين الذين مارسوا الصناعة في بلادهم ، فأصبحوا نواة جيدة للايدى العاملة ، كما كونوا سوقا استهلاكية ضخمة ، ولم تكن هناك

قوانين أو تقاليد صناعية قديمة تحول دون تطور الصناعة فى تلك الدول الناشئة ٠

تزداد أهمية الصناعة في اقتصاديات الولايات المتحدة الامريكية ، فاذا قارنا حالتها عام ١٩٣٩ أى قبل الحرب العالمية الثانية بحالتها عام ١٩٦٥ لوجدنا أن عدد العاملين فى الصناعة فى العام الاخير نحو ١٦ مليون نسمة أى ٣٠ ٪ من القوى العاملة بينما كان عدد العاملين بالصناعة عام ١٩٣٩ نحو ١٠ مليون نسمة أو ما يعادل ٢٤٪ من القوة العاملة فى ذلك الوقت ٠ وفى الحق أن نمو الصناعة الي ما وصلت عليه اليوم هو نتيجة التاريخ الاقتصادى الطويل للولايات المتحدة ، اذ تحولت خلال خمسة أجيال من دولة زراعية رعوية الى دولة صناعية ٠

وتميز الانتاج الصناعى كما هو الحال في الانتاج الزراعى بدرجة عالية من التخصص ، وقد كان هذا ميسرا بفضل الشبكة الضخمة من الطرق الحديدية والقنوات التي غطت معظم الولايات المتحدة منذ نهاية القرن الماضى، وعززته في هذا القرن بشبكة من الطرق وأنابيب البترول والغاز الطبيعى وأسلاك الكهرباء وكانت شبكات النقل هذه من أهم عوامل التقدم الصناعى الامريكى ٠

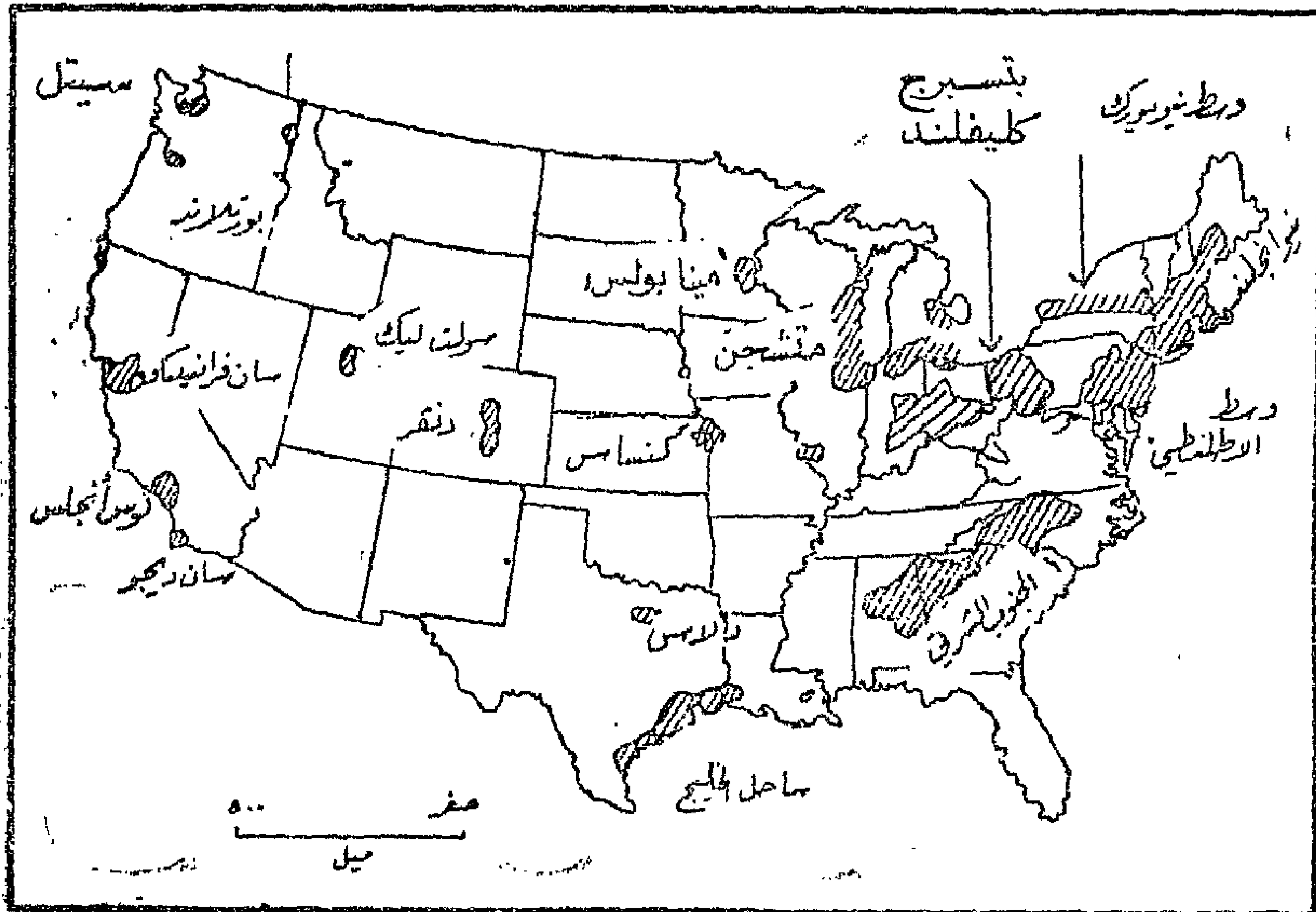
وكان التركيز الكبير لكثير من الطاقات الصناعية فى مؤسسات كبيرة من أهم ما تميزت به الصناعة في العقود الاخيرة فى هذا القرن ، وكان نتيجة هذا تسهيل عملية الانتاج الكبير ، وبالتالى ارتفاع انتاج العامل الصناعى ٠ ومع ذلك فمعظم فروع الصناعة ممثلة فيها ، ولا يمكن أن يقف في مستوى المنافسة معها الاتحاد السوفيتى وغرب أوروبا ، وان كانت بدأت تحس بمنافسة اليابان الشديدةلها ٠

ولقد تركزت نوايات الصناعة الاولى في شمال شرقى الولايات المتحدة أى فى نيوانجلند ، ومن هنك بدأت في الانتشار غربا الى أقليم البحيرات ، وجنوبا بشرق على طول سواحل الاطلنطي والابلاش ، وحتى يومنا هذا مازال جزء كبير من طاقة البلاد الصناعية يتركز فى هذا الاقليم الشمالي الشرقى ٠

وقد بدأ نوع من عدم التركيز أو التفكك ، وبدأت الصناعة تتجه نحو ولايات القطن فى الجنوب ، ونحو مناطق البترول ، والى المراكز المدنية المطلة على الباسفيك ·

المراكز الصناعية في الولايات المتحدة الامريكية

يبدو من خريطة توزيع المراكز الصناعية أن هناك تركيزا للصناعة في القسم الشمالى الشرقى من الولايات المتحدة فهذا الاقليم يضم النطاق الرئيسى للصناعة فاذا مد خط من بلتيمور الى وسط فرجينيا ، ولويس فيل وسانت لويس الى أركنساس ثم شمال الي ميثابولس وسانت بول ثم شرقا خلال وسط وسكنسن ومتشجن ونيويورك ووسط نيوانجلند ، فان هذا الخط يضم بداخله ثلاثة أرباع صناعات الولايات المتحدة تقريبا ·



شكل (رقم ٣١) المراكز الصناعية في الولايات المتحدة الامريكية

وقد نمت عدة مراكز أخرى خارج هذا النطاق الرئيسى ، كما هو الحال في الجنوب وحول خليج المكسيك من ناحية · وفى جنوب شرقى الولايات

المتحــدة من ناحية أخرى • وقامت مراكز أخرى فى الاقاليم الداخلية في غربى البلاد كما فى دنفر ، وسولت ليك سيتى ، وفونيكس ، أما المراكز التي نمت علي الساحل الغربى فتتمثل فى لوس انجلس ، وسان فرانسسكو ، وســـان ديجو ، وبورتلند ، وسياتل ، كما توجد بعض المراكز الصــغيرة المبعثرة هنا وهناك •

مشــكلة الوفرة والحرمان :

تواجه الولايات المتحدة مشكلة الفجوة الواســعة بين مستوى المعيشة والانتاج فيهــا ، وبين نظيرهما فى بقية أنحاء العالم ، فلا يمكن للولايات المتحدة أن تقوم بتجارة متوازية مع أى جزء فى العالم باســتثناء كنـدا وأســتراليا وغرب أوربا ، بينما نجـد أن أقطار العالم الاخرى فى حاجة الى فائضها من المواد الغذائية والخامات والآلات والمصنوعات • ولا يمكن للــكثير من هذه الدول أن تعطى الولايات المتحدة ما يقابل هذه الاحتياجات ففى الخمسينات قبلا كانت صــادرات الولايات المتحدة تزيد على وارداتها بنحو ٥٠ ٪ ، وبطبيعة الحال يتم هــذا التوازن عن طريق الواردات غير المنظورة التي تتمثل فى ما يصرفه الســائحون الامريكيون والمســـاعدات الحربية فى الخارج ، ومادام مســتوى المعيشة أخذ فى الارتفاع ، وكذلك الحال فى تكاليف الانتاج فعليهما أن تتخلص منه أو تبيعه بأســعار رخيصة ما لا تستطيع أن تبيعه بالاســـعار الجارية في الاســواق ، فعلى ســبيل المثال أصــبح من الصعب بيع قطن الولايات المتحدة نظرا لان هناك أقطار تنتجه بتكاليف أقل بكثير من تكاليفه في الولايات المتحدة ، من ثم أصــبح هناك فائض لدى الولايات المتحدة من هــذه السلعة فى الســنين الاخيرة ، رغم القيــود التى وضــعت على المســـاحات المــزروعة قطنــا • وحتى البيع بأسعار مخفضة أو التخلص منه بشكل ما سوف يؤدى الي ارباك للتجارة الدولية فى مثل هذه السلع كما أدى التوسع فى استغلال رؤوس الاموال جهات أخرى من العالم أدى الي زيادة فى تدهور الموقف الاقتصادى لهذه الدول الفقيرة ، ذلك أن الشركات الامريكية تقوم بعمليات احتكارية واسعة تنظم فيها انتاج الخامات وتصديرها الي الولايات المتحدة والدول الصناعية الاخرى ، فلا تتعدى استفادة الوطن الاصلى منها سوى

بعض الضرائب المحدودة وتشغيل لبعض الايدى العاملة الرخيصة من ثم لا يرتفع فيها مستوى المعيشة وتظل على حالها متخلفة ، وتتسع الفجوة بينها وبين الولايات المتحدة وعلى سبيل المثال مدت الولايات المتحدة بين عامي ١٩٤٦ الى ١٩٦٢ بما قيمته ٩٨ بليون دولار من السلع والقروض ، كثيرا من الدول الاجنبية لاعادة بناء اقتصادها ، واستعادة قواها ، لمواجهة أى هجوم محتمل ، وهذا الرقم الذى ذكرناه يمثل جزء من برنامج مستمر للمساعدات الخارجية ٠

ومن الدول التى وصلتها المساعدات الامريكية نجد يوغسلافيا ذات النظام الشيوعي ، وأسبانيا ذات النظام الفاشستى ، وبريطانيا وفرنسا القوى الاستعمارية السابقة ٠ فضلا عن بعض دول أمريكا اللاتينية التي تحكمها الدكتاتوريات ٠ كل هذا لمنع انتشار النفوذ الشيوعى ٠ وقد اتخذت المساعدات الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية ثلاثة أشكال استغلال رؤوس الاموال ، والتجارة المتزايدة ، وتوزيع القروض والهبات ٠

وحصلت كندا ودول أمريكا اللاتينية علي نحو ½ رؤوس الاموال المستغلة فى الخارج ، كذلك نجد أن أكثر من خمس تجارة الولايات المتحدة مع كندا ، وان كانت هذه تمثل ثلثى تجارة كندا الخارجية ، وربع التجارة مع دول أمريكا اللاتينية ، من ثم نجد أن عنصرى استغلال رؤوس الاموال والتجارة ، لازالا مرتبطان بكندا وأمريكا اللاتينية ، وان كانت هذه النسبة فى انخفاض مستمر ٠ وفي نفس الوقت نجد أن مساعدات الولايات المتحدة الى كندا ودول أمريكا اللاتينية ٠ وهذا مالا ترتاح اليه أمريكا اللاتينية ٠

أما رؤوس الاموال والتجارة مع أوروبا الغربية فقد بدأت فى الزيادة حديثا بينما بدأت المساعدات (قروض وهبات) في الاختفاء باستثناء حالات قليلة كأسبانيا ، ويسدد معظم المقترضين منذ ١٩٥٠ ديونهم ولكن رغم هذا فيقدر أن دول غرب أوروبا كان نصيبها نحو نصف مجموع المساعدات الامريكية بعد الحرب ، وذلك لكى تقف على قدميها وتواجه الدب الروسى ٠

وترتبط معظم رؤوس الاموال ، والتجارة والهبات بعد ذلك فى الدرجة الاولى بالدول غير الشيوعية فى آسـيا ودول البترول فى جنوب غربي القارة ورؤوس الاموال فى الدول الاخيرة لا شك تعطي عوائد كبيرة · بينما رؤوس الاموال في أفريقية مازالت محدودة · وتتجه للتجارة في معظمها مع جنوب شرقى وجنوب غرب آسـيا ، بينما معظم المساعدات قبل ١٩٦٠، كانت تتجه نحو اليابان · وكوريا الجنوبية ، وفورموزا ، والفلبين ، وهى أقطار تعتمد اقتصاديا وعسكريا على الولايات المتحدة ، كما زادت فى الوقت الحاضر المساعدات الى الهند وفيتنام الجنوبية ، أما الارتباطات الاقتصادية مع دول الكتلة الشيوعية فهي محدودة واقتصرت على بعض المساعدات لدول شرق أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، على حين تكاد تنعدم التجارة تماما مع الاتحاد السوفيتى ، وتنعدم تماما مع الصين الشيوعية ، وفى الحق نجد أن الشيوعية قد قطعت الصلات الاقتصادية بين الولايات المتحدة ونحو ثلث سكان العالم ورغم أن الولايات المتحدة قدمت مساعدات ومعونات أكثر من أى دولة صناعية أخرى فى العالم ، فان هذه المساعدات لم تستغل ، فى كل الاحوال الاستغلال الامثل · ولم تصل الولايات المتحدة الي الغرض المطلوب · كذلك يعيبها أنها لابد وأن تثق في الولايات المتحدة بأى شكل من الاشكال ، ويضاف الى هذا أنها فى معظمهاتذهب الى الاقطار ذات الارتباطات العسكرية معها ، ومن ثم لم تتلق الصين الشيوعية منها شيئا · كما أن مساعداتها للهند ضئيلة ولدول افريقية وأمريكا اللاتينية قليلة ، ونظرا لان هذه المناطق من بين أفقر جهات العالم وأشدها حاجة الى هذه المساعدات وضم نحو نصف سكان العالم ، كان معنى هذا أنها مساعدات لأغراض سياسية لا لوجه الانسانية بحال ·

ويضاف الي ذلك أن كثيرا من الدول الفقيرة تنظر الى فائض الولايات المتحدة الضخم نظرة عدم ارتياح ، لانها لا تكفى نفسها غذائيا ، كما أن هذا الفائض فى الانتاج أقام حاجزا سيكولوجيا بينها وبين الشعوب الاخرى ، على اعتبار أن الشعب الامريكى شعب ثرى فكيف يتسنى للأغنياء معرفة مشكلات الفقراء ؟ ·

الفصل الثاني

نمو الاتحاد السوفيتي كدولة

الاتحاد السوفيتي

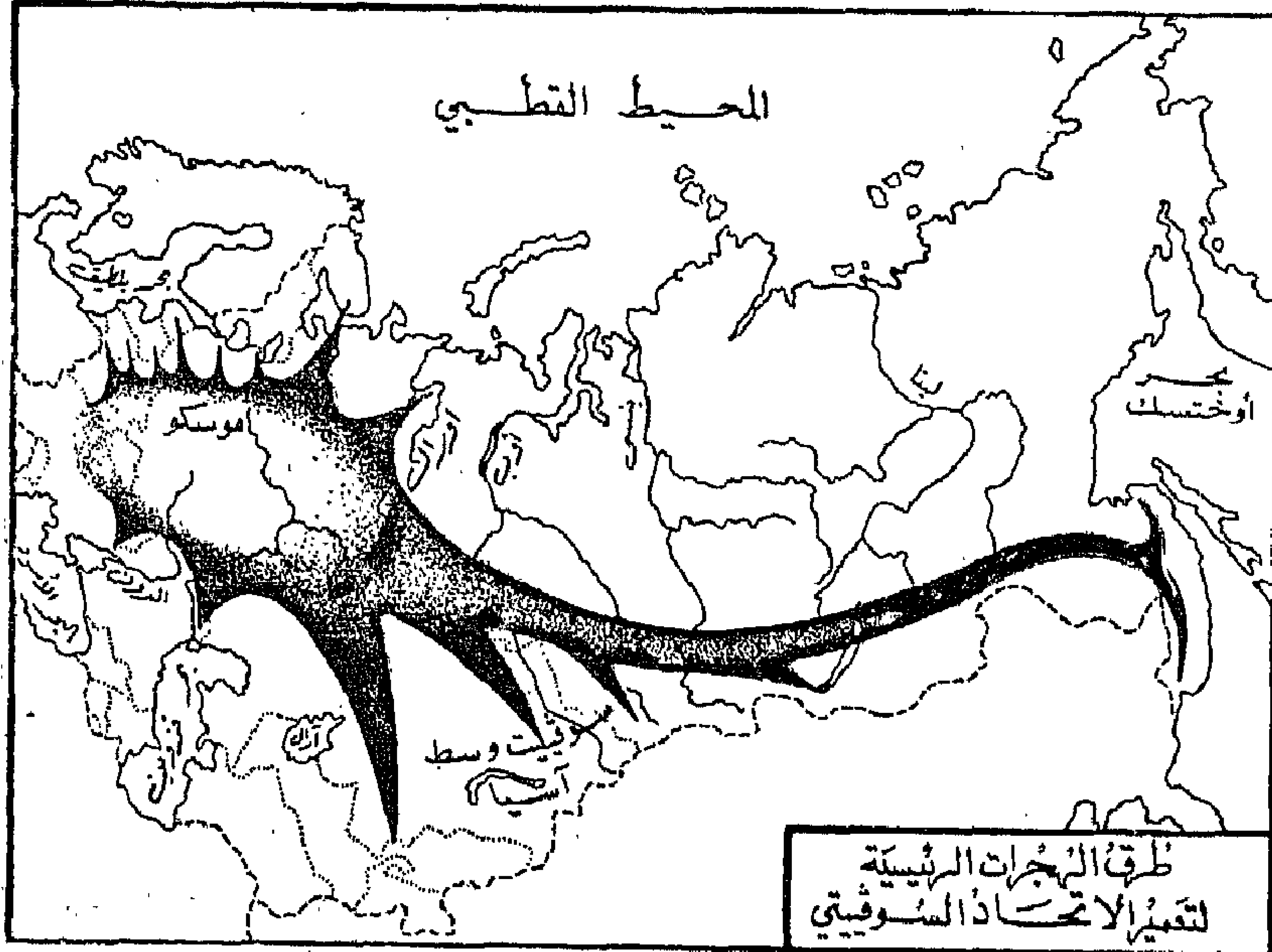
أولا : تكوين الدولة الروسية :

قامت دولة كييف المعروفة باسم روس Rus منذ أكثر من الف عام ، وكانت دولة كييف هذه تقع بين البحر البلطى والبحر الاسود ، ويغلب عليها عنصر الصقالبة • غير أن هذه الدولة تدهورت حتى أنها كانت منقسمة الى بلديات صغيرة ، حين غزا التتار روسيا الاوربية لاول مرة ، وكانت معظم هذه الدويلات خاضعة لحكم التتار والمغول فى القرن الثالث عشر ، ولم ينج من السيطرة المغولية سوى المنطقة الشمالية الغربية ، حيث استطاع الروس الاحتفاظ باستقلالهم فى اقليم نوفجرود Novgord ثم بدأت القبضة الآسيوية في الضعف حتى أن بلدية موسكو مدت نفوذها على جزء كبير من وسط روسيا الاوربية عام ١٤٥٠ م • ومنذ هذا التاريخ وحتي عام ١٥٣٣ حين أصبح ايفان الرابع قيصرا لروسيا ، توسعت الدولة الروسية بشكل كبير ، بحيث امتصت أراضى نوفجرود فى الشمال الغربى والشمال الشرقى ، واستخلصت مساحات كبيرة في جنوب روسيا من أيدى الغزاة الآسيويين • وبدأت الدولة الروسية في الظهور كقوة قادرة على بناء امبراطورية لها ، فقد توغل الروس بعد تولية ايفان الرابع عام ١٥٥٣ نحو الشرق والجنوب الشرقى لتثبيت أقدامهم على الفولجا ، فاحتلوا قازان واستراخان علي الفولجا الاوسط والادنى عام ١٥٥٠ ، وتبعوا ذلك بالتوغل فى اقليم الغابات المخروطية فى سيبيريا ، ولم يأت عام ١٦٥٠ حتى كان المكتشفون الروس قد وصلوا الى شواطىء الباسفيك ، على بعد آلاف الاميال من موسكو ، وعندما عقدت معاهدة نرشينسك Nerchinsk بين الصين وروسيا ، لتحد من تقدم هؤلاء جنوبا ، كان الروس قد ضموا مساحات واسعة الي أراضيهم •

وكان يسكن سيبريا التى تبلغ مساحة روسيا عدة مرات عام ١٥٥٣ بعض القبائل المبعثرة • وكانت هذه القبائل ولا زالت في بعض الاحيان تعيش علي الصيد ورعى الرنة • وتختلف سيبيريا عن روسيا فى قسوة شتائها ، وفى فيضان أنهارها الشديد فى فصل الربيع •

وكان الغزاة الروس فى تقدمهم يتبعون الأودية النهرية ، ولم تكن هناك أراضى زراعية فى هذه الاراضى الجديدة في القرن السابع عشر · ولم تتبع الجيوش سوى أعداد قليلة من المستوطنين الروس ، معظمهم من التجار ورجال الدين ، فهناك وفرة من الاخشاب فى هذا الاقليم الجديد ، ولكن هذه السلعة ليست نادرة بدورها في روسيا ، وكان هناك الذهب والفراء ، وهاتان السلعتان اللتان اجتذبتا بعض المستوطنين وان كان الروس لم يعبروا هذا الاقليم بأعداد كبيرة الا فى القرن الحالى ، بعد مد سكك حديد سيبيريا ·

وقد ازداد التوغل الروسى نحو الشرق بعد عام ١٦٨٩ ، حتى أنهم عبروا مضيق بيرنج الى أمريكا الشمالية وضموا الاسكا ، وأقاموا عددا من الحصون على طول الساحل الباسفيكى · وكان أكثر هذه الحصون بعدا نحو الجنوب (حصن روس) الذى أقامه الروس عام ١٨١٢ ، يقع على بعد ٦٠ ميلا شمال غربى سان فرانسيسكو ، وكانت مستعمرة أسبانية، وكان حصن روس يبعد عن موسكو بنحو ٩٠٠ ميل من الطرق البرية عبر سيبيريا ثم بالبحر على طول ساحل الباسفيك · وهكذا تقابل الاسبان والروس اللذان يعيشان على الاطراف المضادة للقارة الاوربية ، واللذان خرجا فى اتجاهين متضادين تقابلا على الجانب الآخر من العالم ·



شكل (رقم ٣٢) طرق الهجرات الرئيسية فى الاتحاد السوفيتى

ولم يتحول اتجاه التوسع الروسى نحو أوربا الا بعد تولي بطرس الاكبر عام ١٦٨٢ ، ورغم توغلهم في أمريكا الشمالية فى القرن الثامن عشر ، فقد كان التركيز على اعادة أراضى روسيا وأوكرانيا الواقعة تحت السيطرة الاجنبية ، فضلا عن تثبيت أقدامهم علي البحر الاسود وبحر البلطيق ، وكان الروس يحاربون في أوربا السويديين والاتراك وغيرهم من السكان الذين كانوا أكثر كفاءة فى مقاومة الروس من قبائل سيبيريا فى القرن السابق ٠ وقد أضيفت بولندا وفنلندا الى الامبراطورية الروسية عقب الحروب النابولية غير أن اهتمام الروس ، بالجناح الآسيوى نشط مرة أخرى فى تلك الفترة ، وحدث توسع في اتجاهات أخرى خلال القرن التاسع عشر ، فسيطروا علي اقليم القوقاز فى أوائل هذا القرن ، وضم وسط آسيا فيما بين عامى ١٨٤٠ ، ١٩٠٠ ، كما استولوا على وادى عامودا وجزيرة سخالين في نفس تلك الفترة ٠

وهكذا وصلت الامبراطورية الروسية أقصى اتساع لها فى أواخر القرن التاسع عشر ، وان كانت الاسكا قد بيعت عام ١٨٦٧ الي الولايات المتحدة الامريكية بمبلغ ٧٫٢ مليون دولار ، وفقدت روسيا بذلك ركيزة لها فى أمريكا الشمالية وفقدت روسيا أيضا مساحات من أراضيها نتيجة لحربها مع اليابان (١٩٠٤/١٩٠٥) وخلال الحرب العالمية الاولى، استطاع الاتحاد السوفيتي استرجاع بعض هذه الاراضى ، فضلا عن مساحات أخرى بعد الحرب العالمية الثانية ، ومع هذا فلا زال الاتحاد السوفيتى الآن أصغر مساحة من الامبراطورية الروسية عام ١٩٠٠ ٠ من ثم يمكن أن يقال أن روسيا تحولت خلال الاربعة قرون الاخيرة من مجرد دولة صغيرة الي أكبر دولة في العالم ، تشغل نحو سدس مساحة اليابس باستثناء أنتاركتكا ٠

ثانيا ـ الاتحاد السوفيتي :

تكون الاتحاد السوفيتي بشكله الحالى بعد أن ثبتت الثورة الشيوعية التى قامت فى أكتوبر سنة ١٩١٧ نظام الحكم ، وقضت على النفوذ القيصرى الاقطاعى ، وانتقلت مقاليد السلطة الى الحزب البلشفى ٠

وتأسست حكومة روسيا السوفيتية في نوفمبر سنة ١٩١٧ ٠ وعقد البلاشفة صلحا منفردا مع المانيا فى مارس سنة ١٩١٨ ، وواجهت الحكومات أزمات خطيرة فقد أثار الصلح حفيظة الحلفاء ، وهوجمت

روسـيا من جميع الاتجاهات بقوات مناهضة للشـيوعية تؤازرها قوات الحلفاء ، الى جانب نشأة جمهوريات مسـتقلة في القوقاز وأوكرانيا ، واشتد القتال بين الجنود الحمر وهم أنصار البلشفية ، والجنود البيض وهم أنصار القيصرية نحو ثلاث سنوات ، نجحت فيها الحكومة السوفيتية في اعادة توحيد البلاد ، وضـم الاجزاء التى كانت قـد انفصـلت عن الامبراطورية القديمة • ولـكن اتحادها هذه المرة كان على أساس يختلف تمام الاختلاف عن الاسـس القديمة التى قامت عليها امبراطورية القياصرة، وأسـاس هذا الاتحاد أن تكون الاقاليم معا ما يشبه الائتلاف وأن يكون لـكل اقليم حريته بأن تكون الاقاليم جميعا على قدم المسـاواة ، ومنذ سنة ١٩٢٢ حينما ظهر الاتحاد السـوفيتى لاول مرة بصـفة رسـمية بدأت جمهوريات مختلفة في الانضمام اليه حتى أصـبح عددها ١٦ جمهورية ، ثم ضـمت كاريليا الفنلندية الي جمهورية روسيا السوفيتية عام ١٩٥٦ فأصبح عددها الان خمسـة عشر جمهورية • وتعرف هذه الدولة الـكبيرة باسـم الاتحاد السـوفيتى Soviet Union أو اتحـاد الجمهوريات الاشـتراكية السوفيتية Union of Socialist Soviet Republics (USSR.) •

العلاقات المكانية للاتحاد السوفيتى :

يمتد الاتحاد السـوفيتى فى مسـاحة ضخمة من القارتين الآسـيوية والاوربية اذ تصل مساحته الى مايزيد عن ٨٫٦ مليون ميل مربع •

والواقع أن الاتحاد السوفيتى بمساحته هـذه يمكن أن يوضـع في مصاف القارات ، فهو أكبر من أمريكا الجنوبية ، وضعف مساحة الصين أو كندا أو البرازيل ، ويعـادل ثلاثة أمثـال مساحة الولايات المتحـدة الامريكية وأسـتراليا ، وأربعين مرة قدر مسـاحة فرنسـا ، فالاتحـاد السوفيتى يشغل ميلا من كل سـبعة أميال من سطح الارض •

وامتداد الاتحـاد السـوفيتى من الغرب الي الشرق أكبر بكثير من امتداده من الشمال الي الجنوب فتبلغ المسافة بين أبعد نقطتين نحو ١٧٠ درجة طولية أو نحو ١١ ساعة أو ما يقرب من ١٠ آلاف كيلومتر ، بينما امتداده من الجنوب الى الشمال يبلغ نحو ٤٨٠٠ كيلومتر •

وكان لاتساع مساحة الاتحاد السوفيتى أثره في طول حدوده التى بلغت نحو ٣٧٫٥٠٠ ميل ، ثلثى هذه الحدود بحرية والثلث الباقي حـدود برية وبذلك يملك الاتحاد السوفيتي أطول حدود بحرية فى العالم ، ولـكن

علي الرغم من طول الجبهات البحرية السوفيتية ، فان هذه الدولة تعد برية بل مغلقة ، فمعظم موانيها على بحار مغلقة أو شبه مغلقة ، فمواني المحيط القطبى تتجمد لاكثر من نصف العام ، ومن ثم تميزت بصغرها وقلة نشاطها باستثناء ميناء مورمانسك في الشمال الغربى ، الذى يحول دون تجمد مياهه تيار المحيط الاطلنطي الشمالي • وأن كان يعيب هذا الميناء بعده عن مراكز العمران والانتاج الزراعي والصناعي ويرتبط هذا الميناء مع موسكو ولينجراد بخط حديدى ، وكذلك الحال فى موانى المحيط الهادى التى تمر عليها تيار كمتشتكا البارد ، وموانى بحر بلطيق التى تتجمد لمدة أسابيع فى الشتاء وأن كان يمكن فتحها طول العام بفضل كاسحات الثلوج ، من ثم تصبح مياه البحر الاسود هى المياه الدفيئة طول العام •

ويشترك الاتحاد السوفيتي في حدود برية مع اثنتا عشر دولة أوربية وآسيوية ، وتمتد حدوده فى آسيا (٨٠٠٠ميل) فى أقاليم جبلية شديدة الوعورة ، أما حدوده الغربية فتختلف عن حدوده الاسيوية ، فتمتد لمسافة ٩٠٠ ميل بين البحر الاسود وبحر بلطيق ، يمر فيها خط الحدود فى أرض منخفضة مزدحمة بالسكان ظلت مدة طويلة منطقة نزاع بين روسيا وجيرانها ، من ثم كانت هذه الحدود كثيرة التقلب على عكس الحدود الاسيوية التى لم تتغير نسبيا الا قليلا خلال القرن العشرين •

وقد تمكن الروس بفضل موقع دولتهم المتوسط من أن يقتبسوا أحسن مظاهر التقدم الاقتصادى والثقافي من آسيا وأوروبا ، غير أن الوضع بالنسبة للجيران لم يكن في جميع الاحوال ميزة كبرى ، ذلك أن به مساحات كبيرة لم تستغل استغلالا كاملا ولم تعمر تماما ، وكانت هذه الاراضى تقع بين حضارتين كبيرتين : الحضارة الشرقية ممثلة في اليابان ، ثم غربا حضارة أوروبا الغربية ، من ثم تعرض لصنوف من الضغط على حدوده الغربية والشرقية ، وكان يقابل ذلك الضغط ضغطا أعظم من جانب روسيا فى اتجاهات مضادة • وأدى هذا أخيرا الى امتداد رقعتها من قاعدتها فى أوربا حتى وصلت الى اتساعها الحالى ، وأصبحت حدود الاتحاد السوفيتى يمثلها المحيط المتجمد الشمالى والمحيط الهادى شرقا وسلاسل الهمالايا والقوقاز وصحارى تركستان والبحر الاسود في الجنوب •

غير أن هذا الموقع لم يكن ميزة فى كل الاحوال ، ذلك أن ثلاثة أرباع

البلاد تقع في العروض العليا الى الشمال من خط ٥٠ شمالا ، فاذا تذكرنا أن الولايات المتحدة الامريكية بكاملها باستثناء الاسكا تقع جنوب خط ٤٩ شمالا ، من ثم كانت مساحة الارض المزروعة فيها تعادل نظيرتها في الاتحاد السوفيتي رغم فارق المساحة الضخمة .

المساحة :

وقد أدت مساحة الاتحاد السوفيتي الضخمة الي عدة أمور : منها اتاحة الفرصة أمام سكانه المتزايدين بسرعة فائقة على أن يجدوا مجالا حيويا Lebensreum كافيا يضمن لهم سد حاجتهم ويضع تحت أيديهم ملايين من الافدنة وموارد غابية يمكن التوسع فى استغلالها في المستقبل ، كما أدى هذا الاتساع أيضا الي تباين العناصر البشرية التى تسكن أجزائه المتسعة . وأدت هذه المساحة الكبيرة لروسيا الى جانب شكلها المتماسك خدمات جليلة فى تاريخها الحربي (الحرب النابليونية ، والحروب الهتلرية) فكلما طالت مسافات اليابس صعب الاتصال ، وأستنفذت الطاقة الإبشرية ، فأوروبا كما تعلم قارة تضيق فى الغرب ولكنها تتسع كلما اتجهنا شرقا . ولذلك فان الالمان كانوا كلما توسعوا نحو الشرق فى الميدان الروسى ، اتسعت أمامهم المساحة وازداد طول الميدان ، حتى جاء وقت وامتدت فيه جبهتهم من فنلندا في الشمال الي البحر الاسود والقوقاز فى الجنوب . واتساع الجبهة هذا معناه صعوبة التركيز فى الهجوم . الذى بدأ قويا مركزا ثم رق فى قرته وتهادى فى سرعته ، وتراخى فى اندفاعه ، حتي أصبحت الجبهة خطا رقيقا لايصلح لمتابعة الهجوم ، بل لايقوى على الثبات والدفاع ، والواقع أن الطبيعة الجغرافية للميدان الروسى لم تكن لتعين علي نجاح غزو يأتى من الغرب لان جهود النازى تتشتت وتتبعثر كلما اتجهت شرقا وهذا فى صالح المدافعين أما اذا جاء الهجوم من الشرق ، فان قوى الغزاه تتجمع وتتركز ويقابل بعضها بعضا كلما توغلت نحو الغرب . ولعل هذا هو السر فى أن هجوم الروس المضاد بدأ في شعب متفرقة لا في بعضها بعضا حتى بلغت غايتها متساندة . علي حين تفرقت ريح الالمان وطاشت سهامهم في هجومهم المبعثر نحو الشرق ودفعت المانيا أرواحا كثيرة بلغت عدة ملايين من الانفس ثمنا لهذا الهجوم الخاسر .

غير أننا لا ننسى أن هذه المساحة الهائلة فى دولة واحدة ، تحتاج الى عمل ضخم ، خصوصا أنه مازالت طرق النقل التى تكون الروابط

الاساسية التى يمكن بواسطتها تماسك أجزاء الدولة غير كافية ، ثم أنه علي الحكومة السوفيتية التى تشغل ملايين الاميال المربعة عمل تحليل ودراسة لجميع الامكانيات الزراعية والصناعية بحيث تخلق من الاتحاد السوفيتي وحدة اقتصادية ، كما أنه لابد من العمل على ايجاد روح قومية واحدة تسود جميع أرجائه ٠

المظاهر الطبيعية :

أما من ناحية المظاهر الطبيعية فيتميز بالسهول الفساح التي لا تجد لها نظير في القارات الاخرى ، فهى تمتد من البحر البلطى ، وسهول شرق أوربا الى نهر ينسى في وسط سيبيريا وهى سهول قليلة الارتفاع بوجه عام ولا تبرز فيها الا جبال أورال ، وان كانت لا تعتبر فاصلا لقلة ارتفاعها ولكثرة الممرات التى تخترقها ٠

وقد تعرضت هذه السهول في العصر الجليدى لزحف الثلاجات من الكتلة الفنلندية الاسكندنافية ، وتغطت الاراضى بالركامات الجليدية ونتج عن ذلك كثرة تموج السطح فى هذه السهول ٠ وليست تلال فلداى التي يصل ارتفاعها الى ٤٠٠ متر فوق سطح البحر الا مجموعة من هذه الركامات ٠ ومنها تنبع معظم الانهار الواقعة غرب الاورال ٠

وحول أطراف هذه السهول توجد الجبال الالتوائية الحديثة ممثلة فى القوقاز وتكملها فى شبه جزيرة القرم ، وتمتد شرقا في مرتفعات وسط آسيا كهندكوش وتيان شان وتتسع المناطق الجبلية فى الشرق لتكون هضبة سيبيريا الشرقية التى تحدها جبال سيان ويابلونوى وستانوفوى ٠

وكان لطبيعة السطح هذه آثار عديدة من ناحية الجغرافية السياسية أهمها : ـ

١ ـ احاطة الجبال بهذه السهول من الجنوب ، أدى الي أن اتجاه الانهار فى سيبيريا كان من الجنوب الى الشمال ، وأدى هذا الى قلة أهميتها الملاحية ، لانها تصب فى محيط متجمد ٠

٢ ـ تجمد الانهار طوال فصل الشتاء ، واذا ذابت في أوائل الصيف بدأت المجارى العليا فى الذوبان قبل المجارى الدنيا مما يؤدى الى حدوث فيضانات ونشر مساحات مستنقعة ٠

٣ - أصبح لهذه الجبال التى تطوق الاتحاد السوفيتي من الشرق والجنوب أهمية استراتيجية ، لانها خطوط دفاعية من الدرجة الاولى الا أنها في الوقت ذاته تقف فى طريق التوسع الروسى جنوبا •

٤ - رغم احاطة الاتحاد السوفيتي بالبحار من الشمال والشرق والشمال الغربى ، الا أن المؤثرات البحرية تصل اليها ضعيفة • فتقف الجبال الجنوبية حاجزا يمنع وصول تأثير المحيط الهندى ، كما تمنع الجبال الشرقية وصول الرياح الموسيمية الصيفية من المحيط الهادى الى هضبة سيبيريا • فاذا أضفنا أن المحيط المتجمد الشمالى لن يكون مصدرا لتلطيف قسوة الشتاء ، وأن المحيط الاطلنطي يقع بعيدا فى أطراف القارة الاوربية ، فان اتساع الاتحاد السوفيتى كفيل باضعاف تأثير الرياح التى تندفع من المحيط الى قلب القارة صيفا •

مناخ الاتحاد السوفيتى :

ويتميز الاتحاد السوفيتي بانخفاض الحرارة الشديدة أثناء الشتاء وان كانت المناطق القطبية فيه ليست أكثرها برودة ، بل المناطق الداخلية في شمال شرقي سيبيريا ، فهناك متوسط درجة الحرارة ينخفض الى - ٥٠° م - أحيانا ، بل وسجلت الارصاد أرقاما أقل من هذا الرقم • وعلى النقيض من هذا تزيد درجة الحرارة فى يناير في بعض المناطق ، على الصفر المئوى ، وذلك بالقرب من البحر الاسود وبحر قزوين ، واذا استثنينا المنطقة الشرقية ، نجد أن حرارة الشتاء تنخفض كلما اتجهنا نحو الشمال الشرقي أكثر من انخفاضها نحو الشمال ، بحيث يتوقع الانسان انخفاض درجات الحرارة فى سيبيريا عن نظيرتها فى نفس العروض فى روسيا الاوربية ويتضح هذا بمقارنة موسكو (٨° م) ونوفوسيبيريا (- ١٨° م) فى يناير •

أما في فصل الصيف فيصبح وسط آسيا وجنوب فازاقستان هى أعلى جهات الاتحاد السوفيتي حرارة ، اذ تصل الي ٣٠° م فى يوليه بينما تصبح السواحل القطبية أكثر جهات البلاد انخفاضا فى الحرارة اذا استثنينا المرتفعات • ولعل أهم مايميز مناخ الاتحاد السوفيتى هو كبر المدى السنوى حيث يبلغ ٢٨°م فى موسكو ، ٣٥°م فى نوفوسيبيرسك • ويؤثر المناخ فى حياة السكان ، ويظهر هذا في أن انخفاض الحرارة

الشديد يجعل من الصعب القيام بالاعمال الزراعية لجزء كبير من العام وقد سجلت أرقام ١٩٦٠ ، أن ما يقرب من ١٢ مليون عامل فى المزارع الجماعية لم يستطيعوا افادة الاقتصاد القومى خلال الشتاء • وتظهر قسوة الشتاء فى ارتفاع تكاليف مد الطرق والسكك الحديدية نظرا لتراكم الثلوج ، كما تتجمد مياه القاطرات ، بل وحتى زيوت التشحيم •

التركيب القومي للاتحاد السوفيتي

يمكن القول بأن الاتحاد السوفيتى اتحاد عدد من الشعوب كما هو اتحاد عدد من الدول ، واذا نحن أضفنا الى هذا المسافات التي تفصل بين الدول التي يتألف منها الاتحاد مسافات كبيرة، أدركنا أن الحكومات المحلية لتلك الاقاليم تتمتع بسلطات واسعة ، اذ يضم الاتحاد السوفيتى عناصر متعددة متباينة نظرا لاتساع مساحته ، اذ يزيد عدد هذه القوميات على مائة قومية اعتمادا على الاساس اللغوى منها ١٧ قومية يبلغ عدد كل منها مليون فأكثر فضلا عن ١٢ قومية أخرى تضم كل منها ٢٥٠ر٠٠٠ نسمة أو أكثر •

ويكون الصقالبة نحو ٧٥ ٪ من سكان الاتحاد السوفيتى وتشمل العناصر الصقلبية الروس الكبار والاكرانيين والروس البيض ، ويتكون معاظم السكان الباقين من المغول والعناصر التركية والفارسية • وقد بلغ مجموع العناصر التى زاد تعدادها على المليون نحو ١٤ عنصرا أهمها : الروس الكبار اكبر مجموعة فى روسيا الاوربية اذ يؤلفون ٥٥ ٪من سكان الاتحاد ، والروس البيض ويسكنون المنطقة القريبة من بحر البلطيق (٤ ٪) • أما الروس الصغار الاوكرانيون شمال البحر الاسود فيؤلفون نحو (١٨ ٪) ثم عناصر الاوزبك (٤ ٪) بين بحر قزوين وبحر أورال والقوازق شمال بحر أورال والتتار بين جبال أورال وبحر قزوين والارمن في أرمينيا والعناصر الجورجية فى جورجيا وهكذا ، هذا بينما تعيش العناصر المغولية حول بحيرة بيكال وشمالها وأكبرها عددا التنجوس شرق نهر لينا والاجرلدز فى الجنوب الشرقى للاتحاد وكان لضآلة المجموعات الاخرى غير الصقلبية أثرة فى سيادة هذا العنصر وعدم امكان العناصر الاخرى منافسته ، وان كان الاوكرانيون وهم من العنصر الصقلبى قد حاولوا الانفصال في الماضى •

ولقد أدرك قادة البولشفيك منذ البداية ، أنه لكى تعيش الدولة السوفيتية الجديدة وتنفذ مشروعات الثورة الاجتماعية والاقتصادية لا بد من مراعاة تعدد العناصر البشرية وتعدد اللغات ، فقد عكس المجتمع السوفيتى المكون من عديد من القوميات صورته على الكيان السياسى والتنظيم الادارى ٠

اذ تتألف البلاد من ١٥ جمهورية أسست كل منها مبدئيا لتضم قومية أو أكثر ، وأكبر هذه الجمهوريات روسيا التى يسكنها الروس الكبار وتضم ما يقرب من ٨٠ ٪ (من مساحته) وما يزيد علي ثلاثة أرباع مجموع سكانه ، أما الجمهوريات الاربع عشرة الاخرى ، فتضم خمس جمهوريات فى آسيا تفصل بين الاتحاد السوفيتي والصين وايران وأفغانستان ومجموعة جنوب القوقاز وتتألف من ثلاثة جمهوريات على حدود ايران وتركيا ، أما المجموعة الغربية المكونة من ست جمهوريات فتحاذى الدول الاوربية ويبدو من أسماء الجمهوريات أثر القومية كعامل استرشد به فى تخطيط هذه الوحدات السياسية التى تتمتع بقسط وافر من الاستقلال الذاتي ٠

فسياسة السوفيت الاحتفاظ بالقوميات والعقيدة واللغة ٠ لذلك لم تكتف بأحياء اللغة الاوكرانية في أوكرانيا ولغة روسيا البيضاء فى المنطقة التى يعيش فيها الروس البيض وتشجيع اللغة الالمانية بين العناصر الالمانية التى تعيش عند مصب الفلجا ، بل أجبرت الموظفين الذين يعملون فى هذه الجهات علي تعلم لغات هذه الشعوب ٠ وان كانت قد جعلت اللغة الروسية لغة أساسية ٠ والغاية التي تهدف اليها حكومة السوفيت فى تنمية الروح الوطنية فى جهات روسيا المختلفة هي اتخاذ هذه السياسة كوسيلة من الوسائل التى تجذب بها الشعوب لكي يعتنقوا المذهب الشيوعي ، والذى يلاحظ أن اسم الامبراطورية الروسية اختفى سنة ١٩٢٣ ، وحل محله اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ؛ وهذا معناه أن باب الاتحاد مفتوح لاى دولة ترى فى نفسها ميلا للمذهب الشيوعى والانضمام الي مجموعة جمهوريات السوفيت ٠

كما أدى هذا الى مراعاة وجود أقاليم اقتصادية داخل الدولة فكل اقليم له وظيفة اقتصادية معينة يؤديها ، وبذلك أصبح كل اقليم من هؤلاء يكون حلقة من الحلقات التى تتألف من مجموعها سلسلة الاتحاد ٠

كما ساعد عظم مساحة الاتحاد السوفيتي على أن تعيش كل مجموعة بشرية دون أى رغبة أو التفكير في الاعتداء على حدود جيرانها ٠

ديموغرافية الاتحاد السوفيتى

بلغ عدد سكان الاتحـاد السوفيتى فى بداية عام ١٩٧٨ نحو ٢٥٩ مليون نسمة أو نحو ٧ ٪ من مجموع سكان العالم ٠

ويبين الجدول التالي اتجاه نمو السكان فى هذا القرن :

	١٩١٣	١٩٤٠	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٥
المجموع	١٥٩	١٩٤	١٧٨٫٥	٢١٢	٢٥٣
مدنيون	٢٨٫٥	٦٣	٦٩٫٥	١٠٤	١٥٣
ريفيون	١٣٫٥	١٣١	١٠٨	١٠٠	١٠٠
نسبة الحضر	١٨	٣٣	٣٩	٤٩	٦١
نسبة الريف	٨٢	٦٧	٦١	١٥	٣٩

يتضح من الجـدول السـابق اتجاه السكان في الاتحـاد السوفيتى نحو الزيادة من أوائل هذا القرن ، ويرجع هذا لاشك الى التقدم الاقتصادى الذى شـمل جميع اجزائه خاصـة بعد ربط أجزائه المتباعـدة بين البلطيق الى البحر الاسود والمحيط الهادى وصحارى آسيا مما أدى الى ارتفـاع مستوى المعيشة وتحسن الصحة العامة ٠

فقد كانت هناك زيادة سـنوية قدرها ٥ر٢ مليون نسـمة منذ أوائل الستينات ، وفي نفس الوقت يلاحظ زيادة نسـبة سكان المدن المستمرة حتى تفوقت على نسبة سكان الريف ٠

وكان معدل المواليد (١٩٧٢/١٩٧٥) فى الاتحاد السوفيتى ١٨ فى الالف بينما كان معدل الوفيات ٩ في الالف ، من ثم كانت الزيادة الطبيعية ٩ في الالف ، وكان ارتفاع معدلات المواليد فى الريف عن المدن من أهم ظاهرات النمو فى الاتحاد السوفيتى طوال نصـف قرن على الاقل ، ومع هـذا ازدادت نسبة سكان المدن ٠ وكان من نتيجة الحرب العالمية الثانية حدوث عدم توازن بين الجنسين فزادت نسبة الاناث ٠ وقد بلغت نسـبة

الذكور ٨٧ ٪ أى ٨٧ رجل لكل ١٠٠ امرأة عام ١٩٧٦ ، وكان له أثره فى أن ٤٠ ٪ من القوى العاملة من النساء ·

ويلاحظ من التقديرات الخاصة بالمدن أنه في عام ١٩٤٠ كانت نسبة سكان المدن ٣٣ ٪ من السكان ولم يكن هناك سوى مدينتين يزيد سكان كل منهما علي المليون ، ولكنها بلغت أربعة عشر مدينة عام ١٩٧٦ وقد تساوى سكان المدن والريف عام ١٩٦١ تقريبا ثم بلغت نسبة الحضرية ٦١ ٪ عام ١٩٧٧ ، ويبلغ سكان موسكو الكبرى ٨ ملايين نسمة ، وزادت لينينجراد على أربعة ملايين ، وزاد سكان كل من كييف وجوركى وطشقند وباكو وخاركون علي المليون نسمة · وترجع هذه الزيادة في سكان المدن الى هجرة السكان من الريف بسبب استخدام الآلات وبسبب التوسع الصناعي الذى شهدته البلاد ، وما تبعه من ظهور مراكز صناعية حول مناطق الفحم والبترول والحديد والنحاس · كذلك يرجع هذا الى امتداد حركة التعمير الى الاقاليم الشرقية وقيام مدن جديدة عملت كمراكز زراعية Agrotowns وتجارية عظمي تخدم المزارع الجماعية والحكومية ·

الاتجاهات العامة لنمو السكان في المستقبل :

وهذه يمكن منها معرفة ما اذا كان السكان يميلون الي الثبات أو الزيادة أو التناقص ، وعلى أساس هذه الدراسات يمكن احصاء القادرين علي العمل في المستقبل ، ومعرفة عدد القوى المحاربة التى يمكن تجميعها بل سرعة وقدرة الدولة على تعويض خسائرها فى الارواح ·

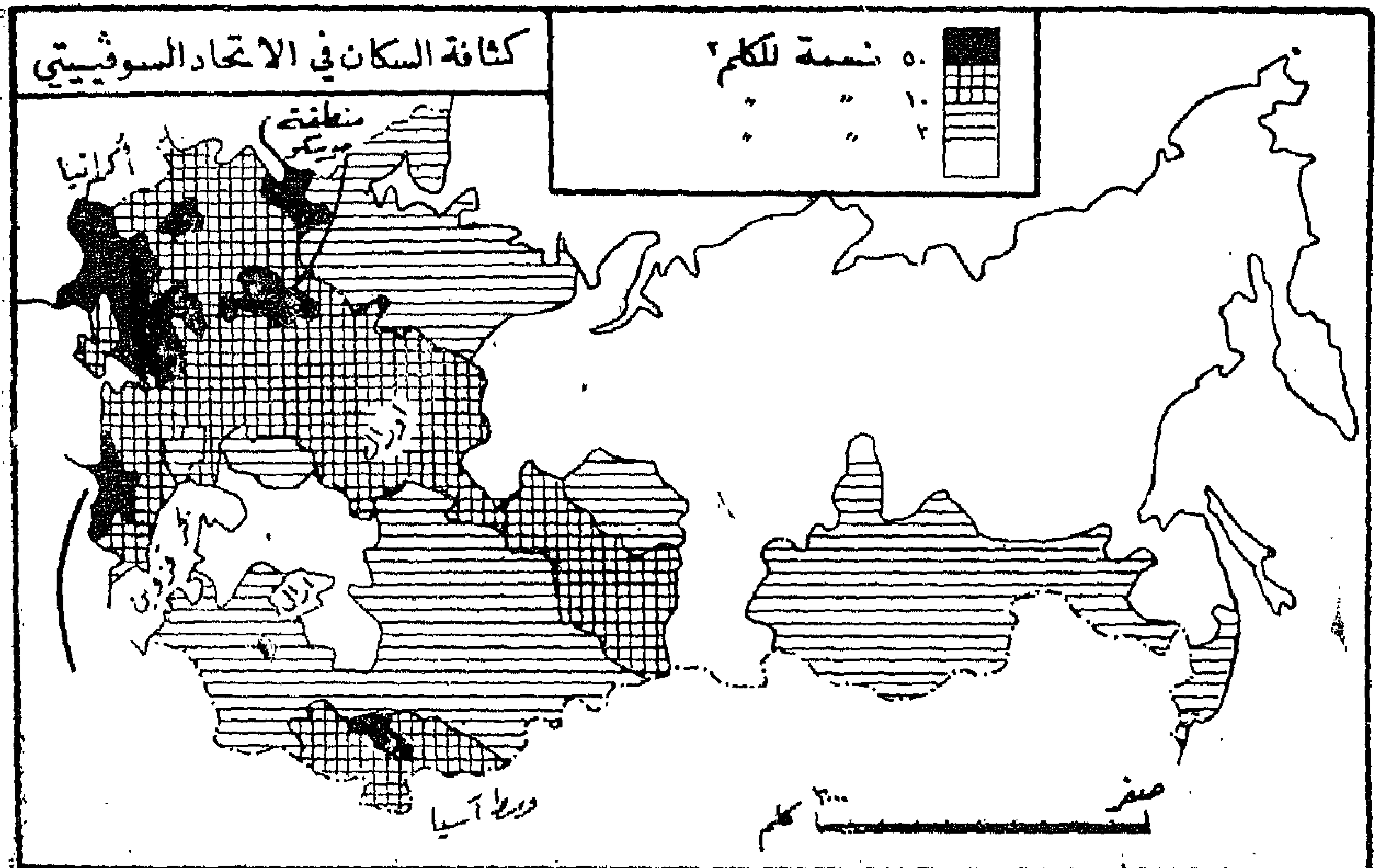
ومن هذه الناحية تدل جميع الارقام على أن الشعب الروسى يتفوق على غيره من الشعوب الاوربية من حيث سرعة تعويض خسائره فمعدل الزيادة فيه يفوق معدل الزيادة الطبيعية للايطاليين والالمان والانجليز والامريكيين ·

وتفسر هذه الخصوبة والزيادة السريعة لسكان الاتحاد السوفيتي على أساس أن نسبة كبيرة من سكانه فى مرحلة الفتوة ، اذ أن نحو ثلث سكانه (٩٢ مليون نسمة) تحت سن العشرين · وعلي العموم يتوقع الباحثون أن يصل سكان الاتحاد السوفيتى الى ٢٨٠ مليون نسمة في عام

١٩٨٠ وأن تفوقه السكانى يكون ساحقا على الكتلة الغربية اذا ما أضيفت اليه شرق أوربا ، وان كان هناك تخوف من أن يشبه النمو فيه في العقود القادمة ، النمو الذى نلاحظه في الغرب نتيجة انخفاض معدلات المواليد وفى نفس الوقت الذى ترتفع معدلات الوفيات لزيادة كبار السن .

توزيع السكان :

وتوزيع السكان على أنحاء البلاد غير متساوى ، فثلاثة أرباع السكان يعيشون فى القسم الاوربى الذى يقل عن ربع مساحة الاتحاد السوفيتى ، ويمكن تمييز تجمعين سكانيين في القسم الآسيوى ، **الاول** عبارة عن شريط ضيق . بين اقليم الغابات المخروطية والاقليم شبه الصحراوى ، هذا الشريط تخدمه سكك حديد سيبيريا ، ويمتد بين الاورال وبحيرة بيكال ، ومعظم سكانه من الروس والاكرانيين . **والثاني** هى مناطق الرى فى وسط آسيا بين الصحراء من ناحية ، والسلاسل الجبلية



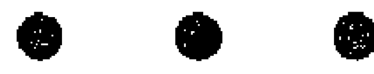
شكل (رقم ٣٣) كثافة السكان فى الاتحاد السوفيتى

الممتدة من بحر قزوين وحدود الصين من ناحيـة أخرى • ومعظم سكان هذه المنطقة من الآسيويين •

تهجيـر السكان :

لم يكن من نتائج النمو الصناعي السوفيتي ضمن مشروعات السنوات الخمس هو ازدياد عدد سكان المدن فحسب ، بل تبعه أيضا اعادة توطين للسكان • واذا كان نمو المدن يرجع الى نمو الصـناعة واتساع المـدن القديمة ، فان اعادة توزيع السـكان يرجع الى التخطيط الجديد للمراكز الصناعية في الاقاليم المخلخلة السكان ، فقبل هـذا التصنيع الكبير كان معظم السكان يعيشون فى الاستبس ومناطق الغابات المختلطة ، أو بمعنى آخر في مثلث رؤوسـه فى أودساو لينجراد وسفردولوفسك ، ولا زال معظم السكان يعيشون فى هذا المثلث حيث ساعد علي هذا التركيز الظروف الطبيعية والتاريخية ، ولكن نتيجة لتصنيع المناطق المختلفة من البـلاد ، حدثت عمليات تهجير للسكان اليها •

وكان اتجاه السكان دائما نحو الشرق أى الى القسم الآسيوى والى جمهوريات آسيا الوسطي ، بينما لم يتجه الكثيرون الي القسم الشمالى من روسـيا الاوربية • هـذا ولم تكن هذه الهجرات السكانية على حساب المثلث السكانى الذى ذكرناه ، بل أن المراكز الرئيسية للصناعة في هذا المثلث ازداد سـكانها ، وانما كانت الهجرة من الاقاليم الزراعية المكتظة بالسكان كوسط روسيا الاوربية ، وروسيا البيضاء وأوكرانيا •



اقتصـاديات الاتحـاد السوفيتي

الانتـاج الزراعى

كان الانتاج الزراعي يكون نحو ٥٨ ٪ من مجموع قيمة الانتـاج فى الاتحاد السوفيتى ذلك مقـابل ٤٢ ٪ للانتـاج الصـناعي قبل الثورة البلشفية • غير أن الوضع قد تغير وقفزت قيمة الانتـاج الصـناعى الي

٥ر٧٨ ٪ والانتاج الزراعي الى ٧ر١٥ ٪ فى عام ١٩٧٥ ٠ وتبلغ مساحة الاراضي الزراعية نحو ١٠ ٪ من مساحة البلاد واذن كان يمكن زيادة هذه النسبة الي ٥ر٢٧ ٪ ويجب الا يفسر انخفاض نسبة مساهمة قيمة الانتاج الزراعى تدهوره ، بل يفسر على أساس تضخم الانتاج الصناعي بعد قيام المشروعات المختلفة ٠

وعلى الرغم من انتشار حرفة الزراعة في معظم أرجاء الاتحـــاد السوفيتي إلا أن الزراعة على نطاق واسع منظم تتركز فى منطقـة كبيرة تشغل مثلثـا ضخما تمتد قاعدته بين البحر البلطي والبحر الاسود وتصل رأسه الى بحيرة بيكال ٠

اســتخدام الأرض :

يمكن القول من ناحيـة اسـتخدام الارض فى الانتــاج الزراعى أن ثلثي مساحة البلاد غير صالح للانتــاج الزراعي نظرا لانخفاض درجـة الحرارة ويدخل معظم النصـف الشرقي من البلاد ضـمن هـذا القسـم ، من ثم يتعذر العمل الزراعى لبضعة شـهور من العام تغطي فيها الثلوج الارض ، كذلك يبدو أن قلة المطر لا يقل أثرها عن قلـة الحرارة أحيانا ، فالاثر الفعلى للمطر فى جنوبى الاتحاد السوفيتى يظهر في ضرورة استعمال الرى ، بل وتزداد ذبذبات المطر عن المعـدل لدرجة أن الامطار قد تقل عن المعـدل فى بعض الاعوام ، وقد تزيد في أعوام أخرى بحيث لاتدر الارض محصولا ٠ ثم يدخل بعد ذلك درجة انحدار السـطح ويظهر هـذا العامل فى مرتفعات القوقاز ومرتفعات آسـيا الوسطي ، حيث تجتمع شدة الانحدار مع الارتفاع الشـديد لتحد امكانيات الزراعة ٠

وتبين النسـب الاتية مدى اسـتخدام الارض فى الاتحاد السوفيتى اذ أن :

* ١٧ ٪ لا يمكن زراعتها لانها صـــحارى باردة ٠
* ٥٠ ٪ لا يمكن زراعتهـا لانها تشـــغلها غابات مخروطيـة ذات تربة لا تصـــلح للانتاج الزراعى فضـــلا عن قصر فصــــل الانبات وفى كلا الاقليمين السـابقين يظل ما تحت التربة متجمدا علي الدوام وفى كثير من المنـاطق ٠

* ١٠ ٪ عبارة عن اقاليم صـــحراوية وشـبه صـحراوية كما أن هناك مسـاحات قليلة تتـكون من مرتفعات ٠

* ٢٠ ٪ وهى الباقية ومعظمها من الاســتبس والمناطق التى ظهرت غاباتها (العريضة الاوراق) تتأثر بذبذبات المطر الحادة بحيث يمكن أن نقول بأن

* ١٠ ٪ **فقط من مســاحة الاتحاد الســوفيتى هو الذى تشــغله الزراعة فضــلا عن**

* ١٠ ٪ **أخرى تشــغلها المراعى ، وان كانت ليســت علي درجة عالية من الجودة ٠**

ويمكن التوسع الزراعى فى اقليم الغابات المخروطية كما هو الحال فى كندا بشرط علاج التربة لتصبح صالحة للانتاج ٠

اذا كان الاتحاد الســوفيتى لديه ٢ر٢ فــدان من الاراضى المزروعة للفرد ، فان هذا يقابله ٧ر٢ فدان للفرد في الولايات المتحدة الامريكيــة مع فارق أنها أكثر انتاجية ٠

ويلاحظ أن الاتحاد الســوفيتي فقد عددا كبيرا من الحيوان بســـبب الحرب العالمية الثانية وخاصة اذا ما ادخلنا فى الاعتبار أن الروس استولوا علي مــلايين من الرؤوس فى شرق ووســـط أوروبا ، فالزيادة بين عــامي ١٩٢٨ ، ١٩٥١ بلغت نحو ستة ملايين ، بينما نجدها ثلاثين مليونا فيما بين عامى ١٩٥١ ، ١٩٦٥٠ أى في نفس المدة السابقة ، كما يلاحظ انخفاض عدد الخيول بوجه عام عن ذى قبل ، ويرجع ذلك الى تعميم الآلات الزراعيــه ، فقد انخفضــت عام ١٩٦٤ الى اقل من ربعها عام ١٩١٦ ٠

ومما يســترعى النظر ضخامة عدد ما يملــكه الاتحاد السوفيتى من رؤوس الحيوان ، ولا يتناســب هذا العدد مع مساحة الاتحاد السوفيتى وامكانياته الضــخمة ، وتربية الحيوان ، وعدد ســكانه ، ويملك الاتحاد الســوفيتى في الوقت الحاضر من رؤوس الماشية عددا يفوق الموجود فى المــانيا وفرنســا وهولندا وبلجيكا وبريطانيا والدانمارك مجتمعة ٠ ولايفوقة فى ذلك ســوى الهند والولايات المتحــدة ، ويأتى فى المرتبة الثانية بعــد استراليا من حيث عدد الاغــنام ٠

ويجب أن يوضع فى الاعتبار زيادة السكان الـكبيرة فى هذه العقود ، فضلا عن أن هـذه الارقام لا تفيد شـيئا فيما يختص بالتغييرات المختلفة لنوع الثروة الحيوانية ، ونظرا لان الماشية والخيل أكبر من الانواع الاخرى من ناحية القيمة ، وكـذلك من ناحية ماتستهلـكه من غذاء من ثم يجب تحويلها كلها الي وحدات حيوانية ، (وذلك بقسمة أعداد الخنازير والضأن، ستة) وتكون النتيجة بعد ئذ ٧٠ ٪ للماشية ٢٥ ٪ للخنازير والضـأن ، ونسـبة ضئيلة للخيل والملاحظـة الاخيرة علي الثروة الحيوانية أن جزءا لا بأس به ملك للمزارع الخاصة كما يتبين من الجدول التالى بالمليون رأس ٠

الثروة الحيوانية بحسب نوع الحيازة بالمليون رأس عام ١٩٧٨

	سوفخوز ٪	كلخوز ٪	خاصة ٪	المجموع
المجموع	٣٦	٤٣ر٣	٢٠ر٧	١١٠ر٣
أبقار	٣١ر٢	٣٦ر٩	٣١ر٩	٤٢
خنازير	٣٦ر١	٤٥ر٢	١٨ر٧	٦٣ر١
أغنام	٤٦ر٥	٣٦	١٧ر٥	١٣٩ر١
خيل	١٤ر٥	٩ر١	٧٦ر٤	٥ر٥

ونظرا لان المزرعة الخاصـة محـدودة المسـاحة ، غالبا ما تزرع الخضروات فمعني هـذا أن حيوان المزرعة الخاصة ، يعتمد فى غذائه على المزرعة الجماعية ، وقد ظهر أن نقص الثروة الحيوانية وخاصة الخنازير الذى أعقب الموسم الزراعي الى (١٩٦٣) كان أثره شـديدا على الدولة وعلى حيوان المزارع الجماعية أكثر منه على المزارع الخاصة ، فقد انخفض العدد الـكلي للخنازير بين يناير ١٩٦٣ ويناير ١٩٦٤ بنحو ٣٠ مليون رأس لم يكن نصيب المزارع الخاصة منها أكثر من ٣ ملايين ٠

الانتاج المعـدنى :

يعد الاتحاد السوفيتى من الدول الغنية بمواردها بسبب تنوع تكويناته الجيولوجيـة ٠ وقـد نال اسـتثمار المعادن المرتبة الاولى في التخطيط الاقتصادى السوفيتي ، ولـكن رغم زيادة انتاجه المعدنى فقد كان السوفيت مصـدرا للمعادن فى الثلاثينات ، بينما أصبح مسـتوردا لعدد كبير منها الآن ، ويرجع هذا الى تطوره الصناعي الـكبير فى العقود الاخيرة وقد تأزم

وضع الاتحاد السوفيتى فعلا أثناء الحرب العالمية الثانية نتيجة وقوع كثير من مناطق التعدين فى قبضة الالمان كأوكرانيا وشمال القوقاز ، غير أن دول الحلفاء أسهمت فى هذه الازمة ، فضلا عن استغلاله لكثير من المناجم فى سيبيريا وجبال الاورال ·

وقد أدى هذا الي توسع السوفيت فى استثمار الثروة المعدنية في الشرق ، وبالتالى زحف السكان والصناعة نحو الشرق ، ففى عام ١٩٥٠ أسهمت المناطق الواقعة شرق نهر الفولجا وبحر قزوين بنحو ٥٠ ٪ من قيمة الانتاج المعدنى السوفيتي ، بينما لم تسهم فى عام ١٩٢٦ الا بأقل من ٢٠ ٪ ·

ويعد الفحم مصدرا رئيسيا للقوى المحركة فى الاتحاد السوفيتي ، يليه البترول ، ثم الاخشاب ، ثم الليد النباتى ، والتقدير العالمى للاحتياط العالمى يضع الاتحاد السوفيتى على رأس الدول ذات الاحتياطي الضخم إذ يقدر بنحو ٦١ ٪ من الاحتياطى العالمي ، أما الإنتاج العالمي للفحم فيضع الاتحاد السوفيتى في مركز المنافسة علي المرتبة الاولى مع الولايات المتحدة الامريكية ·

يعتبر الاتحاد السوفيتى المنتج الاول للنفط فى دول العالم ، لا يتفوق إلا اقليم الخليج ككل ، بينما تأتى الولايات المتحدة الأمريكية بعده (٥٤٠ ، ١٠٩٥ ، ٤٦٥ مليون طن أو ١٧٫٨٪ ، ٣٦ ٪ ، ١٥٫٣ من الانتاج العالمى عام ١٩٧٧) ·

الموقف النفطي السوفيتى :

ويستهلك الاتحاد السوفييى في الوقت الحاضر ما يعادل ٦٠ ٪ من مجموع استهلاك الولايات المتحدة الامريكية ، أو ما يزيد قليلا على استهلاك السوق المشتركة التسع ، ومع ذلك فهو الآن يكتفى ذاتيا فى كل مصادر الطاقة ، ويعتبر مصدرا لها ، ولكن رغم الثقة بمستقبل الطاقة هناك ، فان القادة السوفيت قلقون على الطاقة في العقود القادمة ، وقد أكد مشروع السنوات الخمس (١٩٧٦ ــ ١٩٨٠) علي الصناعات التى تستخدم كماً هائلا من الطاقة كنواة للاستراتيجية الاقتصادية السوفيتية ، ونبه الى ضرورة توافر موارد الطاقة الجديدة فى المستقبل كتنمية حقول سيبيريا وغيرها من المناطق المتاخمة من الاتحاد السوفيتى الآسيوى ·

ويستهلك الاتحاد السوفيتي فى الوقت الحاضر نحو ٨٠ ٪ من طاقته فى القسم الاوروبي ، ولذلك ارتفعت تكاليف الاستخراج كثيرا في هذا القسم نتيجة الاستنزاف وسوء الاحوال الجيولوجية ، من ثم فهو يستمد ٦٠ ٪ من حاجته محليا • ومن المتوقع أن تنخفض هذه الكفاية الى ٤٠ ٪ فى الثمانينات • كذلك تعتمد دول الكيمكون علي الاتحاد السوفيتي فى امداداها بالنفط الى حد كبير ، ويزداد الاعتماد علي الغاز والفحم والكهرباء السوفيتية • من ثم فلابد فى المستقبل من الحاجة الى زيادة الموارد وبخاصة من شرق جبال أورال أو سد الفجوة بين الانتاج والاستهلاك بالاستيراد ، وتبدو تكاليف الاستخراج عالية شرق الأورال ، فقد بلغت تكاليف مد طريق طوله كيلومتر ما يزيد علي نصف مليون روبل فى حوض نهر أوب ، كما تختفى كل عام عشرات الجرارات فى المستنقعات ، ويعمل الحفارون على جزر لابد من بنائها ، وهذا يقتضى سنوات للانتهاء منها • أما القسم الشمالى من سيبيريا والشرق الأقصى فهى تحت صقيع دائم ، ويرتفع فيها المدى الحرارى السنوى الي ٣٠ درجة ، مما يقتضى استخدام معدات على درجة كبيرة من التقدم التكنولوجي وبالتالي مرتفعة القيمة ، من ثم فرغم أن الحوض السيبيرى يعد من أكبر الاحواض الرسوبية فى العالم (خمسة أضعاف مساحة حوض تكساس الامريكي) ، ويقدر مجموع انتاج هذا الحوض اذا قيض له الاستغلال ٤ر١ تريليون برميل ، أو ما يعادل استهلاك الولايات المتحدة الامريكية فى الوقت الحاضر لمدة قرنين من الزمان • وقد يرتفع احتياطى الغاز الطبيعى عن هذا كثيرا ، ولكن نظرا للعقبات التى سبق أن ذكرناها ، فلا ينتظر استغلالها فى المستقبل القريب ، وتشير الدراسات التى قامت بها المخابرات الامريكية علي أن الاتحاد السوفيتى قد يتوقف عن تصدير النفط اذا لم يستورد ويعيد التصدير فى منتصف الثمانينات ، وليس هذا رأى الامريكيين فحسب بل رأى وزير البترول السوفيتي السابق فيتالي شاشين الذى يعتقد بأن نسبة الاحتياطى الى الانتاج فى الوقت الحاضر أصبحت خطيرة •

دخول الاتحاد السوفيتى ميدان تجارة النفط :

دخل الاتحاد السوفيتى تجارة استيراد وتصدير النفط ، بدأها مصدرا صغيرا ولجماعة الكوميكون أو دول أوربا الشرقية ، غير أن تطور الانتاج فيه من ناحية وأحداث ١٩٦٧ التى أعقبها توقف حركة الملاحة فى

قناة السويس ، أضافت اليه عملاء جدد في أوربا الغربية ذاتها ، ويود الاتحاد السوفيتي الاحتفاظ بهذه الاسواق الاوربية شرقية كانت أم غربية حتى لو اضطر الى الاستيراد من الخارج للوفاء بالمتطلبات الاوربية ، لأنه سيتبادل النفط ببضاعته المحلية ، وكأنه والحال هذا يشتريه بالروبل ، ويذكرنا هذا باستيراد بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية للنفط أيضا بعملاتها المحلية الاسترليني والدولار) ويعيد تصديره بالعملة الصعبة ٠ وقد تختلف أغراضه فى أوربا الشرقية من مدها بالنفط عن أهدافه في أوربا الغربية ، فهو يضع نفسه المهيمن على موارد الطاقة في كل أوربا الشرقية ، فقد كان أحد دوافع موقفه المتصلب من أحداث تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ خوفه من احتمال استقلال أوروبا الشرقية عنه من النواحى الاقتصادية ، ويعتبر امدادها بالنفط هو أحد هذه الروابط الوثيقة ، ومن جهة أخرى تقليل ارتباطها بالغرب ٠ وهنا تتقدم الدوافع السياسية على الاهداف الاقتصادية ٠ وقد تطورت صادرات السوفيت النفطية الى أوروبا الشرقية ، فكانت ٢٥ مليون طن عام ١٩٦٧ مقابل انتاج دول أوروبا الشرقية الذى بلغ نحو ٢٠ مليون طن في ذلك العام ٠ أى أن الاتحاد السوفيتي كان يفي حينئذ بنحو ٥٥ ٪ من مطالب أوربا الشرقية من النفط وزاد صادر الاتحاد السوفيتى الى ٧٧٫٦ مليون طن عام ١٩٧٦ ٠ وهذا الطلب المتزايد من جانب أوروبا الشرقية يجعل الاتحاد السوفيتى يبحث عن موارد جديدة ، وما دامت الموارد المحلية لا تكفى ، فلا بد من الاستيراد وهنا يأتي دور الخليج العربي ونفطه ٠ ويتميز الاتحاد السوفيتى على جميع الدول الاوربية غربية وشرقية باتصاله البرى بدول الخليج ، من ثم يمكنه الحصول على نفط الخليج اذا ما مدت أنابيب النفط إما لإعادة شحنه الى الدول الاوربية أو لاستهلاكه داخليا فى اقليم القوقاز (جنوب روسيا) ٠

ويعد انشاء توليد الكهرباء من أهم مظاهر الانتاج الاقتصادى السوفيتى ، ويستخدم الروس جميع موارد الوقود تقريبا فى انتاج الكهرباء ، سواء الفحم أو اللبد النباتي ، أو البترول ، أو القوى المائية ، أو السدود التي أشهرها سد دنيبربتوفسك الذى دمره الألمان وأعادوا بناءه ٠ وأنشئت أخيرا محطتين كهربائيتين ضخمتين إحداهما

---

(١) التريليون = مليون مليون أى رقم واحد وبجانبه ١٢ صفرا ٠

فى فولجراد عام ١٩٦٠ بطاقة قدرها ٢ر٥ مليون كيلوات ، والاخرى فى أنجارا عام ١٩٦٤ بطاقة قدرها ٣ر٦ مليون كيلوات ٠

وقد مثلت الكهرباء المائية ٢٢ ٪ من مجموع الطاقة الكهربائية عام ١٩٧٥ ، الباقى من كهرباء حرارية تعتمد على الفحم ٠

وكان لوفرة موارد الاتحاد السوفيتى من موارد الوقود المتعددة أثره في تأخر تنمية القوى النووية عن أوروبا الغربية ، ومع هذا فقد تقدمت الابحاث النووية ، وأنشئت أول محطة كهرباء ذرية في الخمسينات في موسكو ، وقد أنشأت محطة كهرباء ذرية تولد ١٠٠ر٠٠٠ كيلوات فى الاورال ، واستخدمت الطاقة الذرية فى تسيير السفينة لينين كاسحة الثلوج التى أثبتت فائدتها فى المياه القطبية ، حيث أبقت على الطريق الشمالي مفتوحا لمدة أطول من قبل ٠

ويرتبط المنجنيز ارتباطا تاما بصناعة الحديد والصلب ، وفى الاتحاد السوفيتى أعظم رواسب للمنجنيز في العالم ، ويقدر انتاجه بنحو ٣٠ ٪ من الانتاج العالمى ، وبذلك يحتل المركز الاول فى العالم وهو من أجود خامات المنجنيز الموجود في العالم ، ولا يصدر الاتحاد السوفيتى هذه المادة الاستراتيجية الآن ، وانما يحتفظ بها لصناعة الصلب ٠

ويدخل النحاس في الصناعات الحربية ، وفى نقل التيار الكهربائى لمسافات بعيدة ، غير أن خاماته فى الاتحاد السوفيتي من الانواع الفقيرة وتظهر أهم مناطق تعدينها فى كوانراد شمال بحيرة بلكاش ، كما اكتشفت منطقة أخرى غنية بالنحاس شمال شرق بحر قزوين ، وفى جزيرة سخالين ، وبعض مناطق متفرقة فى سيبيريا ، وينتج الاتحاد السوفيتي نحو ١٥ ٪ ، ويكاد يكفي الاستهلاك المحلى ، وان كان بانتاجه هذا يبلغ نحو نصف انتاج الولايات المتحدة ، ويمكن أن تعد قلة انتاج النحاس فى الاتحاد السوفيتى نقطة ضعف نسبيا فى الاستراتيجية السوفيتية كما أن الدول الشيوعية الموالية لروسيا لا تملك كميات كبيرة منه ، بالاضافة الى أن الولايات المتحدة تسيطر برؤوس أموالها على انتاج النحاس فى دول أمريكا الجنوبية ، كما زحفت الى افريقية ، فضلا عن رؤوس الاموال البريطانية والبلجيكية تسيطر على النحاس الافريقى ٠

أما عن **الرصاص والزنك** ، فالاتحاد السوفيتى يشغل المركز الاول فى انتاج الرصاص والزنك ولكنه لا يقف علي قدم المساواة مع دول الكتلة الغربية ٠

ولازالت خامات **البوكسيت** ضئيلة بالنسبة لما تملكه بقية الدول الكبرى ، وهذا الخام بالذات من الاهمية بمكان فى الصناعات الحديثه ويستخدم بصفة خاصة فى صناعة الطائرات ، وبعض أجزاء السيارات والصناعات الكهربائية ٠ وانتاجه حاليا نحو ٨ ٪ من الانتاج العالمى ، وتسد هذه الخامات احتياجات صناعة الالومنيوم ، اذا أضفنا كميات البوكسيت فى المجر ورومانيا ، وهي دول تحت النفوذ الشيوعى ، فان الاتحاد السوفيتى سيحتل المركز الثانى من حيث الانتاج بعد جمايكا ٠

وقد أصبح الاتحاد السوفيتي أيضا يحتل المركز الثانى فى انتاج النيكل بعد كندا ، كما كان يصدر معدن الكروم ، ولكن هذه الصادرات قلت الآن بعد اتباع الدول الغربية لسياسة تأمين موارد المعادن الاستراتيجية ، وحرمان معسكر الكتلة الشرقية منها ٠

هذا ويخفى الاتحاد السوفيتى أرقام بعض المعادن الضرورية لصناعة الصلب مثل الكوبالت ، والفانديم ، والموالبدنم ، والتنجستن ٠

هذا كما كان لكشف القوى الهائلة التى يمكن انتاجها عن طريق تحطيم الذرة أثره فى زيادة العناية بالعناصر النادرة كالراديوم ، واليورانيوم ، ورغم السرية الى تحيط بها الدول الكبرى هذه المعادن ، فانه من الثابت فى الوقت الحاضر أن روسيا السوفيتية تملك خامات لا بأس بها لعنصر اليورانيوم في القوقاز ، وجبال التاى ، وجبال الاورال كما تحصل علي الراديوم من تشيكوسلوفاكيا ، من جبال الارز بالمانيا الشرقية ، ويمكن الحصول على اليورانيوم من بلغاريا أيضا ٠

هذه خلاصة لبعض المعادن الرئيسية والتى تعتبر ذات قيمة استراتيجية فى الحروب ٠ ويبدو جليا فى الوقت الحاضر أن الدولة الوحيدة التي يمكنها أن تقف مع الاتحاد السوفيتى على قدم المساواة فى الانتاج المعدني هى الولايات المتحدة الامريكية ، ولكننا يجب أن نراعى في تقديرنا لثروة الاتحاد السوفيتى المعدنية أننا ازاء دولة مساحتها تربو على ٨ ملايين

مربع ، ويسكنها ما يزيد علي ٢٥٩ مليون نسمة ، و حرفة التعدين بها فى تقدم مطرد ، وقد دلت سرعة تقدمها فى هذا المضمار خاصة بعد الحرب العالمية الاخيرة · أنه وصل الى مركز رئيسى من حيث الانتاج المعدنى فى العالم ، على الرغم من قصور انتاجه في بعض المعادن ·

الانتاج الصناعى

النمو الصناعى للاتحاد السوفيتي :

رغم أن نمو بعض فروع الصناعة فى روسيا يرجع الى ما بعد الثروة السوفيتية ، الا أنه يجب أن نشير الي الخطأ الذى يقع فيه البعض ، وهو عدم قيام الصناعة قبل الثورة ، فقد كانت هناك ورش أو مصانع للآلات الحديدية قبل القرن السابع عشر ، فى المنطقة بين موسكو لتولا ، كما ظهرت بعض المؤسسات الصناعية في روسيا الاوربية ، وأرسل الروس في بعثات فنية الى غرب أوربا ، كما جلب الخبراء الفنيون من الخارج الى روسيا ، وذلك خلال وبعد حكم بطرس الاكبر (١٦٨٢ _ ١٧٢٤) ، وقامت صناعة بناء السفن فى أركانجل وسان بطرسبرج (لينينجراد) · وكانت الاورال من أكثر مراكز الصناعات الحديدية فى القرن الثامن عشر ، واستغل معظم انتاج الحديد فى صناعة الاسلحة ، والالات الزراعية ، وهكذا أصبحت روسيا فى نهاية القرن الثامن عشر من أكبر المنتجين للحديد وقامت صناعة المنسوجات فى القرن التاسع عشر اعتمادا علي الحماية الجمركية حول ايفانوفو شمال شرق موسكو ، وجلب الخبراء ورأس المال والالات لهذه الصناعة ، بل واستمر استيراد القطن الخام حتى أواخر هذا القرن · وكان لمد الخط الحديدى الى أوكرانيا (١٨٦٠ _ ١٨٧٠) أثره فى امكان نقل الحديد الخام من كريفوى رج الى مناجم الفحم في الدون باس (حوض الدونتز) حيث نمت صناعة الصلب نموا كبيرا اعتمادا على رأس المال الاجنبى والخبرة الاجنبية · وبدأ رأس المال الاجنبى مرة أخرى يقوم باستغلال البترول فى منطقة باكو ، حتى أصبحت روسيا منتجة لنصف الانتاج العالمي لزيت البترول عام ١٩٠٠ ، وهكذا عدت روسيا ضمن الدول الصناعية عند قيام الحرب العالمية الاولى ، وان تفوقت عليها الولايات المتحدة الامريكية ، والدول الصناعية فى غرب أوروبا من ناحية الكفاءة ·

ويمكن اجمال النمو الصناعي خلال فترة الحكم السوفيتى فيما يلى :

١ - **قبل عام ١٩٢٨** : اتجهت الجهود فى تلك الفترة الى اعادة ما أتلفته الحرب من مصانع ، فضلا عن بدء مشروع كهربة روسيا • فقد كان لينين يعطى أهمية كبرى للكهرباء ، ويقال أن من أقواله « أن الشيوعية هى حكم الشعب ، فضلا عن كهربة البلاد » •

٢ - **فترة ١٩٢٨ - ١٩٤١** : وهي فترة الثلاث مشروعات الخمس الاولى وبذلك ازدادت خلالها طاقة روسيا الصناعية زيادة كبيرة ، فدخلت فروع جديدة وخاصة الصناعات الهندسية والكيماوية ، كما استغلت موارد معدنية جديدة ، وأنشئت مصانع في مناطق لم تشاهد التصنيع من قبل ، وكانت أهم انجازات هذه الفترة ، قيام صناعة الحديد والصلب اعتمادا على خامات الحديد فى الاورال ، وفحم منطقة كوزباس ، مما أدى الى ظهور مناطق جديدة منافسة لصناعات الدون باس •

٣ - **فترة ١٩٤١ - ١٩٥٠** : وهذه الفترة فترة استعادة ما أتلفته الحرب العالمية الثانية ، ذلك أن معظم المنشآت الصناعية فى روسيا الاوربية قد دمرت خلال الحرب ، وان كانت مدن الفلجا والاورال وكوزباس قد نمت بسرعة فائقة •

وخصص مشروع السنوات الخمس الرابع (١٩٤٦ / ٥٠) لاعادة بناء ما أتلفته الحرب ، واتجهت الجهود أيضا خلال فترة الحرب ومابعدها الى الوصول الي درجة كبيرة من الاكتفاء الذاتى فى بعض الاقاليم البعيدة عن الجناح الاوربى من الاتحاد السوفيتى ، وهذه الاقاليم تشمل القوقاز ووسط آسيا والشرق الاقصى •

٤ - **بعد ١٩٥٠** : كان مشروع السنوات الخامس (١٩٥١ / ٥٥) ثم السادس حتى هجرت مشروعات السنوات الخمس عام ١٩٥٧ • وبدأ مشروع السنوات السبع (١٩٥٩ / ٦٥) ولعل أهم ظاهرة فى الفترة الاخيرة هى التحول من التركيز علي استخدام الفحم للطاقة الى البترول والغاز الطبيعى وهذه مرحلة سبقته فيها الولايات المتحدة الامريكية •

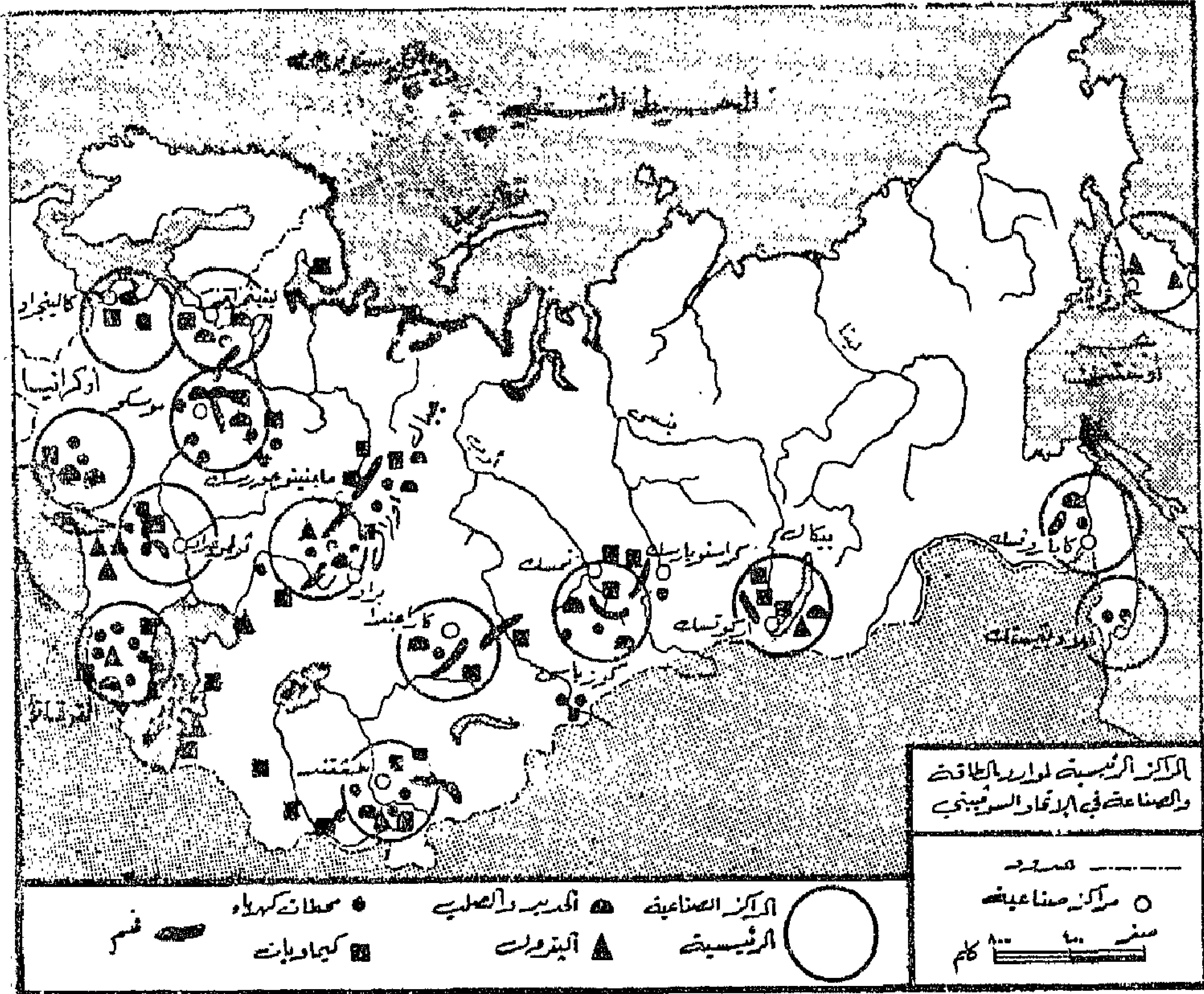
وقد تميزت فترة الخمسينات بالتركيز على تدريب عدد كبير من الفنيين ، كما يرتبط بهذه الفترة بدء انتاج القوى الذرية على نطاق تجارى ، واستعمال الالات على نطاق كبير ، وتقدمت بعض فروع الصناعة تقدما كبيرا وخاصة الصناعات الهندسية حتي يصل الاتحاد السوفيتى الى مستوى الولايات المتحدة الامريكية ودول غرب أوربا الصناعية • وكانت أروع الانجازات التى تعود الى هذه الفترة هو اتمام أكبر محطة توليد كهرباء مائية فى العالم على الفولجا بالقرب من كويبشيف ، وزيادة انتاج بترول (الفولجا - أورال) من ١٥ مليون عام ١٩٥٠ الى ١٢٠ مليون طن عام ١٩٦٠ ، وزيادة انتاج الصلب بنحو أربع مرات في الفترة من ١٩٤٨ (١٨ مليون طن) الى ١٩٦١ (٧١ مليون طن) وقيام قاعدة صناعية ضخمة للصلب منافسة للدون باس والاورال فى المنطقة بين كاراجندا وبحيرة بيكال كما مدت أنابيب البترول عن حقول (الفولجا - أورال) الى سيبيريا وشرقى أوروبا •

على أن ما تم انجازه يتضاءل الي جانب البرنامج الموضوع لفترة ١٩٧١ / ٧٥ اذ يتضمن الاخير زيادة الانتاج الصناعى بنحو ٦ مرات ، ورفع انتاجية العامل بنحو ٤ مرات وزيادة انتاج الكهرباء بنحو ١٠ مرات، والصلب وموارد القوى بنحو ٤ مرات •

وتسهم الصناعة بنحو ثلثى الدخل القومى ، مع أنها لا تستخدم سوى ٣٠ ٪ من القوى العاملة ، وقد يعكس هذا صورة لانخفاض انتاجية العامل الزراعى ، وفي نفس الوقت يرجع الى زيادة انتاجية العامل الصناعى ويتوقع المخططون زيادتها الى ٧٠ ٪ فى الاعوام التالية •

فروع الصناعة :

يجب أن يلاحظ أن التقدم الصناعى السوفيتى لم يكن متساويا في جميع الفروع ، فهناك تقدم فى السلع الانتاجية أكثر منه فى السلع الاستهلاكية ، فبينما كانت السلع الاستهلاكية تمثل ٧٥ ٪ من الانتاج الصناعى عام ١٩١٣ ، أصبحت لا تمثل سوى ٢٥ ٪ من هذا الانتاج عام ١٩٦٣ ، ومع هذا فحجم السلع الاستهلاكية عام ١٩٦٣ يبلغ ثمانية عشر مرة قدر حجم السلع الاستهلاكية عام ١٩١٣ • وعادت الخطة التسعية ١٩٧١ / ١٩٨٠ لتكون أول خطة في تاريخ الاتحاد السوفيتى يرتفع فيها معدل نمو الصناعات الثقيلة وذلك حتى تتحسن أحوال المعيشة لدى السكان •



(شــكل رقم ٣٤) المراكز الصناعية فى الاتحاد السوفيتى

ملاحظات على الاقتصاد السوفيتي في أواخر السبعينات :

١ ـ يتأثر الاقتصاد السوفيتى بالقطاع الزراعى بصورة رئيسية ، فبينما الزراعة الســوفييتية فى نمو ، الا أن الذبذبات الحادة في الانتاج تجعله يعتمد على الاستيراد وخاصة الحبوب لغذاء الانسان والحيوان٠

٢ ـ أن هناك تغير فى الدور الذى يلعبه الاتحاد السـوفيتى فى الاقتصاد العالمي وبين عامى ١٩٧٠ ، ١٩٧٥ زاد حجم تجارته الخارجية من ٢٢ر١ مليون روبل الى ٥٠ر٧ مليون روبل ، وزاد حجم التعامل مع الـكتلة الغربيـة من ٢١ ٪ من حجم تجارته الى ٣١ ٪ منهـا وذلك بسـبب حاجته الى التكنولوجيا والحبوب الغذائية ، وفى نفس الوقت انخفضت تجارته نسـبيا مع دول الـكتلة الشرقية ٠

٣ - أن لديه عجز فى العملة الصعبة ناتج عن وارداته بالعملة الصعبة تفوق صادراته ويعالج هذا العجز بتصدير النفط ، وبالاقتراض الطويل الاجل ·

٤ - تخطي الاتحاد السوفيتى فى السبعينات ، أزمة الطاقة وارتفاع أسعارها ، ومع ذلك ، فالمتوقع أن الاكتشافات الجديدة ستحتاج الى تكنولوجيا ، وتكاليف باهظة ·

٥ - أن ميزانية الدفاع السوفيتية تمثل عنصرا رئيسيا فى مصروفات الدولة وقدرتها الدوائر الغربية بنحو ١٢ ٪ من مجموع الانتاج القومى عام ١٩٧٦ ، فالقطاع الحربى له الاولوية على كل شىء ، هو أكثر القطاعات تقدما من الناحية التكنولوجية ، مما قد ينعكس أثره علي القطاعات المدنية فى المستقبل ، وفى نفس الوقت يعتبر هذا القطاع حملا ثقيلا على الاقتصاد السوفيتى ، فيكفى أن تعرف أنه يعمل به وحده نحو ٢٤ مليون نسمة في دولة فى حاجة الى مزيد من الايدى العاملة للاستثمارات المختلفة ·

التوسع الاقليمى للاتحاد السوفيتى

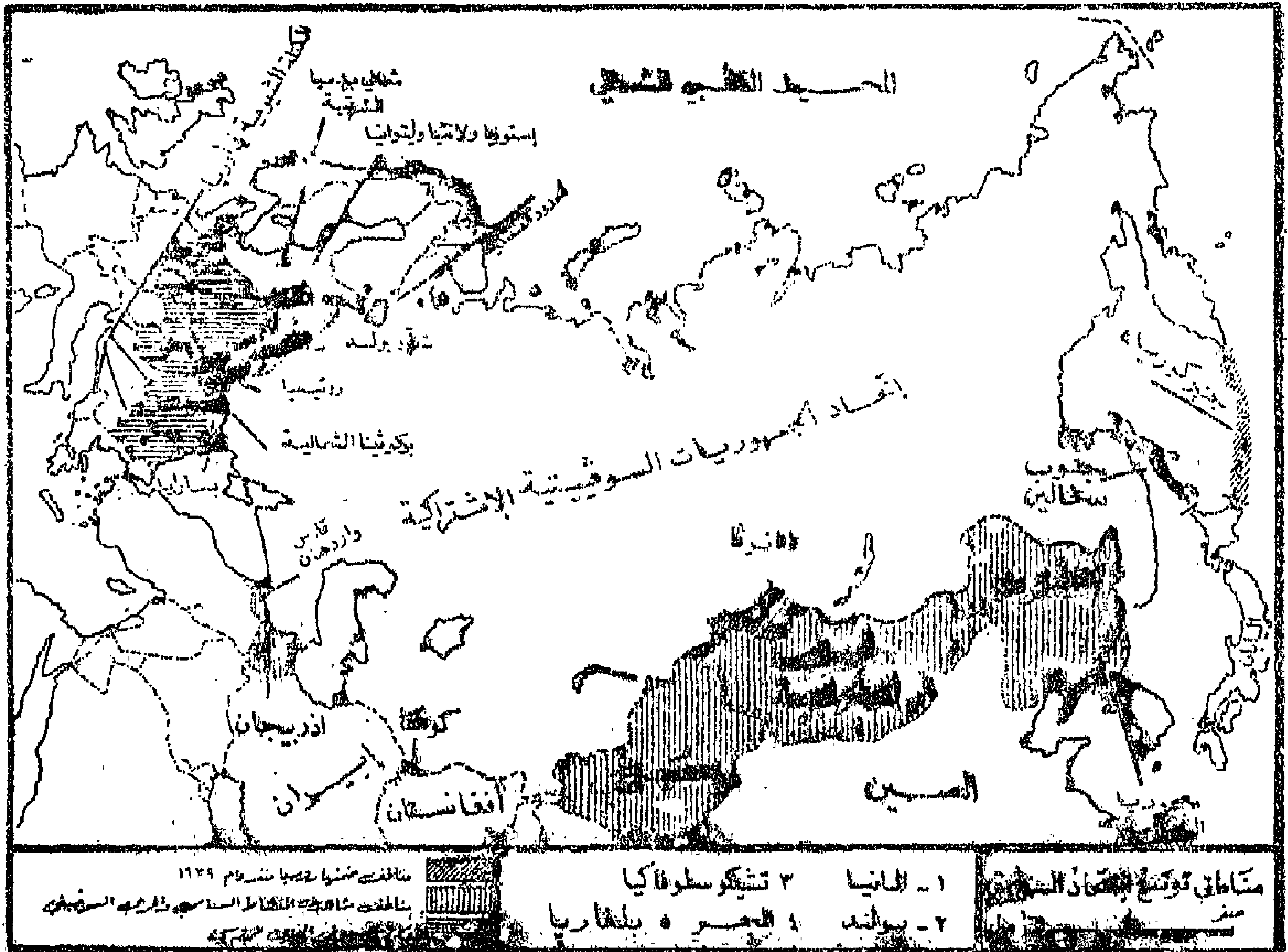
خرج الاتحاد السوفيتى من معارك الحرب العالمية الثانية باتساع فى رقعته سواء فى آسيا أو في أوربا ، وقد قال لورد كيرزون « أن الحدود بحق حد الموس الذى تعلق عليه ادعاءات الحرب والسلام ، الحياة أو الموت بالنسبة للدول » اذا كانت الحدود وحدها ليست كفيلة وحدها باشعال الحرب في وقتنا الحاضر ، الا أنها يمكن أن تكون دائما مبررا لها ، واذا بحثنا عن مناطق التوتر الدولى عقب الحرب العالمية الثانية ، لوجدنا منها اليونان ، برلين ، يوغسلافيا ، والتبت ، والصين الهندية ، وفرموزا ، وتركيا ، وكوريا ، ولم يكن من هذه المناطق ما يجاور الاتحاد السوفيتى مباشرة الا تركيا ، وكوريا ، وفي نفس الوقت يجب الا ننسى بأن نفوذ الاتحاد السوفيتى أصبح يتعدى حدوده على الخريطة سواء فى أوربا أو آسيا ·

ليس من شك أن دولة بهذا الاتساع مثل الاتحاد السوفيتى ذات حدود طويلة ، وان كانت أطوال هذه الحدود البرية لا تزيد على نصف أطوال سواحله ، ومع ذلك فهي تمتد لمسافة ١٠٠٠٠ ميلا ، وتشترك بذلك مع

احدى عشرة دولة ، خمس منها فى آسـيا ، وسـتة فى أوربا ، وعلى ضوء ما هو معروف عن الطموح السـوفيتى من ناحية ، والشـخصية الدولية للشـيوعية من ناحية أخرى ، فيمكن لهذه الحدود الطويلة أن تقدم مسارح مغرية لمجموعة من الاعمال تهدف جميعا لزيادة النفوذ السوفيتى ، سـواء للدعاية ، أو لتسرب الذهب الشيوعي أو الحروب الاهلية وغير ذلك ٠

مكاسب الاتحاد السوفيتى فى أوربا :

لقد طويت خريطة أوربا القديمة وظهرت خريطة جديدة عليها توسـع كبير للاتحاد السـوفيتى ، فعلى طول الالف ميل بين بحر بارنتـس وخليج فنلندا نجد أن مكاسبه قد أمنتها معاهدة موسكو مع فنلندا عام ١٩٤٠ ، ثم زادت المسـاحة بعد الحرب السوفيتية ـ الفلندية الثانية ، ثم معاهدة الصلح فى فبراير ١٩٤٧ ٠ وأما الاراضى الواقعة بين بحرى البلطيق والاسـود ، فقد تأثرت باتفاق النازى والسوفيت في أغسـطس عام ١٩٣٩ ثم فقدتهـا روسيا بعد ذلك لتستعيدها مرة أخرى بعد الحرب الثانية ٠



شكل (رقم ٣٥) مناطق التوسع السوفيتى

ويتوسع الاتحاد السوفيتي غربا ، برز الاتحاد السوفيتي في منطقة شرق أوربا ، وذلك بضم **دويلات البلطيق** كجمهوريات في الاتحاد ، وكذلك يضم بعض مناطق من خمس دول على الاقل وهى فنلندا والمانيا وبولندا ، وتشيكوسلوفاكيا ، ورومانيا ، وقد بلغت هذه الاضافات نحو ١٩٠٫٠٠٠ ميل مربع ، واذا كانت هذه المساحة لم تزد الاتحاد السوفيتي أكثر من ٢ ٪ من مساحته فانها أكبر من مساحة ولاية كاليفورنيا ، وليس هذا فحسب ، بل تمتد فى ٢٥ درجة عرضية ، وفضلا عن هذا ، فقد زاد عدد سكان روسيا بنحو ٢٤ مليون نسمة نصفهم على الاقل من الروس البيض والاكرانيين ، وبذلك زادت القوة البشرية للاتحاد السوفيتي فقد قصرت حدوده مابين البحر الاسود وبحر البلطيق وفى أقصى الجنوب تخطت تقسيم المياه جبال الكربات ، وفي نفس الوقت أصبح يطل على فنلندا من شمالها الشرقى ، ولعله من المفيد أيضا أن نذكر بأن المكاسب الاقليمية للاتحاد السوفيتى فى أوربا قد جعلته على اتصال مباشر بثلاث دول هى النرويج وتشيكوسلوفاكيا والمجر ، وقد كانت بعيدة عن حدوده من قبل ، فالاولى كانت تفصلها فنلندا ، والثانية والثالثة كانت تفصلهما أرض بولندية ورومانية ٠

توسع الاتحاد السوفيتي شمالا على حساب **فنلندا** فى ثلاث قطاعات رئيسية وكان من نتيجة هذا هجرة ٤٠٠٫٠٠٠ فنلندى من المناطق التى ضمها اليه واعيد توطينهم فى فنلندا ، ولعل من أهم هذه التسويات هى تلك التى بالقرب من بوغاز كاريليا عند عنق اليابس الذى يضيق حتى يبلغ عرضه ٥٠ ميلا بين بحيرة لادوجا وخليج فنلندا الذى تقع علي رأسه لينينجراد ٠ فقد كان تخطيط الحدود قبل ذلك فى صالح جمهورية فنلندا ، مستفيدة فى ذلك الوقت من ضعف روسيا البلشفية فى أوائل عهدها ٠ وأقامت فنلندا خطها الدفاعى المعروف بخط مانرهيم Mannerheim على بعد ٣٠كيلومترا من لينينجراد ، وكان هذا هو السبب الاول لهجوم السوفيت علي فنلندا عام ١٩٣٩ ، ذلك أن لينينجراد بضواحيها كان يزيد سكانها على ثلاثة ملايين نسمة (أكبر مدينة فى هذه العروض) وتضم نحو عشر الانتاج الصناعى السوفيتى فضلا عن قيام أحواض بناء السفن ، كما أنها منفذ روسيا الوحيد على البلطيق ٠

وتمتد المنطقة التي الحقت بالاتحاد السوفيتى فى بوغاز كاريليا من رأس الخليج الى ما بعد الشواطئ الشمالية الشرقية من بحيرة لادوجا ، وبذلك حصل على منفذ آخر على البلطيق عن طريق ميناء فيبرج Viborg

الحيوية بالنسبة لفنلندا ، وقد زاد من تحكم روسيا فى خليج فنلندا معاهدة ١٩٤٧ ، والتى بمقتضاها تستأجر روسيا بروكال Porkal لمدة خمسين عاما (شبه جزيرة) وهذه المنطقة فى غاية الحساسية بالنسبة لفنلندا لانها تتحكم فى حركة المواصلات البحرية مع العاصمة هلسنكى ، ذلك أن الاتحاد السوفيتي سبق له أيضا السيطرة على القسم الجنوبى من الخليج عن طريق ضم استونيا ، وبخاصة ميناء تالين الذى ربط بخط حديدى بلينجراد ، هذا وقد استرجعت فنلند منطقة بوركال عام ١٩٥٥ ٠

وتمتد المنطقة الثانية التى اقتطعت من فنلند عبر الدائرة القطبية أو فى وسط الحدود بين البحر الابيض وخليج بوثنيا ، وهذه المنطقة جزء من مساحات كبيرة مغطاة بالغابات والمستنقعات ، وتسكنها أعداد قليلة من الفن والروس ، وبذلك تمثل منطقة فصل بين روسيا وفنلندا على عكس منطقة بوغاز كاريليا المزدحمة بالسكان واستطاع الاتحاد السوفيتى أيضا استخلاص ممر فنلندا شمال الدائرة القطبية حيث يمتد الطريق القطبي من كيمى Kemi الى ميناء بتسامو (حاليا بشينجا Pechenga) وهى طريق مباشر بين خليج بوثنيا والمحيط القطبي الشمالى ، وقد أفاد هذا الجزء الاتحاد السوفيتي من ناحيتين ، هما سيطرة الاتحاد السوفيتى على مصاهر النيكل فى بتسامو التى كانت تملكها شركات كندية من قبل ، واشتراكه فى الحدود مع النرويج فى اقليم فنمارك ٠

وواضح من هذا أن الاتحاد السوفيتى أصبح علي اتصال مباشر بالنرويج بصرف النظر عن فنلند والسويد وتعتبر هذه السواحل من المكاسب الكبيرة بالنسبة لروسيا ، نظرا لان مياهها العميقة لا تتجمد شتاء كما هو الحال فى البحر الابيض الروسى وخليج فنلند ٠

ويضم استونيا ولاتفيا ولتوانيا وجزء من بروسيا الشرقية اليه ، استعاد الاتحاد السوفيتى أجزاء من الامبراطورية الروسية ولكنه في نفس الوقت ضم أراضى جديدة فقد كانت استونيا وشمال لاتفيا مكاسب حرب حصل عليها بطرس الاكبر من السويد ، وظلت على هذا الحال حتي نهاية الحرب العالمية الاولى ، أماقية لاتفيا ولتوانيا ، فقد ضمتها روسيا بعد تقسيم بولند عام ١٧٩٥ ، وكان لتقسيم بروسيا الشرقية الى قسمين ، وضم القسم الشمالي منها بما فيه كونجسبرج (تعرف الآن باسم كالننجراد) الى لتوانيا ، أن أصبح بدوره جزءا من الاتحاد السوفيتى ٠

تمتد الحدود البولندية الروسية في الوقت الحاضر لمسافة تتراوح بين ١٠٠ و ٢٠٠ ميل الى الغرب من حدودها بين الحربين ، وقد حددت هذه الخطوط الجديدة شكلا من الاشكال الكثيرة ، التى مرت بها بولندا على مدى الف عام فى هذه المنطقة القلقة من شرقى أوروبا ، ويجرى خط حدود ما بعد الحرب من الغرب الى الشرق في الشمال أى جنوب لترانيا، ثم يسير جنوبا تاركا جرودنو Grodno فى أيدى السوفييت ليتجه بعد ذلك مع أعالى نهر بوج Bug بحيث تقع كل مستنقعات بريبيت فى روسيا البيضاء ، ومن هناك تتجه جنوبا بغرب عبر مرتفعات غاليسيا الى جبال الكربات ٠ وفى الحق يتفق خط الحدود البولندية الروسية كما اتفق عليه في بوتسدام مع خط الحدود الاثنوجرافية الذى رسمه لورد كيرزون عام ١٩٢٠ والذى عرف باسم خط كيرزون ٠ أما عن نسبة البولنديين الذين دخلوا حدود أوكرانيا فيقدر بنحو ٢٠ ٪ من سكانها بينما يكون الاوكرانيون والروس البيض نحو ثلثي السكان ، ويعتقد السوفييت أن خط الحدود الجديد الذى قام على أسس اثنوجرافية ، قد أعاد لهم أراضيهم فى الغرب ٠

كان للاتحاد السوفيتى **ادعاءات في أراضى رومانيا** ، كما كان الحال مع بولندا وقد جاءت الفرصة للتسوية عام ١٩٤٠ بعد معاهدة روسيا مع النازى عام ١٩٣٩ ، فقد حصل الاتحاد السوفييتي من رومانيا على بوكوفينا الشمالية وبسارابيا ، ومن ثم وصل بحدوده الى نهر بروث ودلتا الدانوب ، ومن الناحية التاريخية كانت بوكوفينا جزءا من بلدية مولدافيا التى اتحدت مع ولاشيا عام ١٨٥٩ ، وطردا الحكم التركي ، وخلفا ما عرف باسم دولة رومانيا المستقلة ، أما بسارابيا فهى منطقة استبس ذات انتاجية زراعية عالية تقع بين نهرى بروث والدنيستر ، وتواجه كلا من دلتا الدانوب ، والبحر الاسود ، ويبلغ عدد سكان بسارابيا نحو ثلاثة ملايين نسمة يكونون خليطا من السكان ، فيكون الرومانيون أو الملدافيون كما يطلق عليهم الروس نحو ٥٦ ٪ من السكان ، بينما يكون الاوكرانيون نحو ٢٣ ٪ واليهود نحو ١٢ ٪ وبسارابيا من الناحية التاريخية جزء من ملدافيا كما هو الحال فى بوكوفينا ولكن استطاع الاسكندر الأول امبراطور روسيا بعد حملة حربية ناجحة ضد الترك الحصول عليها بموجب معاهدة ، ولم تصبح جزءا من رومانيا الا بعد تسويات الحرب العالمية الاولى أى عام ١٩١٩ ٠

ولقد كانت مكاسب الاتحاد السوفيتي عديدة من ضمه لشمال بوكوفينا وبسارابيا فامتداد حدوده على طول نهر كليا Kilia أحد فروع دلتا الدانوب أعطاه الحق فى أن يصبح أحد دول الدانوب ، فضلا عنه أنه أصبح يحيط برومانيا من الدانوب الي بساربيا وبوكوفينا وروثينا ، هذا فضلا عن انتاج بساربيا من الحبوب الذى يختلف عن انتاج أوكرانيا فى أن استهلاكه المحلى ضئيل نظرا لقلة سكان المدن فيها ٠

مكاسب الاتحاد السوفيتى من الشرقين الاوسط والاقصى :

تمتد الحدود الدولية للاتحاد السوفيتي فى آسيا لمسافة ٨٠٠ ميل ، وبهذا تشترك مع دول جنوب غرب آسيا ووسط آسيا والشرق الاقصى ، كما تقترب فى نفس الوقت من شبه القارة الهندية ٠

وتنحصر مطالب السوفييت في آسيا منذ عام ١٩٣٨ فى تانوتوفا Tanu Tuva وجنوب سخالين ، وجزر الوشيا ، وبورت آرثر وتبلغ مساحة هذه جميعا ٨٠٫٠٠٠ ميل مربع ، ورغم هذا فتعتبر حدوده الآسيوية أكثر استقرارا من نظيرتها الاوروبية ، ورغم أن هذه الحدود الآسيوية أقرب الى الحدود الفاصلة لوعورة الجبال ، وخلخلة السكان وجفاف الهضاب ، فقد شاهدت أيضا بعض التوتر ، ذلك أن السياسة السوفييتية لم تغفل هذه المنطقة ، وقد اعتمد نجاح هذه السياسة على عاملين هما ٠ أولهما أن الاتحاد السوفيتى مجمع للقوميات ، وثانيهما تطبيق تكنولوجيا الغرب في جنوب سيبريا ووسط آسيا السوفيتى ٠ ويتاخم الاتحاد السوفيتى في جنوب غرب اسيا تركيا وايران وأفغانستان ، وكان اقرب السوفييت من تركيا على طول حدودها القوقازية وفى أوربا حيث تشترك بلغاريا الشيوعية فى حدودها مع تركيا أثره فى محاولات الضغط على تركيا بعد ١٩٤٥ والواقع ان العلاقات التركية السوفييتية منذ معاهدة ١٩٢١ ظلت ودية غير أن اتفاقية تركيا السرية مع النازى عام ١٩٤١ قبل الهجوم الالمانى على الاتحاد السوفيتى والخاصة بحياد تركيا ، ادى بالاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٥ الى سحب اعترافه بمعاهدة عدم الاعتداء (١٩٢٥) مع تركيا ٠ غير أن هذا يرجع في حقيقة الامر الى اطماع روسيا فى تركيا منذ عهد القياصرة ، وذلك أن تركيا تتحكم فى

البوسفور والدردنيل ، وهما على درجة كبيرة من الاهمية الاستراتيجية والاقتصادية ، فضلا عن أن تركيا تقع قريبة للغاية من المراكز الصناعية فى الاتحاد السوفييتي وخاصة حقول البترول فى القوقاز والفولجا ــ أورال ، ومراكز الصناعات المعدنية في الاورال ٠ وقد حاول الاتحاد السوفييتى عامي ١٩٤٥/١٩٤٦ أن يشترك فى السيطرة والدفاع عن المضايق مع تركيا ، ولكنه فشل ، وطلب عام ١٩٤٥ أيضا بالمناطق الواقعة حول قارص وأردهان، حيث تقيم أقلية أرمنية ، وكانت هذه الاقاليم تابعة لروسيا فيما بين ١٨٧٨ ــ ١٩١٧ ولكنه تنازل عنهما لتركيا ، وأيدت معاهدة ١٩٢١ هذا التنازل ، وبينما تعتبر تركيا حجر عثرة في سبيل وصول الاتحاد السوفيتى الى البحر المتوسط وكقاعدة للعدوان عليه ، نجد أن نظرة السوفييت لايران لا تختلف عن ذلك كثيرا لانها تحول بينه وبين المحيط الهندى والبحر العربي ، ويتاخم الاتحاد السوفييتى ايران في القوقاز وفى وسط آسيا وتشترك معه فى ملاحة بحر قزوين ونظرا لضعف ايران وعدم قدرتها على مقاومة أي عدوان ، فقد أصبحت دولة حاجزة لان هذا ناسب المصالح الروسية والبريطانية فالاتحاد السوفيتى يريد تأمين نفسه ضد أى هجوم قد يأتى من هذا الطريق وفي نفس الوقت رغبت بريطانيا أيام سطوتها فى منع أى قوى كبرى من الوصول الي الخليج العربى ، ومن ثم ظهور ما عرف باسم مناطق النفوذ Spheres of Influence فى ايران ، روسيا فى الشمال ، وبريطانيا فى الجنوب ، وعندما هدد النازى ايران عام ١٩٤١ ، دخلت روسيا وبريطانيا ، واحتل كل منهما الجزء الخاص به ٠ وأصبحت ايران بفضل المعونات الامريكية وشق الطرق ، طريق امداد من الحلفاء للاتحاد السوفيتي ٠

وقد تلكأ الاتحاد السوفيتى فى سحب قواته من ايران بعد الحرب الثانية في الميعاد المحدد وهو ٢ مارس ١٩٤٦ ، وذلك لرغبته فى الحصول على امتياز لاستخراج البترول من شمال ايران ، وكان السوفيت يحتلون ولاية أذربيجان المتاخمة لاذربيجان السوفيتية ، وكلاهما تسكنه عناصر تركية ، كذلك كان لموقع تبريز عاصمة أذربيجان أهمية استراتيجية لانها مركز يتحكم فى الطرق المؤدية الى تركيا والعراق ٠ وحاول الاتحاد السوفيتى خلق حركات انفصالية للضغط على حكومة طهران واعطائه امتياز البترول ، سواء بتشجيع حركة انفصالية من ولاية أذربيجان ، أو حركة الاكراد ولكن جهوده فشلت في هذا المضمار ، وانسحبت القوات السوفيتية ، وغير الاتحاد

السوفيتى من تكتيكاته السياسية ، وعقد اتفاقية تجارية مع ايران عام ١٩٥٠، كوسيلة لتسرب نفوذه السياسى · ورغم ذلك فيبدو أن قبضة الغرب أقوى علي ايران من نفوذ الاتحاد السوفيتى ·

وتتاخم أفغانستان ثلاث جمهوريات سوفيتية هى تركمان وأوزبك وتادجيك وهذه الدولة الفقيرة التى تغلب على طبيعتها الجبال ، وتتعدد فيها عناصر السكان ، كان يمكن أن تقع بسهولة فريسة للاتحاد السوفيتي لولا موقعها الجغرافى متحكمة فى الطريق الرئيسى الي الهند · وقد فكرت الحكومة البريطانية فى خلق دولة أفغانية صديقة ، تصبح كدولة حاجزة ضد أى توسع روسى ، وظلت بريطانيا تدير شئون أفغانستان الخارجية حتى عام ١٩١٩ ·

وتضم أفغانستان من التادجيك أكثر ما تضم جمهورية تادجيك السوفيتية فضلا عن أقلية من الأوزبك ، من ثم فالحدود الافغانية الروسية قد تكون مثار تعديل من جانب الاتحاد السوفيتي علي أساس اثنولوجى · وتتاخم جمهوريات تاجيك ، والقرتميز وقازاقسان سنكيانج الصينية · وتمر كثير من الطرق التاريخية عبر هذه المنطقة ، بعضها أصبح طرقا للسيارات فى الوقت الحاضر ، يربط بين وسط آسيا وسشوان والشرق الاقصى · وتتميز سنكيانج باتساعها وجفافها ، كما يسكنها نحو ٤ ملايين نسمة · وان كانت أقاليمها الشمالية المتاخمة للاتحاد السوفيتى هى أكثرها غنى وأكثفها سكانا ، فهى منتجة للحبوب والصوف ، فضلا عن أن الابحاث تشير الي وجود الولفرام ، والبترول ، والذهب ، والفحم ، والحديد ، والنحاس ·

وقد كانت قبضة الصين علي سنكيانج ضعيفة منذ أن ضمتها اليها عام ١٨٨٢ ، ثم وجدت مقاومة محلية فى كثير من الاحيان ، نظرا لان هذه الولاية البعيدة عن الصين لا يعمرها الصينيون ، اذ يكون الاتراك المسلمون نحو ٧٧ ٪ من السكان ، والقازاق نحو ١٠ ٪ ، بينما لا يكون الصينيون سوى ٨ ٪ ·

ورغم اتفاق الصين وروسيا فى معاهدة ١٩٤٥ ، على أن روسيا ليس لديها أى نية للتدخل فى شئون الصين الداخلية · فقد أصبحت ميدانا للتسرب السياسى والاقتصادى السوفيتى ، ووضح هذا من قيام حركة انفصالية في المراكز الثلاثة الشمالية من سنكيانج عام ١٩٤٤ لاقامة

جمهورية ستكيانج ، ولكن السياسة السوفيتية فى ستكيانج أصابها شيء من التعديل نظرا للعلاقات الطيبة بين كل من موسكو وبكين حينئذ ، وازدادت قبضة الصين على البلاد ، وقامت شركات سوفيتية صينية لاستغلال الثروة المعدنية فى سنكيانج ، تنفيذا لمعاهدة الصداقة ، والتحالف وتبادل المعونات الفنية ، المعقودة بين الدولتين عام ١٩٥٠ ، ومد خط حديدى ليربط بين الماآتا عاصمة قازاقستان عبر سنكيانج الى بكين .

ويتاخم الاتحاد السوفيتى بعد ذلك نحو الشرق **منغوليا الخارجية** ، وهنا كما كان الحال في سنكيانج وتانوتوفا ، كانت الجغرافية والسياسية في صالح الاتحاد السوفيتى أكثر من الصين . فالنصف الشمالى من منغوليا تغطيه الحشائش والاشجار بينما القسم الجنوبى الذى يعتبر جزءا من صحراء جوبى هو الذى يجاور الصين ، من ثم كانت منغوليا الخارجية أقرب الى الاتحاد السوفيتى منها الى الصين وقد ساعد السوفيت على اقامة جمهورية شعبية هناك منذ ١٩٢١ ومع تقدم اليابان فى منشوريا ومنغوليا الداخلية فى الثلاثينات ، زاد اهتمام الاتحاد السوفيتي بهذا الاقليم ، لأنه يغطي المدخل الطبيعى من الشرق الاقصى الى شرق سيبيريا ، ومن ثم وقع اتفاق تحالف دفاعي بين الاتحاد السوفيتى ومنغوليا الخارجية عام ١٩٣٦ لمواجهة التهديدات اليابانية ، واشتركت القوات السوفيتية مع القوات المنغولية في عملية التقدم السريعة لطرد اليابانيين من شمال الصين عام ١٩٤٥ . وكان من الممكن للاتحاد السوفيتى امتصاص منغوليا الخارجية بدعوى توحيد المغول ، الا أنه فضل استقلالها السابق ، وضمن موافقة الصين على اجراء استفتاء بين السكان . وكانت نتيجة استفتاء أكتوبر ١٩٤٥ ، والتأكيد على قيام جمهورية منغوليا الخارجية المستقلة . هذا وقد أكد الخبراء غنى هذه الجمهورية بالثروة المعدنية من الفحم ، والحديد ، والنحاس ، والرصاص ، والذهب ، والفضة ، بل ويعد فحم منغوليا في الجهات الواقعة قرب منشوريا وقد مد الاتحاد السوفيتى خطه الحديدى العريض الي الانباتور العاصمة كما أدخل خبرته الفنية ورأس المال لتنمية الاقليم .

ويشترك الاتحاد السوفيتى فى حدود الشرق الاقصى مع الصين وكوريا وفى الحق تعتبر هذه المنطقة على درجة كبيرة من الاهمية الاستراتيجية والحساسية السياسية . ولابد أن نذكر في هذا المجال أن الروس وصلوا الي الباسفيك منذ عام ١٤٦٩ ، أى قبل أن يصلوا الى البلطيق والبحر الاسود

ومع هذا فلم تؤمن روسيا أقاليمها الشرقية الا بعد عقد معاهدة مع الصين فى عامى ١٨٥٨ ، ١٨٦٠ وبمقتضاها سار خط الحدود مع نهر عامور ورزافده السورى ، ولم تظهر مشكلات فى هذا الاتجاه الا فى العقود الاخيرة ، وقد ظهرت هذه المشكلات نتيجة الاطماع الاستعمارية اليابانية، ومد خط حديد سيبيريا ، وتعمير منشوريا بالمزارعين الصينيين ، فضلا عن ضعف الصين ، ولقد كانت منشوريا بدورها ميدانا فسيحا لاستغلال اليابانيين والروس • وقد اضطر الاتحاد السوفيتي الى تشييد منشآت عسكرية دائمة في الشرق الاقصى لاحتواء القوات العسكرية اليابانية فى منشوريا ، غير أن نتيجة تدهور قوة اليابان ، وقيام النظام الشيوعى فى الصين أن أصبح الموقف أفضل من قبل ، حصل الاتحاد السوفيتى على مكاسب من اليابان والشرق الاقصى نتيجة اتفاقه السرى في يالتا عام ١٩٤٥ بدخول الحرب ضد اليابان بعد هزيمة المانيا ، وتشمل هذه المكاسب جزر كوريل وجنوب سخالين ، مما حول بحر أوختسك الى بحيرة روسية ، وتأجير بورت أرثرليكون قاعدة للاسطول السوفيتي ، فضلا عن تدويل ميناء دايرن التجارى • على أن الاكثر أهمية هو الاعتراف بمركز الاتحاد السوفيتى الممتاز فى منشوريا وادارتها السكك الحديدية فيها بالاشتراك مع الصين ، وتعتبر منشوريا أيضا من الاقاليم الغنية بانتاجها الزراعى من فول الصويا والحبوب فضلا عن المعادن الممثلة في الحديد والفحم وغيرها • وقد أعيدت منشوريا الى الصين طبقا للاتفاقية الروسية الصينية عام ١٩٤٥، وعادت ادارة السكك الحديدية للادارة الصينية عام ١٩٥٢ ، كما أعيدت ميناء بورث أرثر الي الصين عام ١٩٥٥ •

مكاسب الاتحاد السوفيتي الاقليمية منذ عام ١٩٣٩

المساحة وتاريخ ضم المنطقة		المساحة بالميل المربع	السكان
فنلنـــد	(١٩٤٠)		
بوغاز كاريليا		١٠ر٥٧٠	٤٨٦ر٣٦٥
أربع جزر فى خليج فنلنــد		١٩	٢ر٩٣٥
قطاع سلا – وسط فنلنــد		٣ر٠١٠	٥ر٥٥٠
شــبه جزيرة ريباكى		٤٥	٩ر٤٠١
اقليم بتسامو (بيشنجا)		٤ر٢٨٨	١٠ر٠٠٠
	المجموع	١٧ر٩٣٢	٥١٤ر٢٥١
استونيــا	(١٩٤٠)	١٧ر٤٦٣	١ر١٣٤ر٠٠٠
لاتفيــا	(١٩٤٠)	٢٥ر٢٦٢	١ر٩٩٤ر٥٠٦
لتوانيــا	(١٩٤٠)	٢٠ر٣٩٥	٢ر٨٧٩ر٠٧٠
المانيا شمال شرقى بروسيا	(١٩٤٥)	٦ر١٠٠	٨٣٠ر٠٠٠
بولنـــد	(١٩٤٥)	٨٦ر٦٦٧	١ر٩٠٠ر٠٠٠
تشيكوسـلوفاكيا	(١٩٤٥)		
روثينيا كربات أوكرانيــا		٤ر٩٢١	٧٢٥ر٠٠٠
رومانيــا	(١٩٤٠)		
بوكوفينــا الشــمالية		٢ر١٩٥	٦٥٠ر٠٠٠
بســارابيــا		١٧ر١٤٣	٣٠ر٠٠٠
افغانسـتان	(١٩٤٦)		
منطقة كوشـــكا		١ر٠٠٠	
تاناتوفــا	(١٩٤٦)	٦٤ر٠٠٠	٦٥ر٠٠٠
اليــابان	(١٩٤٥)		
جنوب ســـخالين		١٣ر٩٣٥	٣٣٢ر٠٠٠
جزر كوريل		٣ر٩٤٤	١٧ر٥٠٠
	المجموع	٢٦٢ر٩٥٧	٢٣ر٠٤١ر٣٧٧

الفصل الثالث

آراء في الاستراتيجية الكوكبية

مفهوم الاستراتيجية :

الاستراتيجية فى معناها العام هي فن استخدام القوة The art of using power ، أو بمعنى آخر هى فن القيادة فى الحرب بأجمعها وبذلك تتضمن الخطط العامة لاعداد المعارك ، وقد اشتقت الكلمة من استراتيجوس Strategus اليونانية بمعنى القائد ، وتقوم بوضعها القيادات العليا البرية والبحرية والجوية متعاونة ، ويختلف مفهوم الاستراتيجية عن التكتيك Tactics ، فهو فن القيادة على أرض المعركة ذاتها ، فاذا كانت الاستراتيجية هي التخطيط الذى يوضع لكسب الحرب ، فالتكتيك يوضع لخوض كل معركة على حدة ، وقد أخذت الكلمة أيضا من كلمة تاسين اليونانية ، وهي فعل معناه يهيء للحرب ٠

وتتغير الاستراتيجية والتكتيك حسب ظروف ، وان كان التكتيك أكثر تغييرا ومرونة حسب ظروف كل معركة وحالة العدو وتكتيكاته ٠ فاذا قلنا الاستراتيجية الكوكبية ، فهى اذا فن استخدام القوة ولكن على مستوى عالمى ٠

ماهان والقوة البحرية :

وتأتي نظرية ماهان Mahan. A. T. (١٨٣٠ – ١٩١٤) فى المقدمة وقد ذكرها فى كتابه عن أثر القوة البحرية في التاريخ فيما بين ١٦٦٠ ، ١٧٨٣ The Influence of Sea Power upon Histsry

وكان مفهوم ماهان مستمدا من تجاربه وخبرته كرجل بحر ، من ثم كانت القوة الحقيقية في نظره هي القوة البحرية ، وهى التفسير للتاريخ ،

ويرجع هـذا الى أن البحر كان حرفته ، كما أنه عاش في فترة كانت فيها بريطانيا ملـكة البحار ، من ثم لم يكن غريبا عليه الاعتقاد بأن القوة البحرية هي الدعامة الاولى للقوة العالمية ، فبريطانيا فى نظره سـتظل محتفظـة بالزعامة العالمية مدة طويلة ، وهناك دولة وحيدة لها الامكانيات الـكافية للتفوق تشبه بريطانيا فى كونها من ناحية الموقع الجغرافى فى عزلة بفضل المحيطات ، ولـكنها فى نفس الوقت لها امكانيات ضخمة ، ولذلك لابد لها من أسطول كبير • من ثم كان تركيز ماهان على القوة البحرية • ففى نظره البحر عبارة عن طريق متسع ، يسير فيه الانسان في جميع الاتجاهات • ويحمل البحر جميع السلع كمالية أو ضرورية الي موانيه ، سواء كانت من ثمرات الارض أو من صنع الانسان • وأمل كل دولة أن تقوم سفنها بهذه المهمة ، ومثل هذه السفن التى تقضى عمرها ذهابا وايابا فى عرض البحر ، لابد لها من موانى آمنة ترسـو فيها ، كما لابد وأن تحميها دولها في رحلاتها المختلفة • وفى هذه الامور الثلاثة وهى : (١) الانتاج مع ضرورة تبادل المنتجات • (٢) تصدير الانتاج بواسطة السفن • (٣) المستعمرات التي تسهل وتزيد من عملية الانتاج ، يمكن أن نجد تفسيرا للتاريخ فضلا عن تفسير سياسة الامم التى تطل على البحر •

ويعطي ماهان عناصر متعددة تؤثر فى قوة الدولة البحرية وهى :

١ — الموقع الجغرافي للدولة : ومن حيث عدد الجبهات التي تطل بها على البحر ، وما اذا كان هناك طرق سهلة ، لاتصال هذه الجبهات بعضها ببعض ، كذلك مدى تحكمها فى الطرق التجارية الرئيسية ، والقواعد الاستراتيجية ، وقدرتها على تهديد أراضى العدو بأسطولها •

٢ — التكوين الطبيعي للدولة ، ويقصد بها هنا خطوط الاعماق في المنطقة الساحلية : فالجبهة البحرية للدولة هى أحد تخومها ، وكلما يسرت هذه التخوم الاتصال بما ورائها ، كلما زاد ميل السكان الى الاختلاط بغيرهم ، فلو تصـورنا أن هناك دولة لها جبهة سـاحلية ، ولـكن لا يتوفر لها مرفأ ، فمثل هـذه الدولة لن تكون لها تجارة بحرية ، ولا سفن ولا أسـاطيل ، أما المرافىء المتعـددة العميقة فهى مصادر عز وقوة ، وتتضـاعف قيمتها ان وقعت على مصبات أنهار صـالحة

للملاحة ، لان مثل هذه الانهار تيسر حركة التجارة داخل الدولة • وان كانت تسهل الوصول اليها ، مما يشكل خطرا عليها اذا لم تجد الحماية الكافية •

٣ ـ امتداد الاقليم : ويقصد به أطوال السواحل البحرية ، والسهولة أو الصعوبة النسبية لحمايتها •

٤ ـ حجم السكان : لانه علي أساس عدد السكان تأتى قدرة الدولة على بناء السفن ، واعدادها بالرجال •

٥ ـ تحديد طبيعة الحكومة وسياستها ومدى توجيه موارد الدولة الطبيعية والبشرية لتقوية أسطولها التجارى •

وضرب ماهان مثلا بالولايات المتحدة الامريكية ، فهى دولة من المرغوب فيه أن تكون لها تجارة بحرية نشطة ، من ثم تحتاج الى حماية بحرية وقواعد استراتيجية وكان لامتداد سواحل المحيطين الاطلنطي والهادى وصعوبة الاتصال بينهما (لم تكن قناة بنما قد شقت) وامتداد البحار المحيطة بها لمسافات بعيدة مما يؤدى الى تجمع سفن الاعداء فيها ، مما كان له أثره فى زيادة حاجة الولايات المتحدة الى قوة بحرية •

ولم يدافع ماهان عن وجهة نظره امتلاك الولايات المتحدة للمستعمرات ، ولكنه كان يشير دائما الى المزايا الاستراتيجية الكبيرة التى جنتها بريطانيا من امتلاكها للمستعمرات •

وليس من شك فى أن آراء ماهان قديمة للغاية ، ومع ذلك فقد استفادة الولايات المتحدة الامريكية من نظريته وعملت بها ، في انشاء قواعد استراتيجية ممتدة من جزر الوشيان الى هاواى وبنما وجزر الهند الغربية ونيوفوندلند • ولكن ، مما هو جدير بالذكر أن فحص ماهان للماضى ، وتوصياته بشأن المستقبل تستند على أسس جغرافية صحيحة فضلا عن التكنولوجيا المناسبة لعصره • وليس من شك أيضا فى أن التقدم التكنولوجى فى وسائل النقل خلال السبعين عاما التي تلت عصر ماهان قد غيرت من هذه الآراء • فقد حلت القوة الجوية محل القوة البحرية ، واذا كان البحر يكون جزءا من الارض فان الجو يغلفها جميعا ،

ففي أيام القوة البحرية ، كان الخطر يأتى الدولة البحرية من سواحلها ، ولكن الخطر يمكن أن يأتيها اليوم من أى جانب من جوانبها ، وكان اقامة بضع قواعد بحرية عسكرية فى المياه القريبة من الدولة كفيل بابعاد الخطر عنها ، ولكنه في الوقت الحاضر ، ليس أقل من دائرة كاملة من الموانى الجوية ومحطات الرادار : فالقواعد فى سيول وأيسلند وفي أراضى غرب أوربا تعاون القاعد البحرية في جوانتنامو وبيرل هاربر ·

واعتقد ماهان بأن الدولة ذات السواحل البحرية لابد وأن تهدف نحو امتلاك قوة بحرية ، وأن القوة البحرية يجب أن تهدف نحو امتلاك قوة حربية ، وقواعد خارج أراضيها مما يؤدى الى قيام منافسة بين القوى البحرية لامتلاك مثل هذه القواعد · وقد أفرد جزءا كبيرا من كتابه للصراع بين القوى الفرنسية والاسبانية والبريطانية ·

وفى الفترة التاريخية التى بحثها ماهان كانت القوى البحرية قليلة ، وقد ازداد عددها بعدئذ ، وخلال القرن الحالي كانت هناك صراعات حادة فى سبيل امتلاك القواعد الاستراتيجية ، فدخول ألمانيا وايطاليا واليابان ولا شك زاد من حدة الصراع والتوتر الدولي ·

وكان هدف القوة البحرية حتى نهاية الحرب الثانية هو الاستحواذ على القواعد الاستراتيجية ، فالقوة البريطانية كانت تستند على سنغافورة وهونج كونج ، وجبل طارق ومالطة وعدن ، أى شريان الحياة الى بريطانيا الذى يمتد عبر قناة السويس · وكانت أزمة ١٩٥٦ الخاصة بقناة السويس هي محاولة من بريطانيا وفرنسا لاستمرار نفوذها فى منطقة القناة غير أن الصراع حول هذه المستعمرات انتقل من بين القوى البحرية بعضها والبعض الآخر ، الي صراع بين القوى وأهالى المستعمرة الذين يحاولون استرجاعها ، فبريطانيا لم تعد تحكم قبرص ، ولكنها نجحت فى ابقاء قواعد حربية لها فى الجزيرة وأنهى كاسترو قاعدة جوانتنامو ، ولم يعد الفرنسيون يمتلكون دكارو لابنزرت ، كما فقد الايطاليون طرابلس ورودس ، وهكذا كانت القواعد البحرية التى قال بها ماهان تفقد قيمتها السياسية من الناحية العملية ·

ماكندر والهارتلاند :

لم يحظ بحث قدم لجمعية علمية وآثار اهتمام المشتغلين بالشئون الاستراتيجية ، والعلوم الجغرافية والتاريخية مثلما حظي بحث ماكندر البريطاني Mackinder H. عن الركيزة الجغرافية للتاريخ The Geographic pivot of History الذى قدم للجمعية الجغرافية البريطانية عام ١٩٤٠ ، فقد آثار هذا البحث الجدول والمناقشة لمدة تزيد على النصف قرن واستمرت نظريته تدرس كموضوع أساسى فى الجغرافية السياسية ، أثرت على أفكار كيلين KJillen السويدى ، وهوسهوفر Husshofer الالمانى في الجيوبولتيكا ، بل وأثرت فى الاستراتيجية الالمانية عام ١٩٤٠ ·

فنحن هنا أمام بحث يحتوى علي تحليل للنمط السياسى فى العالم ، وتنبؤ يقوم على أساس هذا التحليل ·

وعاد ماكندر مرة أخرى وعرض نظريته عام ١٩١٩ فى كتابه المثل الديمقراطية والحقيقة Democratic Ideals and Reality

وكررها مرة أخرى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وتتلخص فى العبارات الآتية :

من يحكم شرق أوربا يسيطر على الهارتلاند (قلب العالم) ·

من يحكم الهارتلاند يسيطر على جزيرة العالم ·

من يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم ·

Who rules East Europe . Commands the Heartlsnd .

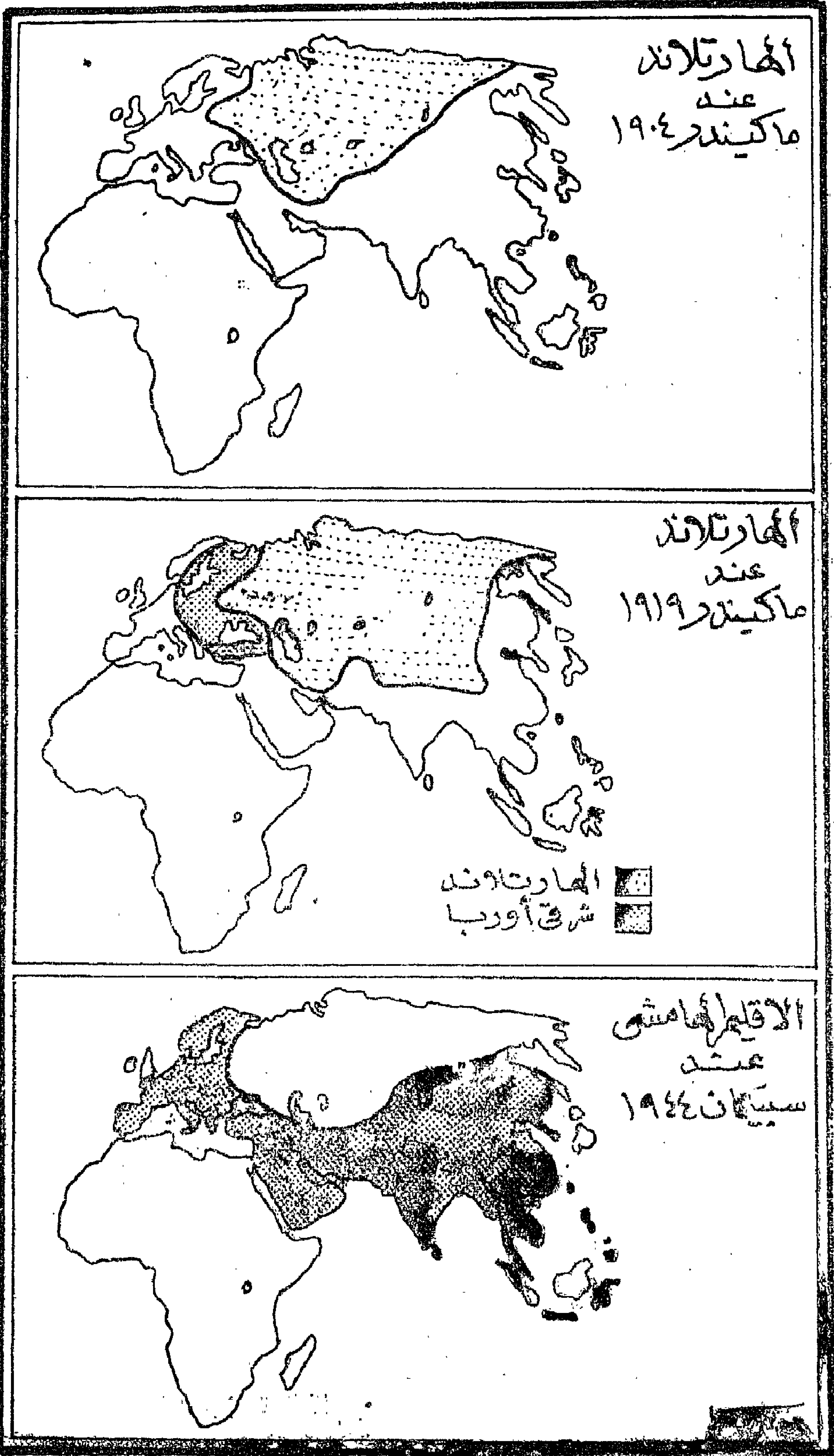
Who rules the Hearrtland . Commands the world Island

Who rules the world Island ' Commands the World

ويقصد ماكندر بجزيرة العالم تلك الحلقة المتصلة من اليابس وهي أوربا وآسيا وأفريقية ، ويقصد بشرق أوربا تلك المنطقة المتسعة من أوربا التى تسكنها العناصر السلافية ، التى تمتد من شرق شبه جزيرة جتلند

حتى نهرى الدوان والفلجا وبحر أزوف ، كما تشمل السويد شمالا وآسيا الصغرى في الجنوب الشرقى ، وتقع برلين وفيينا على أطرافها الغربية. أما الهارتلاند فتحديده الجغرافي معقد بعض الشيء ، وينظر اليه ماكندر من زاويتين : على اعتبار أنه يشمل مناطق الصرف الداخلى فى أوراسيا وعلى اعتبار أنه يشمل المناطق التى يصعب على القوى البحرية الوصول اليها (تحت الظروف السائدة حينذاك) اذ يعتبر أن المحيط القطبي شرق البحر الابيض عقبة طبيعية للتحركات البشرية ، وأما بحر قزوين وبحر أورال وبحيرة بيكال فهي مياه مغلقة لا تتصل بالبحار الخارجية والطرق العالمية ، فعلى أساس أى من الاعتبارين السابقين ، نجد أن الهارتلانه أى قلب العالم ينطبق تقريبا على اقليم واحد ، فهو اقليم قارىء تفصله مناطق انتقالية عن أقاليم الهامشية البحرية فى أوربا وآسيا • وعلى هذا الاساس كانت عزلة الهرتلاند ، وأمانة راجعة الي ظروف جغرافيته الطبيعية : المحيط القطبى المتجمد معظم العام فى الشمال ، والسلاسل الجبلية والصحارى المتسعة الى جانب الشرق ، ولكننا نجد عكس ذلك في الغرب حيث يصبح الهارتلاند سهل الانصال بأراضى أوربية عامرة بالسكان ، على هذا الاساس يتضمن الهارتلاند حوض الفلجا ، قازاقستان ، سيبريا ، وسط آسيا وهضبات ايران والتبت ، ومن الناحية السياسية يصبح الهارتلاند فى معظمه روسيا وصينيا ، فضلا عن بعض الدول الحاجزة كأفغانستان وايران •

ويبدو أن هناك تناقض الآن في قوة الهارتلاند السياسية نظرا لخلخلة سكانه ، واتساعه ، وقسوة مناخه ، فهذا الاقليم متسع حقا لانه يضم $\frac{1}{2}$ مساحة القارة الآسيوية أو نحو $\frac{1}{5}$ مساحة اليابس المعمورة كما أنه مخلخل السكان ، ذلك أن سكانه يقدرون اليم بنحو ١٠٠ مليون نسمة أو $\frac{1}{٣٠}$ من عدد سكان الارض ، وان كان هذا العدد بدوره يعتبر ثلاثة أمثال عدد السكان عندما ظهرت نظرية مكندر • وعلى العموم يبدو أن الاعتبارات الديموغرافية لم تكن هى أساس تحديد الهارتلاند رغم أن ماكندر من أوائل الذين كتبوا فى موضوع القوة البشرية كمقياس للانتاج والقوة الحربية •



شكل (رقم ٣٦) الهارتلاند والاقاليم الهامشية

فالواقع أن الهارتلاند استمد أهميته من اتساعه الكبير ، فضلا عن أمانه الطبيعي وتوسطه أوراسيا تقريبا، ولم تهبه الطبيعة قوة دفاعية فحسب بل يتحكم أيضا فى خطوط المواصلات الداخلية • ولكن الغريب لدينا أن ماكندر لم يعمل حسابا كبيرا للعوامل البشرية والاقتصادية مع ماظهر لها من شأن كبير في الحروب• فعوامل الاتساع والبعد عن منال القوى البحرية هي قلعة الدفاع للهارتلاند • وهى القاعدة الامينة للقيام بحرب هجومية •

وفى الحق لقد وجد ماكندر من التاريخ ما يؤيد نظريته ، فتحركات رعاة الخيل الى أوربا وآسيا الصغرى والهند ومنشوريا والصين ، شاهد علي الضغط الذى يخرج من الهارتلاند الى المناطق الزراعية الهامشية، ولكن اذا كان التاريخ يؤيد نظرية ماكندر فى أثر الهارتلاند على الاقاليم الهامشية وانها دائما مصدر ومخرج للغزاة ، الا أنه يبدو أنه بولغ فيها ، فقد شهد التاريخ أيضا قوى استطاعت التوغل في الهارتلاند ذاته ، فالروس راكبوا القوارب الذين يبحثون عن الفراء استطاعوا التوغل فى سيبيريا ، وكانوا أول روس عمروا سيبيريا ، وبل يذهب آخرون الى ان بعضا من سكان شمال غربى سيبيريا قد وصلوا اليها من شمال روسيا وفنلند ، وفى العصر الحديث حقق التوغل اليابانى في منشوريا ومنغوليا الداخلية نجاحا على عتبة الهارتلاند •

من يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم :

واذا رجعنا لبقية نبوءة ماكندر نجده يقول « من يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم » ، نجد أنها قد لا تتحمل النقد الكثير ، لانه لو فرض وتحقق هذا الغرض النظرى ، فان العالم الجديد واستراليا (لو فرض أيضا أنهما وحدا جهودهما العسكرية) سوف يترددان كثيرا قبل أن يدخلا في نضال غير متعادل عندما يجدا أن كل فرص النجاح أمامهما تنحصر فى تفوقهما التكنولوجي والجوى والبحرى ، وفى امكانهما استعادة بعض الجزر المحيطة بالعالم القديم ، أن كل ما قد يفعله $\frac{1}{8}$ سكان العالم هو حرب دفاعية ضد جزيرة العالم •

من يحكم شرق أوربا يسيطر على قلب العالم :

ويبدو كذلك أن عبارة « من يحكم شرق أوربا يسيطر على قلب العالم » صحيحة ، فقد أيدتها حوادث هذا القرن ، وأن ظهرت فترات تحدى لهـذه العبارة • واستند ماكندر في هذا الى أدلة تاريخية وجغرافية ، فلو كانت السواحل القطبية من السهل الوصول اليها في عصر الكشوف الجغرافية كما كان الحال فى خليج هدسن لكان من السهل على الانجليز أو غيرهم من الاوربيين الوصول الى نهرى ينسى وأوب ، أى الى وسط سيبيريا ، ولأنشأوا الشركات التجارية ، وقاموا بعد ذلك بادعاءات سياسية فى أراضى سيبيريا ، ولكن نظرا لان الملاحة في المحيط القطبي محدودة زمنيا ودقيقة للغاية ، فان السيطرة على الهارتلاند من الناحية يصبح من أطرافه اليابسة ، فقد يأتي من جنوب غرب آسيا كغزوات الاسكندر أو الفتح العربى ولكن الاكثر احتمالا أن يأتى من الاطراف المزدحمة بالسكان سواء من شرق أوربا أو الصين ، ولقد كانت الصين هي القاعدة الرئيسية للامبراطورية المغولية فى القرن الثالث عشر ، وان كانت بؤرة القوة المغولية هى الاستبس المغولى • وهذا مثل هام للسيطرة على الهارتلاند لا من شرق أوربا ، بل من آسيا الموسمية • وان كانت قد فشلت فى السيطرة على شرق أوربا •

وكانت سيطرة روسيا (أكبر دولة في شرق أوربا) على الهارتلاند عندما أخرج ماكندر كتابه المذكور قد تمت منذ مدة طويلة • ذلك أنه عند بدء ظهور بلدية موسكو وامتدادها في شمال ووسط روسيا ، كان هناك خسوف لقوة المغول وتنظيم للدولة الروسية فى القرن السادس عشر ، وأخذ الروس ينفذون الى سيبيريا بحثا عن الفراء وللسيطرة على هذه المساحات الواسعة • وكان لمد الخط الحديدى الذى يصل الى الباسفيك أثره فى عمليات التعمير ، وظهور روسيا على المسرح السياسى في الشرق الاقصى ، وذلك بسبب عمليات التوطين التي تبعته فى سيبيريا •

كذلك مد الروس الخطوط الحديدية الى جمهوريات آسيا الوسطى وخاصة الخط الرئيسى من تشكالوف الي طشقند ، وخط عبر القوقاز من كوشكا على حدود الافغان • وليس من شك أن ماكندر عندما اختمرت فى ذهنه فكرة الهارتلاند ، كان قلب العالم فى قبضة روسيا تماما ، وان كانت الصين قد سيطرت على جزء منه كسنكيانج والتبت ومنغوليا ، الا أن قبضتها

كانت ضعيفة . على تلك الاقطار الهامشية ، وكانت قوتها فى تدهور ، وكان أكثر ما يسترعى ويجذب انتباهها هو القوة البحرية الصاعدة فى الشرق ، قوة الامبراطورية اليابانية .

شرق اوربا تحت سيطرت الهارتلاند : اذا نظرنا الى الخريطة السياسية في الوقت الحاضر ، لوجدنا أن سيطرة الهارتلاند علي شرقى أوربا واضحة أكثر من أى وقت مضى ، فالاتحاد السوفيتى قد مد حدوده لمسافات كبيرة نحو الغرب بعد الحرب الالمانية الروسية (١٩٤١ / ١٩٤٥) وذلك بضمه جمهوريات البلطيق وجزء من بروسيا الشرقية ، وشرقى بولنسد ، وروثينيا ، وبسارابيا ، وأجزاء من جنوبي وشرقي فنلنسد ، وتعدى تأثيره هذه الاقاليم نحو الغرب الى فنلنسد وبولنسد وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبلغاريا والبانيا والمانيا الشرقية ، من ثم أصبح شرقي اوروبا عند ماكندر واقعا تحت نفوذ واحد ، باستثناء حالات قليلة كالسويد وتركيا ويوغوسلافيا ، واذا نظرنا للهارتلاند كما يبدو سياسيا الآن لظهر لنا أن نفوذ الاتحاد السوفيتي قد تعدى حدوده الى بقية أجزاء الهارتلاند ، فاقليم تانوتوفا Tannu Tuva الذى كان تحت السيطرة الصينية ، ضمه الاتحاد السوفيتى اليه عام ١٩٤٥ وكذلك الحال فى تأثير السوفييت على جمهورية منغوليا الخارجية . هذا فضلا عن رفعة مكانة الاتحاد السوفيتي وسمعته العالمية بين أقطار وسط آسيا لتخلفها من ناحية ، ولتقدمه التكنولوجى من ناحية أخرى ، وظهور هذا التقدم في جمهورياته المتاخمة فى مشروعات الرى وتوليد الكهرباء والتعدين واقامة المصانع والخدمات الجوية ، وكل ما تبقى ضمن الهارتلاند ولكنه خارج عن قبضة الاتحاد السوفيتى يتمثل في ايران وأفغانستان والتبت .

من ثم فأول نبوءة لماكندر تصف وضعا ممثلا الآن الى حد كبير ، فالاتحاد السوفيتى كقوة فى شرقي أوربا يسيطر على الهارتلاند ، وأما ايران وافغانستان فقد عملت السياسة البريطانية علي أن تكونا مناطق حاجزة بين مصالحها فى جنوبى آسيا ، وبين مطامع الاتحاد السوفيتي ، لان افغانستان بها الممر الرئيسى الى سهول السند والجانج ، كما تطل ايران مباشرة على المياه الدفيئة وعلي أقطار جنوب غربي آسيا .

هل يسيطر الهارتلاند علي العالم ؟

وهنا لابد وان نشير الى التطورات الكبيرة التى أصابت اقتصاد الاتحاد السوفيتى ، لانه من الواضح الآن خطأ تقدير قوة الاتحاد السوفيتى

قبيل الحرب العالمية الثانية ، ولكن فى نفس الوقت يجب الحذر من المبالغة فى تقدير قوته ، فاذا تركنا التطورات الاقتصادية جانبا ، فان هناك اعتبارات كثيرة تتحدى اعتقاد ماكندر فى قوة الاقاليم الواقعة تحت السيطرة السوفيتية سواء من حيث المنعة أو العدوان .

فاختراق المجال الجوى القطبي بواسطة الطيران ، أدخل اعتبارا جديدا لم يكن موجودا أيام ماكندر ، ونشأت خطوط جوية فى العروض العليا بين الاسكا والاتحاد السوفيتى الآسيوى ، وأفادت هذه كثيرا الاتحاد السوفيتى خلال فترة العمل في العلاقات السوفيتية الامريكية أثناء الحرب العالمية الثانية ، وعلى هذا الاساس يمكن أن نتساءل ما امكانيات الاقاليم القطبية كمسرح للقتال ؟ علي العموم لا يمكن للاتحاد السوفيتى أن يتجاهل سواحله الطويلة على المياه القطبية تاركا اياها في أمان حسب نظرية ماكندر . كذلك لا يمكن للاتحاد السوفيتي حماية مطاراته المشتتة ومراكز سكانه وموانيه فى هذه المساحة الواسعة دون شبكة جديدة من المواصلات ، من ثم يثير هذا العديد من المشكلات فى الدفاع الجوى . فعملية الدفاع عن هذه المساحات الكبيرة من يابس الاتحاد السوفيتي ومائة ضد العدوان الجوى تصبح صعبة .

ثم هناك مشكلة اخرى تظل في الوقت الحاضر وهى الى أى حد ستستعمل الاسلحة الحديثة فى الحرب القادمة ، من ذرية وهيدروجينية وأخيرا صواريخ ؟ فهذه الاسلحة لا شك تحدث تغيرات ثورية في التأثيرات الجيوبولتيكية . فامتلاك القنابل الذرية والهيدروجينية والصواريخ لا شك ستمنع الاتحاد السوفيتى من الاستفادة الكاملة بأرصدته الاقتصادية والحربية ، ذلك أنها ستكون اهدافا للضرب ، فمثلا هناك حقول باكو الاصلية على بحر قزوين او باكو الثانية علي الفلجا ، فهذه الحقول مسئولة لا عن وسائل النقل الحربية والمدنية فحسب ، بل مسئولة ايضا عن انتاج الغذاء الذى يقوم على نظام زراعى آلى .

سبيكمان والنطاق الهامشى :

وقد ظهرت نظرية سبيكمان Spykman. N. (١٨٩٣ـ ١٩٤٣) بعد ظهور نظرية ماكندر بأربعة عقود ، وقد تضمن كتابه جغرافية السلام The Geography of peace الذى نشر عام ١٩٤٤ أى بعد وفاته خطوطا

عريضة من الناحية الاستراتيجية : منها أن الطريقة الوحيدة لاستمرار السلام تأتى عن طريق نظام جماعي كأمم متحدة مسلحة ، أو يحفظ توازن دولي . وتتعلق فكرته الثانية بنظرية ماكندر ، وهى أن من يسيطر على جزيرة العالم يمكن أن يتحكم فى العالم .

وكان مدخل سبيكمان الى المشكلة مدخلا أمريكيا ، فالعالم الغربى يحيط به العالم الشرقى بما فيه كتلة أوراسيا وأفريقية واستراليا ، وتبلغ مساحة يابس نصف الكرة الشرقى نحو ٥ر٢ مرة قدر يابس النصف الغربي كما يبلغ سكان القسم الشرقى نحو ١٠ أمثال سكان قسمه الغربى ، وبتقديرات ١٩٣٧ كان نصف الكرة الشرقي ينتج ثلثى فحم العالم وحديده ، من ثم ينتهى سبيكمان الى أن العالم الجديد لا يمكن أن يقف أمام العالم القديم فى نضال طويل ، ولا بد للسياسة الامريكية أن تمنع وحدة أوراسيا تحت قوة واحدة .

وأخذ سبيكمان على ماكندر تقديره الزائد لامكانات الهارتلاند .

فهناك مساحات كبيرة من الاراضى الواقعة بين بولندا وبين ينسى قاحلة وأن القوة الحقيقية تكمن فى ذلك النطاق من الدول الذى يحيط بالهارتلاند وهذا النطاق أطلق عليه سبيكمان النطاق الهامشى Rimland ففى هذا النطاق الهامشي يعيش معظم سكان العالم وتوجد معظم موارده .

ولم يكن التاريخ السياسى بطوله عبارة عن نضال بين القوى البحرية والقوى البرية بهذه البساطة ، وانما هو « نضال بين بريطانيا وقوة هامشية من ناحية ، ضد قوة من النطاق الهامشى وروسيا من ناحية أخرى ، أو بين بريطانيا وروسيا من ناحية ، ضد قوة من النطاق الهامشى من ناحية اخرى » ؟

وان يقصد سبيكمان بهذا :

* فرنسا وبريطانيا وروسيا ضد تركيا .
* نجدة فرنسا وبريطانيا لتركيا فى حرب القرم ضد روسيا .
* بريطانيا ضد فرنسا .

* بريطانيا وفرنسا وروسيا ضد المانيا .

فالنطاق الهامشى يمتد كمنطقة حاجزة غنية بالموارد والسكان حول الهارتلاند من ثم يجب أن تتغير في نظره نبوءة ماكندر الى :

« من يسيطر على الاراضى الهامشية يحكم أوراسيا » .

« ومن يحكم أوراسيا يتحكم فى مصائر العالم » .

Who rules Eurasia controls the destineis of the world .

Who conrtols the Rimiand rules Eurasia ,

فالصراع سواء من جانب روسيا أو من جانب القوى البحرية هو للسيطرة على النطاق الهامشى ، ولذلك من رأيه أن تتجه السياسة الامريكية نحو السيطرة على دول هذا النطاق أو على الاقل لمنع الاتحاد السوفيتى من السيطرة عليها ، وهذا هو الذى سارت عليه الولايات المتحدة الامريكية من حيث محاولة ربط هذا النطاق بالاحلاف أو الحيلولة دون ضعفها العسكرى بمدها بالمعونات العسكرية .

رأى الساسة فى الحرب العالمية الثانية :

وكادت هذه النظرية ستتحقق في ثلاثينات القرن العشرين عندما استطاع هتلر احياء العسكرية الالمانية عام ١٩٣٣ وطموحه في شرق أوربا مما كان سيؤدى الى وجود كتلة قارية فى مواجهة القوة البحرية الانجليزية الامريكية ، ومن هنا كانت المعاهدة السوفيتية الالمانية ١٩٣٩ / ١٩٤١ ، وانتصار المانيا فى الغرب كان بدوره سيحقق نظرية ماكندر ، ولكن حرب هتلر فى جبهتين الشرقية والغربية فى آن واحد ، كان أكبر خطأ أرتكبه ، وأنهي احتمالات قيام هذه الجبهة القارية ومما يذكر في هذا المجال أن ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية أيام الحرب العالمية الثانية، كان يعتقد بصحة نظرية ماكندر ، فحينما كتب له الرئيس روزفلت فى أول مايو ١٩٤١ « أنه اذا احتلت المانيا النازية كل الشرق الاوسط وشمال افريقية ، فان سيطرتنا فى النهاية على المحيط الهندى والاطلنطى سوف تنهى الحرب لصالحنا (يتفق مع نظرية ماهان) وقد رد عليه تشرشل في ٣ مايو قائلا « لا أعتقد أن سقوط الشرق الاوسط يعتبر مقدمة لنجاح حرب بحرية طويلة ، اذا أصبحت كل أوربا ومعظم آسيا وافريقية جزءاً

من المحور ، فان حربا تخوضها بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وكندا واستراليا سوف تكون حربا شاقة وطويلة ونتائجها غير مشرقة » (١).

الاستراتيجية الجوية :

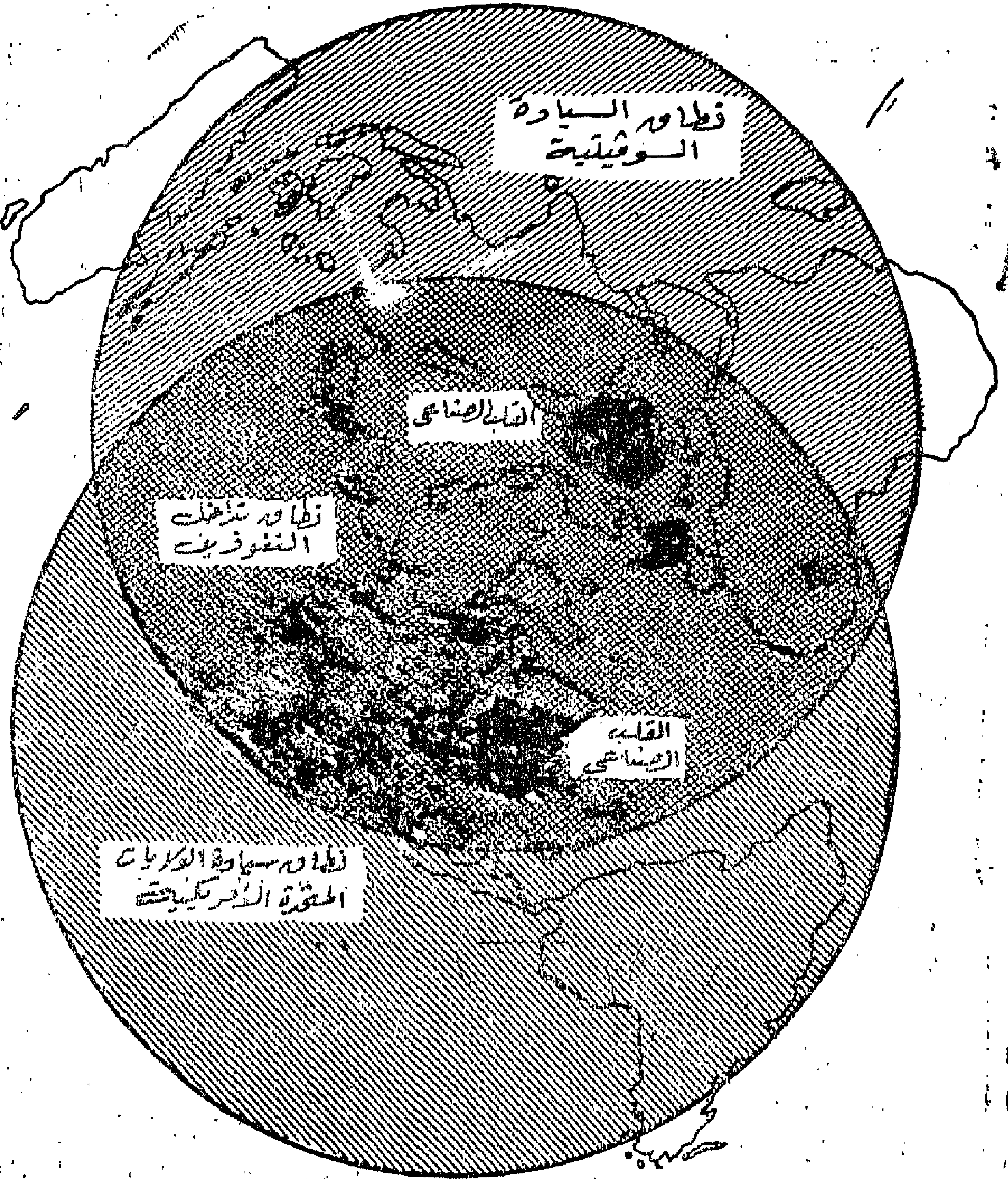
وظهرت نظريات جديدة في الاستراتيجية الكوكبية عقب الحرب العالمية الثانية ومقتضاها أن الجو هو مجال السيطرة والقوة العالمية لا البحر ولا اليابس ، ومن أشهر أصحاب هذه النظرية ماجور الكسندر سفرسكي Seversky. A في كتابه القوة الجوية مفتاح البقاء Air Power : Key to Survial. 1653 فيصف في كتابه قطبي القوة في أوراسيا وأمريكا الشمالية ، ويضمن الكتاب رأيه في أن الدولة الصناعية العظمي ، يجب أن تنظم قواها الحربية بحيث تصل الى سيادة عالية • ولا يؤيد سفرسكي الحروب المحلية الصغيرة كما في كوريا والصين الهندية لانها تستنزف الولايات المتحدة الامريكية ، دون أن تكون ذات أثر محسوس على الاتحاد السوفيتي ، ويرى أن ردع الاعتداء الشيوعي لا يتم الا اذا شعر بتهديد قوة جوية ضاربة على نطاق واسع ، وفي مثل هذه الحالة لا تحتاج الولايات المتحدة الامريكية الى قواعد وأحلاف في نصف الكرة الشرقي ، بل يقتصر الدفاع علي الامريكتين •

واذا رجعنا للحرب العالمية الثانية لوجدنا أن بريطانيا كانت تعتمد على السلاحين الجوى والبحرى كسلاحين أساسيين في استراتيجيتها ، فكانت توجه معظم نشاطها نحو الغارات الاستراتيجية التى ترمي الى تدمير مدن العدو ومصانع وطرق مواصلاته وشل حيويته أكثر مما تعتمد عليه في مساعدة الجيش على الهجوم أو على صد الهجوم ، وظل هذا السلاح الجوى ثانوى أو تابع بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية حتي ٦ أغسطس ١٩٤٥ حينما أسقطت قنبلة هيروشيما الذرية وكسبت الحرب حينئذ • وقد استمرت في الاعتماد علي القوة الجوية أساسا وهي تطبقها الآن في فيتنام •

وكانت الاستراتيجية السوفيتية والالمانية تعتمدان على الغزو البرى

---

(1) Rees 'D' « The Struggle for The Heartland » in Aspects of Conflicts ' London ' 1978 ' PP . 5'6 .



شكل (رقم ٣٧) نظرية سفرسكى في الاستراتيجية الجوية

وأن السلاحين الجوى والبحرى ما هما الا عاملين مساعدين للجيش البرى الذى لا يتم انتصار الا به ٠

ونرجع ونقول الا يرجع هذا الاختلاف فى الاستراتيجية الي الظروف الجغرافية لكل ؟ فالاتحاد السوفيتى وألمانيا هى دول برية بامتياز ، بريطانيا هى دولة بحرية ، والولايات المتحدة هي دولة برية وبحرية ٠

الاستراتيجية الذرية :

وكان لظهور القوة الذرية فى نهاية الحرب العالمية الثانية أثره في قلب الخطط الاستراتيجية مرة أخرى ، وبدأ البحث فى الاستراتيجية الذرية التى تختلف عن الاستراتيجية التقليدية ويرجع هذا الى أكثر من عامل منها :

— أن قنبلة ذرية متوسطة الحجم تعادل في قوتها الانفجارية قوة أربعة ملايين من قنابل المدافع المعروفة بعيار ٧٧ بينما قنبلة هيدروجينية تعادل فى قوتها الانفجارية مائتي مليون قذيفة مدفع ٠

— تحصر الاسلحة التقليدية المعركة فى ميدان معين ٠ فى حين أن السلاح الذرى يجعل ميدان المعركة غير محدود ، فالصواريخ عابرة القارات تستطيع أن تصيب من الاهداف كيفما شاءت ، ويتلاشى فى هذه الاحوال عنصر الوقت لانه يحسب بالدقائق بدلا من أن كان يحسب بالساعات ٠

وتتدخل العوامل الجغرافية مرة أخرى فى الاستراتيجية الذرية ، فهل يتجه التدمير الذرى نحو قوى العدو الذرية فقط أم ضد مدن العدو ؟ فاذا كانت دولة العدو صغيرة المساحة كبريطانيا أو فرنسا ، فلا فرق بين تدمير قوى العدو الذرية ومدنه ، لان تدمير القوى الذرية الموزعة في مساحة صغيره سيلازمه بطبيعة الحال تدمير المدن والعكس صحيح ٠ وقد يرجع هذا أيضا الى عامل كثافة السكان فضلا عن المساحة ، فمن الطبيعي أن يختار الاتحاد السوفيتى مدن الولايات المتحدة الامريكية هدفا ، ذلك أن اكثر من ثلثى سكان الولايات المتحدة مدنيين ، وتتركز مدنها الكبيرة على الساحل الشرقى وفي اقليم البحيرات ، ومعظمها مراكز صناعية وموانى في نفس الوقت ، ففيها عشر مدن يتراوح سكانها بين ٨٠٠ ألف نسمة و٨ مليون نسمة ، من بوسطن التى تقترب من الرقم الاول الى نيويورك التى تزيد على الرقم الثانى ، من ثم يكون ضرب الاتحاد السوفيتي للمدن الامريكية

سهل ومركز للغاية ، ويؤدى هذا الضرب الى احداث شلل للحياة الامريكية ٠

ومن الطبيعى أن تختـار الولايات المتحـدة الامريكيـة المراكز الذرية للاتحاد السوفيتى هدفا ، فسكان المدن هم نحو نصف السكان فقط ، كما أن موسـكو ولينينجراد معا أى المدينة الاولى والثانية تعادلان سـكانيا نيويورك وحدها ، ويضاف الي هذا تباعد مدن الاتحاد السوفيتى وتشـتتها ، وعـدم تركيز مناطقه الصـناعية التي زحفت الى ماوراء الاورال فوصلت الى بيكال وعامور ، كل هذا مما يجعل تدمير الثروة الذرية السوفيتية أيسر ، وفى نفس الوقت يكفل لها عجز الاتحاد السوفيتي عن تدمير مدنها ٠

الاسـتراتيجية الـكوكبية بعد التوازن النووى :

وقد حاولت الاسـتراتيجية الامريكية اتباع سـياسـة القمع الذرى العنيف واتضـح هذا من قول فوسـتر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية السابق بقوله « ان المعتدى العنيد يجب أن يعرف أن أعماله ستجلب عليه انتقاما مروعا يجعله يخسر أكثر مما يكسـب » ولـكن هذا التصريح صـدر في وقت كانت الولايات المتحـدة تحتكر فيه السـلاح الذرى ، كما تنفرد فيه بطيران اسـتراتيجي قادر على نقل القنابل الذرية الى أى مكان تريد تدميره ، ويكفى أن خروتشوف قد تراجع فى أزمة الصواريخ السوفتية في كوبا عام ١٩٦٢ ، ولـكن سرعان ما تغيرت هذه الاسـتراتيجية بعد أن توصلت روسيا الى السلاح الذرى والهدروجيني ، بل وأصبح لديها صواريخ عابرة القرات ٠ وأدى هذا التوازن الذري الى ترك الولايات المتحدة لسياسة الانتقام العنيف والتحول الى الرد المرن ، بمعني أنه اذا وقع عدوان من الاتحاد السوفيتي فالواجب يقضى على الولايات المتحدة ألا ترد بحرب ذرية شاملة ، بل بعدوان مضاد منـاسب لمقدار العدوان السوفيتي ، فقنبلة على قاعدة عسكرية ، معناها قنبلة ذرية واحدة على هدف سوفيتى ٠ وان كان الاتحاد السوفيتى يقرر بأنه اذا وقع هجوم عليه ، فاه من واجبه هو الرد العنيف ولا تفريق بين سـلاح وآخر ، كذلك تحولت الاستراتيجية السوفيتية من مبدأ حتمية الصراع بين النظامين الشـيوعى والرأسـمالى الى المبـدأ الذى روج له خروتشوف وهو ما يعرف بالتعايش السلمي ومحاولة تجنب الصـدام العسكرى على افتراض امكانية تفوق الشيوعية علي الرأسـمالية دونما حاجة الى حرب فعلية ٠

ماكنـدر وسبيكمان بعد التوازن النووى :

واذا رجعنا لنظريات الهارتلاند والنطاق الهامشى بعـد الاختراعات

النووية ، لوجدنا أنها استنفدت أغراضها ، فقد ظهرت لتلائم فترة كانت تمارس فيها الاستراتيجية التقليدية • فاذا اعتقدنا أن الحرب القادمة ستعتمد اعتمادا كبيرا على القوى النووية ، فهنا يتغير الحال ، لانه لن يكون ضغط الهارتلاند السوفيتي على الدول المحيطة ، (النطاق الهامشي) بل الي أي هدف يريده مباشرة ، بفضل الصواريخ التي يصل مداها الى عشرة آلاف ميل • وتصبح سياسة احتواء الاتحاد السوفيتي على افتراض أن الاعتداء سيكون على أساس زحف جيوش برية ، غير ذات موضوع غير أن الامريكيين لا يقولون بأن تطويق الاتحاد السوفيتي قد استنفذ أغراضه تماما • فالتوسع السوفيتي بالوسائل التقليدية أسهل وأقل تكلفة ، ولن يقابله رد فعل عنيف ، كما تفعل الرؤوس النووية مثلا ، من ثم لم تتخلي الولايات المتحدة الامريكية عن الاقطار المحيطة بها عن طريق ربطها بالاحلاف ومدها بالمساعدات العسكرية التقليدية كتركيا وباكستان وايران وكوريا الجنوبية وهي الاقطار التى قد تتعرض للضغط السوفيتي • وتخطط الولايات المتحدة الامريكية للحروب المحلية والمناوشات القصيرة ، وفى نفس الوقت للحرب الذرية سواء بواسطة اقامة خطوط الانذار الامامية فى شمال أمريكا الشمالية أو بدوريات قاذفات القنابل الذرية ، أو بالغواصات الذرية الحاملة لصواريخ بولاريس (مدى ١٥٠٠ ميل) •

ووجدت الولايات المتحدة أيضا أن الاتحاد السوفيتي يمتلك سلاحا آخر ليست له أبعاد جغرافية ، وهو السلاح المذهبى ، فقد تظهر ظروف سياسية واجتماعية فى منطقة بعيدة غاية البعد عن الاتحاد السوفيتي ترحب بالمعونات السوفيتية أو النفوذ السوفيتي ، نتيجة ما تعانيه من حرمان أو ظروف اقتصادية قاسية ويستفيد الاتحاد السوفيتي من هذه الظروف أيما استفادة ، خاصة وان معظم الاقطار الافريقية والآسيوية خرجت ناقمة علي العالم الغربى الذى تركها في مشكلات اقتصادية واجتماعية ، بعد أن جثم على صدرها مايقرب من القرن • ووجدت هذه الدول أن الولايات المتحدة الامريكية تريد أن تفرض نفسها أن ترث الامبراطوريات الاستعمارية القديمة، وأنها تشترط فى قروضها ومعوناتها الوقوف الي جانبها ، ومنحها القواعد والتسهيلات اللازمة لردع النفوذ السوفيتي •

لذلك اتجهت الولايات المتحدة الامريكية فى سياستها الاستراتيجية علي عدة أسس وهى :

١ – تطويق العالم الشيوعي بالاحلاف والقواعد البرية والبحرية •

٢ – الردع الذرى بفضل القواعد السابقة وبفضل الدوريات حاملة القنابل الذرية •

٣ - المعونات العسكرية والاقتصادية للدول الموالية لها .

٤ - الانقلابات السياسية والعسكرية فى الدول التى تشعر بأنها تخلت عنها أو بدأت تعود للمعسكر الآخر . غير أنه يبدو أن تحديث قوة الصين العسكرية ، واعادة تسليح اليابان قد يكون من أفضل الوسائل للحفاظ على التوازن العسكرى ، وهذا ماسعت اليه الولايات المتحدة الامريكية باعترافها بالصين الشعبية ، واتاحة الفرصة لدخولها هيئة الامم ، وقيام علاقات الود بينهما . وان كان أشد وسائل السوفييت خطرا الآن هو تقدمهم فى افريقية ، فقد يعطيهم هذا امكانيات التحكم فى الطرق الحيوية لتحرك المعادن والبترول الى الغرب والولايات المتحدة الامريكية بتحكمهم في طرق الشرق الاوسط والكاب ، واذا أمكنهم هذا ، فان هذا سيؤدى الى سقوط أوربا الغربية سواء حربيا أو اقتصاديا أو كلاهما معا ، وبالتالى تسقط « جزيرة العالم » وتتحقق نبوءة ماكندر .

الوفاق والانفراج ... Detente

أخذ السباق بين القوتين الاعظم يأخذ شكلا حادا ، وازدادت مخاطر الاسلحة النووية بدرجة رهيبة ، وبدا للعملاقين أنهما وصلا الى مرحلة قدرة أى منهما على تدمير الآخر ، بل وتدمير العالم ، فقد أصبح في حوزة كل منهما على سبيل المثال ، قذائف صاروخية عابرة للقارات ICBM. . ذات قواعد ثابتة ويبلغ مداها ٥٥٠٠ كم ، وقذائف صاروخية تطلق من الغواصات . SIBM. ، وصواريخ أرض جو تطلق من الطائرات ومداها ٦٠٠ كم ، وصواريخ متعددة الرؤوس ASBM. . كل منها يمكن أن يتجه الى هدف منفرد .. MIRV ، مما أدى بكليهما الى تحصين مدنهما بشبكات من الصواريخ الدفاعية ضد أى هجوم استراتيجي يشن من القوة الاخرى .

وقد أدى الاحساس بالخطر الرهيب الى التقارب الامريكى السوفيتي حول ضرورة التوصل الى ضوابط فعالة لسباق التسلح ، فكانت هناك معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية عام ١٩٦٨ ، وبدأت المفاوضات لاتفاقية سالت الاولي عام ١٩٦٩ ، وتم التوقيع عليها عام ١٩٧٢ ، وسالت Treaty on the limitation of strategic offensive arms (Salt I) .

الثانية التى بدأت مفاوضاتها فى نوفمبر ١٩٧٢ ، ووقعت فى فيينا في يونية ١٩٧٩ ، والغرض من كليهما الحد من سباق التسليح ، وعدم التسابق

فيه ، ولكل من الطرفين أن يطور امكانياته للتأكد بالتزام الطرف الآخر ، بما اتفق عليه وعدم التشويش على وسائل الآخر الاستكشافية ويرجع الطرفان فى أى خلاف الى لجنة استشارية تؤلف منهما • ومن الجدير بالذكر أن هذه الاتفاقيات في الوقت الحاضر هى فى صالح الولايات المتحدة الامريكية أكثر من الاتحاد السوفيتى نظرا لتفوقه فى الفترة الاخيرة، لتفوقه في القذائف العابرة للقارات • والقذائف الصاروخية المنطلقة من الغواصات والصواريخ الارضية •

وفى الحق لقد تصاعد التسليح النووى السوفيتى ، ونمت القوة البحرية السوفيتية نموا بالغا ، وظهرت آثار الاستراتيجية السوفيتية على النطاق العالمي، فضلا عن بداية تبعية الغرب والولايات المتحدة الامريكية لدول الشرق الاوسط يبين الى حد كبير تحول مركز الثقل فى المستقبل الى الذين يسودون « جزيرة العالم » وقد يكون من أغراض هذا التفوق السوفيتى ، أن الضجة التى أحدثها الرئيس الامريكي أثناء انعقاد مؤتمر عدم الانحياز فى هافانا عام ١٩٧٩ ، حول وجود لواء سوفيتى فى كوبا ، ولم يعرها الاتحاد السوفيتي اهتماما ، لانها هناك منذ فترة تزيد علي العشرة أعوام ، بل والجدير بالذكر أنه يجرى بناء قاعدة للغواصات السوفيتية فى كوبا ، عكس ما حدث عام ١٩٦٢ ، فى نفس تلك الدولة من ارجاع خرشوف للصواريخ السوفيتية تحت التهديد الامريكى ، فهل يمكن أن يفسر هذا الآن بالعجز الامريكى والقدرة السوفيتية ، على اعتبار أن واشنطن لا تمارس الفعل بل رد الفعل ؟ •

لمعرفة ما وصل اليه العالم فيما يختص بالتسليح نود أن نذكر أن نفقات التسليح بلغت عام ١٩٧٩ نحو ٤٠٠ مليار دولار ، وقدرت قيمة تجارة السلاح الاجمالية بنحو ٢٠ مليار دولار ، وأن الميزانيات المخصصة في العالم أجمع للجيوش والتسليح تساوى الدخل الذى تحققه الـ ٣٦ دولة الاشد فقرا في العالم وأن سعر الغواصة الامريكية ترايدنت يمكن من تعليم ١٦ مليون تلميذ من أبناء الدول النامية فى عام ، وبسعر الدبابة يمكن تجهيز ٥٢٠ فصلا دراسيا يضم كل منها ٣٠ طالبا ، وأنه يوجد على سطح الارض عام ١٩٧٩ ، ٦٠ الف سلاح نووى ، وأن الدول الاكثر انفاقا على السلاح هى الاتحاد السوفيتى ، الولايات المتحدة الامريكية الصين ، المانيا الغربية ، فرنسا ، بريطانيا ، ايران ، السعودية ، مصر ، اليابان ، وأن حصة الدول النامية من تجارة السلاح ٧٠ ٪ منها ٤٧ ٪ لدول الشرق الاوسط •

أولا : المراجع العربية

محمد عبد الغني سعودي

- السودان : دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشرى والبناء الاقتصادى ، القاهرة ١٩٦٦ ـ بالاشتراك مع الدكتور محمد محمود الصياد .
- الوطن العربى : دراسة للملاحة الجغرافية ـ القاهرة ١٩٦٩ .
- الاقتصاد الافريقى والتجارة الدولية : القاهرة ١٩٧٣ .
- الجغرافية والمشكلات الدولية : القاهرة ١٩٧٦ .
- افريقية : دراسة فى شخصية الاقاليم ، القاهرة ١٩٧٨ .
- ايران : دراسة في جذور الصراع ، الكويت ١٩٧٩ .
- قضايا افريقية : المجلس الوطنى للفنون والاداب ، الكويت ١٩٨٠ .
- النقل في افريقية المدارية : سماته ومشكلاته ، مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ، ١٩٧٠ .
- أسواق الصادرات الافريقية : مجلة الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والتشريع عدد ٣٤٥ ـ ١٩٧١ .
- التكامل الاقتصادى الافريقى : بحث مقدم لمؤتمر الشباب الافريقى المنعقد فى تونس في يوليو ١٩٧٣ .
- السوق الاوربية الموسعة وأثارها على افريقية ، مجلة الجمعية الجغرافية المصرية سنة ١٩٧٣ .
- الوجود الاقتصادى اليابانى فى افريقية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة عدد رقم ٣١ ، سنة ١٩٧٣ .
- الصومال : عضو جديد فى الجامعة العربية ، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ، العدد الرابع سنة ١٩٧٤ .
- سد الفولتا : مجلة معهد البحوث والدراسات الافريقية ، العدد الثانى ١٩٧٤ .
- الوجود الاقتصادى الصينى افريقية : مجلة معهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة ، العدد الثالث ـ ١٩٧٥ .
- موريتانيا : جسر العروبة والاسلام الى غرب افريقية ، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ـ العدد الخامس ـ ١٩٧٥ .
- مشكلة الصحراء الغربية : مجلة كلية الاداب والتربية ، جامعة الكويت العدد رقم ١٤ ، ديسمبر ١٩٧٩ .
- الخليج بين الوحدة وصراع القوى الاعظم ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد رقم ٢٠ ، اكتوبر ١٩٧٩ .

ترجمـــات :

ـ السـيـاسات السكانية فى افريقية مشـكلات احتمالات : ادرناتي اديبوجو نشرة وحـدة البحث والترجمة : جـامعة الـكويت ، العـدد رقم (٨) أغســطس ســنة ١٩٧٩ ٠

ـ القـدرة البحرية السوفيتية : الاســطول المســاند المقانع : دافيـد ريز ، العـدد رقم (٢٠) ، أغســطس ١٩٨٠ ٠

ـ مســح تاريخى للمصــالح الاوروبية في منطقة الخليج : سـيد فاروق حسنت لمجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد رقم (٢٥) ١٩٨١ ٠

عرض كتب :

ـ محبـان على نهر النيل : ريتشـــارد هول ، كولينز ، لنـدن ، ١٩٨٠ ، مجلة عـالم الفـكر (تحت الطبع) ٠

ـ الخليج العربى : دراســة فى الجغرافية الســـياســية : صبرى فارس الهيتي (بغـداد ١٩٧٨) مجلة دراســات الخليج والجزيرة العربية ، (تحت الطبع) ٠

ـ افريقية والعرب : امين اسـبر ، دار الحيـاة ، بيروت ١٩٨٠ ، المجلة العربية للعلوم الانســانية ، جامعة الـكويت ، (تحت الطبع) ٠

ـ التاريخ العســكرى لليمن ، سـلطان ناجى ، عدن ١٩٧٦ ، المجلة العربية للعلوم الانســانية ، جامعة الـكويت ، (تحت الطبع) ٠

مقالات في الصحـف :

ـ لمـاذا طرد عيدى أمين الاسيويين فى أوغندا ، الاهرام ١٣/١٠/١٩٧٢ ٠

ـ البرتغال فى حلـف غير مقـدس مع الاخطـارات الامريكيــة ، الاهرام الاقتصــادى عـدد ٤٢٨ ، ١٩٧٣ ٠

ـ حرب الاســتنزاف ، القبـس الـكويتية سـلسـلة من أربع حلقـات ٢٠ ، ١١/٢٨ ، ٢ ، ١٢/٣/١٩٨٠ ٠

ـ الحرب الاقتصــادية ، القبـس الـكويتية ، سلسلة ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠/١١/١٩٨٠ ٠

ـ الحرب الـكيماوية : القبـس الـكويتية ، سـلسلة من حلقتين ٤/١٢ ، ٢٥/١٢/١٩٨٠ ٠

ـ الصــومال : القبـس الـكويتية ، سـلسـلة من أربع حلقات ٣٠/١ ، ١/١١ ، ١٣/١/١٩٨١ ٠

ـ حوار عن مجلس التعاون الخليجى ، القبـس الـكويتية ـ ١٧ ، ١٨ ، ٢٠/٢/١٩٨١ ٠

ثانيا : المراجع الأجنبية

Barnett , D. , « Communist China » ,The Early Years 1949 / 1955 London ,1964 .

Boggs. S. W. « International Boundaries », A Study of Boundary Functions and Problems, New York 1940 .

Bowman,I. « The New World. Problems in Political Geography » New York 1921.

Chia kuo, P . « China » O. U. P. , 1963 .

Carlson , L . « Geography and World Affairs » Penguin 1963 .

Crankshaw , E . « The New Cold War » . « Moscow V . Pekin » Pelican , 1965 .

De Grozia . A. , Stevenson T . World Politics : A Study in International Relations » Noble , New York, 1962 .

East' G 'Moodie . A . E . « The Changing World » Harrap . London . 1962 .

Emerson. R . « From Empire to Nation » Harvard . 1960 .

Frankel . J . « International Relations » O. U. P. 1966 .

Freeman T. W. « A Hundred Years of Geography » Dukworth London . 1961 .

Hartshorne . R. « Geographic and Political Boundaries of upper Silesia » . Annals of the Association of American Geographers X X I I I 1933 .

— « Political Geography » in American Geography » Inventory Prospects , Syracuse 1954 .

Jones . S B . « Boundary Making : A Handbook for Statesman Treaty Editors and Boundary Comissioners » Washington 1964 .

Lewis A . « World Political Patterns » McNally . Chicago 1964 .

Mackinder H . « Democratic Ideals and Reality » New York . 1919 .

Moodie A. E. « Geography Behind Politics » Hutchinson . London 1966 .

Naamani J « The Kurdish Drive for Self Determination » The Middle East Journal Washington . Summer , 1966.

Pounds N « Political Geography . » McGraw Hill 1966 .

Prescoot J. R. V. « The Geography of Frontiers and Boundaries » Hutchinson , 1965 .

Tregear T. R. « A Geography of Ghina » London, 1966 .

Valkenburg. U . Stosz K , Elements of Political Geography 2 and Valkenburg. U. Stosz K , « Elements of Political Geography Second » Edition , Prentice Hall , 1961 .

محتويات الكتاب

الصفحة

تصـــــــدير ١

المقـدمة : الجغرافية السياسية مجال ومنهج ٧

البـــاب الأول

الأسس الجغرافية لتقييم الدولة من الناحية السياسية

الفصـــل الأول : الأسس الطبيعيـــة ٢٢

الفصـــل الثـــانى : الأسس البشرية ٦٥

البـــاب الثـانى

تطبيقات فى الجغرافية السياسية

الفصل الأول : زيادة السكان كمشكلة سياسية ١١٣

الفصـــل الثـــانى : الدول الحبيسة ١٣٠

الفصل الثـــالث : جنوب أفريقيـــة نمـــوذج للمجتمـــع المركب
(التمييز العنصرى)

البـــاب الثالث

الحـــدود السياسية ومشكلاتهـا

الفصل الأول : الحـــدود السياسية ١٤٩

الفصل الثانى : مشكلات الحـــدود السياسية ١٦٨

الفصل الثالث : الميـاه الاقليمية ١٩٩

البـــاب الرابع

القـــــوى العالميـــــــة

	الصفحة
مفهـوم القـــوة	٢١٠
القـــوى العمـــلاقة	٢١٧
الفصل الأول : الولايات المتحدة الأمريكية	٢٢٢
الفصل الثانى ... تى	٢٧٦
الفصل الثالث ... تيجية الـكوكبية	٣١٣
مفهوم الاسترا ... لقوة البحرية ـ ماكندر والهارتلاند ـ	
سبيكان والنط ... راتيجية الـكوكبية بعد التوازن النووى	
المـــراجع	٣٢٣

الصفحة	خطــأ	صح
٦٤	Pace Gohslousn	Race conciousness
٦٧	Reh bith	Rehboth
٦٩	الاغريقيين	الافريقيين
٧٤	١٢	٢٣١
٧٩	to ethness	togethernesr
٨٠	Rithole	Sithole
١٠٦	evices	devices
١٢٧	أخذ[illegible]يطر وحضور الاتحاد السوفيتى	والاتحاد السوفيتى
١٧٠	Cispute	dispute
٣٢٦	1653	1953

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٨٠٢ / ١٩٨٢

الترقيم الدولى ـ ٠٠٠ ـ ١١٢ ـ ٩٧٧

دار الرائد للطباعة

٢٤ عماد الدين ت : ٧٤١٦٩٠